رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

جائزة دبي الدولية
للقرآن الكريم

سلسلة الدراسات القرآنية
(٢)

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم

الدكتور
محمد رفعت أحمد زنجير

طبع على نفقة
عبدالله أحمد الموسى
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

جائزة دبي الدولية
للقرآن الكريم

سلسلة الدراسات القرآنية
(٢)

[redacted]

مباحث في البلاغة
وإعجاز القرآن الكريم

جامعة الكويت
إدارة المكتبات قسم التبادل والاهداء
(إهــداء)
رقم التسجيل: ٢١٠٧١٤
التاريخ:
209041

الدكتور
محمد رفعت أحمد زنجير

٢١١,٧

طبع على نفقة
عبدالله أحمد الموسى
غفر الله له ولوالديه

جميع الحقوق محفوظة
لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

ما ورد في هذا الكتاب يُعبّر عن رأي صاحبه ولا يُعبّر بالضرورة عن رأي الجائزة

سلسلة مُحكّمة تصدر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم DUBAI INTERNATIONAL HOLY QURAN AWARD
ص.ب : ٤٢٠٤٢ دبي - أ.ع.م. ، هاتف : ٦٦ ٠٦ ٢٦١ (٤ ٩٧١+)، فاكس : ٨٨ ٠٠ ٢٦١ (٤ ٩٧١+)
موقع الإنترنت : www.quran.gov.ae البريد الإلكتروني : quran@eim.ae

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى في سورة الإسراء:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

روى علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرْ، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم.

أورده الترمذي في كتاب فضائل القران عن رسول الله، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم الحديث ٢٩٠٦

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

رفع المسهم

تقـــديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، رحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد نزل القرآن على قلب رسول الله ﷺ بلفظه، ومعناه، ونطقه، وتجويده، وترتيبه، وتنظيمه، وقد تكفل الله بحفظ آياته وكلماته من التحريف والتغيير والتبديل فقال في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾، جعله الله المعجزة الخالدة الباقية إلى يوم الدين، فأعجز البشر أن يأتوا بسورة من مثله فقال في سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾، وقد تناول العلماء هذا الكتاب العظيم بالدراسة والتمحيص، فاستخرجوا منه الكنوز الثمينة، وأسسوا في ظلال آياته قواعد علومهم، وقد أظهرت كثير من الاكتشافات العلمية المعاصرة حقائق مذهلة سبق القرآن إلى ذكرها أو الإشارة إليها، ولا بد من أن تجد التطابق بين ما قاله الله وما خلقه، كما قال تعالى في سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، ويسر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم أن تسهم في خدمة هذا القرآن العظيم، وتقدم إلى المكتبة الإسلامية سلسلة الدراسات القرآنية تعميماً للثقافة القرآنية، وإن اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم لتقدم شكرها إلى مؤلف الكتاب وإلى كل من ساهم في إخراجه وطبعه ونشره وتوزيعه. سائلين المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل في صحيفة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، وراعي جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. وصلى الله على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم

رفع
المسـاهم
عبد الله الدوسري

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

المقدمـــة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، ووهبه العقل واللسان، وعلمه البيان، وأرشده إلى فضل القراءة وطلب العلم، ونبذ الأمية والجهل، نحمده سبحانه فهو رب الأرباب، ومجري السحاب، وقاهر الأحزاب، وهو الذي أكرم الناس بهذا الكتاب، فقال: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

خصائص الكتاب الخالد:

وهو خير ما أنزله من كتب السماء، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

ووصف كتابه بأنه يهدي إلى الرشد في أمور الدين والدنيا، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وجعل الفساد والهلاك الدنيوي والأخروي قرين من أعرض عن كتابه، قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وبين أن هذا الكتاب شرف لمن يحمله ابتداء بالنبي عليه السلام ثم من تبعه من قومه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٌ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

وقد جعل كتابه عربياً، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

رفع
المسهمـ

وأشار إلى سعة معانيه، فهي لا تنفد، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧] .

وبين عجز الخلق من إنس وجن أمام كتابه، فهو المعجزة الخالدة التي أنزلها من السماء، ولا يستطيع الخلق كلهم ولو اتحدوا جميعاً أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

التحـــدي بالقـرآن:

قهرهم فتحداهم أن يأتوا بمثله في مواضع كثيرة من كتابه فعجزوا، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٩] ، وقال أيضاً: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤] .

ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، فقال عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣] .

ثم تحداهم بسورة واحدة، فعجزوا، قال تعالى يتحدى صناديد الحرب وأئمة البيان: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] .

ولما لم يفعلوا، بين عقب ذلك كله أن العجز سيلازمهم إلى يوم الدين، فما عليهم سوى أن ينقادوا لربهم طوعاً من أنفسهم، لكي يسلموا من عذاب الخلد في جهنم، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤] .

النبي أفصـح الخـلق:

والصلاة والسلام على نبيه الكريم سيدنا محمد سراج البلغاء، وأسوة العلماء والأدباء، أفصح الخلق، وأنطقهم بالحق، كان رسول البيان لأهل

رفع
المسهم

البيان، وقد حث على تعلم القرآن وتعليمه، وجعله أشرف رسالة في الحياة، حيث قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(١).

وقد أبدع في وصف كلام ربه، فكان مما قال في وصفه: (هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه)(٢). وهذا هو الحق بعينه، فإن عجائب القرآن لا تنقضي، وإن وجوه جماله لا تنتهي، وإنه للعلماء كالماء الزلال للظامئ في الصحراء، فهو بحر العلم والفكر والجود والجمال والجلال والكمال والحكمة، يعطيك زيادة كلما طلبت منه معرفة، فما هو إلا كما قال الشاعر(٣):

يزيدك وجهه حسناً ... إذا ما زدته نظرا

القرآن معجزة النبي ﷺ:

أما بعد: فإن كتاب الله الخالد، هو سراج العلم والهدى، وبشير الفرج والأمل، وهو معجزة هذا النبي الأمي العربي محمد بن عبد الله ﷺ، وهو باق إلى قيام الساعة من غير تبديل ولا تحريف يشهد على صدق النبوة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. نقول هذا مع تصديقنا الكامل بما ورد ذكره من معجزات أخرى للنبي عليه السلام، كالإسراء والمعراج، واستجابة الدعاء، وانشقاق القمر، وتسبيح الطعام بين يديه، ونبع الماء من أصابعه الشريفة، ونحو ذلك، وهي معجزات وقتية في حينها، زادت الذين آمنوا إيماناً، وآزرت صدق القرآن، بيد أن القرآن هو الأظهر والأبقى من معجزاته ﷺ.

---

(١) رواه البخاري عن عثمان رضي الله عنه، انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١/ ٦٥١) المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، بيروت.

(٢) من حديث رواه الترمذي والدارمي عن علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: إسناده مجهول، انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠).

(٣) البيت لأبي نواس، انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (١/ ٧٨)، عالم الكتب، بيروت..

رفع المسهم

أسلوب القرآن وأثره:

وقد جاء القرآن بلسان عربي خطاباً للعقل والقلب، مخالفاً لما يعرفه العرب من أساليب المنظوم والمنثور، فكان وجوده سبباً لميلاد أمة، دفنتها رمال الصحراء، وجهلتها كتب التاريخ، فأحياها الله بعد موتها وأحيا بها العالم، فكان هذا القرآن الباقي أعظم معجزة لأعظم نبي، يقول شوقي في هذا الصدد[1]:

أخوكَ عيسى دعا ميتاً فقامَ له ... وأنتَ أحييتَ أجيالاً من الزَّمم[2]
والجهل موتٌ فإن أُتيتَ معجزةً ... فابعثْ من الجهلِ أو فابعث من الرَّجم[3]

فلئن دكت عصا موسى عرش فرعون واحد، فقد دك هذا القرآن عروش فراعنة عصره من عرب وقياصرة وأكاسرة، ولئن كانت ناقة صالح سبب هلاك قومه، فقد كان القرآن سبب حياة العرب والعجم، ولئن ركب نوح في السفينة، فإن أتباع محمد ركبوا فجاج الأرض جميعاً. فلقد أحدث الله بهذا القرآن أكبر عملية إصلاح في التاريخ البشري كله، فاحتارت بذلك عقول العلماء، واجتهد السلف والخلف منهم لمعرفة سبب تأثيره ووجوه إعجازه، وكثرت في ذلك المذاهب والأقوال، ووضعت الكتب والتصانيف، فكان هنالك رصيد ضخم، وكنز هائل من المعرفة، منها ما هو مكرر منقول عن السلف، ومنها ما هو جديد معتبر، والقرآن هو القرآن، يعطي للجميع من فيضه عبر القرون الطويلة رحيق الحياة، فلا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي وجوه إعجازه، مع اتفاق جمهور أهل العلم على أن ميدان الفصاحة والبلاغة هو الوجه الأعظم من وجوه إعجازه، وقد استدعى هذا عناية أهل العلم باللسان العربي، ومعرفة خصائصه وقوانينه، ومن أجل ذلك تم تدوين اللغة ووضع علومها، فكان النحو أولاً، ثم جاءت البلاغة بعد ذلك، ولم تكن دراسة اللغة العربية مقصودة لذاتها، وإنما كان

---

(١) الشوقيات: شعر المرحوم أحمد شوقي، (١/١٥٦ ـ ١٥٧). دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
(٢) الزمم: التفرق.
(٣) الرجم: القبر.

رفع
المسلم
عزالدين بإذن الله

صوناً لهذا الدين وكتابه، من أن يتطرق اللحن إلى الألسنة، والعجمة إلى الأساليب الفصيحة، والفساد إلى الأذواق السليمة.

سبب تأليفنا للكتاب:

ولما كثرت الأقوال والجهود في هذا الباب، وكان في الكتب المؤلفة في هذا الباب تكرار وتطويل، وحشو وتداخل، أحببت أن ألخص ما قيل في هذا الباب، وأن أرتبه وأهذبه مراعياً المنهج التاريخي، وذلك ليكون ركيزة لمن أراد أن يضيف جديداً في باب البلاغة والإعجاز، فلا جديد لمن لم يعرف القديم، إذ قد يقول المرء برأي يظنه جديداً وقد قيل قبله بألف عام أو يزيد، وعليه فمن أراد أن يبني جديداً في ميدان العلم، فلا بد له أن يلم بما قيل قبله أولاً، لكي لا يقع في التقليد ـ من حيث لا يدري ـ وهو يظن نفسه قد أتى بجديد، مع تأكيدنا على أن ميدان التجديد في علم البلاغة عامة، وعلم معرفة وجوه الإعجاز خاصة، هو بحر زاخر، يستطيع المرء في كل زمان ومكان إذا أوتي آلات علم التفسير واللغة، وكانت لديه معرفة وإلمام ببقية العلوم، ورزقه الله الموهبة والصبر، يستطيع أن يأتي بالجديد النافع بإذن الله تعالى.

ولما كان تاريخ البلاغة مرتبطاً بالإعجاز كبقية علوم العربية من نحو ونقد وأدب، فقد رأيت دمج التاريخين في بحث واحد، أسوة بما فعله بعض الفضلاء في هذا الباب ومنهم الدكتور شوقي ضيف رحمه الله، وإنما فعلوا ذلك لأن تاريخ البلاغة والإعجاز واحد، وهو يدخل كله ضمن الحياة الثقافية للأمة الإسلامية، فقد كان علماء البلاغة من علماء الدين، ولم يكن ثمة فصل بين العلوم كما هو الحال في عصرنا.

ونستطيع أن نميز أربع مراحل في هذا التاريخ، هي:

١ ـ البلاغة في مرحلة ما قبل التدوين، وتبدأ من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني الهجري.

٢ ـ مرحلة التدوين والتأسيس والإبداع للبحث في البلاغة والإعجاز، وتبدأ من القرن الثالث حتى نهاية القرن السادس الهجري.

رفع
المسهم
عز الله له

٣ ـ مرحلة الجمود والتكرار، وتمتد من بداية القرن السابع حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

٤ ـ مرحلة النهضة الحديثة، وتمتد من بداية القرن الثالث عشر الهجري حتى يومنا هذا.

خطة البحث:

سوف نبدأ موضوعنا بتمهيد حول بعض المصطلحات العلمية التي تتعلق بالبحث، وعن العلاقة بين البلاغة والإعجاز، ثم تكون تلك المراحل المذكورة آنفا موضوعاً لأربعة فصول، ثم نشفع ذلك بخاتمة للبحث، فمراجع البحث.

ومن خصائص المنهج الذي اتبعناه ما يأتي:

١ ـ أنه منهج متكامل، يقوم على الجمع بين تاريخ البلاغة وإعجاز القرآن من جميع وجوهه في كتاب واحد، والمؤرخون الذين جمعوا بين البلاغة والإعجاز اقتصرت دراستهم على الإعجاز اللغوي أو البياني الذي يتصل بالبلاغة فقط، دون بقية وجوه الإعجاز غالباً، وقد رأينا ذكر بقية الوجوه لأنها ذات صلة بعلم الإعجاز من جهة، وبعلم البلاغة من جهة أخرى، فلا يمكن الحديث عن الإعجاز العلمي إذا لم تتقبله دلالة الأسلوب وطريقة السياق.

٢ ـ لم نقتصر على القرون الستة الأولى، أو التسعة الأولى دون سواها، كما يفعل بعض الباحثين، وإنما تناولنا العصر الحديث أيضاً، وذكرنا ما فيه من إضافات.

٣ ـ ميزنا بين الأعلام والمؤسسين لهذين العلمين ضمن مباحث خاصة، وسردنا جهود من أسهم معهم في هذا الباب ضمن مبحث واحد.

٤ ـ ربما نكون من أوائل المنوهين المعاصرين بجهود الإمام الطيبي في علمي تاريخ البلاغة والإعجاز، فهو عَلم في الدراسات القرآنية والحديثية والبلاغية، نوه به العلامة ابن خلدون، وأهمل ذكره معظم الكتاب المعاصرين.

رفع المسهم

٥ ـ اعتمدنا المنهج التاريخي في دراسة الأعلام، ونقدم دائماً دراسة الإعجاز أولاً، ثم دراسة البلاغة عند الأعلام الذين شاركوا في العلمين: علم البلاغة وعلم الإعجاز، وتقديم الإعجاز لأنه كان هو السبب الباعث على تطوير البلاغة، ولم نخرج عن هذه القاعدة إلا في الفصل الأخير، حيث قدمنا المبحث الرابع المتعلق بالبلاغة على الخامس المتعلق بالإعجاز، وذلك لأن دراسة الإعجاز قد تطورت، وجزء من تطورها يعود إلى تطور علم البلاغة في العصر الحديث نتيجة التواصل مع المعارف والعلوم الإنسانية لدى الأمم الأخرى، بل إن ثمة تطور كبير طرأ على علوم اللغة جميعاً، وقد استفاد من هذا علم الإعجاز، كما دخلت في مباحث الإعجاز أمور جديدة مثل الإعجاز العلمي، فجعلناه آخر الفصول، لأن تطوره قائم على تطور البلاغة، و لنتوسع فيه حسب ما يقتضي البحث.

٦ ـ اعتمدنا ترقيم الفقرات تسهيلاً للقارئ.

٧ ـ اعتمدنا الإيجاز في دراسة المصادر القديمة، والاكتفاء بنماذج منها بعيداً عن الإسهاب، فالكتب التي ألفها أهل العلم في هذا الباب متاح الاطلاع عليها، وإنما نحن هنا ننوه بجهودهم، ونبين مقدار إضافاتهم في بناء صرح العلم، ولا نريد أن نكرر معظم ما قالوه هنا، واللبيب تكفيه الإشارة.

٨ ـ رجعنا إلى مصادرعدة، ومراجع كثيرة، منها القديم، ومنها الجديد، وكان من أبرز مراجعنا التي انتفعنا بها كتب الدكتور شوقي ضيف، تغمده الله بوابل رحمته، فقد كان أمة من العلم تمشي على وجه الأرض!.

٩ـ أبدينا رأينا في أمور عدة، منها ما يتعلق بتطوير البلاغة.

١٠ـ كانت الموضوعية والشفافية عمدتنا في البحث.

ومن الله نستمد العون والتوفيق

مدينة عجمان

في يوم الخميس ١٧ رمضان المبارك، ١٤٢٦هـ.

والموافق ٢٠ تشرين الأول، ٢٠٠٥م.

المؤلف

رفع
المسـتهـم
عبدالله الخولاني

تمهيد

نتناول في هذا التمهيد مجموعة من الأمور ذات الصلة بموضوعنا من مصطلحات علمية نعرفها، وحديث عن صلة البلاغة بعلم التفسير مما يجدر أن يتنبه إليه الباحثون.

أولاً: تعريف المعجزة:

في اللغة: عجز عن الشيء عجزاً، وعجزاناً: ضعف ولم يقدر عليه.

والمعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي تأييداً لنبوته، وما يعجز البشر أن يأتوا بمثله[(١)].

وفي الاصطلاح، قال القرطبي: (المعجزة: واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة)[(٢)].

والشروط التي ذكرها القرطبي هي:

الشرط الأول: أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه.. كفلق البحر وانشقاق القمر.

الشرط الثاني: هو أن تخرق العادة، وإنما وجب اشتراط ذلك لأنه لو قال المدعي للرسالة: آيتي مجيء الليل بعد النهار، وطلوع الشمس من مشرقها، لم يكن فيما ادعاه معجزة.

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة (عجز).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٦٩). تصحيح أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية. مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

رفع المسـاهم

الشرط الثالث: هو أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل، فيقول: آيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتاً، أو يحرك الأرض عند قولي لها تزلزلي؛ فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدَّى به.

الشرط الرابع: هو أن تقع على وَفْق دعوى المتحدِّي بها، المستشهد بكونها معجزة له، وإنما وجب اشتراط هذا الشرط لأنه لو قال المدعي للرسالة: آية نبوتي ودليل حجتي أن تنطق يدي، أو هذه الدابة. فنطقت يده، أو الدابة بأن قالت: كذب وليس هو بنبي، فإن هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي للرسالة.

الشرط الخامس: أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدِّي على وجه المعارضة[1].

ثانياً: أنواع المعجزات:

قال القرطبي: «المعجزات على ضربين:

الأول: ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ.

والثاني ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، واستفاضت بثبوته ووجوده... وهذه صفة نقل القرآن»[2].

ثالثاً: علم الإعجاز وصلته بالبلاغة:

علم إعجاز القرآن هو أحد علوم التفسير، قال الحاج خليفة: «علم إعجاز القرآن: ذكره المولى أبو الخير من جملة فروع علم التفسير، وقال: صنف فيه جماعة، فذكر منهم: الخطابي والرماني والرازي»[3].

ويرتكز علم الإعجاز بشكل أساسي على علوم البلاغة، قال الرازي بعد أن ناقش جميع الآراء في الإعجاز وفندها: «ولما بطلت هذه المذاهب، ولا بد من أمر معقول حتى يصح التحدي به، ويعجز الغير عنه، ولم يبق وجه معقول في

---

(١) انظر: المصدر السابق، (١/ ٦٩ ـ ٧١).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٧٢).

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (١/ ١٢٠). دار العلوم الحديثة، بيروت.

رفع
المسـتـهـمل
عز الله لمال الده

الإعجاز سوى الفصاحة، علمنا أن الوجه في كون القرآن معجزاً هو الفصاحة»[1].

وشأن علم الإعجاز في ارتكازه على علوم البلاغة شأن علم التفسير، فالبلاغة قاعدة علمي التفسير والإعجاز كما سنوضح في الفقرة الآتية.

رابعاً: صلة علم التفسير بالبلاغة:

في البداية لا بد من تعريف علم التفسير، وهو كما قال الحاج خليفة: «علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية، ومباديه العلوم العربية، وأصول الكلام، وأصول الفقه، والجدل، وغير ذلك من العلوم الجمة»[2].

والتفسير أقدم العلوم الإسلامية نشأة، يقول ابن عاشور: «والتفسير أول العلوم الإسلامية ظهوراً، إذ قد ظهر الخوض فيه في عصر النبي ﷺ، إذ كان بعض أصحابه قد سأل عن بعض معاني القرآن، كما سأله عمر رضي الله عنه عن الكلالة، ثم اشتهر فيه بعد علي وابن عباس وهما أكثر الصحابة قولاً في التفسير، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، وكثر الخوض فيه، حين دخل في الإسلام من لم يكن عربي السجية، فلزم التصدي لمعاني بيان القرآن لهم، وشاع عن التابعين، وأشهرهم في ذلك مجاهد وابن جبير، وهو أيضاً أشرف العلوم الإسلامية ورأسها على التحقيق»[3].

ويضيف ابن عاشور مبيناً مذاهب العلماء في التفسير وأهم ما كتب فيه: «.. ثم تلاحق العلماء في تفسير القرآن، وسلك كل فريقٍ مسلكاً يأوي إليه، وذوقاً يعتمد عليه، فمنهم من سلك مسلك نقل ما يؤثر عن السلف، وأول من

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور محمد بركات أبو علي، ص (٣٣ ـ ٣٤)، دارالفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.
(٢) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الحاج خليفة، (١/ ٤٢٧).
(٣) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ١٤)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

رفع المسهم

صنف في هذا المعنى مالك بن أنس، وكذلك الداودي تلميذ السيوطي في طبقات المفسرين، وذكره عياض في المدارك إجمالاً، وأشهر أهل هذه الطريقة فيما هو بأيدي الناس محمد بن جرير الطبري، ومنهم من سلك مسلك النظر كأبي إسحاق الزجاج، وأبي علي الفارسي، وشُغف كثير بنقل القصص عن الإسرائيليات، فكثرتْ في كتبهم الموضوعات، إلى أن جاء في عصر واحد عالمان جليلان أحدهما بالمشرق، وهو العلامة أبو القاسم محمود الزمخشري، صاحبُ الكشاف، والآخر بالمغرب بالأندلس وهو الشيخ عبد الحق بن عطية، فألف تفسيره المسمى بالمحرر الوجيز، وكلاهما يغوص على معاني الآيات، ويأتي بشواهدها من كلام العرب، ويذكر كلام المفسرين، إلا أن منحى البلاغة والعربية بالزمخشري أخص، ومنحى الشريعة على ابن عطية أغلب، وكلاهما عضادتا الباب، ومرجع من بعدهما من أولي الألباب»[(١)].

خامساً: علوم التفسير:

ويقودنا الحديث عن علم التفسير إلى الحديث عن أهم العلوم التي ينبغي أن يحيط بها المفسر، ويأتي في جملتها علوم البلاغة، فلا بد لمفسر القرآن من علوم يبرع بها ويتعاطاها. وقد حددها السيوطي بما يأتي:

علم اللغة، علم النحو، التصريف، الاشتقاق، المعاني، البيان، البديع، القراءات، أصول الدين، أصول الفقه، أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، الفقه، الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، علم الموهبة[(٢)].

وفي العصر الحديث اشترط العلماء شروطاً جديدة للمفسر، منها ما ذكره السيد محمد رشيد رضا، وهي: علم أحوال البشر، والعلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن[(٣)].

---

(١) المرجع السابق، (١/ ١٦).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٣) انظر: تفسير المنار، (١/ ٢٠ ـ ٢١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

رفع
المسـ هم
عبد الله الإلهي

ولو تأملنا في هذه العلوم وجدنا أن نصفها تقريباً يدور حول اللغة وعلومها، وهذا يؤكد على أهمية العربية في فهم القرآن وتفسيره، فهي مفتاح القرآن بلا ريب، ولذلك جعل كثير من علماء المسلمين تعلم العربية فرضاً على المسلمين، ومنهم الإمام ابن تيمية حيث قال: «. . . وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(١).

والخلاصة هي أن البلاغة وعلومها هي روافد لا بد منها للمفسر، وكذلك علم الإعجاز أيضاً لا بد منه للمفسر، وقد قام علم البلاغة خدمة لتفسير كتاب الله، وبيان إعجازه، فالبلاغة قاعدة التفسير والإعجاز، وعلم التفسير هو رأس العلوم ومنه تفرعت بقية العلوم الإسلامية، ولا عجب إذا وجدنا جمهور البلاغيين هم ممن يتعاطون التفسير، لأن البلاغة لم تكن علومها لتدون وتزدهر لولا التفسير، فتاريخ البلاغة والتفسير مرتبطان ارتباطاً عضوياً لا يمكن أن تنفصم عراه أبداً.

سادساً: معنى السورة والآية:

قال القرطبي: «معنى السورة في كلام العرب الإبانة لها من سورة أخرى وانفصالها عنها، وسميت بذلك لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة، قال النابغة:

ألـم تـر أن الله أعطـاك سـورةً ... تـرى كـل ملـكٍ دونهـا يتـذبـذبُ

أي منزلة شرف ارتفعت إليها عن منزل الملوك.

وقيل: سميت بذلك لشرفها وارتفاعها كما يقال لما ارتفع من الأرض سور.

وقيل: سميت بذلك لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده كسور البناء.

وقيل: سميت بذلك لأنها قطعت من القرآن على حدة، من قول العرب

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق عصام حرستاني ومحمد إبراهيم الزعلي، ص (٢٤٢)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣/ ١٩٩٣م.

رفع المسلم

للبقية: سؤر، وجاء في أسأر الناس أي بقاياهم، فعلى هذا يكون الأصل سؤرة بالهمز، ثم خففت فأبدلت واواً لانضمام ما قبلها.

وقيل: سميت بذلك لتمامها وكمالها، من قول العرب للناقة التامة: سورة.

وجمع سورة: سوَر بفتح الواو، وقال الشاعر:

* سود المحاجرِ لا يقرأنَ بالسور *

ويجوز أن يجمع على سُورات وسُوَرات»[1].

ويضيف القرطبي مفسراً معنى الآية: «وأما الآية: فهي العلامة، بمعنى أنهاعلامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصاله، أي هي بائنة من أختها ومنفردة. وتقول العرب: بيني وبين فلان آية، أي علامة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. وقال النابغة:

توهمتُ آياتٍ لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام السابعُ

وقيل: سميت آية لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بآياتهم، أي بجماعتهم...

وقيل: سميت آية لأنها عجبٌ يعجز البشر عن التكلم بمثلها»[2].

سابعاً: تعريف الفصاحة والبلاغة:

الفصاحة لغة: البيان والظهور، قال الله تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤].

وفي اصطلاح أهل المعاني: عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء، لمكان حسنها.

وهي تقع وصفاً للكلمة، والكلام، والمتكلم، حسبما يعتبر الكاتب اللفظة وحدها، أو مسبوكة مع أخواتها.

والبلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلان مراده إذا وصل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٦٥ ـ ٦٦).
(٢) المصدر السابق، (١/ ٦٦).

رفع المسابهم

إليه، وبلغ الركب المدينة: إذا انتهى إليها، ومبلغ الشيء منتهاه[(١)].

وفي الاصطلاح: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[(٢)].

ثامناً: مراتب البلاغـة:

ذكر الخطيب القزويني طرفي البلاغة، وما بينهما من مراتب، قال: «وللبلاغة طرفان: أعلى إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز أو ما يقترب منه، وأسفل منه تبتدئ. وهو إذا ما غُير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب. وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة[(٣)].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص(٦ ـ ٧، ٣١)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، (١/ ٨٠)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، (١/ ٨٢).

رفع عبد الرحمن الهندي
المسلم

الفصل الأول

البلاغة في مرحلة ما قبل التدوين

تمتد هذه المرحلة من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ويتكون هذا الفصل من أربعة مباحث :

المبحث الأول: البلاغة في العصر الجاهلي

المبحث الثاني: البلاغة في العصر الإسلامي

المبحث الثالث: البلاغة في العصر الأموي

المبحث الرابع: تطور البلاغة في العصر العباسي

تمهيـــد

ونذكر فيه لمحة عن حياة العرب وأدبهم

أولاً: العرب وموطنهم:

العرب أمة سامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، وقد سكنوا شبه الجزيرة العربية، ويحيط بها «من جهة الغرب بعض بادية الشام، حيث البلقاء إلى آيلة، ثم بحر القُلزم الآخذ من أيلة، حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن، حيث طيئ وزبيد وما داناهما. ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المتقدم ذكره من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن، حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها. ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين، ثم البصرة ثم الكوفة من بلاد العراق. ومن جهة الشمال الفرات إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية، إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء»[1].

وشبه الجزيرة العربية بالتعبير الجغرافي الحديث واقعة «إلى طرف الجنوب الغربي من آسيا، ويحدها من الشمال سورية، ومن الشرق الفرات وجهة من المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر»[2]، ومن الجنوب خليج عدن وبحر العرب.

ثانياً: طبقات العرب:

والعرب ثلاث طبقات:

---

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي، (١/ ١٨٤ ـ ١٨٥). دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

(٢) تاريخ الأدب العربي للزيات، ص (٦) الطبعة الخامسة والعشرون.

رفع المسهم

بائدة وهم الذين درست أخبارهم، وطمست آثارهم، مثل عاد وثمود وجديس وجرهم.

وعاربة، وهم اليمنيون المنتمون إلى يعرب بن قحطان.

ومستعربة، وهم ولد إسماعيل عليه السلام في الحجاز.

ثالثاً: فضل الله عليهم:

كان العرب أمة وثنية متخلفة على شتى الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. فأراد الله أن يهديهم بالإسلام، وأن يغير حياتهم إلى الأفضل، قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقد جعل منهم خير أمة، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وحملهم شرف رسالته، والدعوة إليها إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤].

رابعاً: قيمة لغتهم وأدبهم:

اللغة العربية من أجل اللغات في حضارة الإنسانية قاطبة إن لم تكن أجلها، نزل فيها وحي السماء، وحملت شجون الإنسانية وأحلامها، وآمالها وآلامها عبر التاريخ كله، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات: «والآداب العربية أغنى الآداب جمعاء، لأنها آداب الخليقة منذ طفولة الإنسان إلى اضمحلال الحضارة العربية، فما كانت لغة مضر بعد الإسلام لغة أمة واحدة، وإنما كانت لغة لجميع الشعوب التي دخلت في دين الله أو في كنفه، أودعوها معانيهم وتصوراتهم، وأفضوا إليها بأسرار لغاتهم، ثم جابت أقطار الأرض تحمل الدين والأدب والحضارة والعلم، فصرعت كل لغة نازلتها، ووسعت علوم الأولين وآداب الأقدمين من يونان وفرس ويهود وهنود وأحباش، واستمسكت على عرك الخطوب تلك القرون الطويلة، فشهدت مصارع اللغات

رفع
المسلم
عبد الله الزبير

حولها، وهي مرفوعة الرأس رابطة الجأش، ترث نتاج القرائح وثمار العقول من كل أدب ونحلة، فكانت لغات الأمم على اختلافها كالجداول والأنهار، تتألف ثم تتشعب، ثم تتجمع، ثم تصب في محيط واحد هو اللغة العربية»[١].

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (٣).

المبحث الأول

البلاغة في العصر الجاهلي

يبدأ العصر الجاهلي باستقلال العدنانيين عن اليمنيين في منتصف القرن الخامس للميلاد، وينتهي بظهور الإسلام سنة (٦٢٢ م)(١)، وأهم ما نلحظه في ذلك العصر من أمور ذات صلة بالبلاغة الآتي:

١ ـ العرب أمة الفصاحة والبيان، يحبون الكلمة الجميلة والصوت الجميل والأداء الجميل، وينفعلون بالخطبة الجميلة، ويطربون للكلمة الشعرية، وهم قوم لُدٌّ، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، وهم أهل خصام وجدل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. وقد أثر فيهم القرآن فحاولوا أن ينسبوا ذلك التأثير إلى غير سببه الأصلي وهو أنه من عند الله. فزعموا أن بشراً أعجمياً يعلم محمداً القرآن، متناسين أن فصاحة القرآن لم يقدر عليها العرب فكيف برجل أعجمي! قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

٢ ـ قامت حضارات عدة في اليمن وعمان وأطراف الجزيرة، ولكن لم يكن للعرب دولة مركزية وسط الجزيرة، فقد كانوا يعيشون حياة بدائية لا شغل لهم إلا تعاطي الشعر والتفاخر بالبيان، قال حمد بوشهاب(٢):

قبل الرسالة قل لي من هم العربُ ... وأي مجد بنت أم لهم وأبُ

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، للزيات، ص (٥).

(٢) قصائد من الإمارات، ص (١٢)، اتحاد كتاب الإمارات، الشارقة، ١٩٨٦ م.

رفع
المستهم
عبد الله بن عبد الله

تعـال فـاستقـرئ التـاريـخ أمثـلـةً تر الحقائق فيما تحمل الكتـبُ
كان التفاخر بالأنساب رائدهـم في كل ناد فماذا حقق النسبُ
هل استطاعوا به توحيد أمتهـم كلا ففاقد أمر الشيء لا يهـبُ

٣ ـ اهتم العرب كثيراً بصناعة الشعر، يقول الدكتور شوقي ضيف: «من يرجعُ إلى صناعة الشعر العربي في أقدم نماذجه يرى صعوبة هذه الصناعة، وأنها ليست عملاً غفلاً، بل هي عمل موسوم بتقاليد ومصطلحات كثيرة، وتلك آثار الشعر الجاهلي تتوفر فيها قيود ومراسيم متنوعة، ولعل ذلك ما جعل جويدي يقول: إن قصائد القرن السادس الميلادي الجديرة بالإعجاب تنبئ بأنها ثمرة صناعة طويلة»(١).

٤ ـ كان لتلك المصطلحات دور كبير في تطوير العملية الشعرية، وذلك لأن «هذه المصطلحات المختلفة التي كان يتقيد بها الشاعر الجاهلي تجعلنا نؤمن بأنه لم يكن حراً في صناعة شعره يصنعه كما يريد، فإن حريته كانت معطلة إلى حد ما، إذ كان يخضع لتقاليد تتناول ما يقوله، وكيف يقوله، تتناول ما ينظم فيه والطريقة التي ينظمه بها، وبعبارة أخرى: تتناول الموضوعات التي يعالجها، وما يتخذه فيها من طرق فنية في التعبير والموسيقى والتصوير»(٢).

٥ ـ ويلخص الأستاذ حمادي صمود دور الملاحظات البلاغية والنقدية في العصر الجاهلي في تكوين نواة البحث البلاغي عند العرب، فيقول: «وقد احتفظت المصادر بجملة من الأخبار عن هذه الفترة، تتضمن ملاحظات تمثل رغم تواضعها اللبنة الأولى في العمل النقدي والبلاغي، وتشير إلى بداية الاهتمام بقضية الصياغة. وقد بدت لنا هذه الأخبار متفاوتة القيمة رغم انتمائها إلى عصر واحد، فرأينا أن نقسمها ثلاثة أقسام بحسب أهميتها في موضوع بحثنا، ودرجة نضج الأحكام التي تضمنتها. يقوم القسم الأول منها في نطاق المفاضلة بين شاعر وآخر على مجرد الانطباع، ويقوم التعليل فيها إن وجد على

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص (١٤)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة.
(٢) المرجع السابق. ص (١٩).

رفع المسهم

عناصر لا تتعلق بالشعر نفسه، وحتى إن تعلقت به فلا يعدو ذلك الصيغة اللغوية المستعملة بعيداً عن كل تصور للفن الشعري والصورة الأدبية. من ذلك ما تروي كتب الأدب عن أم جندب زوجة امرئ القيس حين عرض عليها أن تقضي بين زوجها وبين علقمة الفحل، فحكمت لعلقمة، وقالت لزوجها: علقمة أشعر منك. قال: كيف؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألهوبٌ وللساق درةٌ ... وللزجر منه وقع أخرج مهذبِ

فجهدتَ فرسك بسوطك في زجرك، ومريته فأتعبته بساقك، وقال علقمة:

فأدركهنَّ ثانياً من عنانه ... يمر كمر الرائح المتحلبِ

فأدرك فرسه ثانياً من عنانه، ولم يضربه ولم يتعبه.

فواضح من هذه الرواية أن علقمة تفوق على امرئ القيس لا بفنه الشعري، وإنما بتعبيره أكثر عن طبيعة الحياة الجاهلية فوصف سرعة جواده طبق قوانين الأصالة عندهم. ويدخل في هذا الشعر ما يروى عن النابغة الذبياني، وقد نصبته العرب يحكم بين الشعراء لنباهته...

أما القسم الثاني: فجملة أخبار تدل على تفطن الشعراء إلى ضرورة تعهد الصياغة الفنية، وتنقيح الشعر وتصنيفه، حتى يكون الكلام ذا طابع مميز، وفي هذا وعي غامض لا محالة بأهمية عنصر الاختيار في العمل الشعري، وتجاوز لمقولة الفطرة والسليقة في الأدب العربي، وإقرار ضمني بتفاضل الكلام في الفصاحة. وأول مظهر من مظاهر المعاناة في الأدب والفن، وتكاد تجمع المصادر على أن ذلك كان نزعة قادرة عند بعض الشعراء الجاهليين، ويبدو أن زهير بن أبي سلمى كان رأس هذا المذهب وزعيمه. يقول الجاحظ: (ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلاً، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه، وإحرازاً لما خوله الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات والمقلدات، والمنقحات، والمحكمات، ليصير قائلها فحلاً خنذيداً، وشاعراً مفلقاً).

رفع المساهم

وقد ذكر ذلك في أشعارهم، وهو لا شك يدل على درجة من الوعي متطورة بأن يجعل الشاعر الخوض في هذه القضية موضوع شعره. . .

أما القسم الثالث من هذه الروايات: فهو أكثرها صراحة في الانتساب إلى المباحث البلاغية، وأعمقها دلالة على إدراكهم لخصائص الشعر التي تقوم أساساً على القدرة على صياغة الصورة الفنية، وإن كان ذلك لم يتجاوز في علمنا التشبيه، وهو أقرب درجات التصوير الفني وأكثرها انتشاراً في الشعر العربي، إلا أن ذلك لا يمنعنا من التأكيد على أهمية التفطن لهذا الأمر خاصة في تلك الفترة المبكرة.

من ذلك: ما كان من أمر زهير مع ابنه كعب، وإشفاقه عليه من قول الشعر صبياً، فلقد كان يمنعه من ذلك لأنه لم يكن متأكداً من قدرته عليه، فلما رآه يجيد الوصف ويدقق التشبيه؛ سمح له بتعاطيه. وما يحكيه ابن قتيبة عن طرفة وكيف تفجرت قدرته على الوصف، وكان صبياً، أثناء رحلة صيد، فتوقع من معه نبوغه الشعري»[١].

٦ ـ والخلاصة: أن عرب الجاهلية بلغوا «من حسن البيان مبلغاً رفيعاً، جعلهم يميزون بين صور الكلام، ويبدون بعض الملاحظات البسيطة عليه، ونمت هذه الملاحظات بعد ظهور الإسلام، بما نصبه القرآن الكريم والحديث النبوي أمامهم من مُثل أدبية رائعة. وسرعان ما استقروا في المدن والأمصار، وارتقت حياتهم العقلية، مما هيأ لملاحظات بيانية كثيرة عن الخطابة والخطباء والشعر والشعراء»[٢].

٧ ـ يدل الشعر الجاهلي على «يقظة هائلة، وتنبه للبواعث الكبرى التي ساقت إلى قوله ودفعت إليه، والشعراء هم أمة من الناس يمثلون زبدة الجماعة وخلاصتها، أو على الأقل أن ما بقي من الشعر لجماعة من الناس يقعون من

---

(١) التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مشروع قراءة، حمادي صمود، ص (٢٥ ـ ٢٩)، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.

(٢) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٦٨).

أمتهم موقع الزعامة، وهم من أرستقراطيتها في الصميم والأوج، وهم من أصدق الناس شعوراً بما يكابدون لأنهم أنفسهم من أبطال ذلك الصراع»[١].

٨ ـ لعبت أسواق العرب دوراً في ازدهار اللغة والحس البلاغي والنقدي لدى العرب، فقد كانوا «يقيمونها في أشهر السنة للبياعات والتسوق، وينتقلون من بعضها إلى بعض، فتدعوهم طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول، والمفاوضة في الرأي، والمبادهة بالشعر، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالمحامد وشرف الأصل. فكان من ذلك للعرب معونة على توحيد اللسان والعادة والدين والخلق؛ إذ كان الشاعر أو الخطيب إنما يتوخى الألفاظ العامة والأساليب الشائعة قصداً إلى إفهام سامعيه، وطمعاً في تكثير مشايعيه، والرواة من ورائه يطيرون شعره بين القبائل، وينشرونه في الأنحاء، فتنتشر معه لهجته وطريقته وفكرته، وأشهر هذه الأسواق: عكاظ ومجنة وذو المجاز، وأولاهن أشهر فضلاً وأقوى أثراً في تهذيب العربية»[٢].

٩ ـ كان لمكة دور في «وحدة اللغة ونهضة العرب، لأنها كانت في النصف الثاني من القرن السادس محطاً للقوافل الآتية من الجنوب تحمل السلع التواجر من الهند واليمن؛ فيبتاعها المكيون ويصرفونها في أسواق الشام ومصر. وكانت جواد مكة التجارية آمنة لحرمة البيت، ومكانة قريش، فكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموقرة وعيرهم الدثر آمنين، فينزلون الأسواق، ويهبطون الآفاق، فيستفيدون بسطة في العلم، وقوة في الفهم، وثروة في المال، وخبرة بأمور الحياة، وهي مع ذلك متجرة للعرب ومثابة للناس يأتون إليها من كل فج عميق، رجالاً وعلى كل ضامر ليقضوا مناسكهم، ويشتروا مرافقهم وما تنتجه أو تجلبه، ذلك أن قريشاً أهلها وأمراءها كانوا لمكانتهم من الحضارة وزعامتهم في الحج، ورئاستهم في عكاظ، وإيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى حوران، أشد الناس بالقبائل ارتباطاً، وأكثرهم بالشعوب اختلاطاً،

---

(١) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبيتي، ص (٥٤)، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م..

(٢) تاريخ الأدب العربي، للزيات، ص (١٥ ـ ١٦).

رفع
المسـ هم
عبد الله المحمد الله

كانوا يختلطون بالحبشة في الجنوب، والفرس في الشرق، وبالروم في الشمال، ثم كانوا على أثارة من العلم بالكتب المنزلة: باليهودية في يثرب وما جاورها من أرض خيبر وتيماء، وبالنصرانية في الشام ونجران والحيرة، فتهيأت لهم بذلك الوسائل لثقافة اللسان والفكر، ثم سمعوا المناطق المختلفة، وتدبروا المعاني الجديدة، ونقلوا الألفاظ المستحدثة، واختاروا لغتهم من أفصح اللغات، فكانت أعذبها لفظاً، وأبلغها أسلوباً، وأوسعها مادة، ثم أخذ الشعراء يؤثرونها، وينشرونها حتى نزل بها القرآن الكريم، فأتم لها النبوغ والغلبة»[1].

١٠ ـ لعب الخطباء دوراً في تطوير العربية، وربما فضل العربُ الخطيبَ على الشاعر، «والخطابة كالشعر لحمتها الخيال، وسداها البلاغة، وهي مظهر من مظاهر الحرية والفروسية، وسبيل من سبل التأثير والإقناع، تحتاج إلى ذلاقة اللسان، ونصاعة البيان، وأناقة اللهجة، وطلاقة البديهة، والعرب ذوو نفوس حساسة وإباء، وأولو غيرة ونجدة، فكان لهم فيها القدم السابقة والقدح المعلى، وقد دعاهم إليها ما دعا الأمم البدوية من الفخر بحسبها ونجارها، والذود عن شرفها وذمارها، وإصلاح ذات البين بين الحيين، والسفارة بين رؤوس القبائل وأقيالهم، أو بين الملوك وعمالهم. وكانوا يدربون فتيانهم عليها منذ الحداثة، ويحرصون على أن يكون لكل قبيلة خطيب يشد أزرها، وشاعر يرفع ذكرها، وربما اجتمع الصفتان في واحد، أما أسلوبها فكان رائع اللفظ، خلاب العبارة، واضح المنهج، قصير السجع، كثير الأمثال، وهم إلى قصارها أميل، لتكون أعلق بالصدور وأذيع»[2].

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (١٦ ـ ١٧).
(٢) المرجع السابق، ص (١٩).

رفع
المسـاهم

المبحث الثاني

البلاغة في العصر الإسلامي

يبتدئ هذا العصر منذ ظهور الإسلام إلى نهاية سنة (٤٠ هـ) حيث قتل آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في رمضان من تلك السنة(١).

وأهم ما يميز هذا العصر نزول القرآن الكريم وحياً من الله على نبيه محمد ﷺ، وقد أحدث القرآن أكبر ثورة في حياة العرب الدينية والاجتماعية والسياسية، والسبب الأول لتأثيره في العرب هو فصاحته وبلاغته، فقد جاء القرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. ونال الصفة العربية الملازمة له إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

ومجيء القرآن باللغة العربية، جعل الدين الحنيف يعزز من مكانتها، فصارت لغة ذات دين سماوي يتعبد بها ويتقرب إلى الله تعالى، ولا تصح الصلاة إلا بها، قال القرطبي: «لا تجزئ صلاة من قرأ بالفارسية وهو يحسن العربية في قول الجمهور، وقال أبو حنيفة: تجزئه القراءة بالفارسية، وإن أحسن العربية لأن المقصود إصابة المعنى. قال ابن المنذر: لا يجزئه ذلك؛ لأنه خلاف ما أمر الله به، وخلاف ما علم النبي ﷺ، وخلاف جماعات المسلمين، ولا نعلم أحداً وافقه على ما قال»(٢).

وقد ظن بعض الناس أن القرآن وقف ضد الشعر، وهذا غير صحيح،

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، ص(٦٠)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني (١/١٢٦).

رفع
المستهم

فالقرآن أعطى دفعة قوية للبيان العربي، ونقله من المحلية إلى العالمية، فكانت رسالته دعماً للفن الصادق، فما هي حقيقة موقفه من الشعر والبيان؟

أولاً: الموقف من الشعر:

حددت سورة الشعراء موقف الدين من الشعر، فهو مع الشعر بحسب مضمونه، فإن كان صالحاً أيده، وإن كان مضللاً فاسداً نبذه ورفضه، شأنه في ذلك شأن النثر تماماً، قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧]. ففي الآيات ذم للشعراء، وفيها استثناء، وهذا الاستثناء يدخل فيه كل من حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وهم شعراء الرسول والمنافحون عن دولة المدينة، ويعم من سار على منوالهم. وقد وردت بعض الأحاديث في ذم الشعر، ووردت أخرى في استحسانه، وليس الذم مطلقاً، ولا المدح كذلك، وإنما بحسب ما يحمله الشعر من مضمون، والكلمة الفصل في موقف الدين من الشعر هو قول النبي ﷺ: (الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام)[١]. قال المناوي: «قال النووي: يعني الشعر كالنثر فإذا خلا عن محذور شرعي؛ فهو مباح، وقد قال عمر: (نعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدمها بين يدي حاجته، يستعطف بهن الكريم، ويستذل بهن اللئيم). لكن التجرد له والاقتصار عليه مذموم كما في الأذكار»[٢].

فالكلمة في الإسلام أمانة ومسؤولية، وقد تكون سلاحاً فتاكاً إذا استعملت في الشر، ومثل ذلك إذا استعملت في الخير، ولذلك مدح النبي - ﷺ - الشعر

(١) أخرجه البخاري في الأدب والطبراني في الأوسط، انظر: الجامع الصغير، (٤/ ١٧٥). دار الفكر.

(٢) فيض القدير، (٤/ ١٧٥)، دار الفكر.

عندما يحمل الحكمة التي ترشد الناس في دروب الحياة، فقال: (إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكماً)[1].

تمثل النبي - ﷺ - بالشعر:

وردت بعض الآثار تذكر تمثل النبي - ﷺ - ببعض الشعر من غير قصد، من ذلك قول النبي ﷺ:

(أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)[2].

يقول المناوي في هذا الصدد دافعاً لشبهة أن يكون الرسول ﷺ قد قال الشعر قصداً إليه: «ولا يشكل ذا بحرمة الشعر عليه، لأن هذا إنما هو من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف، إلا أنه إذا اتفق ذلك بغير قصد كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك، وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز، ومنه في القرآن كثير، قال بعض شراح الشفاء: وذا عام في كل نبي، لما في الشعر من الغلو، قال الشافعي: الشعر يزري بالعلماء، فالنبوة أولى به»[3].

وقد ورد أيضاً أن النبي - ﷺ - تمثل ببيت لأمية بن أبي الصلت:

(إن تغفر اللهم تغفر جما، وأي عبد لك لا ألما)[4].

قال المناوي: «وهذا بيت لأمية بن أبي الصلت تمثل به المصطفى ﷺ، والمحرم عليه إنشاء الشعر لا إنشاده»[5].

والخلاصة: أن طبع الرسول - ﷺ - لا يسمح له بقول الشعر، وإنما قد يتمثل به أحياناً، لأنه عربي فصيح سليم الطباع وسيد من نطق بالضاد، وفي تمثله به دليل على أن الإسلام لا يذم الشعر مطلقاً؛ وحاشا لمثله - ﷺ - أن يحرم

---

(١) من حديث أخرجه أحمد وأبو داود عن ابن عباس، انظر: الجامع الصغير، (٢/ ٥٢٤).
(٢) أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي عن البراء، انظر: الجامع الصغير، (٣/ ٣٨).
(٣) فيض القدير، (٣/ ٣٨).
(٤) أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عباس، انظر: الجامع الصغير، (٣/ ٢٩).
(٥) فيض القدير، (٣/ ٢٩).

رفع
المسلم
عبد الله الهاشمي

الشعر مطلقاً، وهو يرى محبة العرب للشعر وولعهم به، ويرى ما تحمله بعض الأشعار من الحكمة والخير.

تفضيل الشعر بحسب مضمونه:

لقد فضل النبي - ﷺ - الشعر بحسب ما يحمله من مضمون صالح، فقال: (أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[(١)]. قال المناوي مبيناً سبب تفضيل كلمة لبيد على ما سواها: «وإنما كان ذلك أصدق كلمة لتطابق العقل والنقل على حقيقتها والشهادة بها، قال في الكشاف: والشعر كلام مقفى موزون يدل على معنى. انتهى[(٢)]. وقد قدم الإجماع على حل قول الشعر إذا قل، وخلا عن هجو وكذب، وإغراق في مدح، وتغزل فيما لا يحل»[(٣)].

ثانياً: موقف الدين من البيان:

البيان من نعم الله تعالى على الإنسان، فلولاه لكان والبهائم سواء، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]. وقد امتدح النبي - عليه الصلاة والسلام - بيان الرجل، وبين أنه هو الجمال الحقيقي في الإنسان، لأنه يدل على أصالة عقله وجودة قريحته، فقال: (الجمال في الرجل اللسان)[(٤)]. قال المناوي: «أي فصاحة اللسان كما تفسره مرويات أخر، وهو معدود من جوامع الكلم، ولما أرسل المصطفى إلى الكافة أيد طبعه بالفصاحة من غير تكلف، لا كتكلف المتشدقين، وسجع المتملقين المتصنعين»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة، انظر: الجامع الصغير، (١/ ٥٢٤).
(٢) تفسير الكشاف، بتصحيح مصطفى حسين أحمد، (٤/ ٢٦)، طبعة دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
(٣) فيض القدير، (١/ ٥٢٤).
(٤) أخرجه الحاكم عن علي بن الحسين مرسلاً، انظر: الجامع الصغير، (٣/ ٣٥٧).
(٥) فيض القدير، (٣/ ٣٥٧).

رفع المسهم

فضل الكلام على الصمت:

ويؤيد ما ذكرته من فضيلة البيان قول النبي ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»(١). فقد قدم قول الخير على الصمت، قال المناوي: «وأفاد الخبر أن قول الخير خير من الصمت لتقديمه عليه، وأنه إنما أمر به عند عدم قول الخير»(٢).

والخلاصةُ في هذا الباب: أن الحمد والذم يكون بحسب المقام، وإنْ كان الأصل تفضيل الكلام، يقول الجاحظ: «وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله، ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله، بل قد علمنا أن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت»(٣).

ذم زخرف الكلام عندما يخلو من الحقيقة:

عندما يكون البيان صناعة لفظية هدفها تضييع الحقوق وتزييف الحقائق فهو مذموم، وفي هذا الصدد يمكن أن نفهم المراد بقول النبي - ﷺ -: «الحياء والعيُّ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»(٤). قال المناوي في شرح هذا الحديث: «أي فصاحة اللسان، والمراد به هنا ما يكون فيه إثمٌ من الفصاحة كهجوٍ أو مدحٍ بغير حق. (شعبتان من النفاق): بمعنى أنهما خصلتان منشأهما النفاق، والبيانُ المذكور هو التعمق في النطق، والتفاصح، وإظهار التقدم فيه على الغير تيهاً وعجباً كما تقرر، قال القاضي: (لما كان الإيمان باعثاً على الحياء والتحفظ في الكلام والاحتياط فيه؛ عد من الإيمان، وما يخالفهما من النفاق). وعليه فالمراد بالعي ما يكون بسبب التأمل في المقال والتحرز عن

---

(١) من حديث أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي شريح وعن أبي هريرة، انظر: الجامع الصغير، (٦/ ٢١٠).

(٢) فيض القدير، (٦/ ٢١٠).

(٣) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون(١/ ٢٧١)، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٤) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي أمامة، انظر: الجامع الصغير، (٣/ ٤٢٨).

رفع المسهم

الوبال، لا لخلل في اللسان، والبيان ما يكون بسببه الاجتراء، وعدم المبالاة بالطغيان، والتحرز عن الزور والبهتان)(١).

وقد دفع الجاحظ ما يوهم التناقض بين هذا الحديث وما جاء في القرآن الكريم من مدح للبيان، فقال: «ونحن نعوذ بالله أن يكون القرآن يحثنا على البيان، ورسول الله - ﷺ - يحث على العي، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله - ﷺ - بين البذاء والبيان، وإنما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار، ووقع اسم العي عن كل شيء قصر على المقدار، فالعي مذموم، والخطل مذموم، ودين الله بين المقصر والغالي»(٢).

وكأن هذا الحديث مسوق لمن جعل البيان وسيلة لقلب الحقائق في هذه الحياة، والعجب أن نجد بعض نقادنا القدامى من يرى البلاغة في هذا، يقول أبو هلال العسكري: «وقال ابن المقفع: (البلاغة كشف ما أغمض من الحق، وتصوير الحق في صورة الباطل). والذي قاله أمر صحيح لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل، وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف؛ ينادي على نفسه بالصحة، ولا يحوج إلى التكلف في صحته حتى يوجد المعنى فيه خطيباً. وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتحيل»(٣).

وهنا لا بد أن نتساءل: ما هي وظيفة الأدب في الحياة؟ وهل يصح أن تكون هذه هي رسالة الأدباء والبلغاء في خير أمة أخرجت للناس؟.

ذم ما يقع فيه بعض المتكلمين من العيوب:

كما يُذم البيان إذا صار زخرفاً من القول غروراً، فكذلك يُذم صاحبه إذا صار متشدقاً ثرثاراً، يقول النبي - ﷺ -: «... وشراركم الثرثارون المتفيهقون

---

(١) فيض القدير، (٣/ ٤٢٨).

(٢) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون(١/ ٢٠٢).

(٣) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (٦٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

رفع المسلم عبدالله الحيلالي

المتشدقون»[1]. قال المناوي في شرح هذا الحديث: «أي: الذين يكثرون بالكلام تكلفاً وتشدقاً، والثرثرة: كثرة الكلام وترديده، المتفيهقون: أي الذين يتوسعون في الكلام ويفتحونَ به أفواهَهم ويتفحصون به. المتشدقون: الذين يتكلمون بأشداقهم، ويتقعرون في مخاطباتهم»[2].

فالبيان وفق ما توحيه الأحاديث النبوية ليس صناعة لفظية، ولا أصواتاً عالية، ولا صياحاً وتشادقاً، ولا زخرفاً وتمويهاً وتكسباً، وإنما هو رسالة في الحياة قوامها التعبير عما يريده الإنسان بأسلوب يجلب له المودة والاحترام، وموقف النبي - ﷺ - من النثر قريب من موقفه من الشعر، فهو موقف أخلاقي قبل كل شيء.

ثالثاً: انفراد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بجوامع الكلم:

جوامع الكلم تشمل القرآن والحديث معاً، وإن كانت بلاغة القرآن أعلى فهي في مرتبة الإعجاز، والحديث ليس كذلك، ولكن كلاهما جامعان لأكثر المعاني بأقل الألفاظ بالنسبة لغيرهما. يقول النبي ﷺ: «أعطيت جوامع الكلم، واختصر الكلام لي اختصاراً»[3]، يفسر المناوي قوله: (أعطيت جوامع الكلم) على أن المراد به البيان النبوي فيقول: «أي ملكة أقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى، بنظمٍ لطيفٍ لا تعقيد فيه، يعثر الفكر في طلبه، ولا التواء يحار الذهن في فهمه، فما من لفظة يسبق فهمها إلى الذهن إلا ومعناها أسبق إليه... حتى صار ما أتكلم به كثير المعاني قليل الألفاظ، وقوله: (اختصاراً): مصدر مؤكد لما قبله، فهو الجامع لما تفرق قبله في الرسل من الكمال، المخصوص بما لم يعطه أحد منهم من المزايا والأفضال، فمما اختص به عليهم: الفصاحة والبلاغة»[4].

---

(١) من حديث أخرجه البيهقي عن ابن عباس، انظر: الجامع الصغير، (٣/ ٤٦٥).

(٢) فيض القدير، (٣/ ٤٦٥).

(٣) أخرجه أبو يعلى والبيهقي عن عمر، والدارقطني عن ابن عباس، انظر: الجامع الصغير، (١/ ٥٦٣).

(٤) فيض القدير، (١/ ٥٦٣).

رفع المسـاهم

رابعاً: قضية إعجاز القرآن الكريم:

إن أهم ما يميز العصر الإسلامي هو نزول القرآن الكريم كتاباً عربياً معجزاً في أعلى مستويات البلاغة، فكان هذا نصراً للبيان العربي إلى يوم الدين، ولم يبحث المسلمون في عصر النبي - ﷺ - قضية الإعجاز، فقد كانوا «لا يطيلون النظر في دراسة مسائل الدين، ولا يثيرون قضاياه المتشابهة التي تبعث على الاختلاف في الرأي... وأمر المسلمون بعدم الخوض في بعض الأمور التي تثير الشبهات وتضعف الإيمان بإثارتها الشك عن طريق التفكير فيها، فأطاعوا الأمر راغبين»[(١)]، وعلى الرغم من عدم بحث الإعجاز على وجه التفصيل، فقد ظهرت «أحكام نقدية عامة مثل قول عمر ـ رضي الله عنه ـ مبهوراً ببلاغة القرآن: (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!). هذه الأحكام هي التي استحالت على أيدي البلاغيين إلى قواعد بلاغية قصد منها تكوين الذوق الأدبي الذي يستطيع أن يدرك وجه إعجاز القرآن البلاغي، ويخلق الكلام الجيد، ويفاضل بين كلام وكلام»[(٢)].

خامساً: الموقف من لغات الأمم الأخرى:

في التصور الإسلامي أن اختلاف اللغات آية على قدرة الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]. فكثرة اللغات واختلافها مظهر من مظاهر قدرة الله الذي أوجد التنوع في كل شيء ومن ذلك في تفكير البشر وثقافاتهم ولغاتهم وآدابهم. وعليه فاللغات المتعددة بما تحويه من فكر وبيان ثروة معلوماتية للبشرية قاطبة.

وقد حث النبي - ﷺ - أحد أصحابه على تعلم اللغة السريانية، حيث قال

---

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، ص (٣٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٢) انظر: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص(٧٩٦)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

رفع المسلم عبد الله بن محمد

لزيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: (أتحسن السريانية؟ فإنها تأتيني كتب). قلت: لا. قال: (فتعلمها). فتعلمتها في سبعة عشر يوماً. رواه أحمد والحاكم. وروى الحاكم في مستدركه، وأبو نعيم في الحلية، عن عمر بن قيس، قال: كان لابن الزبير رضي الله عنه مئة غلام، يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى، فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته[(١)]، وقد أدى هذا الاهتمام بتعلم اللغات الأخرى فيما بعد إلى التماس بيان الأمم الأخرى، والاستفادة من قوانين اللغات الأخرى في تدوين العربية وعلومها.

سادساً: ذخيرة لغوية وأدبية ضخمة للبلاغة:

ترك الخلفاء الراشدون وعامة الصحابة تراثاً كبيراً من الخطب والرسائل التي تعتبر آية في البلاغة العربية، ولقد كانت بلاغة الخلفاء الراشدين موضع اتفاق، وبلاغة عموم الصحابة كذلك. كما نجد في العصر الإسلامي شعراً كثيراً يصور الأحداث التي عاشتها الدعوة الإسلامية بمكة والمدينة وإبان الفتوحات الإسلامية بعد ذلك، وهو موجود في كتب السير والتاريخ والتراجم، وهذا الشعر مع النثر المرافق له في تلك الفترة يمثل ذخيرة لغوية وأدبية لنمو البحث البلاغي، وتطوره في العصور اللاحقة لعصر الدعوة الإسلامية.

والخلاصة: أن العصر الإسلامي شهد تطوراً كبيراً بسبب نزول القرآن الكريم أولاً، وبسبب الحديث النبوي ثانياً، وبسبب نمو الذخيرة اللغوية والأدبية في تلك الفترة ثالثاً، وقد كان لذلك أثر كبير فيما بعد في بلورة النظرية البلاغية والنقدية عند العرب[(٢)].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ص (٢٣٢)، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) انظر بحثنا: مسائل بديعية ونقدية في الحديث النبوي من خلال كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، نشر في مجلة الحكمة الصادرة في مانشستر، العدد (٢٧)، جمادى الثانية ١٤٢٤هـ. الموافق آب ٢٠٠٣م. وقد كان رافداً لنا في هذا المبحث.

رفع
المسهم
عبدالله بن علي

المبحث الثالث

البلاغة في العصر الأموي

١ ـ في البداية هذه نبذة تاريخية موجزة عن هذا العصر: يبدأ هذا العصر من سنة (٤١ هـ) ، ويمتد إلى سنة (١٣٢ هـ) ، وهو عصر الفتوحات، وقيام نواة الحضارة العربية الإسلامية. والخلفاء الذين حكموا هذه الدولة فرعان: الفرع السفياني والفرع المرواني، وأصبحت الخلافة وراثية في هذا البيت. وقد انتشرت الفرق الدينية فكان هنالك: السنة، والشيعة، والخوارج، والمرجئة. وامتزج العرب في هذا العصر بالأمم الأجنبية، وأطلق على من أسلم من غير العرب: الموالي، وأدى هذا الامتزاج إلى فشو اللحن، وضعف السلائق العربية. ولعب الاقتصاد وجباية الضرائب من الموالي دوراً في حياة تلك الدولة إلى أن حطَّ عمرُ بن عبد العزيز الضرائب عن كل من أسلموا من الموالي. وقد تأثر شعراء هذا العصر بالإسلام، وتطور الغزل مما هيأ لظهور الغزل العذري، وتحول المديح إلى تصوير الفضيلة الدينية للممدوح، وانتشر شعر الحماسة بتأثير الجهاد، كما اشتد لهيب الهجاء بتأثير العصبيات القبلية. وكانت هنالك بعض الأحداث والفتن الداخلية، وأجلها معركة الحرة في المدينة بقيادة مسلم بن عقبة المري سنة (٦٣ هـ) . وقد تأثرت الحضارة العربية الإسلامية بالحضارات الأجنبية، وبرز الترف في الحياة العامة، وأدى هذا إلى شيوع الغزل المادي الصريح في الحجاز. أما الثقافة فكانت روافدها ثلاثة: جاهلي وإسلامي وأجنبي. وانتشر الشعر في الحواضر الإسلامية وخاصة بمكة والمدينة ونجد، والكوفة والبصرة، وخراسان والشام ومصر وغيرها[١].

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، ص (١٣٩ ـ ٢١٤).

رفع
المستهم
غفر الله له ولوالديه

٢ ـ ازدهرت في هذا العصر الخطابة ازدهاراً «لعل العرب لم يعرفوه في أي عصر من عصورهم القديمة، فقد كانوا أصحاب مواهب بيانية، وعملت بواعث كثيرة على أن تتوهج هذه المواهب في الخطابة حينئذ»(١).

٣ ـ اشتهر عدد من الخطباء في كل لون من ألوان الخطابة، ففي السياسة اشتهر: زياد والحجاج. وفي زياد يقول الشعبي: (ما سمعت متكلماً على منبر قط إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء، إلا زياداً فإنه كلما أكثر كان أجود كلاماً). ومن خطباء الشيعة زيد بن الحسن بن علي، وكان لَسناً جَدلاً يجذب الناس بحلاوة لسانه وسهولة منطقه وعذوبته. ومن خطباء المحافل: سحبان وائل، وقد خطب بين يدي معاوية بخطبة باهرة سميت من حسنها باسم الشوهاء، أما خطباء الوعظ فقد بلغوا الغاية من روعة البيان، وفي مقدمتهم: غيلان الدمشقي، والحسن البصري، وواصل بن عطاء، ويقول الجاحظ: إن أدباء العصر العباسي كانوا يتحفظون كلام الحسن وغيلان، حتى يبلغوا ما يريدون من المهارة البيانية(٢).

٤ ـ كثرت الملاحظات البيانية في هذا العصر، «وهي كثرة عملت فيها بواعث كثيرة، فقد تحضر العرب واستقروا في المدن والأمصار، ورقيت حياتهم العقلية، وأخذوا يتجادلون في جميع شؤونهم السياسية والعقدية، فكان هناك الخوارج والشيعة والزبيريون والأمويون، وكان هنالك المرجئة والجبرية والقدرية والمعتزلة، فكان طبيعياً أن ينمو النظر في بلاغة الكلام، وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان، لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب، بل أيضاً في مجال الشعر والشعراء»(٣).

٥ ـ وقامت في هذا العصر الأسواق الأدبية، فكان هنالك «سوق المِربَد، في البصرة، وسوق الكُناسة في الكوفة، مقام سوق عكاظ في الجاهلية، بل لقد

---

(١) المرجع السابق، ص(٤٨٤).
(٢) انظر: البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، ص (١٤ ـ ١٥).
(٣) المرجع السابق، ص (١٥ ـ ١٦).

رفع
المسلم
عبد الله

تحولا إلى ما يشبه مسرحين كبيرين، يغدو عليهما شعراء البلدتين ومن يفد عليهما من البادية، لينشدوا الناس خير ما صاغوه من أشعار، واستطاع جرير والفرزدق أن يتطورا في سوق المربد بفن الهجاء القديم، فإذا هو يصبح مناظرة واسعة في حقائق عشيرتي الشاعرين وحقائق قيس وتميم، ويحاكيهما كثير من الشعراء، ويتجمع لهم الناس يصفقون كلما مر بهم بيت نافذ الطعنة ويصيحون ويهتفون»[١].

٦ - وازدهرت في هذا العصر صناعة الترسل، وقد «كثرت كثرة مفرطة الرسائل وخاصة السياسية، وأخذ كتاب الدواوين المحترفون ينهضون بالكتابة الديوانية، حتى كان سالم رئيس ديوان هشام بن عبد الملك، فإذا هو يتخذ فيها أسلوب خطباء الوعظ والقصص الديني. . . وتبعه عبد الحميد الكاتب، فأوفى بالكتابة الديوانية على الغاية من غزارة المعاني وروعة الأسلوب، وإعطائه حقوقه من الجزالة والرونق والطلاوة، ومضى يدبج رسائل أدبية لا يقصد بها إلى سياسة، وإنما يقصد بها إلى الأدب من حيث هو فن جميل»[٢].

٧ - ونشير هنا إلى تشابه قوانين اللغات، وتشابه الإدراكات البشرية، وكان لهذا أثره في تدوين البلاغة العربية، فقد قال أبو هلال العسكري: «ومن عرف ترتيب المعاني، واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى، تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى، ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي، فحولها إلى اللسان العربي، فلا يكمل لصناعة الكلام إلا من يكمل لإصابة المعنى، وتصحيح اللفظ، والمعرفة بوجوه الاستعمال»[٣]. وقد تنبه العلماء بعد عبد الحميد إلى وحدة القوانين البلاغية بناء على وحدة الخلق، وذلك لأن الحس البلاغي قائم في نفوس البشر في كل زمان ومكان، قال ابن قتيبة: «ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به

---

(١) المرجع السابق، ص(١٦).

(٢) تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف، ص(٤٨٥).

(٣) كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (٨٤).

قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر»[١].

٨ ـ كان لبعض الخلفاء دور في تطوير الذوق البلاغي والنقد، من ذلك إرشادهم لمراعاة مقتضى الحال، فقد وقع في مخالفة مقتضى الحال شعراء كبار مثل جرير، روى المرزباني، أنه: «لما أنشد جرير عبد الملك:

أتصحو أم فؤادك غير صاح

قال: بل فؤادك يا بن اللخناء.

فلما بلغ إلى قوله:

تشكت أم حزرة ثم قالت ... رأيت الموردين ذوي لقاح[٢]

قال: لا أروى الله عيمتها[٣]»[٤].

وكان العرب يدركون بحسهم اللغوي وفطرتهم السليمة ضرورة مراعاة مقتضى الحال، ولا أدل على ذلك من خبر يسوقه المرزباني، قال: «قالت امرأة لكثير: أنت القائل:

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيبَ من أردان عزة موهناً ... إذا أوقدت بالمندل الرطبِ نارها

قال: نعم. قالت: فض الله فاك، أرأيت لو أن ميمونة الزنجية بُخرت بمندل رطب، أما كانت تطيب؟ ألا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

ألم تر أني كلما جئت طارقاً ... وجدتُ بها طيباً وإنْ لم تُطيب

قال المبرد: الجثجاث: ريحانة طيبة الريح برية، والعرار: البهار البري،

---

(١) الشعر والشعراء، راجعه محمد العريان، ص (٢٣) دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(٢) الموردون: أصحاب الإبل يوردونها الماء.

(٣) العيمة: شدة العطش.

(٤) الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، ص (٣٠٤)، دار الفكر العربي، القاهرة.

رفع المسهم

وهو حسن الصفرة طيب الريح، والمندل: العود، وقوله: موهناً: يقول بعد هدوء من الليل»[1].

فهذه المرأة لم يرق لها وصف كثير لرائحة محبوبته، والمثل أمامها شعر امرئ القيس، فأرشدت كثيراً إلى الطريقة السليمة في وصف رائحة المحبوبة، وذلك أن مقتضى الحال هنا يتطلب المبالغة، والشعر قائم أساساً على المبالغة والخيال، ومن هنا فقد أحسن امرئ القيس من حيث قصر صاحبه، فالطيب لا يطيب المحبوبة بل هي التي تطيبه، وكأن المتنبي قد انتبه إلى هذا المعنى حين قال يمدح أبا الفضل الأنطاكي[2]:

الطيبُ أنتَ إذا أصابك طيبه　　　والماء أنتَ إذا اغتسلت الغاسل

٩ ـ بدأت الحركة العلمية تزدهر في العصر الأموي، فقد «ساعدت النهضة العلمية التي قامت في مدينتي البصرة والكوفة وما ظهر بينهما من اختلاف في الآراء اللغوية والنحوية، كما ساعد الخلاف في الرأي بين الفرق الإسلامية نفسها على إنهاض العقول من كبوتها، وإثارة المناقشات في كل ما يتصل بحياة المسلمين العامة دينية وسياسية واجتماعية، ومنها مسألة إعجاز القرآن»[3].

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، ص (٢٠٣).
(٢) ديوان المتنبي بشرح العكبري، صححه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، (٣/ ٢٦١)، دار الفكر.
(٣) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي. ص(٣٧).

رفع المسلم

المبحث الرابع

تطور البلاغة في العصر العباسي

أولاً: لمحة عن التطور الحضاري في العصر العباسي:

يبدأ هذا العصر من سنة (١٣٢ هـ) ويمتد إلى سقوط بغداد سنة (٦٥٦ هـ) على يد التتار، وقد تميز بفترتين:

الأولى: وتمتد نحو قرن منذ نشوء الدولة العباسية، وكانت الدولة قوية سياسياً.

والفترة الثانية: تمتد أكثر من ثلاثة قرون ونيف، وفيها ضعفت الدولة، وظهرت حركات الانفصال عن الخلافة المركزية في بغداد.

وما يميز الفترتين هو وفرة النشاط العلمي ممثلاً بكثرة التأليف والترجمات، ونشوء المدارس والمجالس العلمية، وتوزيع الجوائز من الخلفاء تشجيعاً للعلماء والمبدعين، ونشوء مذاهب فكرية وعقدية وروحية متعددة، فكان هنالك: التصوف، والدعوة إلى الزهد من جهة، ويقابل ذلك: الغناء واللهو والمجون في حياة الطبقة الثرية من جهة أخرى. وقد بقيت العربية لسان الحركة العلمية، بينما كانت الدولة تقع تحت سيطرة الموالي من العجم والأتراك وغيرهم.

ويعد العصر العباسي عصر النهضة الثقافية والعلمية في تاريخ الإسلام، وما كان لحضارته أن تتهاوى تحت ضربات التتار الزاحفين من الشرق؛ لولا تحلل الأخلاق وشيوع الترف والصراع المذهبي والعقائدي الذي انتهى بتواطؤ الوزير ابن العلقمي مع هولاكو لدك معقل الحضارة الإسلامية: بغداد، واجتياح البلاد الإسلامية عقب ذلك.

رفع
المسـتهمل

ثانياً: ازدهار الملاحظات البيانية في العصر العباسي:

مما يميز هذا العصر أن الملاحظات البيانية أخذت «تتسع وتدق في العصر العباسي الأول، بحكم التعمق في الحضارة، وفي الثقافات الأجنبية، وإتقان الموالي للعربية إتقاناً جعلهم يكثرون من ملاحظاتهم على خصائصها البلاغية. ومضى كتاب الدواوين ينهضون بكتاباتهم ناثرين كثيراً من الآراء البيانية التي صدروا فيها عن ثقافاتهم وأذواقهم الحضارية المهذبة ومشاعرهم الدقيقة المرهفة. وبالمثل نهض الشعراء بشعرهم، موازنين موازنات كثيرة بين معانيهم ومعاني القدماء، وبين أساليبهم المولدة والأساليب الموروثة نافذين إلى ما سموه بالبديع، وهو ضروب من التجديدات التصويرية والمحسنات اللفظية والمعنوية. ونرى للغويين والنحاة في تضاعيف تعليمهم للشباب الأصول اللغوية والنحوية ورواية الشعر القديم يعنون بالتعرض لبعض الخصائص الأسلوبية والبيانية»(١).

ثالثاً: دور اللغويين في تدوين البلاغة:

وفي هذا العصر نرى «اللغويين والنحاة، وفي مقدمتهم ابن قتيبة والمبرد وثعلب، ينشطون على ضوء سابقيهم في تصنيف كتب يفسحون فيها للملاحظات البلاغية، غير أنهم لم يضيفوا شيئاً مهماً»(٢).

رابعاً: دور المعتزلة في تدوين البلاغة:

للمعتزلة دور كبير في تدوين البلاغة، ولا بد أن نعرف هذه المدرسة أولاً، فمدرسة المعتزلة مدرسة قامت بغرض الدفاع عن الدين، حيث «إن كثيرين ممن دخلوا في الإسلام بعد الفتح، كانوا من ديانات مختلفة: يهودية ونصرانية وزرداشتية وبراهمة وصابئة ودهريين وغيرهم، وكانوا قد نشؤوا على تعلم هذه الديانات وشبوا عليها، وكان ممن أسلم علماء في هذه الديانات، فلما اطمأنوا

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٦٨).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٦٩).

رفع المسهم

وهدأت نفوسهم، واستقرت على الدين الجديد وهو الإسلام، أخذوا يفكرون في تعاليم دينهم القديم، ويثيرون مسائل من مسائله، ويلبسونها لباس الإسلام»[1]. فكان دور المعتزلة هو في مواجهة هذه الأفكار الدخيلة على الإسلام ممن يعتنقه من أبناء الأمم الأخرى، ثم راحوا يواجهون كل فكرة تناقض الإسلام بعد ذلك سواء أكانت رائجة على ألسنة من يعتنقون الإسلام من أبناء الشعوب الأخرى، أم كانت واردة على المجتمع الإسلامي من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، أم تسربت من الفكر الإغريقي والفارسي عبر عملية الترجمة التي نشطت في العصر العباسي بسبب تشجيع الخلفاء عليها.

ورأس هذه الفرقة هو واصل بن عطاء كما هو معلوم، وكان في البداية من تلاميذ الحسن البصري ثم انشق عنه، وبدأ بتكوين هذه الفرقة، وكان لابد لهذه الفرقة من ركائز ترتكز إليها في حماية فلسفتها، حيث: «قد أراد المعتزلة أن يحوطوا تعاليمهم التي يرونها مبادئ الإسلام فتسلحوا لها بالأسلحة التي تذود عن حياضها، وتصون حرمها، وكان أخطر هذه الأسلحة عندهم سلاحين: الفلسفة واللغة»[2].

وكان دور المعتزلة أهم الأدوار في تدوين البلاغة، يقول الدكتور شوقي ضيف: «وأهم من اللغويين والنحاة المتكلمون، وخاصة المعتزلة، إذ أخذوا أنفسهم بتلقين ناشئتهم كيف يُفحمون خصومهم، وكيف يحسنون البيان ويصوغون الكلام صياغة تستولي على قلوب السامعين وتخلب ألبابهم، وأقبلوا على دراسة كل ما خلفه العرب حتى عصرهم من ملاحظات بيانية مختلفة، وأيضاً على كل ما سقط إليهم من تلك الملاحظات عن الهنود والفرس والرومان واليونان، محاولين أن يضعوا من خلال ذلك كله أصولاً دقيقة للبيان العربي على نحو ما تصور ذلك صحيفة بشر بن المعتمر، وفيها يتحدث عن المتكلم،

---

(١) ضحى الإسلام، أحمد أمين، (٣/٧) لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، الطبعة الثالثة.

(٢) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، د. مصطفى الصاوي الجويني، ص (٦٩) دار المعارف، الطبعة الثالثة.

رفع
المسلم
عبد الله بن علي

وما ينبغي أن يتوفر له من حسن الاستعداد للكلام، وما ينبغي أن يتوفر لكلامه من الجمال والإمتاع، وما ينبغي أن يسود من الملاءمة التامة بين الألفاظ والمعاني وبين الكلام وطبقات السامعين»[1].

ويضيف: «أما المتكلمون فظلوا ناشطين، وكانوا معتدلين، فهم يقبلون على ما عند العرب أولاً من ملاحظات بيانية، ثم يقبلون على ما عند الأجانب في احتياط، إذ يخضعون كل ما قرؤوه لهم للذوق العربي الأصيل»[2].

خامساً: دور الفلاسفة في تدوين البلاغة:

للفلاسفة دور في تدوين البلاغة، يقول الدكتور شوقي ضيف: «وأخذت تبرز في أواسط القرن الثالث الهجري بيئة جديدة في مجال البلاغة، هي بيئة المتفلسفة التي كانت تتخذ من فلسفة اليونان ومعاييرهم في البلاغة أساساً تحتكم إليه في تقدير القيم البيانية للكلام، مما جعل البحتري يشكو منهم شكواه المعروفة، ووقف معه اللغويون المحافظون يُزرون على الفلسفة ومن يستظهر مصطلحاتها وخاصة من الكتاب، وكان من حسن حظ اللغويين أن انتصر لهم ابن المعتز بكتابه البديع الذي يرد فيه على المتفلسفة وأضرابهم من الشعوبيين الذين كانوا يخاصمون البلاغة العربية»[3].

ويضيف محدداً منهج الفلاسفة العرب الذي جمع بين الثقافة العربية واليونانية، ويبين تأثرهم بالترجمات لكتب أرسطو، قائلاً: «ومضى المتفلسفة يرددون ما عرفوه من قواعد البلاغة اليونانية، وأخذوا يكتبون خلاصات لكتابي الشعر والخطابة لأرسطو، ثم ترجموهما ترجمة كاملة... ولم يلبث قدامة بن جعفر أن حاول إخضاع البلاغة العربية لتلك الأصول فألف كتابه نقد الشعر، ومضى يستمد فيه من منطق أرسطو وفلسفته، وكتابيه الخطابة والشعر، باذلاً في ذلك جهداً عنيفاً، وتمثل تمثلاً دقيقاً ما وضعه الأصمعي والجاحظ وابن المعتز

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٦٨ ـ ٣٦٩).
(٢) المرجع السابق، ص (٣٦٩).
(٣) المرجع السابق، ص (٣٦٩ ـ ٣٧٠).

وثعلب من معايير بلاغية، واستطاع أن يضيف إلى ما سجله ابن المعتز من فنون بديعية ثلاثة عشرة فناً جديداً»[1].

ولم يقتصر تأثير الفلسفة على قدامة بن جعفر، بل امتد إلى أحد معاصريه أيضاً، وهو صاحب كتاب نقد النثر، يقول الدكتور شوقي ضيف: «وصنف معاصره إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب كتاب نقد النثر، أو بعبارة أدق كتاب البرهان في وجوه البيان، ونراه يوغل في التأثر بأرسطو، لا في كتابيه: الخطابة والشعر فحسب، بل أيضاً في مبحثيه: المنطق والجدل، إذ نقل عنهما فصولاً كاملة. ومضى يمزج مزجاً واسعاً بين عقيدته الشيعية ومعارفه الكلامية بفصول كتابه، واستعار من الجاحظ كثيراً، غير أنه أشاع في الكتاب جفافاً منطقياً وفلسفياً وكلامياً جعل البلاغيين يعرضون عنه إعراضاً شديداً»[2].

ومن الباحثين المعاصرين من يرفض فكرة تأثر البلاغة بالفلسفة اليونانية، ومنهم الدكتور فضل حسن عباس الذي يقول: «ليس هناك حاجة لتأكيد النفي عن بلاغتنا بأنها بلاغة غير متفلسفة، فقد طال بي وبك التطواف من أجل هذه القضية. أما فلسفة البلاغة فتلك التي يمكن أن تختلف فيها الآراء، وتتعدد عندها المواقف، فمن قبل عبد القاهر كانت هناك ملحوظات تحاول أن تشرح أسرار الجمال، وهي تعطي النفوس مجالها للتمتع في الصرح البياني الشامخ، فلما استوت البلاغة على سوقها بجهد عبد القاهر رحمه الله، رأينا فيما بعد هذا التشعب في فلسفة البلاغة»[3].

سادساً: دور النقد في تطوير البلاغة:

وكان للنقد دور في تطوير البحث البلاغي، حيث «نرى الكتابات النقدية تنشط في القرن الرابع الهجري، وكانت تخوض في مباحث البيان والبديع،

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٧٠).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٧٠ ـ ٣٧١).

(٣) البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، ص (٢٩٩ ـ ٣٠٠)، دار النور، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس

وتدلي بنظرات فاحصة دقيقة، على نحو ما نرى في عيار الشعر لابن طباطبا، وفيه عرض لكثير من مسائل البلاغة وخاصة التشبيه والتعريض والمبالغة وحسن المقطع والتخلص، ولا نبالغ إذا قلنا: إن كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي، تحول إلى دراسة تطبيقية للاستعارات والمحسنات البديعية في شعر الشاعرين، وبالمثل نرى علي بن عبد العزيز الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه يتسع في الحديث عن البديع وفنونه وخاصة الجناس والاستعارة والتشبيه البليغ، وعنوا جميعاً ببحث السرقات والموازنة بين معاني الشعراء موازنة دقيقة»[1].

سابعاً: بداية الحديث عن الإعجاز:

في العصر العباسي «بدأ الكلام في الإعجاز بصورة علمية منظمة في بداية القرن الثالث أو أواخر القرن الثاني. . . وفي هذا العصر ظهرت أكثر النظريات الرئيسة في الإعجاز، صدرت عن أحرار الفكر والمعتزلة والمتكلمين، وكثر الكلام في الدين والنبوة، وبُحث في الإعجاز على أنه فرع لهما، نشأ ذلك لأن هذا العهد كان عهد الترجمة والاتصال بالثقافات الأجنبية ولا سيما اليونانية منها، كما كان عهد حرية الفكر واختلاط أصحاب الأديان المختلفة بعضهم ببعض، فأدى تمازج هذه الثقافات وتصادم هذه الديانات إلى تطور في الأفكار، ونهضة علمية كان من نتاجها ازدهار العلم والأدب في هذا العصر»[2].

❑ ❑ ❑

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٧١).
(٢) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، ص (٥٠).

الفصل الثاني
مرحلة التدوين والتأسيس والإبداع للبحث في البلاغة والإعجاز

(وتبدأ من القرن الثالث حتى نهاية القرن السادس)

يتكون هذا الفصل من خمسة مباحث :

المبحث الأول : مدرسة الجاحظ المؤسس الأول للبيان والبلاغة والإعجاز .

المبحث الثاني : مدرسة الباقلاني المؤسس الثاني للإعجاز .

المبحث الثالث : مدرسة الشيخ عبد القاهر المؤسس الثاني للبلاغة .

المبحث الرابع : مدرسة التطبيق في البلاغة والإعجاز : الزمخشري .

المبحث الخامس : جهود مختلفة لأعلام في البلاغة والإعجاز .

تمهيد

العصر العباسي هو عصر ازدهار الحضارة الإسلامية، أو هو عصر النهضة في الإسلام كما نعته آدم متز في كتابه: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)، فقد تطورت الحياة بكافة أشكالها ونظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية في ذلك العصر، وما يعنينا هنا بشكل أساسي هو تطور الحياة العقلية، وأهم العوامل التي ساعدت على ذلك ما يلي:

١ ـ الامتزاج الجنسي واللغوي والثقافي.

٢ ـ الترجمة والنقل، فقد أقامت الدولة منذ عهد الرشيد لهذا الغرض دار الحكمة.

٣ ـ التعليم في دور العلم من الكتاتيب والمساجد والأسواق، مثل سوق المربد، ويتعلمون في هذه الأماكن الفقه والتفسير والحديث واللغة والشعر...

٤ ـ العطاء الجزيل من الولاة والحكام للعلماء والمؤلفين.

٥ ـ صناعة الورق، التي بدأت في عصر الرشيد، حيث أنشأ مصنعاً للورق ببغداد.

٦ ـ نشوء المكتبات الفردية والخاصة، كمكتبة إسحاق بن سليمان، ومكتبة يحيى البرمكي، ومكتبة الواقدي.

٧ ـ مجالس العلماء والوزراء والولاة التي حولوها إلى ندوات علمية ومناظرات ثقافية، كمناظرة الكسائي وسيبويه عند الرشيد، ومناظرات الفلاسفة والمتكلمين من المعتزلة.

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

٨ ـ مجانية التعليم وتوفره في كل مكان ولكل الطبقات.

٩ ـ الاتصال بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى عن طريق المشافهة والنقل والترجمة[١].

وقد انعكس تأثير هذا التطور في الحركة العلمية على سائر العلوم ومنها علوم العربية، وأدى هذا إلى تطور علم البلاغة الذي وضع أولى لبناته الجاحظ كما سنبين في هذا الفصل.

❑ ❑ ❑

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص (٨٧ ـ ١١٧)، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة.

رفع المسلم

المبحث الأول

مدرسة الجاحظ المؤسس الأول للبيان والبلاغة والإعجاز

يأتي الجاحظ[1] في مقدمة العلماء والباحثين والكتاب الذين عنوا بتأسيس قواعد البيان والبلاغة والإعجاز، فقد وضع عدداً من الكتب التي تعد مراجع أساسية في تلك العلوم، وسوف نتناول جهود الجاحظ من خلال الأمور الآتية:

١ ـ الجاحظ ذو عبقرية نادرة، وهو رئيس فرقة في المعتزلة تنسب إليه، وأحد الكتاب في العصر العباسي، وكان على صلة بالوزير ابن الزيات. وهو من رموز الفكر، وموسوعة علمية قائمة بحد ذاتها، يشهد لذلك كثرة مؤلفاته في كل فن، وقد سرد أسماء بعضها في مقدمة كتاب الحيوان، وقد أسهمت جملة أمور في نضجه وصياغة مواقفه العلمية والأدبية.

٢ ـ صرح الجاحظ بتفضيله للمعتزلة على ما سواها من فرق، وألف كتاباً في خلق القرآن، يقول في هذا الصدد موجهاً كلامه إلى أحدهم: «وعبتَ كتابي في خلق القرآن، كما عبت كتابي في الرد على المشبهة، وعبت كتابي في القول في أصول الفتيا والأحكام، كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه، وعبت معارضتي للزيدية، وتفضيلي الاعتزال على كل نحلة، كما عبت كتابي في الوعد والوعيد، وكتابي على النصارى واليهود، ثم

---

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته بالبصرة، (١٦٣ ـ ٢٥٥هـ = ٧٨٠ ـ ٨٦٩م). انظر: الأعلام، للزركلي، (٥/ ٧٤). دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

رفع المسـتهمـ

عبث جملة كتبي في المعرفة، والتمست تهجينها بكل حيلة»[١].

٣ ـ من أهم تصانيف الجاحظ الأدبية وذات الصلة المباشرة بالبلاغة والبيان والإعجاز: كتاب (نظم القرآن) وقد ألفه أولاً، وأشار إليه في مقدمة كتاب الحيوان. ثم ألف (كتاب الحيوان) بعد ذلك. ثم كتابه: (البيان والتبيين). وكتاب البيان ألفه بعد كتاب الحيوان يقيناً كما صرح بذلك الأستاذ عبد السلام هارون محقق الكتابين[٢]. وقد ترك الجاحظ مجموعة كبيرة من المؤلفات بحدود ثلاثمئة وستين مؤلفاً في ألوان شتى من المعرفة[٣]، وقد ضاع معظمها، ومما بقي ونشر منها: مجموع رسائل، واشتمل على أربع، هي: المعاد، والمعاش، وكتمان السر، وحفظ اللسان. والبخلاء، المحاسن والأضداد، البرصان والعرجان والعميان والحولان، الحنين إلى الأوطان (رسالة)، وغير ذلك.

٤ ـ وكتاب نظم القرآن لم يصلنا، وعنه يقول الباقلاني: «وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى»[٤]، ويعقب الرافعي على كلام الباقلاني قائلاً: «وأومأ إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما، فكأنه هو ابتدأ بالتأليف في الإعجاز، بما بسط في كتابه واتسع، وفي ذلك ما يثبت لنا أن عهد هذا التأليف لا يرد في نشأته إلى غير الجاحظ»[٥]. وقد ذهب العلامة محمود شاكر إلى ما ذهب إليه الرافعي من أن الجاحظ أول من أسس لعلم الإعجاز في كتابه (نظم القرآن)، يقول: «إن جميع من ألف في إعجاز القرآن ذكر لأبي عثمان كتاباً رد فيه على رأس المعتزلة أبي إسحاق النظام، وهو كتاب

---

(١) انظر: كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (١/ ٩)، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

(٢) انظر: المصدر السابق، (مقدمة المحقق)(١/ ٢٦ ـ ٢٧).

(٣) انظر: المصدر السابق، (مقدمة المحقق)(١/ ٥).

(٤) إعجاز القرآن، مقدمة التحقيق ص (٦)، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.

(٥) تاريخ آداب العرب، (٢/ ١٥٢) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

رفع المسلم

ألفه قبل كتاب حجج النبوة ، وقد وصفه الجاحظ نفسه في كتاب حجج النبوة فقال: (كتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت فيه أقصى ما يمكن مثلي... فلم أدع فيه مسألة لرافضي ولا لحديثي ولا لحشوي... ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة، فلما بلغت أقصى محبتك... أتاني كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن، وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن، وهذا الكتاب هو: نظم القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان). والجاحظ أول من ألف كتاباً في شأن إعجاز القرآن، فكأن غياب لفظ الإعجاز في كلام أبي عثمان، هو الذي دعاه إلى تسميته نظم القرآن، والكتاب لم يصلنا، ولو وصلنا لكان فيه نظر كثير، ولرأينا فيه لفظ التحدي محفوفاً أيضاً بلفظ العجز»[1].

٥ ـ ينقل السيوطي عن الجاحظ نصاً طويلاً يبرهن فيه على إعجاز القرآن، وتقوم الفكرة فيه على أن الله قد تحدى العرب على أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، ولم يستجيبوا له مع أنهم أهل الفصاحة واللسان، وعمدوا إلى الأسلوب الأصعب وهو مقاومة الدعوة الإسلامية بالسيف والسنان بدلاً من الحجة والبرهان، وهو دليل ساطع على قيام حجة الله بالقرآن، وسموها فوق الشبهات، يقول: «قال الجاحظ: بعث الله محمداً - ﷺ - أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله، وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة، حملهم على حظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباح مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو بآيات يسيرة، فكلما ازداد تحدياً لهم بها، وتقريعاً لعجزهم عنها، تكشف عن

---

(١) مداخل إعجاز القرآن، ص (٢٧ ـ ٢٨)، دار المدني بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

رفع المسـاهم

نقصهم ما كان مستوراً، وظهر منه ما كان خفياً، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة، قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا. قال: فهاتوها مفتريات. فلم يرم ذلك خطيبٌ، ولا طمع فيه شاعرٌ، ولا طبع فيه لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه، ويزعمُ أنه قد عارض وقابل وناقض، فدل ذلك لعاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم، وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة، كانت أنقض لقوله وأفسد لأمره، وأبلغ في تكذيبه، وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس، والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور، ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم، فمحال ـ أكرمك الله ـ أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر، والخطأ المكشوف البين، مع التقريع بالنقص، والتوقيف على العجز، وهم أشدُّ الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم؛ وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة؟ وكما أنه محال أن يطبقوه ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه، ويجدون السبيل إليه، وهم يبذلون أكثر منه. انتهى»[(١)].

٦ ـ في كتابه الحيوان تناول جملة من قضايا الأدب والبلاغة والنقد أيضاً، فتحدث عن: الإطناب والإيجاز، والفرق بين المولد والأعرابي في الشعر، وعن الألفاظ وتناسبها مع الأغراض، واختيار الألفاظ، وعن اللفظ والمعنى، والبيان وكونه ضرورياً للاجتماع، والبلاغة، والتشبيه، وقد فصل فيه الحديث فذكر تشبيه الإنسان بالشمس والقمر ونحوهما، وتشبيه عدد من الحيوانات بعضها ببعض، وتشبيه رماد الأثافي بالحمام، وما يشبه بالأسود، وتشبيه القدر

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ١٥٠).

الضخمة بالنعامة، وتشبيه الغيوم بالنعام، وتشبيه مشي الشيخ بمشي الرأل، وتشبيه الناقة بالظُّليم، وتشبيه مسامير الدرع بحدق الجراد، وتشبيه وسط الفرس بوسط الجرادة، والجيش بالدبا، ومشي المرأة بمشي القطا، والمجاز والتشبيه في الأكل، والتشبيه بالأرنب والجن والحشرات، وغير ذلك... كما تحدث عن الرثاء والرجز، وتحدث عن الشعر وتناول الكثير من قضاياه مثل: صعوبة ترجمة الشعر العربي، وحظوة الخلفاء والولاة بالشعر، وذكر ما قيل في الحيوان من الشعر، وتحدث عن الشعراء المُحدثين، ونوادر الشعر، وشعر الإيجاز، وأشعار النساء والأعراب، وتناول شتى موضوعات الشعر، وتحدث عن الشعراء أيضاً. وتحدث عن العرب وتخليدها لمآثرها، ومخاطبتها في القرآن، وتحدث عن القرآن: ألفاظه، ومخاطبته للعرب وبني إسرائيل، وأول عدداً من آياته، ورد على من يطعنون فيه. وتحدث عن القصص وعني بقصص الحيوان. وذكر الكتب وما ينبغي أن تكون عليه لغتها. وتكلم عن اللغز، واللغة وضرورة حقها للعالم والمتكلم، ولغة الكتب، والعلة في صعوبة بعض اللغات. وتحدث عن المثل والمجاز والتشبيه في الأكل، ومجاز الذوق، والمدح، ومن أراد أن يمدح فهجا. وتحدث عن المعاني، وتحدث عن المفسرين وبعض القضايا التي تناولوها، مثل: سفينة نوح، ورأي النظام في طائفة منهم، وعن النار وتنويه القرآن بشأنها، وشبه ما بين النار والإنسان، وعن النساء وأشعارهن، وإفساد العرب لنوادر المولدين، وغير ذلك مما هو مبثوث في ثنايا كتاب الحيوان[١].

٧ ـ يرى أن الشعر العربي حديث الميلاد، وليس كما يُزعم وجوده من أيام الإغريق، وينفي أية صلة له بكتب الفلاسفة، يقول: «وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حُجر، ومُهلهِل بن ربيعة، وكتب أرسطاليس، ومعلمه أفلاطون، ثم بطليموس، وديمقراطس، وفلان وفلان، قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب»[٢].

---

(١) انظر: كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (٧/ ٦٢٦ ـ ٦٥٥).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٧٤).

رفع المسـ هم

٨ ـ وإذا كان الجاحظ يرى في كتابه البيان والتبيين ـ كما سيأتي ـ أن البديع مقصور على العرب، فهو في كتاب الحيوان يذهب إلى أن الشعر مقصور على العرب أيضاً! وقد نفى إمكانية ترجمة الشعر، يقول: «وفضيلة الشعر مقصورة على العرب، وعلى من تكلم بلسان العرب، والشعر لا يُستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حُول تقطع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه، وسقط موضع التعجب، لا كالكلام المنثور، والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المنثور الذي تحول من موزون الشعر»[1].

٩ ـ يرى أن الفصاحة موجودة في كل اللغات، «والإنسان فصيح وإن عبر عن نفسه بالفارسية أو بالهندية أو بالرومية، وليس العربي أسوأ فهماً لطَمْطَمة الرومي، من الرومي لبيان لسان العربي، فكل إنسان من هذا الوجه يُقال له فصيح، فإذا قالوا: فصيح وأعجم، فهذا هو التأويل في قولهم: أعجم. وإذا قالوا: العرب والعجم، ولم يلفظوا بفصيح وأعجم، فليس هذا المعنى يريدون، وإنما يعنون أنه لا يتكلم بالعربية، وأن العرب لا تفهم عنه»[2].

١٠ ـ تناول بعض القضايا النقدية ذات الصلة بالبلاغة في كتاب الحيوان، من ذلك: قضية اللفظ والمعنى، وكان من أنصار اللفظ، حيث قال: «وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير»[3]. ويلاحظ هنا تفضيله اللفظ على المعنى، وذكره للعلاقة بين الشعر والرسم، وذلك «حين قال: (فإنما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير) فلو تخطى الجاحظ حدود التعريف لوجد نفسه في مجال المقارنة بين فنين الشعر والرسم، بل إن تعريفه لا يخرج عن قول هوراس: (الشعر هو الرسم)... كل ما أراده

(١) المصدر السابق، (١/ ٧٤ ـ ٧٥).
(٢) المصدر السابق، (١/ ٣٢).
(٣) المصدر السابق، (٣/ ١٣١ ـ ١٣٢).

رفع
المسـ هـمـ
عبد الله بن علي الأثري

الجاحظ من هذا القول تأكيد نظريته في الشكل، وأن المعول في الشعر إنما يقع على (إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك) وبهذا التحيز للشكل قلل الجاحظ من أهمية المحتوى، وقال قولته التي طال تردادها: (والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي)»[1].

١١ ـ عرض الجاحظ لبحث الإيجاز والإطناب، يقول محرراً مفهوم الإيجاز والإطالة: «قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لصُحار العبدي: ما الإيجاز؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ. قال معاوية: أو كذلك تقول! قال صحار: أقلني يا أمير المؤمنين! لا تخطئ ولا تبطئ. فلو أن سائلاً سألك عن الإيجاز، فقلت: لا تخطئ ولا تبطئ. وبحضرتك خالد بن صفوان، لما عرف بالبديهة وعند أول وهلة، أن قولك: (لا تخطئ) متضمن بالقول، وقولك (لا تبطئ) متضمن بالجواب، وهذا حديث كما ترى آثروه ورضوه، ولو أن قائلاً قال لبعضنا: ما الإيجاز؟ لظننت أنه يقول: الاختصار. والإيجاز ليس يُعنى به قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار ـ أي صحيفة ـ فقد أوجز، وكذلك الإطالة، وإنما ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه، ولا يردد وهو ولا يكتفي في الإفهام بشِطره، فما فضل عن المقدار فهو الخطل»[2].

١٢ ـ وهو يرى أن للإطناب مواضعه كما للإيجاز مواضعه، ويحدد العلاقة بين الإطناب والإطالة، موضحاً متى يكون الإطناب ليس بإطالة ومتى يكون إطالة، يقول: «وقد بقيت ـ أبقاك الله ـ أبواب توجب الإطالة، وتحوج إلى الإطناب، وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عند منتهى البغية، وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المفردة، البائنة بصورها وجهاتها،

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ص (٩٨)، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. وانظر كتاب الحيوان (٣/ ١٠٣).

(٢) انظر كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (١/ ٩٠ ـ ٩١).

تحتاج من الألفاظ إلى أقل مما تحتاجه إليه المعاني المشتركة، والجهات الملتبسة، ولو جهد جميع أهل البلاغة أن يخبروا من دونهم عن هذه المعاني، بكلام وجيز يغني عن التفسير باللسان، والإشارة باليد والرأس لما قدروا عليه»(١).

١٣ ـ وذكر الجاحظ بعض مواضع الإسهاب، فقال: «ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مديح الملوك أطالوا، وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع، وليس ذلك من عجز»(٢).

١٤ ـ تحدث عن الإيجاز في القرآن الكريم، فقال: «ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن، لتعرف بها فصل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفضول، فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]. وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا. وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة، فقال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]. جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني. وهذا كثير قد دللتك عليه، فإن أردته فموضعه مشهور»(٣).

١٥ـ أشار الجاحظ إلى مراعاة القرآن الكريم لمقتضى الحال في خطابه للعرب وأهل الكتاب، يقول: «ورأينا الله تبارك وتعالى، إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم؛ جعله مبسوطاً وزاد في الكلام، فأصوب العمل اتباع آثار العلماء، والاحتذاء على مثال القدماء، والأخذ بما عليه الجماعة»(٤).

---

(١) المصدر السابق، (٦/ ٧ ـ ٨).
(٢) المصدر السابق، (١/ ٩٢ ـ ٩٣).
(٣) المصدر السابق، (٣/ ٨٦).
(٤) المصدر السابق، (١/ ٩٤).

١٦ ـ تحدث عن البيان وأنه ضروري للاجتماع، فقال: «وهو البيان الذي جعله الله تعالى سبباً فيما بينهم، ومعبراً عن حقائق حاجاتهم، ومعرفاً لمواضع سد الخلَّة، ورفع الشبهة، ومداواة الحيرة، ولأن أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح الماثلة، والأجسام الجامدة، والأجرام الساكنة، التي لا يُتعرف ما فيها من دقائق الحكمة، وكنوز الآداب، وينابيع العلم، إلا بالعقل الثاقب اللطيف، وبالنظر التام النافذ، وبالأداة الكاملة، وبالأسباب الوافرة، والصبر على مكروه الفكر، والاحتراس من وجوه الخدع، والتحفظ من دواعي الهوى، ولأن الشكل أفهم عن شكله، وأسكن إليه، وأصبُّ به، وذلك موجود في أجناس البهائم، وضروب السباع، والصبي عن الصبي أفهم له، وله آلف، وإليه أنزع، وكذلك العالم والعالم، والجاهل والجاهل، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ **[الأنعام: ٩]**، لأن الإنسان عن الإنسان أفهم، وطباعه بطباعه آنس، وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه»[١].

١٧ ـ تحدث عن وسائل البيان، فقال مضيفاً لما سبق: «ثم لم يرض لهم من البيان بصنف واحد، بل جمع ذلك ولم يفرق، وكثر ولم يقلل، وأظهر ولم يخف، وجعل آلة البيان التي بها يتعارفون معانيهم، والترجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم، في أربعة أشياء، وفي خصلة خامسة، وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها، فقد تُبدل بجنسها الذي وُضعت له، وصُرفت إليه، وهذه الخصال هي: اللفظ، والخط، والإشارة، والعقد[٢]، والخصلة الخامسة: ما أوجد من صحة الدلالة، وصدق الشهادة، ووضوح البرهان، في الأجرام الجامدة، والصامتة، والساكنة التي لا تتبين ولا تحس، ولا تفهم ولا تتحرك، إلا بداخل يدخل عليها، أو عند ممسك خليٍّ عنها، بعد أن كان تقييده لها. ثم قسم الأقسام ورتب المحسوسات، وحصَّل الموجودات، فجعل

(١) المصدر السابق، (١/ ٤٤ ـ ٤٥).

(٢) العقد: الحساب دون اللفظ والخط، وقال البغدادي: نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين. انظر: كتاب الحيوان (١/ ٣٣) الحاشية (٣).

رفع
المسـهمـ
عز الله لبنانيل الإسلام

اللفظ للسامع، وجعل الإشارة للناظر، وأشرك الناظر واللامس في معرفة العقد، إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على قدر نصيب اللامس، وجعل الخط دليلاً على ما غاب من حوائجه عنه، وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانه، وجعله خازناً لما لا يأمن نسيانه، مما قد أحصاه وحفظه، وأتقنه وجمعه، وتكلف الإحاطة به، ولم يجعل للشَّامِّ والذائق نصيباً»[1].

جدير بالذكر أن الخصلة الخامسة هي دلالة النصبة، وقد ذكرها في البيان والتبيين، فقال: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نِصبة، والنِّصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات»[2].

١٨ ـ أشار إلى طريقة أهل العلم والأدب في التشبيه، فقال: «وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء: الإنسانَ بالشمس والقمر، وبالأسد والسيف، وبالحية وبالنجم، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حد الإنسان. وإذا ذموا قالوا: هو الكلب والخنزير، وهو القرد والحمار، وهو الثور، وهو التيس، وهو الذيب، وهو العقرب، وهو الجُعَل، وهو القرنْبى، ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم، ولا يُخرجون بذلك الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء. وسموا الجارية غزالاً، وسموها أيضاً خِشفاً، ومهرة، وفاخِتة، وحمامة، وزهرة، وقضيباً، وخيزراناً، على ذلك المعنى، وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب، فذكروا الأسد والثور، والحمل والجدي، والعقرب والحوت، وسموها بالقوس والسنبلة والميزان»[3].

١٩ ـ أصدر حكماً نقدياً حول شعر العرب والمولدين، وهو حكم يعتمد الجودة مقياساً دون التعصب لقديم أو جديد، يقول: «والقضية التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها: أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٤٥ ـ ٤٦).
(٢) المصدر السابق، (١/ ٧٦).
(٣) المصدر السابق، (١/ ٢١١).

رفع
المسـ هما
عبد الله الرحمن

سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى، من المولدة والنابتة، وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه. وقد رأيت أناساً منهم يبهرجون أشعار المولدين، ويستسقطون من رواها، ولم أر ذلك قط إلا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان. وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين، ونحن في المسجد يوم الجمعة، أن كلف رجلاً حتى أحضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له. وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً، ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك، لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً أبداً، وهما قوله:

لا تحسبنَّ الموتَ موتَ البلى ... فإنما الموتُ سؤال الرجالِ

كلاهما موتٌ ولكنَّ ذا ... أفظعَ من ذاكَ لذل السؤالِ[1]

٢٠ - يرى الجاحظ التوقف عند أساليب العرب في المجاز، وعدم القياس عليها، يقول: «ويروى عن النبي - ﷺ - أنه قال: «نعمت العمة لكم النخلة، خلقت من فضلة طينة آدم»[2]. وهذا الكلام صحيح المعنى، لا يعيبه إلا من لا يعرف مجاز الكلام، وليس هذا مما يطرد لنا أن نقيسه، وإنما نقدم على ما أقدموا، ونحجم عما أحجموا، ونتنهي إلى حيث انتهوا[3].

٢١ - وفي كتابه البيان والتبيين يتناول جملة من مسائل الأدب والبلاغة والنقد جاءت بشكل متناثر في كتابه، فتحدث عن: لفظ أديب، وكلمة أدب، والازدواج، والإطناب، والألفاظ، والحروف، والإيجاز، والبديع، والبلاغة، والبيان، والتبيين، والخطابة، والدعاء، والرجز، والرسائل، والسجع، والشعر، والشعراء، والصمت، والعي، والفصاحة، والقصص،

---

(١) المصدر السابق، (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) الحديث عن علي بلفظ: (أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم...)، وقد عزاه السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٩٤ ـ ٩٥) إلى أبي يعلى، وابن عدي في الكامل، والعقيلي في الضعفاء، وفي سنده ضعف وانقطاع كما ذكر المناوي، بل عده ابن الجوزي في الموضوعات، والله أعلم.

(٣) المصدر السابق، (١/ ٢١٢).

رفع المسهم

والكلام، واللثغة، واللحن، واللغز، واللكنة، والمعاني، والنسيب[1]، ويندرج تحت كل موضوع من الموضوعات السابقة عدد من الموضوعات الفرعية، ففي حديثه عن البلاغة تناول: تعريف البلاغة عند العتابي، وعمرو بن عبيد، وعند مختلف الأمم، وتعريف صحار العبدي من عبد القيس، وبعض الأعراب، وبعض الحكماء، والأصمعي. وتقسيم البلاغة لابن المقفع، وتناول بلاغة الكتاب والمعتزلة، وحدود البلاغة، وسياسة البلاغة أشد من البلاغة، والرد على من زعم أن البلاغة: الإفهام، وليس كل بليغ يستطيع الشعر، ولفظ البليغ في الحديث، وقبح استعمال الغريب ونماذج منه، وذم تكلف البلاغة، واجتماع اللحن مع البلاغة، وكتب البلاغة الفارسية، وذكر طائفة من البلغاء، وبلاغة ثمامة بن أشرس، ونماذج من أقوال من كانوا يدعون البلاغة، وغير ذلك. كما تناول في حديثه عن البيان: تعريفه، وأنواع الدلالات، والخلاف في أثر جمال المتكلم في السامعين، ومراعاة الحالة النفسية لدى السامعين، وأثر البيئة والصناعة في بيان المتكلم، ووجوب التناسب بين اللفظ والمعنى في السخف والشرف، وكيف يختبر صاحب البيان بيانه، ومدح الكلام الموزون، ومذهب الوسط، وضرر الإكثار والإسهاب، وتشبيه الكلام ببرود العصب والحلل والوشي ونحوها، وتأويل الحديث الذي يمدح العي ويذم البيان، وقلة كلام الأنبياء، وفضل النطق، ووصف اللسان، وبغض التشادق، وذكر طائفة من أهل البيان من النساك والزهاد والقصاص، وكل هذا مبثوث في ثنايا كتابه.

٢٢ ـ كما ذكر في كتابه البيان والتبيين صحيفة بشر بن المعتمر، وهي صحيفة تحتوي على مسائل بلاغية عدة، وهذا هو نص الصحيفة:

«خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهراً، وأشرف حسباً وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطاء، وأجلب لكل عين وغُرة، من لفظ شريف ومعنى بديع، وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومُك إلا طول، بالكد والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة، ومهما أخطأك لم يخطئك أن

(١) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون(٤/ ١٠٥ ـ ١١٢).

رفع المسهم

يكون مقبولاً قصداً، وخفيفاً على اللسان سهلاً، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه، وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنها، وعما تعود من أجله أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما، فكن في ثلاث منازل: فإن أولى المنازل أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال، وكذلك اللفظ العامي والخاصي، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام».

ويستطرد الجاحظ في التعليق على ما سبق، ممتدحاً بلاغة الكتاب، ثم يستأنف قائلاً: «قال بشر: فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يعبك بترك ذلك أحد. فإن أنت تكلفتهما ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك، بصيراً بما عليك ومالك، عابك من أنت أقل عيباً منه، ورأى من هو دونك أنه فوقك. فإن ابتليت بأن تتكلف القول، وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة، وتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجر، ودعه

رفع
المسهم
عبد الله بن علي الملا

بياض يومك وسواد ليلك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة، إن كانت هناك طبيعة، أو جريت من الصناعة على عِرق.

فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض، ومن غير طول إهمال، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب، والشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة، كما تجود به مع الشهوة والمحبة. فهذا هذا».

«وقال: ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات. فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحن، وبها أشغف، ولأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء. وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف، وقدوة لكل تابع. ولذلك قالوا العرض والجوهر، وأيس وليس، وفرقوا بين البطلان والتلاشي، وذكروا الهذية والهوية والماهية وأشباه ذلك. وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب، وتلك الأوزان بتلك الأسماء، كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل وأشباه ذلك. . .»[1].

---

(١) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون(١/ ١٣٥ ـ ١٣٩).

وقد يتوقف الجاحظ أحياناً عند ذكر كلام بشر شارحاً أو ممثلاً أو مستطرداً، وقد تأثر بهذه الصحيفة، لذا «نراه يطيل الوقوف عند ما أثاره بشر بن المعتمر من صفات الألفاظ والمعاني ووجوب مطابقة الكلام لسامعيه»(١).

ولدى تحليل صحيفة بشر نجد أنها احتوت الكثير من الوصايا، منها الآتي:

أ ـ تأكيد العلاقة بين الزمن والإبداع.

ب ـ حسن الاستعداد للكلام.

ج ـ التحذير من التوعر والتعقيد في الأسلوب.

د ـ ما ينبغي أن يتوفر في الكلام من الجمال والإمتاع.

هـ ـ ضرورة الملاءمة التامة بين الألفاظ والمعاني.

و ـ تحديد منازل ثلاث للمتكلم، وعلى البليغ أن يجد نفسه في واحدة منها. الأولى: منزلة البليغ التام. والثانية: المتكلف الذي يمكن أن يجيد مع التأني. والثالثة من يتكلف وهو لا يجيد وليس لديه موهبة، وعليه أن يتحول من صناعة الأدب إلى غيرها.

ز ـ التحذير من العناء والتكلف في تعاطي صنعة الكلام.

ح ـ وجوب أن تكون الصنعة عن موهبة وهواية في النفس.

ط ـ ضرورة الملاءمة بين الكلام وطبقات السامعين وأحوالهم.

وبالجملة فهذه الصحيفة احتوت أسس المسائل البلاغية، وعنها يقول الدكتور شوقي ضيف: «إن خير ما أثر عن المعتزلة في البلاغة حتى أوائل القرن الثالث صحيفة بشر»(٢).

٢٣ ـ ذكر الجاحظ خصائص البيان النبوي، ولعله أول من عرض لهذا الموضوع في تراث العرب بهذه الدقة والتفصيل والتحليل، قال: «وأنا ذاكر بعد هذا فناً آخر من كلامه ـ ﷺ ـ، وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٤٦).

(٢) المرجع السابق، ص (٤١).

رفع المسـتهمل

معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونُـزِّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]. فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة، وشُيد بالتأييد، ويُسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشَّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حُسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقِلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخطبَ الطوال بالكلم القِصار، ولا يلتمس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلجَ إلا بالحق، ولا يستعينُ بالخِلابة، ولا يستعملُ المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يُبطئ ولا يَعجل، ولا يُسهب ولا يَحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمَّ نفعاً، ولا أقصدَ لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجملَ مذهباً، ولا أحسنَ موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبينَ في فحوى، من كلامه ﷺ كثيراً»[١].

٢٤ ـ يرى الجاحظ أن البديع خاص بلغة العرب، وهو سر تميزها وتفوقها، يقول: «والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان، والراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار»[٢]. ولا بد أن نميز مصطلح البديع هنا كما يقول الدكتور عبد العزيز العتيق، فكلمة «بديع عنده تعني الصور والمحسنات اللفظية والمعنوية، وإن كان لم يوضحها توضيحاً دقيقاً، ومع تعرضه لبعض أنواع البديع فإنه لم يحاول وضع تعريفات ومصطلحات لها، لأن اهتمامه عند الكلام عنها كان بتقديم الأمثلة والنماذج لا بوضع القواعد»[٣].

---

(١) البيان والتبيين، (٢/ ١٧ ـ ١٨).

(٢) المصدر السابق، (٤/ ٥٥ ـ ٥٦).

(٣) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ص (١١)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.

٢٥- وفي خبرٍ عابرٍ يسوقه الجاحظ، يتبين من فحواه تأثير الحالة النفسية على جودة الشعر، قال: «قيل لأعرابي: مابالُ المراثي أجودَ أشعاركم؟ قال: لأنا نقول وأكبادُنا تحترق!»[١].

٢٦ ـ أشار الجاحظ إلى ضرورة مراعاة الحالة النفسية لدى السامعين، فهو ينقل عن عبد الله بن مسعود قوله: «حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك»[٢].

٢٧ ـ ذكر الجاحظ أهمية تنقيح الشعر، فقال: «وكان زهير بن أبي سلمى، وهو أحد الثلاثة المتقدمين، يسمي كبار قصائده: الحوليات. وقال نوح بن جرير: خير الشعر الحولي المنقح»[٣].

٢٨ ـ خص باباً لمزدوج الكلام، وذكر من أمثلته: قول النبي - ﷺ - في معاوية: (اللهم علمه الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب)[٤].

٢٩ ـ ذم تكلفَ البلاغة، فقال: «وهم يذمون الحصر، ويؤنبون العيي، فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء، وتعاطيا مناظرة البلغاء، تضاعف عليهما الذم، وترادف عليهما التأنيب»[٥].

٣٠ ـ أشار إلى طائفة من عيوب الكلام عند المتكلمين، ووازن بينها، قال: «وليس اللجلاج، والتمتام، والألثغ، والفأفاء، وذو الحُبسة والحُكلة والرُّتة[٦]، وذو اللفَف[٧] والعجلة، في سبيلِ الحصر في خطبته، والعيي في مناضلة خصومه، كما أن سبيل المفحم عند الشعراء، والبكيء عند الخطباء، خلاف سبيل المسهب الثرثار، والخطِل المكثار. ثم اعلم ـ أبقاك الله ـ أن

---

(١) البيان والتبيين، (٢/ ٣٢٠).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١٠٤).

(٣) المصدر السابق، (١/ ٢٠٤).

(٤) المصدر السابق (٢/ ١١٦).

(٥) المصدر السابق (١/ ١٢).

(٦) الحكلة: شبه العجمة، لا يبين صاحبها الكلام. والرتة: عجلة في الكلام وقلة أناة.

(٧) رجل ألف: أي بطيء الكلام، إذا تكلم ملأ لسانه فمه.

رفع المسهم

صاحب التشدق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء، مع سماحة التكلف، وشُنعة التزيد، أعذرُ من عيي يتكلف الخطابة، ومن حَصر يتعرض لأهل الاعتياد والدربة، ومدار اللائمة، ومستقر المذمة، حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف، وبياناً يمازجه التزيد، إلا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرِب التام، أقبح من تعاطي الخطيب، وتشادق الأعرابي القُح»[1].

٣١ ـ بين أن البلاغة تكون في إيفاء القصد وفق قواعد العرب، قال: «والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين، قصده ومعناه، بالكلام الملحون، والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقه أنه محكوم بالبلاغة. . . فمن زعم أن البلاغة أن يكون السائلُ يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة، واللُّكنة، والخطأ، والصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمعرب، كله سواء، وكله بياناً، وكيف يكون ذلك كله بياناً؟ ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه الفاسد من الكلام، لما عرفه، ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا، وأهل هذه اللغة، وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم، كما لا يعرفون رطانة الرومي والصَّقلبي، وإن كان هذا الاسم إنما يستحقونه، بأنا نفهم عنهم كثيراً من حوائجهم، فنحن قد نفهم بجَمحة الفرس كثيراً من حاجاته، ونفهم بضُغاء السنور كثيراً من إرادته، وكذلك الكلب، والحمار، والصبي الرضيع. وإنما عنى العتابي إفهامك العربَ حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء»[2].

٣٢ ـ ولعل أهم ما فعله الجاحظ هو دفاعه عن البلاغة العربية والبيان العربي في دحضه شبهات الشعوبية ونقدها لتراث العرب، وهو يورد شبهاتهم ويناقشها ويدفعها بالحجة والبرهان، من ذلك ما نقله عنهم بصدد البلاغة والآداب: «قالوا ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحر في اللغة، فليقرأ كتاب كارْوَنْد، ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب

---

(١) البيان والتبيين، (١/ ١٢ ـ ١٣).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١٦١ ـ ١٦٢).

رفع عبد الرحمن النجدي المسلم

والعبر والمَثُلات، والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة، فلينظر في سير الملوك، فهذه الفرس ورسائلها، وخطبها، وألفاظها، ومعانيها. وهذه يونان ورسائلها، وخطبها، وعِللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة، والخطأ من الصواب، وهذه كتب الهند في حِكمها وأسرارها، وسيَرها وعللها، فمن قرأ هذه الكتب، وعرف غور تلك العقول، وغرائب تلك الحكم، عرف أين البيان والبلاغة، وأين تكاملت تلك الصناعة»[١].

ويجيب الجاحظ على قول الشعوبية مفنداً أقوالها بالتحليل والمناقشة المستنيرة الواعية: «وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس، فأما الهند فإنما لهم معان مدونة، وكتب مخلدة، لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلى عالم موصوف، وإنما هي كتب متوارثة، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة. ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه بكيَّ اللسان، وغيرَ موصوف بالبيان، مع علمه بتعبير الكلام، وتفصيله ومعانيه، وبخصائصه، وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق، ولا يذكروه بالخطابة، ولا بهذا الجنس من البلاغة، وفي الفرس خطباء، إلا أن كل كلام للفرس، وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة، وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفِكر عند آخرهم. وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالاً، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيده على نفسه، ولا يدرسه أحداً من ولده، وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد

---

(١) البيان والتبيين، (٣/ ١٤).

رفع
المسـتهـم
عبدالله بن علي بن الله

عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ، ويحتاجوا إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد، ولا تحفظ ولا طلب، وإن شيئاً هذا الذي في أيدينا جزء منه، لبالمقدار الذي لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب، وعدد التراب، وهو الله الذي يحيط بما كان، وعلام بما سيكون.

ونحن ـ أبقاك الله ـ إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة، من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان، أن يقول مثل ذلك إلا اليسير، والنبذ القليل.

ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي بأيدي الناس للفرس، أنها صحيحة غير مصنوعة، وقديمة غير مولدة، إذ كان مثل ابن المقفع، وسهل بن هارون، وأبي عبيد الله، وعبد الحميد، وغيلان، يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل، ويصنعوا مثل تلك السير.

وأخرى، أنك متى أخذت بيد الشعوبي، فأدخلته بلاد الأعراب الخلص، ومعدن الفصاحة التامة، ووقفته على شاعر مفلق، أو خطيب مِصقع، علم أن الذي قلت هو الحق، وأبصر الشاهد عياناً، فهذا فرق ما بيننا وبينهم»[1].

نلاحظ أن الجاحظ قد فند دعاوى الشعوبية، وبين الفرق بين بلاغة العرب وآدابها من جهة، وبين بلاغة الفرس والهند واليونان من جهة ثانية، وأقام منهجاً عملياً بدعوة الشعوبي إلى الجلوس مع العرب الخلص وجهاً لوجه، ليكتشف صدق ما ذهب إليه الجاحظ، وهذا منهج علمي تجريبي يمكن استخدامه في

---

(١) المصدر السابق، (٣/ ٢٧ ـ ٢٩).

العلوم النظرية، وربما يكون الجاحظ أول من سبق إليه.

٣٣ - وقد أوجز الدكتور عبد العزيز العتيق قيمة كتاب البيان والتبيين البلاغية في قوله: «وقد حفظ لنا كتاب البيان والتبيين للجاحظ قدراً كبيراً من ملاحظات المعتزلة المتصلة بالبلاغة العربية، وهذه قد استقوها من مصدرين هما: التقاليد العربية، والثقافات الأجنبية التي شاعت في عصرهم واطلعوا عليها»[١].

وأجمل القول في دور الجاحظ في تأسيس علم البلاغة العربية، فقال: «ومجمل القول في الجاحظ من جهة البلاغة أنه ألم في كتبه بالأساليب البيانية من: تشبيه واستعارة وكناية وحقيقة ومجاز، ولكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وإنما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج، لا عن طريق القواعد البلاغية. والمقارنة بينه وبين من تقدموه تظهر أنه كان بلا شك أقدرهم على إدراك أسرار البلاغة، وأكثرهم اهتداء عن طريق النماذج إلى شتى العناصر أو الأساليب البيانية التي عرفت وحددت فيما بعد، وأصبحت تؤلف مباحث البلاغة وموضوعاتها، ولهذا يعد بحق مؤسس البلاغة العربية الأول، ومعبد الطريق أمام من أتى من بعده من رجالها»[٢].

٣٤ - ويلخص الدكتور شوقي ضيف جهود الجاحظ وأهم إنجازاته فيقول: «وأكبر معتزلي عني بمسائل البيان والبلاغة: الجاحظ صاحب كتاب البيان والتبيين، ونراه يتخذ من صحيفة بشر بن المعتمر منارة تهديه الحديث في قواعد البيان، سواء من حيث ملاءمة الكلام لمعانيه، ومن يوجه إليهم من طبقات المستمعين: متكلمين أو بدواً أو عامة. أو من حيث جمال الألفاظ ورصانتها ورشاقتها، مما جعله يطيل الكلام في مواطن الإيجاز والإطناب، وفي مخارج الحروف وتنافرها في الكلمات، وتنافر الكلمات في نفسها. ونراه في البيان والتبيين يشير إلى: السجع والازدواج والاقتباس والتقسيم واللغز والأسلوب الحكيم، والاحتراس، والهزل يراد به الجد، والاعتراض والتعريض والكناية

(١) علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ص (٩) دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.
(٢) المرجع السابق، ص (١١).

رفع المسـاهم

والاستعارة، ويمتلسى كتابه الحيوان بإشارات دقيقة إلى: الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والمثل والكناية. وكرر الحديث عن البديع المستطرف، ونفذ إلى ما سماه المذهب الكلامي، وعرض للسرقات، وهو يعد بحق مؤسس البلاغة العربية»[1].

٣٥ ـ ويشير الأستاذ نعيم الحمصي إلى خلاصة موقف الجاحظ من مسألة الإعجاز، فيقول: «ونرى الجاحظ يعتقد بالإعجاز، ويذكر أن العرب على بلاغتهم عجزوا عن معارضة القرآن أيام صاحب الرسالة، وذلك في كلام طويل يشرح فيه كيف قامت المشادة بين النبي والعرب بعد أن تحداهم الرسول - ﷺ - أن يأتوا بمثل القرآن، ويذكر له ما يدل على أن إدراك العرب لبلاغة القرآن المعجزة وقصورهم عنها كان بالذوق والشعور النفسي الداخلي، وأن هذا القصور دليل على الإعجاز»[2].

تلك كانت معالم بارزة وقفنا عندها لدى دراسة الجاحظ، وهذا غيض من فيض، والإحاطة بما قدمه أبو عثمان للبيان العربي تحتاج إلى مجلدات، وما لا يدرك كله لا يترك قُلُّه.

❑ ❑ ❑

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٦٩).

(٢) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، ص (٥٥).

رفع
المسلم
عبد الله البخاري

المبحث الثاني

مدرسة الباقلاني المؤسس الثاني للإعجاز

الإمام الباقلاني من أعلام القرن الرابع الهجري، وقد أدرك بداية القرن الخامس الهجري، حيث كانت وفاته (٤٠٣ هـ)[١]، وهو علم الدراسات في إعجاز القرآن الكريم بلا منازع، وسنتناول جهوده من خلال الأمور الآتية:

١ ـ وضع الباقلاني قائمة كبيرة من الكتب، وأهمها كتاب (إعجاز القرآن) وعنه يقول محققه الأستاذ السيد أحمد صقر: «.. وهو أول كتب الباقلاني نشراً، وأشهرها ذكراً، وهو أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم، وإن كره ذلك بعض المتعصبين على المعهد العتيق»[٢].

وتتكون موضوعات كتاب (إعجاز القرآن) من الآتي[٣]:

٢ ـ مقدمة: ذكر فيها الحاجة إلى التأليف في الإعجاز، وقد جاء فيها: «ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه، وأولى ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قواماً، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً، وعلى صدق نبيهم ﷺ برهاناً، ولمعجزته ثبتاً وحجة، ولا سيما أن الجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستول على الآفاق، والعلم إلى عفاء ودروس، وعلى خفاء وطموس، وأهله

---

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاض، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد. (٣٣٨ ـ ٤٠٣هـ = ٩٥٠ ـ ١٠١٣م). انظر: الأعلام، (٦/ ١٧٦).

(٢) إعجاز القرآن، مقدمة التحقيق ص (٦٧).

(٣) انظر: إعجاز القرآن، مقدمة التحقيق ص (٦٧ ـ ٨٩)، وفهرس موضوعات الكتاب ص (٣٨١ ـ ٣٩٣).

رفع المسـتهم

في جفوة الزمن البهيم، يقاسون من عبوسه لقاء الأسد الشتيم، حتى صار ما يكابدونه قاطعاً عن الواجب من سلوك مناهجه، والأخذ في سبله، فالناس بين رجلين: ذاهب عن الحق ذاهل عن الرشد، وآخر مصدود عن نصرته، مكدود في صنعته»[١].

يلي المقدمة مجموعة من الفصول يتخللها باب واحد، وذلك وفق الآتي: في البداية ذكر ثمانية فصول؛ تناولت مجموعة من الموضوعات، هي[٢]:

٣ ـ فصل: في أن نبوة محمد - ﷺ - معجزتها القرآن، وقد جاء في مطلعه: «الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن، أن نبوة نبينا ـ عليه السلام ـ بُنيت على هذه المعجزة، وإن كان قد أيد بمعجزات كثيرة، إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة، وأحوال خاصة... فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة، عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد»[٣].

٤ ـ فصل: في بيان وجه الدلالة على كون القرآن معجزاً، ومما جاء فيه: «إنه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله، وقرعهم على ترك الإتيان به، طول السنين التي وصفناها، فلم يأتوا بذلك، وهذا أصل ثان، والذي يدل على هذا الأصل، أنا قد علمنا أن ذلك مذكور في القرآن في المواضع الكثيرة، كقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ ـ ٢٤]. وكقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ ـ ١٤] فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه، ودليلاً على وحدانيته»[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص (٣ ـ ٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٨ ـ ١٥٤).

(٣) المصدر السابق، ص (٨).

(٤) المصدر السابق. ص (١٧).

رفع
المسلمون

٥ ـ فصل: في جملة وجوه إعجاز القرآن، وهي ثلاثة، قال الباقلاني: «ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز: أحدها يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه، فمن ذلك: ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام، أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ففعل ذلك»[١].

٦ ـ ينتقل بعد ذلك إلى الوجه من الإعجاز، وهو يتعلق بأمية النبي ﷺ، فكيف يتأتى لأمي أن يأتي بهذا الكتاب! يقول: «والوجه الثاني: أنه كان معلوماً من حال النبي ﷺ أنه كان أمياً لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين، وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه ... ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار وحملة الأخبار، ولا متردداً إلى التعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ ـ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه ـ علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، وقد بينا أن من كان يختلف إلى تعلم علم، ويشتغل بملابسة أهل صنعة، لم يخف على الناس أمره، ولم يشتبه مذهبه»[٢].

٧ ـ وأهم الوجوه هو الوجه الثالث الذي يتعلق بالفصاحة والبلاغة والنظم، وقد ذكره العلماء جملة، ويحاول الباقلاني أن يفصل القول فيه، فيذكر عشرة معانٍ للإعجاز، أولها خروج القرآن عن المعهود من أساليب العرب، يقول:

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٣).

(٢) المصدر السابق ص (٣٤ ـ ٣٥).

«والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه، والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة، ونحن نفصل في ذلك بعض التفصيل، ونكشف الجملة التي أطلقوها، فالذي يشتمل على بديع نظمه، المتضمن للإعجاز وجوه: منها: ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد»[(١)].

ثم يضيف الباقلاني: في ذكر بقية الوجوه، فيذكر خلو كلام العرب مما يوازي قدر القرآن بهذه الفصاحة، يقول: «ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر»[(٢)].

ويشير الباقلاني إلى الانسجام في الأسلوب القرآني، يقول: «وفي ذلك معنى ثالث: وهو أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام...»[(٣)].

ويذكر استمرار القرآن على نسق واحد من البلاغة في شتى الموضوعات والأحوال، يقول: «ومعنى رابع: وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل، والعلو والنزول، والتقريب والتبعيد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع... ونبين أن القرآن على اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة،

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٥).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٦).

(٣) المصدر السابق نفسه.

يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة، ويتجاوز العرف»[1].

ويذكر خروج القرآن عن مقدرة الجن كما الإنس، يقول: «ومعنى خامس: وهو أن نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن، كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا، وقد قال الله عز وجل:

[الإسراء: 88]»[2].

ويوضح الباقلاني اشتمال القرآن على جميع أنواع الخطاب، يقول: «ومعنى سادس: وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب، من البسط والاقتصار، والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح، والتجوز والتحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم، موجودة في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم، في الفصاحة والإبداع والبلاغة»[3].

ويذكر ابتكار القرآن لمعانٍ جديدة بألفاظ متخيرة، وهو أصعب من استعمال الألفاظ الدارجة لمعانٍ متداولة، يقول: «ومعنى سابع: وهو أن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام، والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة، مما يتعذر على البشر ويمتنع، وذلك أنه قد عُلم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، والأسباب الدائرة بين الناس، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستحدثة»[4].

ويشيد بظهور جمال الكلمة من القرآن، وتميزها على غيرها إذا أدرجت بين

---

(1) المصدر السابق، ص (38).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق، ص (42).

(4) المصدر السابق، ص (42).

الكلام، يقول: «ومعنى ثامن: وهو أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف الكلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الأسماع، وتتشوف إليها النفوس، ويرى وجه رونقها بادياً غامراً سائر ما تُقرن به، كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد، وأنت ترى الكلمة من القرآن يُتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جميعه، وواسطة عقده، والمنادي على نفسه بتميزه وتخصصه، برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه، وهذا الفصل أيضاً مما يحتاج فيه إلى تفصيل وشرح ونص، ليتحقق ما ادعيناه منه»[١].

ويوضح الإعجاز بالحروف المفتتح بها في أوائل السور، فيقول: «ومعنى تاسع وهو أن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً، ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم، والذي تنقسم إليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية، وبنوا عليها وجوهها أقسام، نحن ذاكروها: فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة، وأخرى مجهورة... وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور، وكذلك نصف المجهورة على السواء، لا زيادة ولا نقصان»[٢].

ويذكر سهولة الأسلوب القرآني وتوسطه، فيقول: «ومعنى عاشر: وهو أنه سهل سبيله، فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريباً إلى الأفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٢ ـ ٤٣).
(٢) المصدر السابق، ص (٤٤).

رفع المسلم

المتناول، غير مُطمع مع قربه في نفسه، ولا مُوهم مع دنوه في موقعه أن يُقدر عليه، أو يُظفر به»[1].

بعد ذلك ينتقل الباقلاني إلى فصل جديد وهو:

٨ ـ فصل: في شرح ما بينا من وجوه الإعجاز المتقدمة، وفيه شرح الباقلاني الوجوه الثلاثة للإعجاز بإيجاز.

٩ ـ فصل: في نفي الشعر من القرآن، وفيه يفند الباقلاني دعاوى من قال إن: في القرآن شعراً. لأن القرآن لو كان شعراً لبادروا لمعارضته، وما جاء على وزن بيت شعر لا يكون شعراً، وأقل الشعر بيتان فصاعداً، شريطة أن لا يختلف وزنهما وقافيتهما.

١٠ـ فصل: في نفي السجع من القرآن إذ «لو كان القرآن سجعاً، لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز»[2].

١١ ـ فصل: في ذكر البديع من الكلام، وفي هذا الفصل يذكر الباقلاني أنواعاً من البديع في كلام العرب مع شواهد لها من القرآن الكريم، والبديع هنا يشتمل على: الاستعارة والتشبيه والغلو والإفراط في الصفة، والمماثلة أو التمثيل كما سماه قدامة، والمطابقة والتجنيس، والموازنة والمساواة، والإشارة والمبالغة والغلو، والإيغال والتوشيح، وصحة التقسيم وصحة التفسير، والتكميل والتتميم وغير ذلك... ليقرر في النهاية: «أنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه، وذلك أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له كقول الشعر، ورصف الخطب، وصناعة الرسالة، والحذق في البلاغة، وله طريق يُسلك، ووجه يقصد، وسُلم يرتقى فيه إليه، ومثال قد يقع طالبه عليه»[3].

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٦).
(٢) المصدر السابق، ص (٥٧).
(٣) المصدر السابق، ص (١١١).

رفع المسأهم

١٢- فصل: في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن، وهو هنا يتكلم بحسب أحوال الناس، فهناك العجمي الذي لا يعرف العربية، وهذا لا بد أن يقر بالإعجاز طالما أن العرب وهم أهل اللغة قد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن. وهنالك العربي العامي الذي ليس على اطلاع لغوي وبلاغي، وليس لديه آلة البحث والعلم والذوق، وهذا سبيله سبيل الأعجمي، فليس أمامه سوى الإقرار والإذعان. وهنالك أهل العلم والخبرة والمعرفة، وهؤلاء لا يخفى عليهم الإعجاز، فهم يعرفون أقدار الكلام، ويميزون بين المعجز وغيره، يقول الباقلاني في مطلع هذا الفصل: «قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية، من العجم والترك وغيرهم، أن يعرفوا إعجاز القرآن إلا بأن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك، فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تُحدوا إلى أن يأتوا بمثله، وقُرعوا على ترك الإتيان بمثله، ولم يأتوا، تبين أنهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل ذلك اللسان، فهم عنه أعجز. وكذلك نقول: إن كان من أهل اللسان العربي، إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام، ووجوه تصرف اللغة، وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره، فهو كالأعجمي: في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن، إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره، وهو ومن ليس من أهل اللسان، سواء. فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي، ووقف على طرقها ومذاهبها، فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوسع، ويتجاوز حدود القدرة، فليس يخفى عليه إعجاز القرآن، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر، وكما يميز بين الشعر الجيد والرديء، والفصيح والبديع، والنادر والبارع والغريب»[1].

وفي هذا الفصل يتناول الباقلاني مذاهب العرب في تفاضل البلغاء، ثم يعرض بعض الخطب للنبي - -، ويذكر بعض الخطب للخلفاء الراشدين، وبعض كتبهم وعهودهم، ويذكر شيئاً من ذلك لغيرهم من الصحابة، ويذكر

(١) المصدر السابق، ص (١١٣).

خطبة قس بن ساعدة وأخرى لأبي طالب، وذلك ليعرف القارئ الفرق بين هذه الأساليب النثرية من كلام الآدميين، وكلام رب العالمين المعجز، فإذا لم يعرف الفرق فلا بد له من التقليد في هذا الأمر، لأنه من جملة العامة التي لا تعرف أسرار العربية.

١٣ ـ بعد ذلك ينتقل الباقلاني إلى باب وحيد في كتابه جاء بعد الفصول السابقة، وهو تحت عنوان (باب)، وقد جاء هذا الباب في بيان ما إذا كان الشعر أفصح من الخطب وأبرع من الرسائل، فيحتاج إلى الموازنة بين نظمه وبين القرآن، أو أن النثر يتأتى فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأتى في الشعر، ثم نقد بعض القصائد الكثيرة لبيان عظيم شأن القرآن[١].

١٤ ـ وهذا الباب مليء بالقضايا النقدية والجدل، مما يمكن أن يكون موضع بحث وحوار، وسنورد بعض القضايا التي عرض لها، في البداية ذكر كلاماً لمسيلمة، وقال: «وإنما نقلنا منه طرفاً ليتعجب القارئ، وليتبصر الناظر، فإنه على سخافته قد أضل، وعلى ركاكته قد أزل، وميدان الجهل واسعٌ، ومن نظر فيما نقلناه عنه، وفهم موضع جهله، كان جديراً أن يحمد الله على ما رزقه من فهم، وآتاه من علم»[٢].

١٥ ـ بعد ذلك ينتقل إلى نقد بعض القصائد، ومنها معلقة امرئ القيس، وقد أشاد بامرئ القيس، فقال: «وأنت لا تشك في جودة شعر امرئ القيس، ولا ترتاب في براعته، ولا تتوقف في فصاحته، وتعلم أنه قد أبدع في طرق الشعر أموراً اتبع فيها». ثم يقول: «ونظم القرآن جنسٌ متميز، وأسلوب متخصص، وقَبيلٌ عن النظير مُتخلص، فإذا شئت أن تعرف عظم شأنه، فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في أجود أشعاره، وما نبين لك من عواره على التفصيل»[٣].

---

(١) انظر: إعجاز القرآن، ص (١٥٥ ـ ٢٤٩).

(٢) المصدر السابق، ص (١٥٦).

(٣) المصدر السابق، ص (١٥٩).

رفع المسلم

ويبدأ بعد هذا بذكر النماذج الشعرية وتحليلها، ومن ذلك قول امرئ القيس:

كـدأبـكَ مـن أم الحـويـرثِ قبلهـا وجـارتِهـا أمِّ الـربـــاب بمأسَلِ
إذا قـامتـا تضـوَّعَ المسـكُ منهمـا نسيـمَ الصَّبـا جـاءتْ بـريَّا القَـرَنْفُلِ

قال: «أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة، ليس له مع ذلك بهجة، فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ، وإن كان منزوع المعنى، وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله:

إذا قامتا تضوع المسك منهما

ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيباً على كل حال، فأما في حال القيام فقط فذلك تقصير!! ثم فيه خلل آخر: لأنه بعد أن شبه عرفها بالمسك، شبه ذلك بنسيم القرنفل، وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص، وقوله: (نسيم الصبا) في تقدير المنقطع عن المصراع الأول، لم يصله به وصْلَ مثلِهِ»[1].

١٦ ـ ويمضي في نقده بعض أبيات المعلقة، ثم يقول: «وهذا القدر يكفي في كتابنا، ولم نحب أن ننسخ لك ما سطره الأدباء في خطأ امرئ القيس في العروض والنحو والمعاني، وما عابوه عليه في أشعاره، وتكلموا به على ديوانه، لأن ذلك أيضاً خارج عن غرض كتابنا، ومجانب لمقصوده . . . فأما نهج القرآن ونظمه، وتأليفه ورصفه، فإن العقول تتيه من جهته، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض، وتستولي به على الأمد، وتصل به إلى المقصد، وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس، وتتيقن تناهي بلاغته كما تتيقن الفجر، وأقرب عليك الغامض، وأسهل لك العسير»[2].

وبعد أن يذكر نماذج كثيرة من آيات القرآن الكريم، مقرراً ما فيها من إعجاز

---

(١) المصدر السابق، ص(١٦٢ ـ ١٦٣).
(٢) المصدر السابق، ص(١٨٣ ـ ١٨٤).

رفع المسـاهم

وجمال، يصرح بأن «الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لأضل من حمار باهلة، وأحمق من هبنقة»[١].

١٧ ـ وبين الباقلاني أن جنس الشعر عامة، رديئه وجيده، لا يصح موازنته بالقرآن، وأن تخلف شعر امرئ القيس عن ذلك يستلزم تخلف شعر غيره، وأن الجيد من الأشعار إنما يعدل بمثله، لا بالقرآن، وأن الشعراء يغير بعضهم على بعض.

١٨ ـ وقد نقد الباقلاني لامية البحتري التي تعتبر أجود شعره، ومطلعها:

أهـلاً بـذلكـم الخيـال المقبـلِ فعـل الـذي نهـواه أم لـم يفعـلِ

وقال عن هذا البيت: «في قوله: (ذلكم الخيال) ثقل روح، وتطويل وحشو، وغيره أصلح له، وأخف منه قول الصنوبري:

أهـلاً بـذاك الـزور مـن زَور شمـس بـدت فـي فلـك الـدَّوْرِ

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف، فيصير إلى الكزازة، وتعود ملاحته بذلك ملوحة، وفصاحته عياً، وبراعته تكلفاً، وسلاسته تعسفاً، وملاسته تلوياً وتعقداً»[٢].

ويمضي فيحلل وينقد القصيدة، وقد قال بعد نقده لأبيات منها: «وإنما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحتري، لأن الكتاب يفضلونه على أهل دهره، ويقدمونه على من في عصره، ومنهم من يدعي له الإعجاز غلواً، ويزعم أن يُناغي النجم في قدره علواً، والملحدة تستظهر بشعره، وتتكثر بقوله، وترى كلامه من شبهاتهم، وعباراته مضافة إلى ما عندهم من تُرهاتهم، فبينا قدر درجته، وموضع مرتبته، وحد كلامه، وهيهات أن يكون المطموع فيه كالمأيوس منه، وأن يكون الليل كالنهار، والباطل كالحق، وكلام رب العالمين ككلام البشر»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص (٢١١).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٢٠).

(٣) المصدر السابق، ص (٢٤٥).

١٩ ـ ويبين الباقلاني أن الغرض من تصنيفه هذا الكتاب هو الكشف عن إعجاز القرآن، وليس الرد على مطاعن الملاحدة، ويرد على من يزعم أن سلامة بعض الكلام من العيوب، وبلوغه الأمد في الفصاحة والنظم العجيب يقتضي إعجازه، وينقد أسلوب الجاحظ وطريقته، ويبين أن متأخري الكتاب مثل ابن العميد قد نازعه فيها، وساواه أو تقدم عليه. ثم يقرر أن ليس بمقدور بشر معارضة القرآن بحال، يقول: «فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده، لكثرت المعارضات، ودامت المنافسات، فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها، وجوالب لا حد لكثرتها، لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا على تكذيبه، ثم إلى قطع المحامين دونه عنه، أو تنفيرهم عليه، وإدخال الشبهات على قلوبهم، وكان القوم يكفون بذلك عن بذل النفوس، ونصب الأرواح، والإخطار بالأموال والذراري، في وجه عداوته، ويستغنون بكلام ـ هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم ـ عن محاربته، وطول مناقشته ومجاذبته»[١].

٢٠ ـ يعقب هذا الباب ذكر تسعة فصول تناولت مجموعة من الموضوعات[٢]، وفق الآتي: فصل: في الرد على من زعم أن عجز أهل عصر النبوة عن معارضة القرآن والإتيان بمثله لا يستلزم عجز أهل الأعصر التالية، ويقرر في الإجابة طرقاً، منها: «أنا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله، فمن بعدهم أعجز، لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفنون فيه من القول، مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم، وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم، فأما أن يتقدموهم ويسبقوهم فلا».

٢١ ـ فصل: في التحدي، وفيه يبين الباقلاني أن التحدي قد يكون ضرورياً في معرفة كون القرآن معجزاً، وقد يكون استدلالياً، وقد قال في مقدمة الفصل: «يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء، أن: يدعو فيها أنها دلالتهم وآياتهم، لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتى دلالة، ويؤيد

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢) انظر: إعجاز القرآن، ص (٢٥٠ ـ ٣٠٠).

بآية، لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته، ولا بقول نفسه، ولا بشيء آخر سوى البرهان الذي يظهر عليه، فيستدل بها على صدقه، فإذا ذكر لهم أن هذه آيتي، وكانوا عاجزين عنها، صح له ما ادعاه»[١].

٢٢ ـ فصل: في قدر المعجز من القرآن، وبيان الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في ذلك. وقد اختار الباقلاني مذهب الأشعري، واستدل له، ودفع ما يرد عليه، يقول الباقلاني: «الذي ذهب إليه عامة أصحابنا، وهو قول الشيخ أبي الحسن الأشعري في كتبه، أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة، قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها.

قال: فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة، وإن كانت سورة الكوثر فذلك معجز.

قال: ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر.

وذهبت المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة.

وقد حُكي عنهم نحو قولنا، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة، بل شرط الآيات الكثيرة.

وقد علمنا أنه تحداهم تحدياً إلى السور كلها، ولم يخص، ولم يأتوا لشيء منها بمثل، فعلم أن جميع ذلك معجز»[٢].

ثم بين الباقلاني أن زعم الملاحدة أنه لا يقع العجز عن الإتيان بسورة قصيرة أو آيات بقدرها يخالفه الواقع، ولا يستقيم مع زعمهم أن ليس في القرآن كله إعجاز.

٢٣ ـ فصل: في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة؟ يقول: «ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك عن النبي ـ ﷺ ـ يُعلم ضرورة، وكونه معجزاً يُعلم باستدلال. وهذا المذهب محكي عن المخالفين، والذي نقوله في هذا إن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً، وكذلك من لم يكن

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٥١).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٥٤).

بليغاً، فأما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة، فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الإتيان بمثله»[1].

٢٤ ـ فصل: فيما يتعلق به الإعجاز، يقول: «إن قال قائل: بينوا لنا ما الذي وقع التحدي إليه؟ أهو الحروف المنظومة؟ أو الكلام القائم بالذات؟ أو غير ذلك؟ قيل: الذي تحداهم به: أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها، ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له»[2].

٢٥ ـ فصل: في وصف وجوه من البلاغة، وهو في هذا الفصل ينقل عن الرماني دون أن يسميه، فيقول: «ذكر بعض أهل الأدب والكلام، أن البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان»[3].

ويشرع بالتفصيل لهذه الوجوه من خلال القرآن، معتمداً على ما قاله الرماني، فيقول: «فأما الإيجاز، فإنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمور كثيرة، وبذلك ينقسم إلى حذف، وقصر: فالحذف: الإسقاط للتخفيف، كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١]. وحذف الجواب كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]. كأنه قيل: لكان هذا القرآن. والحذف أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب.

والإيجاز بالقصر كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]. وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]. وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٥٩).
(٢) المصدر السابق، ص (٢٦٠).
(٣) المصدر السابق، ص (٢٦٢).

المسهم

والإطناب فيه بلاغة، فأما التطويل ففيه عيٌّ»[1].

والباقلاني يكتفي هنا بسرد الأمثلة من دون تحليل، وينقل عبارة الرماني بتصرف، وقد ختم هذا الفصل بما يصح أن يكون وجهاً للإعجاز من هذه الأقسام، فالمبالغة في المعنى، وتضمين المعاني، والفواصل، والتصرف في الاستعارة البديعة، والإيجاز والبسط، كل هذه يمكن أن يلتمس فيها الإعجاز، وكل ما لا يضبط حده، ولا يقدر قدره، كالاستعارة والبيان، يتعلق الإعجاز به، بخلاف المبالغة في اللفظ، وكل ما يمكن تعلمه، ويستدرك أخذه، كالسجع، والتجنيس والتطبيق، فلا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز بها.

وختم حديثه بمناقشة مسألة تعلم البيان، ومناقشة قدر المعجز، وقضية الإعجاز، وذكر هنا أنه لا يوجد شاعر أو ناثر، جميع كلامه عجيب شارد، مخالف لمألوف الطبع، وغير معروف سببه في التفصيل، وإن اتفق وقوع شيء من ذلك في كلامه.

٢٦ ـ فصل: في حقيقة المعجز، وفيه يذكر انفراد الله بالقدرة على المعجز الدال على صدق النبي، وأنه خارج عن عادة البشر، وينقل الباقلاني عن الأشاعرة أن الله تعالى يقدر على نظم هيئة أخرى تزيد على القرآن في الفصاحة، وينقل عن مخالفيهم أن بعض نظم القرآن يجوز أن يكون قد بلغ الرتبة التي لا مزيد عليها، ورده على ذلك.

٢٧ ـ فصل: في كلام النبي -ﷺ- وأمور تتصل بالإعجاز، وهنا يبين الباقلاني أن القرآن ليس من نظم النبي، وإن كان قادراً في الفصاحة، على مقدار لا يبلغه سواه من البشر، ودفع ما اعترض به على ذلك؛ من أن ابن مسعود اشتبه عليه الفصل بين المعوذتين وغيرهما من القرآن، كما اشتبه دعاء القنوت على أبي بن كعب، وبيان أن نحو ذلك إنما هو تخليط ملاحدة.

ثم يتعرض بعد ذلك للاختلاف في أول القرآن نزولاً وآخره، وأنه لا يلزم اختلاف أهل الملة في إعجاز القرآن عدم إعجازه، والرد على أبي هاشم

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٦٢ ـ ٢٦٣).

رفع المسلم

الجبائي في أن إعجاز القرآن إنما تحقق بسبب أن جبريل أنزله. ثم يعرض إلى بيان المذاهب في أن التأليف له نهاية أم لا.

٢٨ ـ فصل: «إن قيل: هل من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه؟ قيل لا بد من ذلك، لأنا إن لم نعلم أن النبي - ﷺ -، هو الذي أتى بالقرآن، وظهر ذلك من جهته، لم يمكن أن نستدل به على نبوته»[١].

٢٩ ـ فصل: وهو آخر فصول الكتاب، يبحث في بيان أن ما تقدم من الإبانة عن كون القرآن معجزاً كاف ومقنع مع وجازته، وأن الإسهاب في ذلك يكون نوعاً من العي الذي لا فائدة فيه. ويقول في هذا الفصل: «ولولا أن العقول تختلف، والأفهام تتباين، والمعارف تتفاضل، لم تحتج إلى ما تكلفنا، ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة، ولو اتفقوا فيها لم يجز أن يتفقوا في معرفة هذا الفن، أو يجتمعوا في الهداية لهذا العلم، لاتصاله بأسباب خفية، وتعلقه بعلوم غامضة الغور، بعيدة القعر، كثيرة المذاهب، قليلة الطلاب، ضعيفة الأصحاب»[٢].

٣٠ ـ بعد ذلك تأتي كلمة ختامية للباقلاني تضمنت وصف القرآن الكريم، وسرد أنواع البلاغة والبديع التي تحققت فيه، ثم وصف الشعر، والفرق بينهما[٣]. وقد ختم الباقلاني كتابه بقوله: «فاعلم ما عرفناك في كتابنا، وفرغ له قلبك، واجمع عليه لبك، ثم اعتصم بالله يهدك، وتوكل عليه يعنك، واسترشده يرشدك، وهو حسبي ونعم الوكيل»[٤].

٣١ ـ ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر رأي الرافعي في جهود الباقلاني، فقد قال عنه: «وجاء القاضي أبو بكر الباقلاني، فوضع كتابه المشهور (إعجاز القرآن) الذي أجمع المتأخرون بعده على أنه باب في الإعجاز على حدة»[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص(٢٩٨).
(٢) المصدر السابق، ص(٢٩٩).
(٣) انظر: إعجاز القرآن، ص(٣٠٠ ـ ٣٠٥).
(٤) المصدر السابق، ص(٣٠٥).
(٥) تاريخ آداب العرب، (٢/١٥٢).

رفع المسـاهم

ويضيف ناقداً لكتاب الباقلاني وتجربته: «على أن كتاب الباقلاني وإن كان فيه الجيد الكثير، وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له، إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره، ولم يتحاش وجهاً من التأليف لم يرضه هو من سواه، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ: (لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى). فإن مرجع الإعجاز فيه إلى الكلام، وإلى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول، ونوع وآخر من فنونه، وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل من النظم والنثر، ذهبت بأكثره وغمرت جملته، وعدها في محاسنه وهي من عيوبه. وكان الباقلاني ـ رحمه الله وأثابه ـ واسع الحيلة في العبارة، مبسوط اللسان إلى مدى بعيد، يذهب في ذلك مذهب الجاحظ، ومذهب مقلده ابن العميد، على بصر وتمكن وحسن تصرف»[1].

ولا يلبث الرافعي أن يعود للثناء على هذا الكتاب، فيقول: «على أن كتابه قد استبد بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز، واحتمل المؤنة فيه بجملتها من الكلام والعربية والبيان والنقد، ووفى بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل والأصول التي أوقع الكلام عليها، حتى عدوه الكتاب وحده، لا يشرك معه العلماء كتاباً آخر في خطره ومنزلته، وبعد غوره، وإحكام ترتيبه، وقوة حجته، وبسط عبارته، وتوثيق سرده، فانظر ما عسى أن يكون غيره مما سبقه أو تلاه»[2].

وكأن نقد الرافعي للباقلاني كان لينوه بشكل غير مباشر بما سيضيفه هو في هذا الميدان، فقد قال عقب ذلك: «وبالجملة فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه في عصره، بيد أن القرآن كتاب كل عصر، وله في كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز، ونحن قد قلنا في غير الجهات التي كتب فيها من قبلنا، وسيقول من بعدنا فيما يفتح الله به، إن ذلك على الله يسير»[3].

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ١٥٣).
(٣) المرجع السابق، (٢/ ١٥٤).

رفع
المسهم
عبد الله العبيد

وهذا القول الذي ذكره فيه إنصاف للباقلاني، الذي يعد بحق المؤسس الثاني لعلم الإعجاز بعد الجاحظ، وواضع قواعده وأسسه، رحمه الله تعالى! وأجزل مثوبته في الآخرة!.

٣٢ ـ ويقول الدكتور عبد العزيز عرفة ملخصاً جهود الباقلاني: «رفض بقوة أن تستقل ألوان البديع أو الوجوه البلاغية بالكشف عن وجه الإعجاز البياني، ورأى أن وجه إعجاز القرآن الكريم في نظمه، ولكنه فسره بمعنى الطريقة، وقد حاول جاهداً أن ينقل البحوث النقدية من النظرة الموضوعية الجزئية إلى النظرة الكلية الشاملة الواسعة»[١].

❑ ❑ ❑

(١) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص(٨٠١)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

رفع المسهم

المبحث الثالث

مدرسة الشيخ عبد القاهر المؤسس الثاني للبلاغة

يعد الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني(١) علماً من أعلام الدراسات البلاغية والنحوية والقرآنية بلا منازع، وهو المؤسس الفعلي لعلمي المعاني والبيان، أحاط بمدرسة الجاحظ وتراثه العلمي، واستفاد من تراث العلماء قبله، واستوعبه وهذبه وأضاف عليه، وفي ما يأتي نبرز أهم ما عمله في ميدان البلاغة والإعجاز.

أولاً: ألف الجرجاني كتابه (دلائل الإعجاز) والذي تشتمل غالبية محتوياته على ما سمي فيما بعد علم المعاني، فقد تناول فيه موضوعات شتى، منها ما يأتي:

بيان فضل العلم، علم الكلام وما لحقه من الضيم، فصل في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه، الدفاع عن الشعر، تفنيد كلام من زهد في النحو واحتقره.

تحدث بعد ذلك عن سبب تأليف الكتاب، ثم تحدث عن الفصاحة والبلاغة، والنظم، وقاعدة التشبيه والتمثيل، وفصل في الكناية والاستعارة والتمثيل، والقول في النظم وتفسيره.

وتحدث عن التقديم والتأخير، والاستفهام، والحذف، وفروق في الخبر،

---

(١) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، واضع أصول البلاغة، من أئمة اللغة، من أهل جرجان، له شعر رقيق. توفي ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م. انظر الأعلام، (٤/ ٤٨ ـ ٤٩).

رفع المسـاهم

والتعريف والتنكير، وعقد فصلاً لكلمة (الذي)، وتحدث عن جملة الحال، والفصل والوصل.

عقد بعد ذلك فصولاً شتى في أمر اللفظ والنظم، فيها شحذ للبصيرة، وزيادة كشف عما فيها من السريرة، ثم تحدث عن المجاز الحكمي، وهو كنز من كنوز البلاغة.

ثم عقد فصلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، وخطأ من فسر قوله: (قلب) أي عقل، وخطأ بعض من يتعاطى التفسير.

ثم تحدث عن الكناية، وإن ومواقعها، والقصر والاختصاص، ثم عاد للحديث عن النظم، واللفظ والمعنى.

تحدث بعد ذلك عن تحرير القول في إعجاز القرآن، وفي الفصاحة والبلاغة، وتحدث عن بطلان أن تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ، ثم تحدث عن آفة وشبهة في مسألة التعبير عن المعنى بلفظين، أحدهما فصيح والآخر غير فصيح، وهذه شبهة للمعتزلة ورد هذه الشبهة.

ثم عقد فصلاً فيه تقرير يصلح أن يعقد للمناظرة، وناقش الاحتذاء والابتداء والنسق في إعجاز القرآن، وسهولة اللفظ وخفته في شأن إعجاز القرآن، ثم تأتي خاتمة الكتاب(١).

وعن سبب تأليف كتاب الدلائل يقول الشيخ عبد القاهر: «ثم إن التوق إلى أن تقر الأمور قرارها، وتوضع الأشياء مواضعها، والنزاع إلى بيان ما يشكل، وحل ما ينعقد، والكشف عما يخفى، وتلخيص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة، واستظهاراً على الشبهة، واستبانة للدليل، شيء في سوس العقل، وطباع النفس إذا كانت نفساً. ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة، والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه

---

(١) انظر: كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص (٦٧١ ـ ٦٨١)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

رفع
المسـ هم
عبدالله الحمادي

العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبئ ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يُفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتُوضع لك القاعدة لتبني عليها، ووجدت المعول على أن هاهنا نظماً وترتيباً، وتأليفاً وتركيباً، وصياغة وتصويراً، ونسجاً وتحبيراً، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يفضلُ هناك النظمُ النظمَ، والتأليفُ التأليفَ، والنسجُ النسجَ، والصياغةُ الصياغةَ، ثم يعظم الفضل وتكثر المزية، حتى يفوق الشيء نظيره، والمجانسَ له درجات كثيرة، وحتى تتفاوت القيمُ التفاوتَ الشديدَ، كذلك يفضلُ بعض الكلام بعضاً، ويتقدم منه الشيءُ الشيءَ، ثم يزداد فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة، ويعلو مرقباً بعد مرقب، ويُستأنف له غاية بعد غاية، حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع، وتحسر الظنون، وتسقط القوى، وتستوي الأقدام في العجز»[1].

وواضح من قول الشيخ عبد القاهر أنه كان يحس بضرورة وضع نظرية النظم من خلال هذا الكتاب في أطر منهجية محددة، حيث إن التفاوت في أقدار الكلام إنما يقع من خلال النظم، حتى يصل إلى درجة الإعجاز. وقد كانت كتابات من قبله موجزة في هذا الباب، فأراد أن يحلل ويرتب ويجمع أشتات هذا العلم، وأن يعطي للمصطلحات البلاغية والعبارات النقدية دلالة علمية ملموسة، فتجرد لهذا الأمر، فكان بحق هو الواضع الفعلي لقواعد علمي المعاني والبيان.

ثانياً: وفي كتابه (أسرار البلاغة) تحدث في غالبية محتوياته على ما سمي فيما بعد بعلم البيان، وقد تناول فيه ما يأتي: اللفظ والمعنى، والتجنيس، والطريق إلى المستحسن من التجنيس والسجع، والحشو، والقول على التشبيه والتمثيل والاستعارة، والاستعارة غير المفيدة والاستعارة المفيدة، ثم ذكر ضروباً من الاستعارة، ثم تحدث عن حقيقة التشبيه والتمثيل، والشبه العقلي

---

(١) كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص(٣٤ ـ ٣٥).

المنتزع من عدة أمور، وأسباب تأثير التمثيل في النفس، والفرق بين التمثيل الغامض والتعقيد المحوج إلى الفكرة، وسبب غرابة التشبيه، والتشبيه المتعدد والفرق بينه وبين المركب، وعكس التشبيه، والفرق بين الاستعارة والتمثيل، وانقسام المعاني إلى قسمين عقلي وتخييلي، وأنواع من ادعاء الحقيقة في المجاز، وإسقاط ذكر المشبه في الاستعارة، والتجريد، والأخذ والسرقة، وحد الحقيقة في المفرد، وحد المجاز في المفرد، وحد الجملة في الحقيقة والمجاز، والإثبات والنفي، وحد المجاز العقلي، والمجاز العقلي في القرآن، والتفريط في تأويل القرآن، واللفظ المشترك والمنقول، والفرق بين المجاز والاستعارة، وانقسام المجاز إلى لغوي وعقلي، والحذف أهو مجاز أم لا، وغير ذلك(١).

وأما منهجه في البحث فقد ذكره في قوله: «واعلم أن الذي يوجبه ظاهر الأمر، وما يسبق إلى الفكر أن يبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز، ويتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل، ثم ينسق ذكر الاستعارة عليهما، ويؤتى بها في أثرهما، وذلك أن المجاز أعم من الاستعارة، والواجب في قضايا المراتب أن يُبدأ بالعام قبل الخاص، والتشبيه كالأصل في الاستعارة، وهي شبيه بالفرع له، أو صورة مقتضبة من صوره، إلا أن هاهنا أموراً اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة، وبيان صدر منها، والتنبيه على طريق الانقسام فيها، حتى إذا عرف بعض ما يكشف عن حالها، ويقف على سعة مجالها، عطف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين، فوفي حقوقهما، وبين فروقهما، ثم ينصرف إلى استقصاء الكلام في الاستعارة»(٢).

وهو من خلال هذا المنهج جمع «فيه لأول مرة مباحث علم البيان بعضها إلى بعض، ورتبها من حيث الكلام عنها ترتيباً منطقياً منظماً، يبدأ فيه بالعام قبل الخاص، وبالأصل يتلوه الفرع، مع العناية بتوضيح ما بين التشبيه والتمثيل من

---

(١) انظر: أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتر، ص (١ ـ ١١)، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتر، ص (٢٨).

رفع
عبد الرحمن النجدي
المسلم

فروق، وباستقصاء القول في الاستعارة»[1].

ثالثاً: وفي (الرسالة الشافية) وموضوعها في إعجاز القرآن تحدث عن مجمل القول في إعجاز القرآن، وأن الأصل والقدوة في إعجاز القرآن هم العرب، ومن عداهم تبع لهم، والمتأخرون من الخطباء والبلغاء بعد زمن النبي - ﷺ - ، وقول خالد بن صفوان والجاحظ أنهما لا يجاريان العرب الأول ولكن يحاكيانهم.

ثم تحدث عن دلائل أحوال العرب وأقوالهم حين نزل القرآن عليهم، ودلائل الأحوال الدالة على عجزهم حين تحدوا بالقرآن، والاحتجاج لدلالة هذه الأقوال والفعال على إعجاز القرآن.

ثم عقد فصلاً في شبهة من قال: (جرت العادة بأن يبقى في الزمان من يفوت أهله حتى يسلموا له، وحتى لا يطمع أحد في مداناته). والدليل على بطلان ذلك.

ثم تحدث عن أي الشعراء أشعر، وتقديم الشعراء وتفضيلهم على أي وجه يكون، وتحدث عن أن الشرط فيما ينقض العادة أن يعم الأزمان كلها، وناقش قول الملحدة أنه كان في المتأخرين من البلغاء من استطاع معارضة القرآن، فترك ذلك خوفاً.

ثم ذكر فصلاً في فن آخر من السؤال، وهو: من عادات الناس أن الواحد تواتيه العبارة في معنى، وتمتنع عليه في آخر، والقول في من غلب على معنى، فلم يبق لغيره مرام فيه. وذكر ما جاء على هذا الوجه من الكلام المنثور، وإبطال الحجج بمثل ذلك في إعجاز القرآن، وتفصيل القول في معنى التحدي.

وتحدث عن الصرفة، وفسادها، وعقد فصلاً في قول من قال: إنه يجوز أن يقدر الواحد من الناس بعد مضي وقت التحدي، على أن يأتي بما يشبه القرآن، وهو قول أصحاب الصرفة.

---

(١) علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ص (٢٥).

رفع المسهم

وختم الرسالة بالحديث عن أن تمييز الكلام بعضه من بعض لا تستطيع أن تفهمه من شئت متى شئت[١].

يبقى أن نشير إلى أن الشيخ عبد القاهر لم تقتصر جهوده في الإعجاز على ما سبق، فقد كتب شرحين على كتاب إعجاز القرآن للواسطي (٣٠٦ هـ)، الأول كبير، والثاني أصغر منه، وهما مفقودان، وستأتي الإشارة إليهما لاحقاً.

رابعاً: استطاع عبد القاهر أن يحلل معنى النظم الذي كان شائعاً قبله، وأن يقولبه في نظرية النظم التي ابتدعها وأجاد في عرضها وتحليلها، وتدور حول ترتيب الكلام، فقد قال الشيخ عبد القاهر في هذا الصدد: «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس»[٢].

ويحلل في موضع آخر فكرة النظم، ضارباً أمثلة تتعلق بالجملة الخبرية، وأخرى بالجملة الشرطية، وأخرى بالحال، ويتحدث عن الحروف التي تشترك في معنى، ويعالج مسائل شتى تتعلق بالموضوع، يقول: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ رسومه التي رسمت، فلا تخل بشيء منها. وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر على الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق.

وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج،

---

(١) انظر: الرسالة الشافية، مطبوعة مع كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص (٦٨٣ ـ ٦٨٤).

(٢) كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص (٥٥).

وإن خرجت خرجتُ، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج.

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعاً، وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرع، أو هو يسرع، وجاءني قد أسرع، وجاءني وقد أسرع.

فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له.

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ: (ما) في نفي الحال، بـ: (لا) إذا أراد نفي الاستقبال، و بـ: (إن) فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، و بـ: (إذا) فيما علم أنه كائن.

وينظر في الجمل التي تسرد، فيعرف موقع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم)، وموضع (لكن) من موضع (بل).

ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له.

هذا هو السبيل، فلستَ بواجد شيئاً، يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة النظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه»[1].

---

(١) المصدر السابق، ص (٨١، ٨٣).

رفع
المسَاهِم

خامساً: يسوق عبد القاهر عدداً من الأمثلة لتقرير فكرة النظم وإثبات الإعجاز من خلاله، من ذلك ما يقوله عند آية تذكر سفينة نوح عليه السلام والطوفان: «وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] . فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى و تسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأن الفضل تَناتَجَ ما بينها، وحصل من مجموعها.

إن شككت، فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل: (ابلعي) واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها و ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.

وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء (بيا) دون (أي)، نحو(يا أيتها الأرض)، ثم إضافة (الماء) إلى (الكاف) دون أن يقال (ابلعي الماء)، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداءَ السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: و(وغيض الماء) فجاء على صيغة (فُعِلَ) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك و تقريره بقوله تعالى (و قضي الأمر)، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو (استوت على الجودي)، ثم إضمار(السفينة) قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة (قيل) في الخاتمة (بقيل) في الفاتحة أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، و تحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها، تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟.

فقد اتضح إذاً اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث

المسهم

هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ»[1].

سادساً: ومع قدرة عبد القاهر على التنظير والتقعيد لمباحث علمي المعاني والبيان، فقد امتلك أسلوباً رائعاً في التحليل البلاغي الممتع، من ذلك تحليله الرائع لأبيات أبي نواس في صفة البازي، حيث يوردها ويعقب عليها، يقول: «ومما حقه أن يكون على فرط الاستقصاء في التشبيه، وفضل العناية بتأكيد ما بدئ به قول أبي نواس في صفة البازي:

كـأنَّ عينيـه إذا مـا أثـأرا ... فصـان قِيضـاً مـن عقيـقٍ أحمـرا
فـي هـامـةٍ علياءَ تهـدي مَنْسـرا ... كعطفـةِ الـجيـمِ بكـفٍّ أعسـرا

أراد أن يشبه المنقار بالجيم، والجيمُ خطان، الأول الذي هو مبدؤه وهو الأعلى، والثاني وهو الذي يذهب إلى اليسار، وإذا لم توصل فلها تعريقٌ كما لا يخفى، والمنقار إنما يُشبه الخطَّ الأعلى فقط، فلما كان كذلك قال: (كعطفة الجيم)، ولم يقل (كالجيم)، ثم إنه دقق بأن جعلها بكف أعسر، لأن جيم الأعسر قالوا أشبه بالمنقار من جيم الأيمن، ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الأعلى من شكل الجيم، فقال:

يقـولُ مـن فيهـا بعقـلٍ فكـرا ... لـو زادهـا عينـاً إلـى فـاءٍ ورا
فاتصلت بالجيم كانت جعفرا

فأراك عياناً أنه عمد في التشبيه إلى الخط الأول من الجيم دون تعريقها، ودون الخط الأسفل، أما أمر التعريق وإخراجه من التشبيه فواضح، لأن الوصل يُسقط التعريق أصلاً، وأما الخط الثاني فهو وإن كان لابد منه مع الوصل، فإنه إذا قال: (لو زادها عيناً إلى فاء ورا) ثم قال: (فاتصلت بالجيم) فقد بين أن هذا الخط الثاني خارج أيضاً من قصده في التشبيه، من حيث كانت زيادةُ هذه الحروف ووصلُها هي السبب في حدوثه، وينبغي أن يكون قوله (بالجيم) يعني

---

(١) كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص (٤٥ ـ ٤٦).

رفع المسهم

بالعطفة المذكورة من الجيم، ولأجل هذه الدقة قال: (يقول من فيها بعقل فكرا)، فمهد لما أراد أن يقول، ونبه على أن بالمشبه به حاجةً إلى فضل فكرٍ، وأن يكون فكره فكرة من يراجع عقله، ويستعينه على تمام البيان»[1].

سابعاً: وهذه جملة من الأمور التي تناولها الشيخ عبد القاهر في كتبه:

١ ـ أعطى عبد القاهر كثيراً من المصطلحات تعريفات محددة، وميز بينها وبين المصطلحات الأخرى في البلاغة، وبين الصلة بين تلك المصطلحات، من ذلك حديثه عن صلة الاستعارة بالتشبيه، حيث قال: «أما الاستعارة في ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتُستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان»[2].

٢ ـ فرق عبد القاهر بين التشبيه والتمثيل، فقال: «. . فاعلم التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً، فأنت تقول في قول قيس بن الخطيم:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن يرى ... كعنقــود مُــلاحيــةٍ حيــن نــوَّرا

إنه تشبيه حسن، ولا تقول هو تمثيل»[3].

٣ ـ تحدث الشيخ عبد القاهر عن بلاغة المجاز والكناية، فقال: «قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، وأن التعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلاً، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة»[4].

٤ ـ تحدث عن تفصيل التشبيه، فقال: «إنك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصفٍ واحدٍ، أو جهةٍ واحدة، فقد دخلت في التفصيل والتركيب،

---

(١) كتاب أسرار البلاغة، ص (١٦٣ ـ ١٦٤).
(٢) كتاب أسرار البلاغة، ص (٢٠).
(٣) كتاب أسرار البلاغة، ص (٨٤ ـ ٨٥).
(٤) كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص (٧٠).

رفع المسهما

وفتحت باب التفاصيل، ثم تختلف المنازل في الفضل، بحسب الصورة في استنفادك قوة الاستقصاء، أو رضاك بالعفو دون الجهد»[1].

وكفى بتفصيل التشبيه مزية إثارته للفكر وهو النفحة الإلهية المقدسة، التي يتفاضل فيها الناس، وتتبين مهارتهم وفروقهم الفردية، وأما التشبيهات المجملة فتستوي فيها أفهام الناس، ويؤيد ذلك ما قاله الشيخ عبد القاهر في هذا الصدد: «إنا نعلم أن الجملة أبداً أسبق إلى النفوس من التفصيل، وإنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى التفصيل، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصفَ على الجملة، ثم ترى بالتفصيل عند إعادة النظر. . . وبإدراك التفصيل يقع التفاضل بين راءٍ وراء، وسامعٍ وسامع، وهكذا، فأما الجمل فتستوي فيها الأقدام. ثم تعلم أنك في إدراكٌ تفصيل ما تراه وتسمعه أو تذوقه، كمن ينتقي الشيء من بين جملة، وكمن يميز الشيء مما قد اختلط به، فإنك حين لا يهمُّك التفصيل كمن يأخذ الشيء جُزافاً وجَرفاً. وإذا كانت هذه العبرة ثابتة في المشاهدة، وما يجري مجراها، مما تناله الحاسة، فالأمر في القلب كذلك، تجد الجمل أبداً هي التي تسبق إلى الأوهام، وتقع في الخاطر أولاً، وتجد التفاصيل مغمورةً فيما بينها، وتراها لا تحضر إلا بعد إعمالٍ للروِيّة، واستعانةٍ بالتذكر، ويتفاوت الحال في الحاجة إلى الفكر بحسب مكان الوصف، ومرتبته من حد الجملة وحد التفصيل، وكلما كان أوغل في التفصيل، كانت الحاجة إلى التوقف والتذكُّر أكثر، والفقرُ إلى التأمل والتمهل أشد»[2].

٥ ـ ناقش الشيخ عبد القاهر ـ رحمه الله ـ قضية البيان والوضوح في الكلام، وما يثار حولها خير مناقشة، فكان مما قال: « فإنما أرادوا بقولهم: (ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك) أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ، وتهذيبه وصيانته من كل ما أخل بالدلالة، وعاق دون الإبانة، ولم يريدوا أن خير الكلام ما كان غُفْلاً، مثل ما يتراجعه الصبيان، ويتكلم به العامة في السوق!، هذا وليس إذا كان الكلام في غاية البيان، وعلى أبلغ ما يكون من

---

(١) كتاب أسرار البلاغة، ص (١٦٤).

(٢) كتاب أسرار البلاغة، ص(١٤٧).

رفع المسأهم

الوضوح، أغناك ذاك عن الفكرة إذا كان المعنى لطيفاً، فإن المعاني الشريفة اللطيفة لا بدّ فيها من بناء ثانٍ على أول، ورد تالٍ إلى سابق»(١).

ثامناً: تحدث عن الإعجاز، وأقر بعجز العرب أمام تحدي القرآن لهم، فقال: « وهذه جمل من القول في بيان عجز العرب حين تُحدوا إلى معارضة القرآن، وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية، ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين، وفيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم، وبعلم الأدب جملة، قد تحريت فيها الإيضاح والتبيين، وحذوت الكلام حذواً، هو بعرف علماء العربية أشبه، وفي طريقهم أذهب، وإلى الأفهام جملة أقرب»(٢).

وعمدة الإعجاز عنده يقوم على أدوات البيان، يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: « وعبد القاهر ينظر إلى المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية على أنها عمد الإعجاز وأركانه، والأقطاب التي تدور البلاغة عليها، وعنها يقول: ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلا ذكرها، وجعلها العمد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية، وخصوصاً الاستعارة والمجاز، فإنك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون، وأول ما يوردون»(٣).

تاسعاً: لم يضع عبد القاهر نظرية لعلم البديع، ويبدو أنه كان منشغلاً بقطبي النظم عما سواهما، وهما: علم المعاني وعلم البيان، يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: «والمتصفح لكتابيه السابقين: الدلائل والأسرار يرى أنه لم يحاول فيهما وضع نظرية في علم البديع، كما فعل بالنسبة لعلمي المعاني والبيان، ولو أنه فعل لأعفى أصحاب البديع من توزع مباحثهم فيه توزعاً حال بينها وبين أن تصير علماً واضح المعالم والمباحث كالمعاني والبيان. ومع ذلك فقد تكلم في أسرار البلاغة عن ألوان من البديع هي: الجناس، والسجع، وحسن التعليل، مع الإشارة أحياناً إلى الطباق والمبالغة، وحديثه عن هذه المحسنات ليس

---

(١) المصدر السابق، ص (١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) انظر: الرسالة الشافية، مطبوعة مع كتاب دلائل الإعجاز، ص(٥٧٥).

(٣) علم البيان، ص (٢٤).

رفع المسـاهم

لأغراض بديعية بقدر ما هو لأغراض بيانية»[١].

عاشراً: يلخص الدكتور شوقي ضيف جهود عبد القاهر بقوله: «ولا يلبث عبد القاهر الجرجاني أن يُذكي جذوة المباحث البلاغية ويدفعها إلى التوهج بما وضع فيها من كتابيه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، ومضى في الكتاب الأول يفسر إعجاز القرآن البلاغي مهتدياً بفكرة عبد الجبار التي مرت بنا، والتي تذهب إلى أن هذا الإعجاز يُرد إلى فصاحة الكلام، ولكن لا بمعنى حسن اللفظ والمعنى وما يتصل بذلك من الصور البيانية، وإنما بمعنى الأداء والنسب النحوية للكلام، وأحس بفطنته أن كلمة الفصاحة لا تدل دلالة دقيقة على هذا المعنى، فاختار بدلاً منها كلمة النظم التي كانت تشيع في بيئة الأشعرية، والتي بنى عليها الباقلاني كلامه في كتابه إعجاز القرآن، واسترسل يشرح هذا النظم وما يحوي من المعاني الإضافية الناشئة من تعلق الكلمات في العبارة، والعبارات بعضها ببعض، وصوغها حسب مجراها في النفس، بحيث تصبح لها كيفياتها الخاصة من التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والذكر والحذف، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، والتأكيد والقصر، ومضى يصور ذلك تصويراً رائعاً محللاً لتلك المعاني الإضافية في الأسلوب والأداء، بحيث يعد مؤسس علم المعاني في العربية غير منازع ولا مدافع. وعرض في هذا الكتاب عرضاً مجملاً للصور البيانية، مكتشفاً لما سماه المجاز الحكمي أو العقلي، كما عرض للسرقات الشعرية ناثراً كثيراً من الآراء الطريفة واللفتات البارعة، ثم يرى أن يكشف عن دقائق الصور البيانية فيؤلف فيها كتابه: (أسرار البلاغة)، وفيه يتجلى حسه الدقيق المرهف ودقته العقلية إلى أبعد حدود الدقة في تبين الفوارق بين هذه الصور ودلالته النفسية... وبذلك كله يضع عبد القاهر علم البيان كما وضع من قبل علم المعاني، وهما يُشفعان عنده بتحليلات نفسية وعقلية رائعة»[٢].

أحد عشر: يشيد سيد قطب بتجربة عبد القاهر البلاغية الفنية النقدية، وإن كانت لا تخلو من مآخذ حسب رأيه، يقول: «ومع أننا نختلف مع عبد القاهر في

(١) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ص (٢٦).
(٢) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٧٢ ـ ٣٧٣).

رفع المسهم

كثير مما تحويه نظريته هذه، بسبب إغفاله التام لقيمة اللفظة الصوتية مفرداً ومجتمعاً مع غيره، وهو ما عبرنا عنه بالإيقاع الموسيقي، كما يغفل الظلال الخيالية في أحيان كثيرة، ولها عندنا قيمة كبرى في العمل الفني، مع هذا فإننا نعجب باستطاعته أن يقرر نظرية مهمة كهذه ـ عليها الطابع العلمي ـ دون أن يخل بنفاذ حسه الفني، في كثير من مواضع الكتاب. وأما كتابه (أسرار البلاغة)، فقد اتجه همه فيه على إقامة القواعد البلاغية على أسس نفسية، مع أنه لم يخل من آثار المنهج الفني، لذلك فستتحدث عنه عند الكلام على المنهج النفسي»[1].

اثنا عشر: يقول الدكتور طه حسين عن تأثر عبد القاهر بالفلسفة وقيمة ما أسهم به في إقامة صرح البيان: «صنف عبد القاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ما كتب في البيان العربي، هما: (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز). فعندما نقرأ أولهما نكاد نجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذي عقده ابن سينا (للعبارة) وأنه فكر فيه كثيراً، وحاول أن يدرسه دراسة نقد وتمحيص... ولا يسع من يقرأ (دلائل الإعجاز) إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر، أنفق جهداً صادقاً، خصباً، في التأليف بين قواعد النحو العربي، وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب، والفصول. وقد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقاً يدعو إلى الإعجاب. وإذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربي حقاً، فعبد القاهر هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه»[2].

وهنالك من ينكر تأثر عبد القاهر بأرسطو، والإنسان ابن بيئته، وقد وصل تأثير الفلسفة في العصر العباسي إلى شتى العلوم العربية والدينية والإنسانية، وماذا على عبد القاهر لو تأثر به أو بغيره؟ طالما أنه لم يقف عند حدود التأثر، بل تجاوز ذلك إلى حد التأليف والإبداع؟.

❑ ❑ ❑

---

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص (١٤٥)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) كتاب نقد النثر [تمهيد في البيان العربي لطه حسين]، ص (٢٩ ـ ٣٠)، المكتبة العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

رفع المسالك

المبحث الرابع
مدرسة التطبيق في البلاغة والإعجاز: الزمخشري

يعد الإمام جار الله الزمخشري (ت ٥٣٧ هـ)[١] أحد أبرز أعلام التفسير، ويعد تفسيره (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) من أهم التفاسير للقرآن الكريم، ويمكن إبراز أهميته في الأمور الآتية:

أولاً: لاقى هذا التفسير رواجاً في عصره وما تلاه من عصور:

فهو أكثر التفاسير عناية بالبلاغة القرآنية، وهو أول من حاول تطبيق نظرية النظم للشيخ عبد القاهر الجرجاني من خلال تفسيره للقرآن الكريم.

ثانياً: يمكن تحديد أهم المعالم المنهجية لهذا التفسير بأمرين اثنين:

١ـ عنايته بالبلاغة القرآنية ومبحث إعجاز القرآن، وهذا هو الذي رفع تفسير الكشاف إلى سماء المجد.

٢ ـ تأويل الآيات القرآنية بما يوافق مذهب المعتزلة، وهذا هو الذي شان تفسيره، وأنقص من قيمته العلمية، **وهذا نموذج من تفسير الكشاف يظهر فيه أثر الاعتزال:** قال الزمخشري عند الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]: «فإن قلت: قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه، وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة، فما وجه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾. قلت: الوجه أن

---

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر وتوفي بالجرجانية من قرى خوارزم. (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ. = ١٠٧٥ ـ ١١٤٤م). انظر: الأعلام، (١٧٨/٧).

رفع المسهم

يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين إلى قوله تعالى: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ كأنه قيل: إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك، على أن المراد بالأول من لم يتب، وبالثاني من تاب»[١].

وقد علق الشيخ محمد عليان على قول الزمخشري: «وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة». بقوله: «هذا عند المعتزلة، وأما عند أهل السنة فتغفر بها ـ أي بالتوبة ـ وبالشفاعة، وبمجرد الفضل»[٢].

ثالثاً: عناية الزمخشري بالبلاغة القرآنية:

عني الزمخشري بالبلاغة القرآنية أيما عناية، وجعل إدراكها هو المدخل الحقيقي لفهم معجزة النبي - ﷺ - المتمثلة بالقرآن الكريم، ولا أدل على هذه العناية من قوله في خطبة الكشاف: «ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف سلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه، وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب (نظم القرآن).. فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية[٣] أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري، بتصحيح مصطفى حسين أحمد، (١/ ٥١٩ ـ ٥٢٠).

(٢) حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف، مطبوعة مع الكشاف (١/ ٥١٩).

(٣) هو أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي أحد بلغاء الدهر، خطيب يضرب به المثل، يقال: أبلغ من ابن القرية، والقرية أمه، قتله الحجاج في فتنة ابن الأشعث سنة (٨٤ هـ) انظر: الأعلام، للزركلي، (٢/ ٣٧).

رفع
المسهم
عبد الله الجليل

لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين: تحقيق وحفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات، قد رجع زماناً ورُجع إليه، ورد ورُدَّ عليه، فارساً في علم الإعراب، متقدماً في حملة الكتاب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها، يقظان النفس، دراكاً للمحة وإن لطف شأنها، منتبهاً على الرمزة وإن خفي مكانها، لا كزاً جاسياً، ولا غليظاً جافياً، متصرفاً ذا دراية بأساليب النظم والنثر، مرتاضاً غير ريض بتلقيح بنات الفكر، وقد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقه، ووقع في مداحضه ومزالقه»[١].

وبهذا وضح أن البلاغة ليست علماً مقحماً على النص القرآني، وإنما هي وسيلة إيضاح لهذا النص بعد أن تباعد الناس من عهد الرسالة، وانحرفت الملكات والأذواق.

رابعاً: نماذج من تفسير الكشاف يظهر فيها الجانب البلاغي:

بعد أن قدمنا سابقاً نموذجاً من تفسير الزمخشري يبرز وجهة الاعتزال في تفسيره، نود أن نعرض نماذج أخرى تبرز الناحية البلاغية في ذلك التفسير البديع، وهذه هي:

١ ـ جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقر: ١ ـ ٢]: «ومحل (هدى للمتقين) الرفع، لأنه خبر مبتدأ محذوف، أو خبر مع (لا ريب فيه) لذلك، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبراً عنه، ويجوز أن ينصب على الحال، والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف، والذي هو أرسخ عرقاً في البلاغة، أن يضرب عن هذه المحال صفحاً، وأن يقال: إن قوله (آلم) جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها. و (ذلك الكتاب) جملة ثانية. و (لا ريب فيه) ثالثة. و (هدى للمتقين) رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة، وموجب حسن النظم، حيث جيء

---

(١) تفسير الكشاف (١/ن ـ س).

رفع
المسـاهم
عبد الله بن علي الحمد

بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة. بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال. فكان تقريراً لجهة التحدي، وشداً من أعضاده، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلاً بكماله، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة. وقيل لبعض العلماء: فيم لذتك؟ قال: في حجة تتبختر اتضاحاً، وفي شبهة تتضاءل افتضاحاً. ثم أخبر عنه بأنه (هدى للمتقين). فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله، وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ثم لم تخل كل واحدة من الأربع، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السري، من نكتة ذات جزالة، ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه. وفي الثانية: ما في التعريف من الفخامة. وفي الثالثة: ما في تقديم الريب على الظرف. وفي الرابعة: الحذف، ووضع المصدر الذي هو (هدى) موضع الوصف الذي هو: (هاد)، وإيراده منكراً، والإيجاز في ذكر المتقين»[1].

وهذا النص يبرز قدرة الزمخشري في التحليل والتذوق البلاغي، وسعيه إلى بيان التماسك والوحدة العضوية في نظم الآيات القرآنية.

٢ ـ وجاء حديث عن المجاز بقسميه: الاستعارة والتمثيل، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧]، يقول: «الختم والكتم أخوان، لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتماً له وتغطيه، لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه. والغشاوة: الغطاء، فِعالة من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة.

فإن قلت: ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟.

قلتُ: لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز،

---

(١) تفسير الكشاف، (١/ ٣٦ ـ ٣٧).

المسترهم

ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما: الاستعارة والتمثيل. أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها، ولا يخلص إلى ضمائرها، من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين، كأنما غطى عليها وحجبت، وحيل بينها وبين الإدراك.

وأما التمثيل: فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التى كلفوها وخلقوا من أجلها، بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية»[1].

٣ ـ وجاءت في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] مسائل بلاغية عدة، منها الاستعارة، يقول الزمخشري: «ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى: اختيارها عليه واستبدالها به، على سبيل الاستعارة، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر. ومنه:

أَخَذتُ بالجُمةِ رَأساً أَزعَرا ... وبالثَنايا الواضحاتِ الدَّرْدَرا
وبالطويل العُمْر عُمراً حيدرا ... كما اشترى المسلم إذْ تنصرا

وعن وهب: قال الله عز وجل فيما يعيب به بني إسرائيل: (تفقهون لغير الدين، وتعلمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة).

فإن قلتَ: كيف اشتروا الضلالة بالهدى، وما كانوا على هدى؟.

قلتُ: جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم، فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه، واستبدلوها به، ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة»[2].

ويضيف شارحاً مفردات الآية، وذاكراً ما فيها القراءات، لينتقل بعد ذلك

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٤٨ ـ ٤٩).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٦٩ ـ ٧٠).

رفع عبد الرحمن المسلمي

إلى ذكر المجاز العقلي، ويسميه الإسناد المجازي، يقول: «والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء. يقال: ضل منزله، وضل دريص[1] نفقه، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين. والربح: الفضل على رأس المال، ولذلك سمي: الشف، من قولك: أشف بعض ولده على بعض، إذا فضله. ولهذا على هذا شف. والتجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح. وناقة تاجرة: كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها.

وقرأ ابن أبي عبلة: (تجاراتهم).

فإن قلتَ: كيف أسند الخسران إلى التجارة، وهو لأصحابها؟.

قلتُ: هو من الإسناد المجازي. وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له، كما تلبست التجارة بالمشترين.

فإن قلتَ: هل يصح: ربح عبدك وخسرت جاريتك، على الإسناد المجازي؟.

قلتُ: نعم إذا دلت الحال.

وكذلك الشرط في صحة: رأيت أسداً وأنت تريد المقدام، إن لم تقم حال دالة لم يصح»[2].

ينتقل بعد ذلك إلى ذكر الترشيح في الاستعارة الواردة في هذه الآية وفائدته، يقول:

«فإن قلتَ: هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح والتجارة؟ كأن ثم مبايعة على الحقيقة.

قلتُ: هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تقفى بأشكال لها وأخوات، إذا تلاحقن لم تر

---

(١) الدرص: ولد الفأرة واليربوع وأشباه ذلك.

(٢) المصدر السابق، (١/ ٧٠).

رفع المسار هما

كلاماً أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقاً، وهو المجاز المرشح»[1].

ويذكر عدة أمثلة للترشيح من كلام العرب، يقول: «وذلك نحو قول العرب في البليد: كأن أذني قلبه خطلاً، وإن جعلوه كالحمار، ثم رشحوا ذلك روماً لتحقيق البلادة، فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل، ليمثلوا البلادة تمثيلاً يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة. ونحوه:

ولَمـا رَأَيـتُ النسـر عـزَّ ابـنَ دأيـة ... وعَشَّشَ في وَكريه جَاشَ لهُ صَدرِي

لما شبه الشيب بالنسر، والشعر الفاحم بالغراب، أتبعه ذكر التعشيش والوكر.

ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه:

فمـا أم الـرديـن وإنْ أَدلـتْ ... بعـالِمَـةٍ بـأَخـلاقِ الكِـرَامِ

إذَا الشيطـانُ قَصَّـعَ فـي قَفَـاهـا ... تَنفقنـاهُ بـالحُبـلِ التـوَامِ

أي إذا دخل الشيطان في قفاها، استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم. يريد: إذا حردت وأساءت الخلق، اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها. استعار التقصيع أولاً، ثم ضم إليه التنفق، ثم الحبل التوام. فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء، أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه، تمثيلاً لخسارهم وتصويراً لحقيقته»[2].

٤ ـ وقال الزمخشري مبيناً فائدة الأمثال عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]: «لما جاء بحقيقة صفتهم، عقبها بضرب المثل، زيادة في الكشف، وتتميماً للبيان، ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر، شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) تفسير الكشاف، (١/ ٧٠ ـ ٧١).

رفع المسـاهم

الجامح الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين، وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله - ﷺ -، وكلام الأنبياء والحكماء، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ومن سور الإنجيل سورة الأمثال»(١).

وبعد تبيانه لفائدة الأمثال، يمضي فيحلل المثل في هذه الآية، يقول:

«فإن قلتَ: ما معنى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وما مثل المنافقين، ومثل ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟.

قلتُ: قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام، للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً»(٢).

عقب ذلك يمضي في تفسير الآية وتحليلها لغوياً وبلاغياً، ويذكر بعض القراءات، ليقول بعد ذلك في تحليل التشبيه الذي ورد فيها:

«فإن قلتَ: فيم شبهت حالهم بحال المستوقد؟.

قلتُ: في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة، وتورطوا في حيرة.

فإن قلتَ: وأين الإضاءة في حال المنافق؟ وهل هو أبداً إلا حائر خابط في ظلماء الكفر؟.

قلتُ: المراد ما استضاؤوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله، وظلمة العقاب السرمد. ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم، وما افتضحوا به بين المؤمنين، واتسموا به من سمة النفاق. والأوجه أن يراد الطبع، لقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة: ١٨].

وفي الآية تفسير آخر: وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى،

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٧٢).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٧٢).

عقب ذلك بهذا التمثيل، ليمثل هداهم الذي باعوه، بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم، بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات، وتنكير النار للتعظيم. كانت حواسهم سليمة، ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم، جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم، وانتفضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك، كقوله:

صُم إذا سُمعوا خيراً ذُكرتُ به   وإنْ ذُكرتُ بسوءٍ عندهم أذنوا

* * *

أصم عما ساءَهُ سميعُ

أصم عن الشيء الذي لا أريدُهُ   وأسمعُ خلقِ الله حين أريدُ

* * *

فأصممتُ عمراً وأعميتُهُ   عن الجودِ والفخرِ يوم الفخارِ[1]

ثم يعرض للفرق بين التشبيه والاستعارة، مقرراً أن الآية من باب التشبيه، وحاشداً لذلك أمثلة من النثر والشعر للتمييز بين التشبيه والاستعارة، يقول: «فإن قلتَ: كيف طريقته عند علماء البيان؟.

قلتُ: طريقة قولهم: (هم ليوث) للشجعان، وبحور للأسخياء، إلا أن هذا في الصفات، وذاك في الأسماء، وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً. تقول: رأيت ليوثاً، ولقيت صماً عن الخير، ودجا الإسلام، وأضاء الحق.

فإن قلتَ: هل يسمى ما في الآية استعارة؟.

قلتُ: مختلف فيه. والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة؛ لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون. والاستعارة إنما تطلق حيث يُطوى ذكر المستعار له، ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يُراد به المنقول عنه والمنقول إليه، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام، كقول زهير:

---

(١) تفسير الكشاف، (١/ ٧٥ ـ ٧٦).

لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مُقذَّفٍ   لهُ لبدٌ أظفارهُ لم تُقلَّمِ

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم، كأنهم يتناسون التشبيه، ويضربون عن توهمه صفحاً، قال أبو تمام:

ويُصعدُ حتى يظنَّ الجهولُ   بأنَّ له حاجةً في السماءِ

وبعضهم:

لا تحسبوا أنَّ في سرباله رجلاً   ففيه غيثٌ وليثٌ مُسبل مُشبلُ

وليس لقائل أن يقول: طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ، فأتسلق بذلك إلى تسميته استعارة، لأنه في حكم المنطوق به، نظيره قول من يخاطب الحجاج:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ   فتخاءُ تنفرُ من صفيرِ الصافرِ

ومعنى (لا يرجعون) أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها، تسجيلاً عليهم بالطبع، أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون، ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون؟ وكيف يرجعون إلى حيث ابتدؤوا منه؟»[(١)].

٥ ـ **وقال الزمخشري عند الآية:** ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦] ما يأتي:

«فإن قلتَ: كيف قال: ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ثم قال: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؟.

قلتُ: النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر، وأكثرها منافع، خصهما بالذكر، وجعل الجنة منهما ـ وإن كانت محتوية على سائر الأشجار ـ تغليباً لهما على غيرهما، ثم أردفهما ذكر كل الثمرات»[(٢)]. والبلاغيون يطلقون على هذه

---

(١) تفسير الكشاف، (١/ ٧٦ ـ ٧٨).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٣١٤).

المسـاهم

الطريقة من التعبيرين مصطلح (ذكر العام بعد الخاص) وذلك للعناية بشأن الخاص فكأنه ذكر مرتين، وهو من مباحث الإطناب.

٦ ـ **قال عند قوله تعالى**: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]: «فإن قلتَ: كيف قال: (لقد سمع الله) ثم قال: (سنكتب) وهلا قيل: ولقد كتبنا؟.

قلتُ: ذكر وجود السماع أولاً مؤكداً بالقسم، ثم قال: (سنكتب) على جهة الوعيد، بمعنى لن يفوتنا أبداً إثباته وتدوينه، كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء، وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له، إيذاناً بأنهما في العظم أخوان، وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم، وأنهم أصلاء في الكفر، ولهم فيه سوابق، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول»[(١)].

٧ ـ **وقال الزمخشري عند الآية**: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]: «وضع (بشر) مكان (أخبر) تهكماً بهم»[(٢)].

وهذا الأسلوب يعرف عند البلاغيين بالاستعارة التهكمية.

٨ ـ **وقال عند الآية**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]: «يقال وفى بالعهد وأوفى به، ومنه: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]. والعقد: العهد الموثق، شبه بعقد الحبل ونحوه، قال الحطيئة:

قومٌ إذا عَقدوا عقداً لجارهم ... شدوا العِناجَ وشدوا فوقَهُ الكَرَبا[(٣)]

وهي عقود الله التي عقدها على عباده، وألزمها إياهم من مواجب التكليف»[(٤)].

وهذا الأسلوب يعرف بالاستعارة التصريحية عند البلاغيين حيث أطلق لفظ

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٥٧٧).

(٣) العناج: ككتاب، حبل يشد في أسفل الدلو.

(٤) المصدر السابق، (١/ ٦٠٠).

رفع المسهم

العقد على العهد على سبيل الاستعارة، والاستعارة تقوم في الأصل على التشبيه، وقد تسامح الزمخشري في ذكر المصطلح البلاغي هنا.

٩ ـ وجاء حديث عن الطباق وفائدته الأسلوبية في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، قال: «وقوله (مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) صفة ثانية، ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت، أي من عنده إحكامها وتفصيلها. وفيه طباق حسن: لأنَّ المعنى أحكمها حكيم وفصلها. أي: بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور»(١).

١٠ ـ وقال الزمخشري عند الآية: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] مبيناً فائدة التمثيل والمبالغة في نفي الشريك والإطناب فيه: «﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ﴾ وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها، (فَأَنَا۠ أَوَّلُ) من يعظم ذلك الولد، وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه، وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة، مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد؛ وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها».

ولكنه لا يلبث أن يقحم فكره الاعتزالي بالتفسير، مستفيداً من جو الآية في تقرير مذهب الاعتزال، وذلك في نفي أن يكون الله خالقاً للكفر، يقول: «ونظيره أن يقول العدلي للمجبر: إن كان الله تعالى خالقاً للكفر في القلوب ومعذباً عليه عذاباً سرمداً، فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بإله؛ فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقاً للكفر، وتنزيهه عن ذلك وتقديسه، ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا، مع

(١) تفسير الكشاف، (٢/ ٣٧٧).

رفع المسهما

الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه، والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه، وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه»[1].

كانت هذه مجرد نماذج، قدمناها، لتعطي صورة عن جهد الزمخشري وأسلوبه في عرض البلاغة القرآنية، والزمخشري لم يكن مطبقاً لقواعد البلاغة في تفسيره وحسب، وإنما كان يشرح تلك القواعد ويعلمها للقارئ، وقد كان يفصل في المباحث البلاغية في أول تفسيره، لأنه يريد أن يؤسس عليها في بقية الأجزاء، ومن أمثلة ذلك حديثه عن التشبيه والاستعارة وغيرها في تفسير مطلع سورة البقرة[2].

خامساً: الزمخشري والإعجاز:

صرح الزمخشري في تفسيره بإعجاز القرآن في مواضع كثيرة، من ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] قال مصرحاً بأن القرآن معجزة النبي ﷺ: «لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها، ويبطل الإشراك ويهدمه، وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه، وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله، وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه، عطف على ذلك ما هو الحجة في إثبات نبوة محمد - ﷺ - ، وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة، وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي؟ أم هو من عند نفسه كما يدعون؟ بإرشادهم إلى أن يجزروا أنفسهم، ويذوقوا طباعهم، وهم أبناء جنسه وأهل جلدته»[3].

ويعلل الزمخشري سبب مجيء قوله تعالى: (نزلنا) دون أنزلنا، ويجعله من علامات الإعجاز، يقول:

«فإن قلتَ: لم قيل: (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الإنزال؟.

---

(١) انظر: المصدر السابق، (١/ ٦٢ _ ٨٢).
(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٦٥ _ ٢٦٦).
(٣) المصدر السابق، (١/ ٩٦).

رفع المسـاهم

قلتُ: لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم، وهو من مجازه لمكان التحدي، وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله مخالفاً لما يكون من عند الناس، لم ينزل هكذا نجوماً سورة بعد سورة، وآيات غب آيات، على حسب النوازل وكفاء الحوادث، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر، من وجود ما يوجد منهم مفرقاً حيناً فحيناً، وشيئاً فشيئاً حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة، والحاجات السانحة، لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة، ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة، فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، فقيل: إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدرج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهلموا نجماً فرداً من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات، وهذه غاية التبكيت، ومنتهى إزاحة العلل»(١).

ويضيف الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]: «لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يعرفون أمر النبي ﷺ، وما جاء به، حتى يعثروا على حقيقته وسره، وامتياز حقه من باطله، قال لهم: فإذا لم تعارضوه، ولم يتسهل لكم ما تبغون، وبان لكم أنه معجوز عنه، فقد صرح الحق عن محضه، ووجب التصديق، فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب، وفيه دليلان على إثبات النبوة: صحة كون المتحدى به معجزاً، والإخبار بأنهم لن يفعلوا، وهو غيب لا يعلمه إلا الله»(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٨ ـ ٣٩] قال: «والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة، لما يؤدي إليه من تنافر النظم، فإن قلتَ

(١) تفسير الكشاف، بتصحيح مصطفى حسين أحمد، (١/ ٩٦ ـ ٩٧).
(٢) المصدر السابق، (١/ ١٠١).

رفع المسهم

المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل. قلتُ: ما ضرك لو قلتَ: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت، حتى لا تفرق الضمائر، فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر»[1].

وتحدث عن عجز العرب عن المجيء بمثل القرآن، وذلك عند أول آية من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾. حيث اتخذ من عجزهم عن المجيء بمثل القرآن دليلاً على إعجاز القرآن وأنه من لدن حكيم خبير، فقال: «ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام، وزعماء الحوار، وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب، والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز، ولم يبلغ ـ أي القرآن ـ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق، وشقت غبار كل سابق، ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء، إلا لأنه ليس بكلام البشر، وأنه كلام خالق القوى والقدر»[2].

سادساً: خلاصة جهود الزمخشري:

وقبل أن نختم حديثنا عن الزمخشري نذكر كلمة للدكتور شوقي ضيف يلخص فيها جهود الزمخشري، يقول: «وعلى أضواء مباحث عبد القاهر وقواعده التي أصلها في علمي المعاني والبيان، مضى الزمخشري يفسر القرآن الكريم في كتابه الكشاف، مطبقاً تطبيقاً دقيقاً على آياته كل ما استنبطه عبد القاهر من قواعد وأصول في العلمين جميعاً، إذ تمثل كتابيه الدلائل والأسرار تمثلاً رائعاً، نافذاً إلى استكمال كثير من شعب المعاني الإضافية، حتى ليمكن أن يقال إن علم المعاني تكامل عنده بكل تفاصيله ودقائقه. وبالمثل تكامل علم البيان، وأحكمت حدوده وصوره من الكناية والاستعارة بأنواعها، من تصريحية ومكنية وتمثيلية، ومن مرشحة ومجردة، ورسم المجازين:

---

(١) المصدر السابق، (٣/ ٦٣).

(٢) تفسير الكشاف، (١/ ٢٧).

رفع المسهم

المرسل والعقلي بعلاقتهما وملابساتهما رسماً دقيقاً. ووقف مراراً عند طائفة من صور البديع المعنوية، وهو في هذا كله يروعنا كما راعنا عبد القاهر بتحليله وملكاته العقلية، مع الإحساس المرهف والذوق الدقيق، والبصر بأساليب العربية وأسرارها وخصائصها المعنوية والبيانية»[١].

سابعاً: البلاغة بعد الزمخشري:

يبقى أن نشير إلى أن «العلماء الذين أتوا بعد عبد القاهر والزمخشري لم يحاولوا أن يضيفوا إلى البلاغة شيئاً يذكر، ولا أن يدرسوها كما هي، بل عمدوا إلى تلخيص بلاغة عبد القاهر، وأحياناً يضيفون إليها شيئاً من بلاغة الزمخشري، وانتهى بهم الأمر إلى تلخيص بلاغة السكاكي، وكانت هذه التلخيصات يشوبها الغموض؛ فعمدوا إلى شرحها وعمل الحواشي والتقريرات عليها، وأصبحت البلاغة في خدمة كتب البلاغة نفسها، لا في خدمة قضية الإعجاز»[٢].

أخيراً نؤكد أن الزمخشري أمة وحده في باب البلاغة والإعجاز، وكان شيخنا الدكتور محمد أبو موسى قد جعل أطروحته للدكتوراة بعنوان: (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري) وهي دراسة علمية جادة ممتعة لمن أراد أن يتفيأ ظلال البلاغة القرآنية، والدراسات حول الزمخشري كثيرة، وقد أكرمني الله بالكتابة عنه في أكثر من بحث وكتاب[٣].

❑ ❑ ❑

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(٢) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص(٨٠٢ ـ ٨٠٣).

(٣) من ذلك بحثنا الذي استفدنا منه هنا، والموسوم بـ: (التجديد في منهجية التفسير بين الزمخشري وسيد قطب، دراسة تحليلية تطبيقية مقارنة)، المنشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد (٤٥) ربيع الأول ١٤٢٢ هـ/ يونيو ٢٠٠١ م. ومن ذلك ترجمتنا له في كتابنا (الإمام الطيبي الإمام في التفسير والحديث والبلاغة العربية، حياته وجهوده العلمية)، وسيرد ذكره في الفصل التالي عند الحديث عن الإمام الطيبي.

رفع المسـاهم

المبحث الخامس
جهود مختلفة لأعلام في البلاغة والإعجاز

كان القرآن الكريم مرجع النحاة والأدباء والبلغاء في تاريخ الأمة، وقد قامت نهضة علمية حضارية بسببه ملأت الدنيا، وانتفع بها الناس، ولم تدون علوم العربية إلا خدمة له، وتقرباً إلى الله بحفظ علوم كتابه، واللسان المبين الذي نزل به، وهذا مما يفسر لنا كثرة الكتب في معاني القرآن، وازدياد أعدادها من جيل لآخر، وشغف العلماء بالبحث عن إعجاز الكتاب العزيز، وإقدامهم على التأليف في علوم البلاغة والنقد والإعجاز. . وفي تاريخ البلاغة وعلم إعجاز القرآن أعلام كثيرون يصعب الإحاطة بذكرهم جميعاً، لذا سوف نعرج على أشهرهم بإيجاز، منوهين بجهودهم وفضلهم، وأما التفصيل فهو يحتاج إلى مجلدات، والإشارة قد تغني عن الكلام الطويل.

أولاً: الفراء:

١ ـ وهو صاحب كتاب (معاني القرآن)[١]، وقد أملاه على تلاميذه إملاء[٢]، وفيه «لا يفسر الذكر الحكيم بالطريقة المعروفة، وإنما يتخير من الآيات على ترتيب السور ما يدير حوله مباحثه اللغوية والنحوية، وبذلك يحل مشكلها ويوضح غامضها، مدلياً دائماً بآرائه النحوية، ومعبراً بما اختاره للنحو

(١) يحيى بن زياد الديلمي، أبو زكرياء المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، (١٤٤ ـ ٢٠٧هـ = ٧٦١ ـ ٨٢٢م). انظر الأعلام، (٨/ ١٤٥).

(٢) انظر: معاني القرآن، (١/ ١) عالم الكتب، بيروت.

من مصطلحات جديدة، ناثراً من حين إلى حين آراء أستاذه الكسائي، وآراء النحويين البصريين»[(١)].

٢ ـ عرض في هذا الكتاب لبعض مباحث البلاغة، «إذ عني فيه بشرح آي الذكر الحكيم شرحاً بسط فيه الكلام في التراكيب وتأويل العبارات، وتحدث فيه عن التقديم في الألفاظ والتأخير، والإيجاز والإطناب والمعاني التي تخرج إليها بعض الأدوات كأداة الاستفهام، كما تحدث أو قل أشار إلى بعض الصور البيانية من مثل التشبيه والكناية والاستعارة»[(٢)].

٣ ـ وذهب الدكتور عبد الفتاح لاشين إلى تفضيل منهج الفراء على أبي عبيدة، يقول:

«وترجح كفة الفراء على أبي عبيدة ببحثه الناحية الموسيقية لنظم القرآن، مما يجعل له أثراً موسيقياً فعالاً في النفوس، وذلك لما في النسق الصوتي والترابط بين الكلام، وانسجام النغم، وتوافق الفواصل في أواخر الآيات، فهو في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] لا يوافق على التفسير الحرفي اللغوي للجنتين بمعنى البستانين، بل يرى أن هذه التثنية بمعنى الإفراد، وهو ما عدل إليه القرآن مراعاة للنظم، كما يراعى ذلك في الشعر لمراعاة الوزن والقافية»[(٣)].

٤ ـ وهذه نماذج مما قال الفراء تدل على منهجه:

يقول عند قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]: «اجتمع القراء على رفع الحمد، وأما أهل البدو فمنهم من يقول: الحمدَ لله، ومنهم من يقول: الحمدِ للهم، ومنهم من يقول: الحمدُ لُله، فيرفع الدال واللام»[(٤)].

---

(١) المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ص (١٩٤)، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.

(٢) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٢٩).

(٣) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ص (١٨ ـ ١٩).

(٤) معاني القرآن، (١/ ٣).

رفع
المسلم
عبدالله الملالي

ثم يتأول قراءات البدو بعد ذلك، وهذه ميزة من ميزات كتابه الذي عني بوجوه القراءات وتأويلها والاستدلال لها.

وعند قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١ ـ٢] يقول مبرراً الوقوف على ساكن في حروف الهجاء التي تبدأ بها بعض السور: «الهجاء موقوف في كل القرآن، وليس بجزم يسمى جزماً، وإنما هو كلام جزمه نية الوقوف على كل حرف منه، فافعل جزماً ذلك بجميع الهجاء فيما قل أو كثر»(١).

وعند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] قال مبيناً أن التشبيه للفعل لا لصاحبه: «فإنما ضرب المثل والله أعلم للفعل لا لأعيان الرجال، وإنما هو مثل للنفاق، فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ ولم يقل: الذين استوقدوا. وهو كما قال الله تعالى: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]. وقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]. فالمعنى والله أعلم: إلا كبعث نفس واحدة، ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعاً، كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] أراد القيم والجسام. وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] فكان مجموعاً إذا أراد أعيان الرجال، فأجر الكلام على هذا»(٢).

وهكذا نجد الفراء قد بذل جهوداً لغوية لإضاءة النص القرآني، وهي جهود مبكرة ذات إيحاءات بلاغية.

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٩).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١١٥).

ثانياً: أبو عبيدة معمر بن المثنى

١ ـ هو صاحب كتاب (مجاز القرآن)[١]، وقد قدم لهذا الكتاب الأستاذ أمين الخولي، وقال في تقدمته: «وهذا الكتاب يعد في الثقافة الإسلامية من كتب الطليعة الأولى، التي يحفل بها مؤرخو تلك الثقافة، ويرون في أضوائها تطور تلك الثقافة ومسالك نمائها»[٢].

٢ ـ وظاهر عنوانه كما يقول الدكتور شوقي ضيف: «يوهم أنه صنفه في المجاز بالمعنى البلاغي الاصطلاحي، وحقيقة الأمر أن كلمة مجاز عنده تعني الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية المختلفة»[٣].

٣ ـ وأما عن سبب تأليفه، فقد قال الدكتور عبد العزيز عرفة: «.. كما ظهرت مشكلة وجود العجمي في القرآن الكريم، التي كانت وراءها دعوة مسمومة ترمي إلى الصد عن فهم كتاب الله، وبالتالي على الوقوف على أسرار إعجازه، فقام أبو عبيدة يعالج هذه المشاكل في كتابه مجاز القرآن، مقتدياً بابن عباس رضي الله عنه، وضارباً عرض الحائط بتهيب اللغويين والنحويين وتحرجهم من تفسير القرآن الكريم، من أمثال الأصمعي وأضرابه، كما قام بدراسة للأدب العربي في كتابه النقائض بين جرير والفرزدق، وكانت محاولة أبي عبيدة ناجحة، إذ أرسى أسس دراسة المقارنة بين الأدب العربي ومثله الأعلى القرآن الكريم، كما برزت على يديه بعض المصطلحات البلاغية والآراء البيانية التي كانت النواة الأولى في بناء صرح البلاغة التعليمية العربية، وسار

---

(١) معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده ووفاته بالبصرة. (١١٠ ـ ٢٠٩هـ = ٧٢٨ ـ ٨٢٤م). انظر: الأعلام، (٧/ ٢٧٢).

(٢) مجاز القرآن، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين، (١/ ٦)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٣) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٢٩).

رفع المسهم

على منهجه تقريباً الفراء في كتابه معاني القرآن »[١].

٤ ـ وكان أبو عبيدة قد أشار إلى عربية القرآن في أول كتابه، فقال: «قالوا إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، ومصداق ذلك في آية من القرآن، وفي آية أخرى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]. فلم يحتج السلف، ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي - ﷺ - أن يسألوا عن معانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب ومن المعاني»[٢].

٥ ـ ذكر بعض المصطلحات البلاغية، فقد أشار إلى تكرار التوكيد في قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٦] حيث قال: «العرب تؤكد الشيء وقد فرغ منه، فتعيده بلفظ غيره تفهيماً وتوكيده»[٣].

وذكر الكناية عند قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، حيث قال: «وزعم يونس عن أبي عمرو أن خاضعين ليس من صفة الأعناق، وإنما هي من صفة الكناية عن القوم التي في آخر العناق، فكأنه في التمثيل فظلت أعناق القوم في موضع (هم) والعرب قد تترك الخبر عن الأول، وتجعل الخبر للآخر منهما، وقال:

طولُ الليالي أسرعت في نقضي طوين طولي وطوينَ عرضي

فترك طول الليالي وحول الخبر إلى الليالي، فقال: أسرعت، ثم قال: طوين»[٤].

٦ ـ وكثيراً ما كان يشير إلى معنى الآية مباشرة أو بلفظ المجاز، فعند قوله

---

(١) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص(٧٩٨).

(٢) مجاز القرآن، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين، (١/٨).

(٣) المصدر السابق، (٢/٧٠).

(٤) المصدر السابق، (٢/٨٣).

المسا همر

تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الحج: ٥] قال: « أرذل العمر مجازه أن يذهب العقل ويخرف».

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] قال: « زوج بهيج: أي حسن قشيب جديد».

وعند قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٩] قال: «ثاني عطفه ليضل: يقال جاءني فلان ثاني عطفه أي يتبختر من التكبر»[١].

والخلاصة أن كتاب مجاز القرآن هو محاولة لتفسير غريب القرآن، وبيان مجازه في التعبير، ووجوه نظمه التي لا يوجد مثلها في بيان العرب.

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، (٢/ ٤٥).

رفع المسلم عبد الله العواجي

ثالثاً: النظام

١ ـ النظام من رؤوس المعتزلة[1]، وقد ذهب إلى أن القرآن معجز بالصرفة، أي بأمر خارجي، وهو تدخل القدرة الإلهية بصرف العرب عن معارضته، لا بما فيه من الفصاحة والبلاغة، وقد بسط السيوطي الكلام عن رأي النظام في الإعجاز، والرد على ما ذهب إليه، فقال: « ثم زعم النظام أن إعجازه بالصرفة: أي أن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات. وهذا قول فاسد بدليل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الآية [الإسراء: ٨٨]، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز؟ بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله. وأيضاً فيلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة: أن معجزة الرسول العظمى باقية، ولا معجزة له باقية سوى القرآن.

قال القاضي أبو بكر: ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت معارضته ممكنة، وإنما منع منها بالصرفة لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون بالمنع معجزاً، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه. قال: وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم: إن الكل قادرون على الإتيان بمثله، وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به. ولا بأعجب من قول آخرين أن

---

(١) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة. وفاته (٢٣١هـ) = (٨٤٥م). انظر: الأعلام، (١/ ٤٣).

رفع المسهم

العجز وقع منهم، وأما من بعدهم ففي قدرته الإتيان بمثله، وكل هذا لا يعتد به»[1].

٢ ـ كما عرض الرافعي رأي النظام ورد عليه، فقال: «فذهب شيطان المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النظام إلى أن الإعجاز كان بالصرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن، مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة، قلنا وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن»[2].

وبين الرافعي اشتهار النظام بالقول بالصرفة، واستعانته بمقدرته اللغوية والعلمية لترويج هذا القول، قال: «غير أن النظام هو الذي بالغ في القول بالصرفة، حتى عرفت به، وكان هذا الرجل من شياطين أهل الكلام، على بلاغة ولسن وحسن تصرف، غير أنه شب في ناشئة الفتنة الكلامية، فلم ينتفع بيقين»[3].

٣ ـ ولا ريب أن ما ذهب إليه النظام بعيد عن الحق، إلا أن يُقال إن الله صرف العرب عن معارضة القرآن، مع أن القرآن معجز بفصاحته وبلاغته أيضاً، وإنما كان الصرف لحكمة ما، قد تكون في عدم إضاعة وقت النبي عليه السلام في الجدل معهم في قضايا الفصاحة، أو قد تكون في سد باب الجدل في دين الله لكي لا يتطاول عليه الجهال والحاسدون، وقد قال عدد من العلماء بالجمع بين الصرفة والبلاغة، منهم الأصبهاني في تفسيره، حيث قال: «اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين: أحدهما إعجاز متعلق بنفسه. والثاني بصرف الناس عن معارضته. فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته، أو بمعناه»[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ١٥١).
(٢) تاريخ آداب العرب، للرافعي، (٢/ ١٤٤).
(٣) المرجع السابق، (٢/ ١٤٥).
(٤) الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ١٥٣).

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

رابعاً: ابن قتيبة

١ ـ وضع ابن قتيبة[١] كتابه (تأويل مشكل القرآن) للرد على الطاعنين في بلاغة القرآن من الملحدين، فبين ما غمض من معناه، وفسر المشكل الذي ادعي على القرآن فساد النظم فيه، وهو يقصد ببلاغة القرآن: صحة التأليف الذي قطع أطماع الكائدين، وعجيب النظم الذي دحض حيل المتكلفين.

٢ ـ أفرد أبواباً تناولت بعض مباحث البلاغة، فهناك أبواب للمجاز والاستعارة والمقلوب والحذف والاختصار وتكرار الكلام، والكناية والتعريض ومخالفة ظاهر اللفظ معناه[٢]، كما لم يغفل الناحية اللغوية فتناول غريب لغة القرآن في جميع السور، واللفظ الواحد للمعاني المختلفة، وحروف المعاني، ودخول بعض حروف الصفات مكان بعض.

٣ ـ جاء في مقدمته: «الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد، وهدانا بنور الكتاب ولم يجعل له عوجاً، بل نزله قيماً مفصلاً: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وشرفه وكرمه ورفعه وعظمه، وسماه روحاً ورحمة وشفاء وهدى ونوراً، وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلواً لا يمل على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجه الآذان، وغضاً لا يخلق على كثرة الرد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقضي فوائده، ونسخ به سالف الكتب،

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، مولده ووفاته ببغداد، (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ = ٨٢٨ ـ ٨٨٩م). انظر: الأعلام، (٤/ ١٣٧).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، ص (١٠٣ ـ ٢٩٨)، دار التراث، القاهرة.

المسهم

وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه، وذلك معنى قول رسول الله - ﷺ - : أوتيت جوامع الكلم»[1].

٤ ـ خصص باباً بعنوان: (باب ذكر العرب وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتساع المجاز)، قال في مطلعه: «وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصيصى من الله، لما أرهصه في الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب، فجعله علمه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه، فكان لموسى: فلق البحر، واليد والعصا، وتفجر الحجر في التيه بالماء الرواء، إلى سائر أعلامه زمن السحر.

وكان لعيسى: إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص، إلى سائر أعلامه زمن الطب.

وكان لمحمد - ﷺ - الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، إلى سائر أعلامه زمن البيان»[2].

٥ ـ كانت له جهود كبيرة في خدمة اللغة والبيان والقرآن العظيم، وهو تلميذ الجاحظ، إلا في العقيدة، فهو سني والجاحظ معتزلي، وقد «بادر في صدر كتابه تأويل مشكل القرآن ببيان وجه الإعجاز القرآني، فقرر أنه معجز بتأليفه البديع ونظمه العجيب، يقول: وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين»[3].

(١) المصدر السابق، ص (٣ ـ ٤).
(٢) المصدر السابق، ص (١٢).
(٣) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص (٢١٣).

المسلم

٦ ـ تتجلى أسرار النظم القرآني عنده فيما يأتي:

أ ـ ما فيه من الجمال التوقيعي الفريد والنسق الصوتي البديع، الناشئ من تقسيم الحركة والسكون فيه تقسيماً عادلاً... يقول: «وجعله متلواً لا يمل على طول التلاوة، وغضاً ومسموعاً لا تمجه الآذان».

ب ـ ما فيه من معان خالدة، وما حواه من علوم خارجة عن متناول البشر، يقول: «لا يخلق على كثرة الرد، وعجيباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقضي فوائده».

ج ـ ما فيه من المعاني البلاغية التي تعتمد على دقة التعبير وإجادة التصوير بأسلوب يثير الخيال، ويحفز على العمل، وقد ذكر منها ابن قتيبة عقب رأيه هذا الإيجاز الذي هو التعبير عن المعاني الكثيرة ـ بدقة وعمق ـ بألفاظ قليلة[(١)].

٧ ـ إضافة إلى ما سبق فلقد «خطت المصطلحات البلاغية على يديه خطوة نحو التنظيم والتبويب، ودافع عن المجاز دفاعاً حاراً، موضحاً أنه ضرورة لغوية لا يستغني التعبير عنه»[(٢)].

٨ ـ ولابن قتيبة كتب كثيرة بث فيها نظرياته وآراءه البلاغية والنقدية، منها كتابه (الشعر والشعراء) حيث قال في مقدمته: «ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلاً حظه، ووفرت عليه حقه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في مُتَخيره، ويُرذِل الشعر الرصين، ولا عيب عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائلَه، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر»[(٣)].

---

(١) انظر: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص(٢١٣ ـ ٢١٤).

(٢) المرجع السابق، ص(٧٩٩).

(٣) الشعر والشعراء، راجعه محمد العريان، ص (٢٣).

رفع المسـتهمر

٨ ـ ذكر أن القصيد ينبغي أن يبدأ بالنسيب ثم بالرحلة ومشاقها، ثم المديح، وقال: «فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه القسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين، ولم يطمع وبالنفوس ظمأ إلى مزيد»(١).

٩ ـ أشار ابن قتيبة أن هناك أموراً تطرأ على الشاعر تثير خياله، وتحرك شاعريته، قال:

« .. وللشعر دواعٍ تحث البطيء، وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشرابُ، ومنها الطرب، ومنها الغضب، وقيل للحطيئة: أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حيةٍ، وقال: هذا إذا طمع!»(٢).

١٠ ـ ذكر أن الشعر أربعة أضرب(٣):

ضرب حسن لفظه وجاد معناه.

وضرب حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.

وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه.

وضرب تأخر معناه ولفظه.

١١ ـ تحدث عن عيوب الشعر، فذكر عيوب القوافي من الإقواء والإكفاء، والسناد، والإيطاء، والإجازة، والضرورات الشعرية، وقال عقب ذلك: «وهذا يكثر، وفيما ذكرت منه ما دلك على ما أردت من اختيارك، أحسن الروي، وأسهل الألفاظ، وأبعدها من التعقد، والاستكراه، وأقربها من أفهام العوام، وكذلك أختار للخطيب إذا خطب، والكاتب إذا كتب، فإنه يُقال: أسيرُ الشعر والكلام المُطمع؛ يراد الذي يُطمع في مثله من سمعه، وهو مكان النجم من يد المتناول»(٤).

---

(١) المصدر السابق، ص (٣١).

(٢) الشعر والشعراء، راجعه محمد العريان، ص (٣٤).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٢٤ ـ ٢٧).

(٤) المصدر السابق، ص (٥٠).

١٢ ـ وفي كتابه: (أدب الكاتب) جملة من المسائل البلاغية، فلقد أشار في مقدمته إلى ما اعترى الكتاب من الجهل بالكتاب والسنة، فقال: «فأبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط، قويم الحروف، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة، أو وصف كأس، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب، وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق، ثم يعترض على كتاب الله بالطعن، وهو لا يعرف معناه، وعلى حديث رسول الله - ﷺ - بالتكذيب وهو لا يدري من نقله»[١].

وقد أشار في كتابه إلى جملة من الأمور ينبغي أن يلتزم بها الكاتب في نطاق الأسلوب والألفاظ، فقال: «ونستحب له أيضاً أن يدع في كلامه التقعيرَ والتقعيبَ، كقول يحيى بن يَعمر لرجل خاصمته امرأته عنده: (أَأَنْ سألتكَ ثمنَ شَكرها وشبْرِكَ، أنشأتَ تطُلها وتضْهَلُها)»[٢].

ويضيف مؤكداً على ضرورة مراعاة الألفاظ لمقتضى الحال: «ونستحب له أيضاً: أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيع الكلام»[٣].

١٢ ـ نقد وصية أبْـرَوِيز لكاتبه، وهي قوله: (واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول). يريد الإيجاز، قال ابن قتيبة: «وهذا ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، ولو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال للتوكيد تارة، وحذف تارة للإيجاز، وكرر تارة للإفهام»[٤].

والخلاصة أن ابن قتيبة من أبرز العلماء والباحثين بعد الجاحظ، وهو ممن

---

(١) أدب الكاتب، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (٢ ـ ٣)، دار المطبوعات الحديثة، بيروت.

(٢) المصدر السابق، ص (١٢ ـ ١٣).

(٣) المصدر السابق، ص (١٤).

(٤) المصدر السابق، ص (١٦ ـ ١٧).

رفع
المسـ هم
عبد الله

مهدوا الطريق أمام بروز علمي البلاغة والإعجاز بما ذكره من ملاحظات ومصطلحات بيانية وأدبية، وبما بذله من جهد في الذود عن بيان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

❑ ❑ ❑

رفع
المسلم
عبد الله الهيثمي

خامساً: المبرد

١ ـ وهو صاحب كتاب (الكامل في اللغة والأدب)[١]، وفي بداية كتابه يحدد منهجه فيقول:

«هذا كتاب ألفناه، يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً كافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يُرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً، وبالله التوفيق»[٢].

٢ ـ أشار إلى أسلوبي: الإيجاز والإطناب في كلام العرب، وإلى ما يقع فيه البلغاء من ضرورات تضطرهم للخروج عن المنهج السوي الواضح في الكلام، وبين متى يكون ذلك موضع مؤاخذة، ومتى يمكن التغاضي عنه، يقول: «من كلام العرب الاختصار المُفهم، والإطناب المُفخَّم، وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه، كما قيل: لمحة دالة، وقد يُضطر الشاعر المُفلق والخطيبُ المصقَعُ والكاتب البليغ، فيقع في كلام أحدهم المعنى المُستغلِقُ، واللفظ المستكرَه، فإن انعطفتْ عليه جنْبتا الكلام، غطتا على عواره، وسترتا من شينه، وإن شاء قائل أن يقول: بل الكلامُ القبيحُ في الكلام

---

(١) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية في بغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد، (٢١٠ ـ ٢٨٦هـ = ٨٢٦ ـ ٨٩٩م). انظر: الأعلام، (٧/ ١٤٤).

(٢) الكامل في اللغة والأدب، (١/ ٢)، مكتبة المعارف، بيروت.

الحسنِ أظهرُ، ومجاورتهُ له أشهر، كان ذلك له، ولكن يُغتفر السيئ للحسن، والبعيد للقريب»[1].

٣ ـ ذكر نماذج للكلام الحسن، وأخرى للقبيح، قال: «فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنةِ الوصف، الجميلة الرصف، قول الحطيئة:

وذاك فتى إن تأته في صنيعةٍ إلى ماله لا تأته بشفيعِ

وكذلك قال عنترة:

يُخبركِ من شهدَ الوقيعةَ أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنمِ

... ومن أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني، قوله:

وما مثلهُ في الناسِ إلا مُملكاً أبو أمه حيٌّ أبوهُ يقاربُه

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو خال هشام بن عبد الملك، فقال: وما مثلهُ في الناسِ إلا مُملكاً، يعني بالمملك هشاماً أبو أم ذلك المُملكِ أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه، لكان قبيحاً، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثلهُ في الناس حي يقاربُه إلا مملك أبو أم هذا المُملك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير»[2].

٤ ـ وتحدث عن التشبيه، وأقسامه، فقال: «والتشبيه جارٍ كثير في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثرُ كلامهم لم يُبعد»[3]. وجعله أربعة أقسام، قال: «والعرب تشبه على أربعةِ أضربٍ: فتشبيه مفرط، وتشبيه مُصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير، ولا يقوم بنفسه، وهو أخشن الكلام. فمن التشبيه المفرط المتجاوز، قولهم للسخي: هو كالبحر، وللشجاع هو كالأسد، وللشريف: سما حتى بلغ النجم. ثم زادوا فوق ذلك، فمن ذاك قول

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٧).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١٧ ـ ١٨).

(٣) المصدر السابق، (٢/ ٧٩).

بعضهم وهو بكر النطاح لأبي دُلف القاسم بن عيسى:

لــهُ همــمٌ لا منتهــى لكبــارهــا ... وهمته الصُّغرى أجل من الدهر
لـه راحـةٌ لـو أن معشار جـودهـا ... علـى البرِّ صار أندى من البحرِ
ولو أنَّ خلْقَ اللهِ في مسكِ فارسٍ ... وبـارزَه كـان الخليُّ مـن العمرِ[1]

ومن التشبيه المصيب: «قال امرؤ القيس: في طول الليل:

كـأنَّ الثريـا عُلقـت فـي مَصامهـا ... بـأمراس كتَّـانٍ إلـى صُـمِّ جنـدلِ

فهذا في ثبات الليل وإقامته»[2].

والتشبيه المقارب عند المبرد هو التشبيه المقلوب، فقد قال: «ومن حلو التشبيه، وقريبه، وصريح الكلام، قول ذي الرمة:

ورمـلٌ كـأوراكِ العـذارى قطعتُـهُ ... وقـد حلَّلَتـه المظلمـاتُ الحنـادسُ

الحنـدِسُ: اشتداد الظلمة، وهو توكيد لها»[3].

«وأما التشبيه البعيد الذي لا يقوم بنفسه، فكقوله:

بـل لـو رأتْنـي أخـتُ جيـراننـا ... إذ أنـا فـي الـدار كـأنـي حمـارُ

فإنما أراد الصحة، فهذا بعيد لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره»[4].

٥ ـ تحدث المبرد عن الكناية، وهي تقع على ثلاثة أضرب[5]:

الضرب الأول: التعمية والتغطية، كقول النابغة الجعدي:

أكني بغير اسمها وقد علـمَ الله خفيات كل مُكتتمِ

وقال ذو الرمة استراحة إلى التصريح من الكناية:

أحب المكانَ القفرَ من أجل أنني ... بـهِ أتغنـى بـاسمِهـا غيـرَ مُعجمِ

الضرب الثاني: الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه

---

(١) المصدر السابق، (٢/ ١٠١).
(٢) الكامل في اللغة والأدب، (٢/ ٧٧).
(٣) المصدر السابق، (٢/ ٨٩).
(٤) المصدر السابق، (٢/ ١٠٣).
(٥) انظر: المصدر السابق، (٢/ ٤ ـ ٥).

المسهم

من غيره، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣].

وقال الله تعالى في المسيح وأمه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة.

الضرب الثالث: للتعظيم والتفخيم، ومنه اشتقت الكُنية، وهو أن يُعظم الرجل أن يُدعى باسمه.

٦ ـ يوجز الدكتور شوقي ضيف جهود المبرد بأن هناك «ملاحظات بيانية تتخلل كتابه الكامل من حين إلى حين، وهو يعرض فيه نماذج أدبية شعرية ونثرية كثيرة، متبعاً لها بالشرح اللغوي، ومشيراً أحياناً إلى ما في الكلام من استعارة أو التفات أو إيجاز أو إطناب أو تقديم أو تأخير، ويذكر أحياناً كلمة المجاز ولكن بالمعنى اللغوي، وقد وقف عند الكناية وجعلها على ثلاثة أوجه، فهي إما للتعمية والتغطية، وإما للرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، وإما للتفخيم والتعظيم. وفصل الحديث في التشبيه تفصيلاً لعله لم يُسبق إليه، ساق فيه أمثلة كثيرة، وقد وزعه على أربعة أنواع: تشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد. وربما كان أهم ما تركه للبلاغيين من بعده ملاحظته تنوع أضرب الخبر والمعنى واحد»[١].

❑ ❑ ❑

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٦٠ ـ ٦١).

رفع المسا همر

سادساً: ابن المعتز

١ ـ ابن المعتز هو واضع علم البديع[١]، يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: «وإذا كان عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة (٤٧١ هـ) وصاحب كتابي: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) هو واضع نظرية علم البيان وعلم المعاني، فإن عبد الله بن المعتز هو واضع علم البديع، كما يفهم ذلك من كتابه المسمى: كتاب البديع، الذي ألفه سنة (٢٧٤) للهجرة، ويبدو أنه ألف هذا الكتاب رداً على من زعم من معاصريه أن بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبا نواس هم السابقون إلى استعمال البديع في شعرهم»[٢].

٢ ـ بين ابن المعتز أن البديع موجود في كلام العرب القدماء، وفي كتاب الله عز وجل وحديث نبيه عليه السلام، ليثبت أصالة هذا الفن في تراث العرب، وأن المحدثين لم يسبقوا إليه، وإنما أكثروا منه، وعن ذلك يقول في مقدمة كتابه: «قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس من تقيلهم وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم، حتى سمي بهذا الاسم، فأعرب عنه ودل عليه، ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به، حتى غلب عليه وتفرع فيه، وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف. وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة،

---

(١) عبد الله بن محمد المعتز بالله، بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، أبو العباس، شاعر وخليفة، مولده ووفاته ببغداد، (٢٤٧ ـ ٢٩٦هـ = ٨٦١ ـ ٩٠٩م). انظر: الأعلام، (١١٨/٤ ـ ١١٩).

(٢) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ص (١٢).

رفع
المسلم
عبد الله الجليل

وربما قُرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وكان يستحسن منهم إذا أتى نادراً»[1].

٣ ـ وفنون البديع التي درسها في كتابه (البديع) خمسة: الاستعارة والجناس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي. ولا شك أنه مزج بين بعض مباحث علم البيان وعلم البديع لعدم وضوح حدود كل علم حينذاك، فالاستعارة أدخلها الشيخ عبد القاهر فيما بعد في مباحث علم البيان.

٤ ـ ورغبة منه في أن تكثر فوائد كتابه للمتأدبين أتبع هذه الفنون الخمسة التي اعتمدها أصولاً لعلم البديع، بذكر ثلاثة عشر فناً بديعياً سماها (محاسن الكلام والشعر)، وقد قال في مقدمة هذا القسم: «ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنها كثيرة، لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها، ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختباراً من غير جهل بمحاسن الكلام»[2]، وهذه الفنون هي:

١ ـ الالتفات.

٢ ـ اعتراض كلام في كلام لم يتمم الشاعر معناه، ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد.

٣ ـ الرجوع.

٤ ـ حسن الخروج من معنى إلى معنى.

٥ ـ تأكيد مدح بما يشبه الذم.

٦ ـ تجاهل العارف.

٧ ـ هزل يراد به الجد.

٨ ـ حسن التضمين.

٩ ـ التعريض والكناية.

---

(١) البديع، تحقيق كراتشكوفسكي، ص (١)، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٢) المصدر السابق، ص (٥٨).

رفع المسهم

١٠ ـ حسن التشبيه.

١١ ـ إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له، وهو ما عرف فيما بعد بلزوم ما لا يلزم من القوافي.

١٢ ـ حسن الابتداءات.

١٣ ـ الإفراط في الصفة (المبالغة)[١].

٥ ـ وقيمة كتاب البديع تتجلى في أمرين:

الأول: التركيز على خصائص النص، وإهمال بعض الجوانب الأخرى التي كانت طرفاً مهماً في النظرية البلاغية مثل المتكلم والسامع.

الثاني: النظر إلى مسألة البديع من زاوية الصراع بين القدماء والمحدثين[٢].

❑

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٥٨ ـ ٧٧).

(٢) انظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، مشروع قراءة، حمادي صمود، ص (٥٩٨).

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

سابعاً: قدامة بن جعفر

١ ـ وضع قدامة كتاب (نقد الشعر)[١]، وتحدث في مقدمة كتابه موضحاً سبب تأليفه، فقال: «العلم بالشعر ينقسم أقساماً:

فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه.

وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه.

وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته.

وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به.

وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه.

وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة... ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة»[٢].

ويضيف مبيناً جهل الناس بقواعد النقد الأدبي: «فأما علم جُيد الشعر من رديئه فإن الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم، فقليلاً ما يصيبون، ولما وجدت الأمر على ذلك، وتبينت أن هذا الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع»[٣].

---

(١) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة، توفي ببغداد (٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م). انظر: الأعلام، (٥/ ١٩١).

(٢) نقد الشعر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص (٦١)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) المصدر السابق، ص(٦٢).

رفع
المسهم
عبد الله ابراهيم

٢ ـ بعد ذلك ينتقل إلى الفصل الأول، وفيه عرف الشعر فقال: «إنه قول موزون مقفى يدل على معنى» . وقرر بأن الشعر صناعة، والغرض «في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل على غاية التجويد والكمال، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان، أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة، وحدوده بينهما تسمى الوسائط»[١] .

٣ ـ ويقرر هنا حرية الشاعر، فيقول: «ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ماأريد أن أتكلم فيه، أن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر، من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه»[٢] .

٤ ـ ولا يرى بأساً من تناقض الشاعر مع نفسه، يقول: «ومما يجب تقديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً واحداً وصفاً حسناً، ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً، بيناً غير منكر عليه، ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها»[٣] .

٥ ـ ذكر أن المفردات التي يحيط بها حد الشعر أربعة: اللفظ والمعنى والوزن والتقفية. وهذه الأربعة ينتج من ائتلافها أربعة أخرى، وهي:

ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى.

ـ ائتلاف اللفظ مع الوزن.

ـ ائتلاف المعنى مع الوزن.

ـ وائتلاف المعنى مع القافية.

ليقول بعد هذا: «وصارت أجناس الشعر ثمانية، وهي الأربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حده، والأربعة المؤلفات منها. ولما كان لكل واحدة من هذه الثمانية صفات يمدح بها، وأحوال يعاب من أجلها، وجب أن يكون

---

(١) المصدر السابق، ص(٦٤).

(٢) المصدر السابق، ص(٦٥).

(٣) المصدر السابق، ص(٦٦).

رفع المسلم

جيد ذلك ورديئه لاحقين للشعر، إذ كان لا يخرج شيء منه عنها»[1].

٦ - في الفصل الثاني: تناول نعوت عناصر الشعر الأربعة المفردات، ففي نعت اللفظ قرر «أن يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة»[2].

وفي نعت الوزن: أن يكون سهل العروض، وتحدث عن الترصيع، «وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف»[3].

وفي نعت القوافي: «أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج، وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها»[4].

وفي المعنى قال: «وجماع الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجهاً للغرض المقصود، غير عادل عن الأمر المطلوب»[5]. وقد قصر الحديث في المعنى على أهم الأغراض الشعرية، وهي: المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه.

٧ - وفي حديثه عن نعت التشبيه عرف التشبيه بقوله: «ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد»[6].

٨ - بعد ذلك يذكر نعوتاً تعم جميع المعاني الشعرية، وهي على التوالي: صحة التقسيم، صحة المقابلة، صحة التفسير، التتميم، المبالغة، التكافؤ، الالتفات.

٩ - بعد ذلك ينتقل ليتناول نعوت عناصر الشعر الأربعة المركبات، ففي

---

(١) المصدر السابق، ص(٧٠).
(٢) المصدر السابق، ص(٧٤).
(٣) المصدر السابق، ص(٨٠).
(٤) المصدر السابق، ص(٨٦).
(٥) المصدر السابق، ص(٩١).
(٦) المصدر السابق، ص(١٢٤).

رفع المسهم عبد الله الحمد

نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى، يتحدث عن: المساواة، الإشارة، الإرداف، التمثيل، المطابق، المجانس.

ثم يتحدث عن ائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية، ويتحدث فيه عن التوشيح والإيغال.

١٠ ـ وفي الفصل الثالث من كتابه عيوب الشعر تناول العيوب في العناصر الأربعة المفردة، والعناصر الأربعة المركبة.

ففي عيوب اللفظ تحدث عن المعاظلة. ثم تحدث عن عيوب الوزن، وعيوب القوافي وهي: التجميع، الإقواء، الإيطاء، السناد. ثم عن عيوب المعاني في الأغراض الشعرية الست، ثم عن العيوب العامة للمعاني، وهي عنده: فساد الأقسام، فساد المقابلات، فساد التفسير، الاستحالة والتناقض، إيقاع الممتنع في المعاني في حال ما يجوز وقوعه، مخالفة العرف، أن ينسب إلى الشيء ما ليس له.

ثم تحدث عن العيوب التي ترجع إلى العناصر الأربعة المركبة:

ففي عيوب ائتلاف اللفظ مع المعنى، تحدث عن الإخلال والتطويل لغير فائدة.

وفي عيوب ائتلاف اللفظ مع الوزن، تحدث عن الحشو والتثليم، والتذنيب والتغيير، والتعطيل.

وفي عيوب ائتلاف المعنى مع الوزن، تحدث عن المقلوب والمبتور.

وفي عيوب ائتلاف المعنى مع القافية، تحدث عن التكلف في طلب القافية، والإتيان بالقافية من أجل السجع.

١١ ـ يبقى أن نشير إلى تأثر قدامة بالفلسفة اليونانية ومنهج أرسطو، وحول هذا الأمر، ومجمل ما أضافه قدامة، يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين: «ألف قدامة كتابه نقد الشعر متأثراً فيه بالفكر اليوناني، وتعرض لمباحث عرفت بعد أنها من علم المعاني، وهي: التتميم، والإيغال، والمساواة، والإشارة، والإيجاز. كما تعرض لمباحث عرفت أنها من علم البيان، وهي: التشبيه،

رفع المسـتهم

ويفيض في بيان صوره وأقسامه، والاستعارة، والتمثيل، والإرداف، وعرف كل ذلك مع ضرب الشواهد لها. وقد عد قدامة وابن المعتز أول المخترعين للبديع والمدونين له، وقد وصف العلوي قدامة بأنه جواب البلاغة، ونقادها البصير، والمهيمن على معانيها، وخِرِّيتها الخبير»[1].

١٢ ـ وفي السياق ذاته يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي: «على أن قدامة في كتابه يضع منهجاً نقدياً لنقد الشعر، متأثراً فيه بالثقافتين العربية الأصيلة والفلسفة اليونانية، ونهج قدامة في نقد الشعر نقد عقلي، فقد صور المثل الأعلى للشعر، وما يجب أن يكون عليه، وذلك ببيان عناصر الشعر، والأوصاف الجميلة لكل عنصر، ثم قال: إن هذا المثل الأعلى يرشدنا أولاً وبالذات إلى معرفة جيد الشعر، وثانياً وبالتبع إلى معرفة رديئه الذي هو ضد الجيد منه، وثالثاً معرفة درجة الرداءة بالنسبة إلى ما كان من الشعر بين الجودة والرداءة»[2].

ويضيف مقرراً أثر قدامة في تدوين البلاغة العربية: «على أن هذا النهج الذي نهجه قدامة كان أكبر خطوة جريئة لتدوين البلاغة العربية، وأصول النقد الأدبي، وحسبك أن ثلاثة من النقاد العرب احتذوا قدامة ونهجه في النقد احتذاء كاملاً، وأولهم أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) في كتابه الصناعتين، وثانيهما ابن رشيق (٤٥٦هـ) في كتابه العمدة، وثالثهما ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) في كتابه سر الفصاحة، وقد تأثر علماء البلاغة تأثراً شديداً بقدامة وآرائه في نقد الشعر، ومنهم عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وسواهم»[3].

❑ ❑ ❑

---

(١) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص (٢٣ ـ ٢٤).
(٢) نقد الشعر، [تمهيد المحقق] ص (٥٧).
(٣) المصدر السابق، ص (٥٨).

رفع عبد الرحمن الهاشمي
المسلم

ثامناً: إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب

١ ـ وهو صاحب كتاب (نقد النثر)[١]، أو (البرهان في وجوه البيان) كما جزم بذلك الدكتور شوقي ضيف، معتمداً على مقال علي حسن عبد القادر «في سنة ١٩٤٨/١٣٦٨ بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، يقول فيه: إن هذا الكتاب الذي طبع باسم نقد النثر، ونسب خطأ إلى قدامة، إنما هو جزء من كتاب (البرهان في وجوه البيان) لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، عثر عليه في بعض المكتبات الأوروبية»[٢]، والمؤلف من أسرة كانت تخدم في الدواوين العباسية منذ عصر المأمون.

وكان الكتاب قد طبع منسوباً إلى قدامة بن جعفر، وقد جزم بذلك الأستاذ عبد الحميد عبادي[٣]، وما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف نقلاً عن علي حسن عبد القادر أقوى لأنه يعتمد على نسخة مخطوطة، وأما كلام العبادي فكان يعتمد على الموازنات بين نقد الشعر ونقد النثر، والاستقراء والاستنتاج.

٢ ـ وقد وضح في البداية منهجه فقال: «وقد ذكرت في كتابي هذا جملاً من أقسام البيان، وفقراً من آداب حكماء أهل اللسان، لم أسبق المتقدمين إليها، ولكني شرحت في بعض أقوالي ما أجملوه، واختصرت في بعض ذلك ما أطالوه، وأوضحت في كثير منه ما أوعروه، وجمعت في مواضع منه ما فرقوه، ليخف بالاختصار حفظه، ويقرب بالجمع والإيضاح فهمه»[٤].

٣ ـ وكتاب (نقد النثر) يتناول موضوعات شتى من موضوعات البلاغة؛ كالخبر والتشبيه والرمز والوحي والاستعارة والأمثال، واللغز والحذف

---

(١) لم يترجم له في الأعلام.
(٢) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٩٣).
(٣) انظر: كتاب نقد النثر، ص (٥٠) [مقدمة التحقيق].
(٤) المصدر السابق، ص (٥).

رفع
المسهم

والمبالغة والتقديم والتأخير، وتأليف العبارة وغير ذلك، كما تحدث عن المنثور وما جاء فيه، فتناول الخطب والترسل، والعيوب التي تشين الألفاظ في الخطابة، وتكلم عن حسن الخط في الكتابة، وأدب الجدل.

٤ ـ تحدث عن وجوه البيان، وهي عنده أربعة، يقول: «والبيان على أربعة أوجه: فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تُبن بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكرة واللب، ومنه البيان الذي هو نطق اللسان، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بَعُد أو غاب»[(١)].

٥ ـ تحدث عن القياس، وقال: «والقياس في اللغة التمثيل والتشبيه، وهما يقعان بين الأشياء في بعض معانيها لا في سائرها، ولأنه لا يجوز أن يشبه شيء شيئاً في جميع صفاته؛ ويكون غيره، والتشبيه لا يخلو من أن يكون تشبيهاً في حد أو وصف أو اسم، فالشبه في الحد هو الذي يحكم لشبهه بمثل حكمه إذا وجد، فيكون ذلك قياساً صادقاً وبرهاناً واضحاً. والشبه في الوصف هو الذي يحكم في بعض الأشياء، فيكون صادقاً، وفي بعضها فيكون كاذباً، والشبه في الاسم غير محكوم فيه بشيء إلا أن يكون الاسم مشتقاً من وصف»[(٢)].

٦ ـ وفي باب الخبر ذكر أن الخبر منه يقين ومنه تصديق، فاليقين ثلاثة أقسام:

أحدها: خبر الاستفاضة والتواتر الذي يأتي على ألسن الجماعة المتباينة هممهم وإرادتهم وبلدانهم.

والثاني: خبر الرسل عليهم السلام، ومن جهر من الأئمة.

والثالث: ما تواترت أخبار الخاصة به مما لم تشهده العامة.

وأما خبر التصديق فهو الخبر الذي يأتي به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر ولا أخبار المعصومين، ولا يُعلم من

---

(١) المصدر السابق، ص (٩).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٠).

جهة الآحاد، وذلك مثل الفتيا في حوادث الدين التي ابتلي بها قوم دون آخرين، فسألوا عنها فخُبروا بالواجب فيها[1].

٧ ـ وتحدث في باب الاستعارة عن سبب وجودها في كلام العرب، فقال: «وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها في كلام العرب لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، وليس هذا في لسان غير لسانهم، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة، ربما كانت مفردة له، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره، وربما استعاروا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز، فيقولون إذا سأل الرجلُ الرجلَ شيئاً فبخل به عليه: (لقد بخله فلان). وهو لم يسأله ليبخل، وإنما سأله ليعطيه، ولكن البخل لما ظهر منه عند مسألته إياه، جاز في توسعهم ومجاز قولهم أن يُنسب ذلك إليه. ومنه قول الشاعر:

* فللموتِ ما تلدُ الوالدة *

والوالدة إنما تطلب الولد ليعيش لا ليموت، ولكن لما كان مصيره إلى الموت جاز أن يقال: للموت ولدته، ومثله في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٦]. وذلك أنهم كانوا عند تلاوة القرآن قد حجبوا قلوبهم عن تفهمه، وصدفوا بأسماعهم عن تدبره، فجاز أن يقال على المجاز والاستعارة: إن الذي تلا ذلك عليهم جعلهم كذلك، والدليل على ما قلناه، وأن حقيقة الأمر أنهم هم الفاعلون لذلك دون غيرهم، قول الله عز وجل في موضع آخر: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٧]. ومثل الأول قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ الآية [الكهف: ٢٨]، لما غفل عن الذكر كان بمنزلة من بخل عند المسألة، فجاز أن يقال للذي أذكره قد أغفل قلبه، كما جاز أن يقال للذي سأل ذلك فبخل عليه قد بخله»[2].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٨ ـ ٣٠).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٤ ـ ٦٥).

رفع
المسـاهم
عفا الله عنه

ونحن نلحظ عنده تداخل المصطلحات البلاغية، فهو يمزج بين المجاز العقلي والمجاز المرسل والاستعارة، والأمثلة التي ذكرها تندرج في المجاز العقلي ذي العلاقة السببية، أي نسبة الفعل لغير فاعله الحقيقي لوجود علاقة السببية، وأما قوله: «والوالدة إنما تطلب الولد ليعيش لا ليموت، ولكن لما كان مصيره إلى الموت جاز أن يقال: للموت ولدته» تعقيباً على قول الشاعر: (فللموت ما تلد الوالدة) فهذا مزاج مرسل باعتبار ما سيؤول إليه.

٨ ـ والخلاصة هي أن هذا الكتاب صعب الأسلوب، وامتزاج المصطلحات البيانية كثير فيه، وقد أقحمت في مباحثه موضوعات غير ذات صلة بالبيان، مثل الحديث عن الظن ضمن الحديث عن الخبر، حيث قال: «وقد يستنبط علم باطن الأشياء بوجه ثالث هو الظن والتخمين، وذلك فيما لا يوصل إليه بقياس ولا يأتي فيه خبر، وفي الظن حق وباطل، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال في موضع آخر فأخرجه مخرج اليقين: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]. وظن كل امرئ على مقدار عقله»(١).

فهذا كلام لا يدخل في مباحث البيان، ولا يُسلم له ما ذهب إليه بأن الظن من أبواب العلم، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]. وأما الآية الثانية التي استشهد بها، فالظن فيها بمعنى اليقين.

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٠).

تاسعاً: ابن طباطبا

١ ـ وهو صاحب كتاب عيار الشعر[١]، ويقول في مقدمته: «فهمت ـ حاطك الله ـ ما سألت أن أصفه لك من الشعر، والسبب الذي به يتوصل إلى نظمه، وتقريب ذلك على فهمك، والتأتي لتيسير ما عُسر منه عليك، وأنا مبين لك ما سألت منه، وفاتح ما يستغلق عليك منه إن شاء الله تعالى»[٢].

٢ ـ وقد تناول في كتابه بعض مباحث البلاغة مثل: المعاني والألفاظ، طريقة المولدين في التشبيه، وضروب التشبيهات، وأدوات التشبيه، والابتداءات، والتعريض الذي ينوب عن التصريح، وسنن العرب وتقاليدها، والأبيات المتفاوتة النسج، والمعاني المشتركة، والشعر الحسن اللفظ، الواهي المعنى، والشعر الصحيح المعنى الرث الصياغة، والمعنى البارع في المعرض الحسن، التشبيهات البعيدة (الغلو)، والتخلص، وغير ذلك بحيث نستطيع أن نقول إن أكثر مباحث هذا الكتاب استندت إلى البلاغة.

٣ ـ في حديثه عن أدوات الشعر ذكر بعض مباحث البلاغة، قال: «والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، في كل فن قالت العرب فيه... والسنن المستدلة منها وتعريضها وإطنابها وتقصيرها، وإطالتها وإيجازها، ولطفها وخلابتها، وعذوبة ألفاظها، وجزالة معانيها، وحسن مبانيها، وحلاوة مقاطعها»[٣].

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، شاعر مفلق وعالم بالأدب. مولده ووفاته بأصبهان. (٣٦٢هـ = ٩٣٤م). انظر الأعلام للزركلي، (٥/٣٠٨).

(٢) عيار الشعر، مراجعة نعيم زرزور، ص(٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٣) المصدر السابق، ص (١٠).

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

٤ ـ أما الطريقة التي اتبعها المؤلف فهي الاستكثار من الأمثلة مع قلة التحليل أو انعدامه في كثير من الأحيان، فمثلاً أنت لا تجد له في حديثه عن الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها وهو يقع في(١٩) صفحة إلا خمسة أسطر[١]، وهاك هي:

قال عند بيت النابغة:

وإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

«وإنما قال: (كالليل الذي هو مدركي) ولم يقل كالصبح، لأنه وصفه في حال سخطه، فشبهه بالليل وهو له، فهي كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة»[٢].

وقال عند قول الفرزدق:

لقد خفت حتى لو رأى الموت مقبلاً ليأخذني والموتُ يُكره زائرهْ
لكان من الحجاجِ أهون روعةً إذا هو أغفى وهو سام نواظره

«فانظر إلى لطفه في قوله: (إذا هو أغفى) ليكون أشد مبالغة في الوصف إذا وصفه عند إغفاله بالموت، فما ظنك به ناظراً متأملاً يقظاً ثم نزهه عن الإغفاء، فقال: (وهو سام نواظره)»[٣].

٥ ـ والمؤلف غالباً ما يكتفي بذكر عنوان موضوعه وأسطر قليلة في تعريف الموضوع، ثم يسرد الأمثلة، ولم يشذ عن هذا إلا مقدمات كتابه التي تناولت الشعر وأدواته، وصناعة الشعر، والمعاني والألفاظ، وشعر المولدين، وطريقة العرب في التشبيه، والمثل الأخلاقية عند العرب وبناء المديح والهجاء عليها، وعيار الشعر، فهي موضوعات تناولها بأسلوب نثري، واعتمد في جلها على ما قيل قبله في هذا الصدد.

٦ ـ من مباحثه البلاغية كلامه عن ضروب التشبيهات، حيث قال: «والتشبيهات على ضروب مختلفة، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة،

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٥١ ـ ٦٩).
(٢) المصدر السابق، ص (٥٣).
(٣) المصدر السابق نفسه.

رفع المسـ هما
عبد الله ...

ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركة، وبطئاً وسرعة، ومنها تشبيهه به لوناً، ومنها تشبيهه به صوتاً، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه، وتأكد الصدق فيه، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له. فأما تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، فكقول امرئ القيس:

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي

وكقوله:

كأن عيونَ الوحشِ حول خبائنا ... وأرحلنا الجزعُ الذي لم يُثقبِ[1]

ويستمر في سرد الأمثلة لهذا القسم وبقية الأقسام.

وأما في مبحث أدوات التشبيه، فيقول: «فما كان من التشبيه صادقاً، قلت في وصفه: كأنه، أو ككذا، وما قارب الصدق، قلت فيه تراه أو تخاله أو يكاد. فمن التشبيه الصادق قول امرئ القيس:

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها ... مصابيحُ رهبانٍ تُشبُّ لقفَّال

فشبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها وتعهد الرهبان لمصابيحهم، وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل، وتتضاءل للصباح كتضاؤل المصابيح له. وقال: (تشب لقفال) لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوي إليها من مصيف إلى مشتى، ومن مشتى إلى مربع، أوقدت نيراناً على قدر كثرة منازلها وقلتها، ليُهتدى بها، فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها في مكان بعد مكان على حسب منازل القفال من أحياء العرب، ويُهتدى بالنجوم كما يهتدي القفال بالنيران الموقدة لهم»[2].

وعلى الرغم من جودة هذا التحليل، فإن تأكيد التشبيه من عدمه يندرج عند البلاغيين بمراعاة مقتضى الحال، وهم حين يتحدثون عن أدوات التشبيه

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٣).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٧ ـ ٢٨).

رفع المسهم

يقسمونها إلى حروف وأسماء وأفعال، وهو تقسيم أكثر علمية مما ذهب إليه المؤلف، حيث اعتبر البلاغيون الوضع اللغوي، بينما اعتبر ابن طباطبا الوضع الدلالي للتشبيه، من حيث مطابقة الوضع الخارجي الذي من خلال مطابقته يكون نعت الصدق وما اقترب منه، وعليه يمكن تحديد الأداة.

٧ ـ والخلاصة أن كتاب عيار الشعر لابن طباطبا قد استفاد من مباحث البلاغة قبله، ونوه بها، وهو يعتبر حلقة هامة ضمن سلسلة الكتب التي عنيت بالبحث البلاغي في تراث العرب.

❑ ❑ ❑

رفع
المسأهم
غفر الله له ولوالديه

عاشراً: الآمــدي [1]

١ ـ الآمدي هو من كبار النقاد العرب في القرن الرابع الهجري، والذي شهد ناقداً آخر لا يقل أهمية عن الآمدي، وهو القاضي الجرجاني الذي سنتحدث عنه بعد قليل، ففي «هذا القرن أيضاً كانت الخصومة عنيفة بين أنصار البحتري من ناحية، وأبي تمام من ناحية أخرى، فألف الآمدي كتابه (الموازنة بين الطائيين)، الذي يعد أول كتاب في النقد عند العرب بمعناه العلمي الدقيق، فلما تقدم هذا القرن ظهرت الخصومة القوية أيضاً بين أنصار المتنبي وخصومه، فألف القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني كتابه القيم: (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، وقد استفاد الآمدي والجرجاني بالمقاييس البلاغية في الحكم في هاتين الخصومتين، كما كان الأسلوب البياني للقرآن الكريم هو الفيصل في كل مسألة اشتدت الخصومة حولها»[2].

٢ ـ وقيمة الكتاب ليست في الموازنة بقدر ما هي في المنهج الذي رسمه الآمدي، يقول: «ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي؟ ولا أرى أن يفعل ذلك فيستهدفَ لذم أحد الفريقين، لأن الناس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر؟ في امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى، ولا في جرير والفرزدق والأخطل، ولا في بشار ومروان والسيد، ولا في أبي نواس وأبي العتاهية ومسلم والعباس بن الأحنف، لاختلاف آراء الناس في الشعر وتباين مذهبهم فيه. فإن كنت ـ أدام الله سلامتك ـ ممن يفضل سهل الكلام وقريبه، ويؤثر صحة السبك، وحسن العبارة، وحلو اللفظ، وكثرة الماء والرونق، فالبحتري أشعر

---

(١) هو الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، أبو القاسم، عالم بالأدب، وراوية، وهو من الكتاب، أصله من آمد، ومولده ووفاته بالبصرة. (٣٧٠هـ = ٩٨٠م). انظر: الأعلام، (٢/ ١٨٥).

(٢) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص(٧٩٩ ـ ٨٠٠).

عندك ضرورة. وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة، التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوي على ما سوى ذلك، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة.

فأما أنا فلا أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكني أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، ثم أقول: أيهما أشعر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى؟ ثم احكم أنت حينئذ إن شئت على جملة ما لكل واحد منهما، إن أحطت علماً بالجيد والرديء»[1]. ومن تحليل ما تقدم نجد الموازنة «في الواقع دراسة تطبيقية للصورة والمحسنات في شعر الشاعرين»[2].

٣ ـ حدد الآمدي كيفية عرض المادة العلمية في كتابه، فقال: «وأنا أبتدئ بذكر ما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعاه بعض على بعض، لتتأمل ذلك، وتزداد بصيرة وقوة في حكمك إن شئت أن تحكم، واعتقادك فيما لعل أن تعتقده»[3].

٤ ـ وعن قيمة كتاب الموازنة يقول السيد أحمد صقر: «والحق الذي لا مرية فيه أن كتاب الموازنة خليق بإعجاب القراء، جدير بإكبارهم، ولا أحسب أن أحداً منهم بعد قراءته له في هذه الطبعة سينكر عليَّ قولي: إن الآمدي أعظم نقاد الأدب العربي، وإمامهم الذي لا يضارع، ولا يجارى، وإنه في تاريخ النقد أمة وحده، في دقة منهجه، وأصالة رأيه، وعمق فكره، وحسن عرضه، ونصاعة أسلوبه، وشدة إخلاصه للمهمة الشاقة التي جرد عزمه لها، وانتدب نفسه للنهوض بها، وصبَّرها على تحمل أعبائها، حتى خرج الكتاب من بين يديه مستحصداً قويماً، وافياً بالغرض الذي أراغ له، جامعاً لأشتات المعاني، ملماً

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، (١/٥ ـ ٦)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

(٢) علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ص (١٤).

(٣) الموازنة، (١/٦).

رفع
المسـ هـم
غفر الله له

بأطراف الحديث التي يتطلبها مثل هذا البحث الكبير»[١].

٥ ـ عرض الآمدي بعض المسائل النقدية من وجهة بلاغية، وجعلها في أبواب أو فقرات رئيسة، من ذلك:

ـ ما غلط فيه أبو تمام من المعاني والألفاظ.

ـ الرذل من ألفاظ أبي تمام والساقط من معانيه والقبيح من استعاراته، والمستكره المتعقد من نظمه ونسجه.

ـ ما جاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس والمطابقة.

ـ باب في سوء نسجه، وتعقيده، ووحشي ألفاظه.

ـ باب فيما كثر في شعره من الزحاف واضطراب الوزن.

ـ سرقات البحتري.

ـ ما ادعى فيه أبو الضياء السرقة على البحتري من أبي تمام، وليس بمسروق، لشهرة معناه وابتذاله.

ـ ما جاء به أبو الضياء على أنه مسروق من أبي تمام، والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسق.

ـ ما ادعى فيه أبو الضياء على البحتري السرقة من أبي تمام وهو غير مسروق، لأن الاتفاق بينهما إنما هو في الألفاظ التي ليست بمحظورة على أحد.

ـ أخطاء البحتري في المعاني.

ـ اضطراب أوزان البحتري.

٦ ـ ولو عدنا إلى موضوع القبيح من استعارات أبي تمام، نجده يذكر هنا من قبيحها قول أبي تمام:

يـا دهـر قـوم مـن أخـدعيـكَ فقـد ... أضججتَ هـذا الأنـامَ من خُرُقِكْ

ويذكر بعده (٢٢) بيتاً، ليقول بعدها: «وأشباه هذا مما إذا تتبعته في شعره وجدته كثيراً، فجعل كما ترى مع غثاثة هذه الألفاظ للدهر أخدعاً، ويداً تقطع

---

(١) المصدر السابق، (١/ ١٣ ـ ١٤ من مقدمة المحقق).

المسا هم

من الزند، وكأنه يصرع، وجعله يشرق بالكرام، ويفكر ويبتسم، والأيام بنون له. . . وهذه استعارات في غاية القباحة والهجانة والغثاثة والبعد من الصواب، وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس هو له إذا كان يقاربه، أو يناسبه، أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له»[1].

فالعمدة في قبول الاستعارة وغيرها من فنون القول عند الآمدي أن توافق طريقة العرب في كلامها، فهو متمسك بعمود الشعر العربي[2]، ولهذا كان يؤثر طريقة البحتري.

وكذلك لو عدنا إلى باب (سوء نسج أبي تمام وتعقيده ووحشي ألفاظه) وجدنا الآمدي متمسكاً بطريقة العرب في كلامها، ناعياً على أبي تمام الاستنكاف عنها، فقد قال في مقدمته: «وما أكثر ما تراه من ذلك، وتجده في شعره، وأظنه سمع بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير بن أبي سلمى، لما قال فيه: (كان لا يُعاظل بين الكلام، ولا يتتبع حُوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما في الرجال). فلم يرتض ما قاله عمر، وأحب أن يستكثر مما ذمه وعابه»[3].

٧ ـ والحديث عن عيوب المعاني والألفاظ والسرقات كان قائماً على أسس بلاغية، والآمدي هنا يمارس تطبيق قواعد البلاغة بشكل فعال على شعر أبي تمام والبحتري، وهو تطبيق صارم قد لا نتفق معه بكل تفاصيله، ولا سيما فيما يتعلق بالاستعارة، وذلك لأن «أخطر ما في هذا الاحتكام إلى طريقة العرب، هو ما يصيب الاستعارة، لأن تعقب الاستعارة يعني التدخل في التشخيص، والقدرة الخيالية للشاعر»[4].

٨ ـ ومن أهم ماذكـره الآمدي كيفيـة إجـادة صنـاعة الشعر، ويصـرح أن

---

(١) الموازنة، (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦).

(٢) انظر: المصدر السابق، (١/ ٤، ٤٢٣).

(٣) المصدر السابق، (١/ ٢٩٣).

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ص (١٦٨).

المسـاهم

البحتري قد استخدمها، قال: «وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه، المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له، وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة البحتري»[١].

ويضيف ذاكراً طريقة شاملة للإجادة في شتى الصناعات والعلوم، فيقول: «وأنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر، زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء، وهي: جودة الآلة، وإصابة الغرض المقصود، وصحة التأليف، والانتهاء إلى تمام الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها. وهذه الخلال الأربعة ليست في الصناعات وحدها، بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات»[٢].

فكأن الآمدي قد أراد أن يرسم منهجاً علمياً ليس للشعر والأدب فحسب، بل للعلوم والآداب قاطبة، ولعله يريد من وراء ذلك كله تثبيت منهجه النقدي في الموازنة، وإثبات أستاذيته في المنهجية العلمية، والتي هي عنده متقدمة على زمانها بكثير.

❑ ❑ ❑

(١) الموازنة، (١/٤٢٣).

(٢) المصدر السابق، (١/٤٢٦).

رفع المسـاهم

أحد عشر: الرماني

١ ـ الرماني هو صاحب رسالة (النكت في إعجاز القرآن)[١]، وقد تكلم عن البلاغة، وهي عنده ثلاث طبقات، يقول: «فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس»[٢].

٢ ـ عرف البلاغة بأنها «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»[٣]، وجعلها عشرة أقسام، حيث قال: «والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان، ونحن نفسرها باباً باباً إن شاء الله تعالى»[٤].

وراح يفصل الحديث في كل قسم من هذه الأقسام، معرفاً له، وذاكراً أقسامه، وممثلاً له ببعض الآيات القرآنية، وأول قسم بدأ به هو الإيجاز.

٣ ـ ويرى أيضاً أن القرآن معجز «من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة، والصرفة والبلاغة والأخبار الصادقة

---

(١) هو علي بن عيسى، أبو الحسن الرماني، باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة، مولده ووفاته ببغداد، (٢٩٦ ـ ٣٨٤هـ = ٩٠٨ ـ ٩٩٤م). انظر: الأعلام، (٤/٣١٧).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت في إعجاز القرآن)، ص (٧٥)، تحقيق محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص (٧٦).

رفع
المسـ هما
عز الله لخيا الحـ

عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة»[1].

قال: «وأما نقض العادة: فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام المعروفة، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة، خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة، ولولا أن الوزن يحسن في الشعر، لنقصت منزلته في الحسن نقصاناً عظيماً»[2]، وهو معجز أيضاً بألفاظه وأسلوبه ونظمه وأثره في النفوس، والقرآن معجز للعرب والعجم على حد سواء.

٤ ـ ذكر كثيراً من التعريفات، نذكرها لأهميتها:

ـ **الإيجاز**: «تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى. وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز. والإيجاز على وجهين: حذف وقصر. فالحذف: إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام. والقصر: بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف، فمن الحذف: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. ومنه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]. . . وأما الإيجاز بالقصر دون حذف فهو أغمض من الحذف، وإن كان الحذف غامضاً، للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح، فمن ذلك: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ومنه: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]».

ـ **التشبيه**: هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل.

ـ **الاستعارة**: تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة، والفرق بين الاستعارة والتشبيه؛ أن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال، وليس كذلك

(١) المصدر السابق، ص (٧٥).
(٢) المصدر السابق، ص (١١١).

الاستعارة، لأن مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له في أصل اللغة.

ـ **التلاؤم**: نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف.

ـ **الفواصل**: حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني.

ـ **التجانس**: تجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة.

ـ **التصريف**: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب.

ـ **التضمين**: تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه.

ـ **المبالغة**: هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة.

ـ **البيان**: هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء عن غيره في الإدراك[1].

٥ ـ تحدث عن الاستعارة في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] فقال: «حقيقته حصلت عليهم الذلة، والاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة كما يثبت الشيء بالضرب، لأن التمكين به محسوس، والضرب مع ذلك ينبئ عن الإذلال والنقص، وفي ذلك شدة الزجر لهم، والتنفير من حالهم»[2].

ونحن نلمح من هذا الكلام قدرة الرماني على تحليل الآيات القرآنية تحليلاً بديعاً، يظهر فيه ذوقه البلاغي ومقدرته البيانية.

٦ ـ يقول الدكتور شوقي ضيف منوهاً بجهود الرماني البلاغية: «وواضح أنه أضاف في حديثه عن البلاغة إضافات جديدة إلى من سبقوه، فقد حدد بعض

(١) ١ ـ انظر: المصدر السابق، ص(٧٦ ـ ٧٧، ٨٠، ٨٥ ـ ٨٦، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦).

(٢) المصدر السابق، ص (٩٠ ـ ٩١).

فنونها تحديداً نهائياً، ورسم لها أقسامها رسماً دقيقاً»[1].

٧ ـ ويثني الدكتور فتحي عامر على دراسة الرماني ويصفها بأنها «أول دراسة فنية ذات وحدة متماسكة، فتحت الباب بعد ذلك لدراسات أوسع وأشمل وأعمق»[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (١٠٧).

(٢) بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، دراسة تاريخية فنية مقارنة، ص (١١٢)، دار المعارف بالإسكندرية.

رفع
المسـهم
عبد الله بن عبد الله

اثنا عشر: المرزباني

١ ـ المرزباني هو صاحب كتاب (الموشح: مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر)[١]، وقد وضح سبب تأليف كتابه، ومنهجه فيه، فقال: «سألت ـ حرس الله النعمة عليك، وأسبغ الموهبة لديك ـ أن أذكر لك طرفاً مما أُنكر على الشعراء في أشعارهم من العيوب، التي سبيل أهل عصرنا هذا ومن بعدهم أن يجتنبوها ويعدلوا عنها، فأجبتك إلى ما سألت، وعملت فيه بما أحببت، وأودعت في هذا الكتاب ما سهل وجوده، وأمكن جمعه، وقرب متناوله، من ذكر عيوب الشعراء التي نبه عليها أهل العلم، وأوضحوا الغلط فيها من اللحن، والسناد، والإيطاء، والإقواء، والإكفاء، والتضمين، والكسر، والإحالة، والتناقض، واختلاف اللفظ، وغير ذلك من سائر ما عيب على الشعراء قديمهم ومحدثهم في أشعارهم خاصة»[٢].

٢ ـ تناولت الدراسة: الشعراء الجاهليين أولاً، والإسلاميين ثانياً، ثم الشعراء المحدثين ثالثاً. وتناول فيها دراسة (١٠١) من الشعراء بشكل مباشر، إضافة إلى أن هنالك عدد آخر مر على ذكرهم بشكل عرضي، وابتدأ بباب في البيان عن السناد والإقواء والإكفاء والإيطاء، وختم الكتاب بباب تناول ما جاء من ذم الشعر الرديء.

٣ ـ ذكر المرزباني مجموعة كبيرة من عيوب الشعر، وقسمها بحسب العصور، وهذه العيوب يتصل بعضها بالبلاغة، فقد ذكر من عيوب الشعر عند

---

(١) محمد بن عمران بن موسى أبو عبيد الله المرزباني، إخباري مؤرخ أديب، أصله من خراسان، ومولده ووفاته ببغداد (٢٩٧ ـ ٣٨٤هـ = ٩١٠ ـ ٩٩٤م). انظر الأعلام، (٦/ ٣١٩).

(٢) الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، ص (١٥).

رفع
المسـتهـل
عبدالله

الجاهليين: فساد القسم، التكرير، دخول أحد القسمين تحت الآخر، فساد المقابلات، التشبيهات البعيدة، الغلو، الأبيات المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي. والشعر البعيد الغلق.

ومن عيوب الشعر عند الإسلاميين: مخالفة العرف، وأن تنسب الشيء إلى ما ليس له، والإخلال، والحشو، والتثليم، والتذنيب، والتغيير، وأن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع، والإغراق في المعاني.

ومن عيوب الشعر عند المحدثين: الحوشي، والمتكلف، والشعر الفظيع التوحش وغير ذلك(١).

٤ ـ تأثر المرزباني بآراء ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء)، وابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء)، وثعلب في كتابه (قواعد الشعر)، وقدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر)، وابن طباطبا في كتابه (عيار الشعر)، والآمدي في (الموازنة)، وهذه الكتب كما يقول عنها الأستاذ علي البجاوي محقق الموشح: «قل أن تجد صفحة من الكتاب لا يشير فيها المؤلف إلى رأي من آراء هؤلاء الناقدين»(٢).

٥ ـ ومن القضايا التي أثارها: اختيارُ أشعار القدماء الذي كان محلَّ إنكارٍ من العلماءِ، قال المَرزُباني: «حدثني أبو الحسنِ عليُّ بنُ هارونَ المُنَجِّم، قال: حضرَ أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ مَجْلِسَ جدِّي أبي الحسنِ علي بنِ يَحيى يوماً بعدَ أنْ أخلَّ بهِ أياماً، فعاتبَهُ أبو الحسنِ على انقطاعهِ عنهُ، فقال أحمدُ: كُنتُ متشاغلاً باختيارِ شِعْرِ امرئ القيسِ. فأنكرَ عليهِ أبو الحسنِ قولَهُ هذا، وقال: أما تَستحيي مِنْ هذا القولِ، وأيُّ مرذولٍ في شِعْرِ امرئ القيسِ حتى تحتاجَ إلى اختياره! واتسَّعَ القولُ بينَهما في ذلكَ، إلى أن قالَ أبي ـ أبو عبدِ الله هارونُ بنُ عليٍّ ـ لأبيهِ أبي الحسنِ: قد صدقتَ يا سيدي في وصفِ شِعْرِ امرئ القيس، ولكن فيه

(١) المصدر السابق، ص (٤٦٩ ـ ٤٩٢).
(٢) المصدر السابق، ص (٣).

رفع المسْـهمـ عبد الله بن فلاح

ما يفضلُ بعضُهُ بعضاً. . . قال: فأمسكَ أبو الحسن»[1].

٥ ـ وهذه نماذج مما ذكره في كتابه:

ذكر المرزباني نماذج للتقصير عن تحقيق الغرض الشعري، قال: «ومن الأبيات التي قصر فيها أصحابها عن الغايات التي أجروا إليها، ولم يسدوا الخلل الواقع فيها معنى لا لفظاً، قول امرئ القيس:

فللسوطِ ألهُوبٌ وللساق درةٌ ... وللزجرِ منه وقع أخرجَ مهذب

فقيل له: إن فرساً يحتاج أن يُستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد»[2].

وعاب على امرئ القيس تشبيهاً لناصية جواده بسعف النخلة، قال: «وقول امرئ القيس:

وأركب في الروع خيفانةً ... كسا وجهه سعفٌ منتشرْ

شبه ناصيتها بسعف النخلة، وإذا غطى الشعر العين لم يكن كريماً»[3].

وتحدث عن فساد التفسير، وذكر أمثلة له، قال: «ومن عيوب الشعر فساد التفسير، مثل قول بعض المحدثين:

فيا أيها الحيرانُ في ظُلم الدجى ... ومن خافَ أنْ يلقاهُ بغيٌ من العدى

تعال إليه تلق من نور وجههِ ... ضياءً ومن كفيهِ بحراً من الندى

والعيب في هذين البيتين؛ أن هذا الشاعر لما قدم في البيت الأول الظلم وبغي العدى، كان الجيدُ أن يفسرَ هذينِ المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما، فأتى بإزاء الإظلام بالضياء، وذلك صواب، وكان يجب أن يأتي بإزاء بغي العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر، أو بما جانس ذلك مما يحتمي به الإنسان من أعدائه، فلم يأت بذلك، وجعل مكانه ذكر الندى، ولو كان ذكر في البيت الأول الفقر أو العُدم لكان ما أتى به صواباً»[4].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٤٧ ـ ٤٨).

(٢) المصدر السابق، ص (١١٧).

(٣) المصدر السابق، ص (١٢٠).

(٤) المصدر السابق، ص (٢٩٨).

رفع
المسـاهم
عبدالله الحواس

وهذه المآخذ وغيرها مما ذكره المرزباني - وإن تكن تنطوي تحت علم النقد - فإن معظمها يرتكز في أحكامه على أبواب البلاغة، فقد كانت هي الأداة المباشرة لمساعدة النقاد، وكان كتاب المرزباني من أهم الكتب التي جمعت قدراً هائلاً من تلك الملاحظات البيانية، والتي مهدت لبلورة علم البلاغة فيما بعد على يد الشيخ عبد القاهر الجرجاني.

❑ ❑ ❑

رفع
المسلم
عز الله ليلى الأو

ثلاثة عشر: الخطابي

١ ـ هو صاحب رسالة (بيان إعجاز القرآن)[١]، وقد «ألف في الإعجاز رسالته الآنفة الذكر، والتي تبدو من أولها أنه قد قرأ كل ما كتب حول إعجاز القرآن الكريم، وفهمه فهماً عميقاً، فأصدر رأيه فيه صريحاً واضحاً، قال: وقد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدروا عن رأي، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته»[٢].

٢ ـ يرى أن هنالك درجات متفاوتة من الكلام البليغ، قد حازها القرآن جميعاً، فحاز بذلك جميع صفات البلاغة، والأسلوب البليغ، يقول: «فدل النظر، وشاهد العبر، على أن السبب له، والعلة فيه: أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز المطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، دون النوع الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن منه شيء البتة.

فالقسم الأول: أعلى طبقات الكلام وأرفعه.

والقسم الثاني: أوسطه وأقصده.

والقسم الثالث: أدناه وأقربه.

فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل

---

(١) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان، فقيه محدث، من أهل بست من بلاد كابل، من نسل زيد بن الخطاب. (٣١٩ ـ ٣٨٨هـ = ٩٣١ ـ ٩٩٨م). انظر: الأعلام، (٢/ ٢٧٣).

(٢) انظر: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص(٣٨٩ ـ ٣٩٠).

رفع المسهم

نوع من أنواعها شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعومتها كالمتضادين، لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن، يسرها الله بلطف قدرته من أمره، ليكون آية بينة لنبيه، ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه»[1].

٣ ـ يرى أن إعجاز القرآن يعود إلى بلاغته الراجعة إلى جمال لفظه، وحسن نظمه، وسمو معانيه. يقول: «وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه؛ فلم توجد إلا في كلام العليم القدير الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأحسن الألفاظ، مضمناً أصح المعاني»[2].

٤ ـ وتحدث عن تأثير القرآن في النفوس، فقال: «إن الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حس السامع، والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام، حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب، والتأثير في النفوس، فتصطلح من أجله الألسن على أنه كلام لا يشبهه كلام، وتحصر الأقوال عن معارضته، وتنقطع به الأطماع عنها، أمر لا بد له من سبب، بوجوده، يجب له هذا الحكم، وبحصوله يستحق هذا الوصف»[3].

وقد بين أن هذا الوجه من إضافاته، يقول: «قلت في إعجاز القرآن وجهاً

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (بيان إعجاز القرآن) ص (٢٦).
(٢) المصدر السابق، ص (٢٧).
(٣) المصدر السابق، ص (٢٥ ـ ٢٦).

رفع
المسهم
عبد الله بن علي الأنصاري

آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع، خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال»[١].

٥ ـ يحدد الدكتور شوقي ضيف خلاصة رأي الخطابي في إعجاز القرآن، وجهوده التي بذلها في دراسة بلاغة القرآن، فيذكر أن الإعجاز عنده: «إنما يرجع إلى بلاغته، وأخذ في وصفها مقرراً أن أساليب الكلام الجيد منها البليغ الرصين، ومنها الفصيح السهل، ومنها الجائز الطلق، وبلاغة القرآن تجمع بين كل هذه الأساليب جمعاً لا يتاح للبشر مثله، لقصور معرفتهم بأسماء اللغة ومواصفاتها، وبتنزيل المعاني عليها، وصبها في القوالب اللفظية الدقيقة، وينقض بعض مطاعن المعترضين على أسلوب القرآن، وفي تضاعيف ذلك يحلل بعض النصوص القرآنية تحليلاً جيداً»[٢].

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، ص (٧٠).

(٢) المصدر السابق، ص (١٠٣).

رفع
المسهم
عبدالله بن علي الدعيس

أربعة عشر: القاضي الجرجاني

١ ـ القاضي الجرجاني من علماء القرن الرابع الهجري[1]، وكان في النصف الثاني من هذا القرن قد شهد خصومة قوية بين أنصار المتنبي وخصومه، فألف القاضي كتابه: (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، ليكون بمثابة حكم بين المتخاصمين حول المتنبي، وقد قال في مقدمته مبيناً سبب تأليف كتابه، ومنتقداً مواقف الناس من المتنبي: «وما زلت أرى أهل الأدب ـ منذ ألحقتني الرغبة بجملتهم، ووصلت العناية بيني وبينهم ـ في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فئتين: من مطنب في تقريظه، منقطع إليه بجملته، منحط في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكيت بالتفخيم، ويُعجب ويعيد ويكرر، ويَميل على من عابه بالزراية والتقصير، ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل، فإن عثر على بيت مختل النظام، أو نَبه على لفظ ناقص عن التمام، التزم من نُصرة خطئه، وتحسين زَلَله، ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر. وعائب يروم إزالته عن رتبته، فلم يسلم له فضله، ويحاول حطه عن منزلة بوأه إياها أدبه، فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار معايبه، وتتبع سقطاته، وإذاعة غفلاته.

وكلا الفريقين إما ظالم له، أو للأدب فيه، وكما أن الانتصار جانب من العدل لا يسده الاعتذار، فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار، ومن لم يفرق بينهما، وقفت به الملامة بين تفريط المقصر، وإسراف المفرط، وقد

(١) هو علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن، قاض من العلماء بالأدب، وله شعر حسن، ولد بجرجان، وتوفي بنيسابور، (٣٩٢هـ = ١٠٠٢م). انظر: الأعلام، (٤/ ٣٠٠).

جعل الله لكل شيء قدراً، وأقام بين كل حديث فصلاً»[١].

٢ ـ ويضيف القاضي محدداً منهج الحكم الأدبي، مبيناً فضل المتقدمين، والتماس الأعذار لهم بسبب تقدمهم، وأن هذا ينبغي أن يكون منهجاً متبعاً مع كل المبدعين من الشعراء في أي عصر كانوا، يقول: «وللفضل آثار ظاهرة، وللتقدم شواهد صادقة، فمتى وجدت تلك الآثار، وشُهدت هذه الشواهد، فصاحبها فاضل متقدم، فإن عثر له من بعد على زلة، ووجدت له بعقب الإحسان هفوة، انتحل له عذر صادق، أو رخصة سائغة، فإن أعوز قيل: زلة عالم، وقل من خلا منها، وأي الرجال مهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجرح، ولم يكن لقولنا: (فاضل). معنى يوجد أبداً، ولم نسم به إذا أردنا حقيقة أحداً، وأي عالم سمعت به ولم يزل ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره ولم يهف ويسقط! ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر، هل تجد فيها قصيدة أو بيتاً أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه إما في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه، ولولا أن أهل الجاهلية جدّوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظن الجميل، والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفى الظنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام»[٢].

٣ ـ تحدث عن الأسلوب الوسط الذي يختاره، وهو أسلوب يختلف باختلاف الغرض الشعري، وله سماته في الشعر كما له سماته في النثر، وله الألفاظ التي تناسب كل حالة أو فن يعالجه الشاعر أو الأديب، فليس ثمة أسلوب واحد لجميع الأغراض الشعرية والفنون الأدبية، يقول: «فلا تظنن أني أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك، ولا باللطيف الرشيق الخَنث المؤنث، بل أريد النمط الأوسط، ما ارتفع عن الساقط السوقي، وانحط عن البدوي

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ص (٣ ـ ٤)، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

(٢) المصدر السابق، ص (٤).

رفع المسهم

الوحشي، وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه، ولم يبلغ تعجرف هيمان بن قحافة وأضرابه، نعم ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكن غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك، بل ترتب كلاً على مرتبته، وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتُفخِّم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه. وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة، ولا بمختص بالنظم دون النثر، بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد خلافَ كتابك في التشوق والتهنئة، واقتضاء المواصلة، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت»(١).

٤ ـ تناول عدداً من المسائل البلاغية، مثل الاستعارة، وقد فرق بينها وبين التشبيه البليغ، يقول: «وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة، وهو تشبيه أو مثل، فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة، عد فيها قول أبي نواس:

والحبُّ ظهرٌ أنت راكبُهُ ... فإذا صرفت عِنانه انصرفا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر، أو الحب كظهرٍ تُديره كيف شئتَ، إذا ملكتَ عنانه، فهو إما ضرب مثل، أو تشبيه شيء بشيء، وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»(٢).

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٤١).

وتحدث عن جمال الاستعارة وقيمتها الأسلوبية، يقول: «فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثر، وقد قدمنا عند ذكرنا البديع نبذاً منها، مثلنا بها المستحسن والمستقبح، وفصلنا بين المقتصد والمفرط، وقد كانت الشعراء تجري على نهج منها قريب من الاقتصاد، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرخصة، فأخرجه إلى التعدي، وتبعه أكثر المحدثين بعده، فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتقصير والإصابة»[1].

٥ ـ تحدث عن وجود البديع في تراث العرب، وإكثار المولدين منه، فقال: «وقد كان يقع ذلك في خلال قصائدها، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا موقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط»[2].

٦ ـ تناول موضوعات كثيرة ذات صلة بالبلاغة والأدب، فتكلم عن اختلاف الشعر باختلاف الطبائع، وأثر التحضر في الشعر، وتفاوت شعر أبي تمام في القصيدة الواحدة، وعن السهل الممتنع عند البحتري، وعن الحشو، والاستعارة الحسنة، والاستعارة السيئة، والتجنيس، والمطابقة، والتقسيم، والاستهلال، والتخلص، والخاتمة، واللحن، والعلاقة بين الدين والشعر، وحسن الابتداء، والتعقيد والمستكره، والسرقات الشعرية، والمعاني المشتركة والمتداولة، والتفاضل في الشعر المتداول، ومناقضة الشعراء، وغلو القدامى، والإفراط في الاستعارة[3].

٧ ـ يقيم الأستاذ سيد قطب جهود الآمدي والجرجاني النقدية ويفاضل

---

(١) المصدر السابق، ص (٤٢٨ ـ ٤٢٩).

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص (٣٤).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص (٤٨٢ ـ ٤٨٣).

رفع
المسَاهِم
عفر الله له ولوالديه

بينهما، فيقول: «.. ولكن الرجلين على العموم لا يتجاوزان موازنة بيت ببيت، أو معنى بمعنى، أو تشبيه بتشبيه، لا يتجاوزان هذا إلى الأحكام الشاملة إلا قليلاً، واعتمادهما على الذوق ـ الذي قد يخطئ عندهما ـ وعلى المأثور من استحسان الأوائل، واستهجانهم للمعاني وطرق التعبير، ولكنهما على أية حال قد خطوا خطوة واسعة بالنقد الأدبي على المنهج الفني، وإذا لم يكن بد أن نفاضل بينهما، فإننا نقرر أن أبا الحسن كان ذوقه أصفى وتعبيره أجمل، والروح الأدبية فيه واضحة عميقة»[1].

❑ ❑ ❑

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص (١٤٠).

خمسة عشر: أبو هلال العسكري

١ ـ ألف أبو هلال العسكري (كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر)[١]، وقد ابتدأه محدداً الوظيفة الدينية لعلم البلاغة، يقول: «إن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها»[٢].

٢ ـ ذكر أن هنالك لبساً في التمييز بين الجيد والرديء من المنظوم والمنثور لدى كثير من العلماء، ومنهم الأصمعي، فقرر أن يضع كتابه ليسد هذه الثغرة، مستفيداً مما كتبه الجاحظ قبله، بيد أن جهد الجاحظ لم يكن منهجياً مرتباً، يقول: «فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختيار الكلام، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل، ومكانه من الشرف والنبل، ووجدت الحاجة إليه ماسة، والكتب المصنفة فيه قليلة، وكان أكبرها وأشهرها كتاب (البيان والتبيين) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو لعمري كثير الفوائد، جمع المنافع. . . إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة، مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير، فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع

---

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر، نسبته إلى عسكر مُكرم من كور الأهواز. وفاته بعد (٣٩٥هـ = ١٠٠٥م). انظر: الأعلام، (١٩٦/٢).

(٢) كتاب الصناعتين، ص (٩).

رفع
المستهم
عز الله الهلاكي

ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده، من غير تقصير وإخلال، وإسهاب وإهذار، وأجعله في عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً»[1].

٣ ـ أما الأبواب العشرة التي يتكون منها الكتاب فهي تدور حول المباحث الآتية:

١ ـ الإبانة عن موضوع البلاغة (ثلاثة فصول).

٢ ـ تمييز الكلام جيده من رديئه (فصلان).

٣ ـ في معرفة صنعة الكلام (فصلان).

٤ ـ البيان عن حسن السبك وجودة الرصف (فصل واحد).

٥ ـ الإيجاز والإطناب (فصلان).

٦ ـ في حسن الأخذ وقبحه، وجودته ورداءته (فصلان).

٧ ـ القول في التشبيه (فصلان).

٨ ـ السجع والازدواج (فصلان).

٩ ـ في شرح البديع والإبانة عن وجوهه، وحصر أبوابه وفنونه (خمسة وثلاثون فصلاً).

١٠ ـ ذكر مقاطع الكلام ومبادئه، والقول في الإساءة في ذلك والإحسان فيه (ثلاثة فصول)[2].

ولدى التأمل في الأبواب والفصول ندرك أننا أمام كتاب منهجي في البلاغة، يتناولها بشكل منظم، وتوزيع الفصول على الأبواب متناسب فيما عدا الباب التاسع الذي اقتضت طبيعته أن يكون أكبر الأبواب، ولعل ذلك قد تم بتأثير البيئة الأدبية في ذلك العصر الذي أولع شعراؤه وأدباؤه بألوان البديع.

٣ ـ في الإبانة عن موضوع البلاغة في اللغة، يقول أبو هلال معرفاً البلاغة: «البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري. ومبلغ الشيء

---

(١) المصدر السابق، ص (١٣).

(٢) انظر: المصدر السابق، ص (١٣ ـ ١٤).

رفع المسهم

منتهاه. والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته. فسميت البلاغةُ بلاغةً لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه»[1].

أما الفصاحة فهي «من قولهم: أفصح فلان عما في نفسه، إذا أظهره. والشاهد على أنها هي الإظهار قول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء. وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته؛ فظهر وفصح أيضاً. وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين»[2].

ويوازن أبو هلال بين مصطلحي: الفصاحة والبلاغة، فيقول: «وإذا كان الأمر على هذا، فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له، وقال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان».

ولكن أبا هلال لا يلبث أن يفرق بين المصطلحين، ويجعل الفصاحة للفظ، والبلاغة للمعنى، يقول: «ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى، أن الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً، إذ هو مقيم الحروف، وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه، وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، غير مستكره فج، ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء؛ كلما فيه من إيضاح المعنى، وتقويم الحروف»[3].

٤ ـ ومن مباحث البلاغة التي بحثها أبو هلال مبحث التشبيه، وقد حاول أن يبرز لنا طرائق الشعراء، ومناهجهم في التشبيه وفق أغراضهم بشكل عام، فقال: «وأما الطريقة المسلوكة في التشبيه، والنهج القاصد في التمثيل، عند القدماء والمحدثين، فتشبيه الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد، والحسن بالشمس والقمر، والشهم الماضي بالسيف، والعالي الرتبة بالنجم، والحليم

---

(١) المصدر السابق، ص (١٥).

(٢) المصدر السابق، ص (١٦).

(٣) المصدر السابق، ص (١٧).

رفع
المسـاهم

الرزين بالجبل، والحيي بالبكر، والفايت بالحلم، ثم تشبيه اللئيم بالكلب، والجبان بالصِّفْرِد[1]، والطايش بالفراش، والذليل بالنقد والنعل والفَقْع[2] والوتد، والقاسي بالحديد والصخر، والبليد بالجماد.

وشهر قوم بخصال محمودة فصاروا فيها أعلاماً، فجروا مجرى ما قدمناه، كالسموءل في الوفاء، وحاتم في السخاء، والأحنف في الحلم، وسحبان في البلاغة، وقُس في الخطابة، ولقمان في الحكمة، وشهر آخرون بأضداد هذه الخصال، فشبه بهم في حال الذم، كباقلٍ في العيِّ، وهبنَّقة في الحمق، والكُسَعِيِّ في الندامة، والمنزوف ضرطاً في الجبن، ومادرٍ في البخل»[3].

٥ ـ يوجز الدكتور عبد العزيز عتيق أهم ما صنعه أبو هلال، فيقول: «ومن كتب الدراسات النقدية التي قامت على أسس بلاغية، وإن كانت أكثر تخصصاً من سابقتها (كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر) لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة (٣٩٥) للهجرة، فأبو هلال في كتاب الصناعتين يدرس البلاغة دراسة دقيقة هي مزيج من علمه الخاص بها، وعلم من سبقوه إليها، مع الإكثار من الأمثلة والشواهد. وهو يعني بالصناعتين: الكتابة والشعر، فالكتاب ينبئ من عنوانه عن موضوعه الذي يبحث بحثاً مستفيضاً في أصول هاتين الصناعتين، وأدواتهما التي تتضافر على صنع الكاتب والشاعر»[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) الصِّفْرِد: طائر جبان.

(٢) الفَقْع: البيضاء الرِّخْوة من الكَمْأة، ويقال للذليل هو(أذل من فَقْعٍ بقَرْقَرَةٍ). لأنه لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

(٣) كتاب الصناعتين، ص (٢٦٥).

(٤) علم البيان، ص (١٨ ـ ١٩).

رفع عبد الرحمن الهجري

ستة عشر: الشريف الرضي

١ - هو صاحب كتاب (تلخيص البيان في مجازات القرآن)[١]، وهو كتاب جليل القدر، في موضوع غاية في الأهمية، بالنسبة للبحث البلاغي من جهة، وللكتاب العزيز من جهة أخرى.

٢ - قال في مقدمته يحدد منهجه العلمي، وسبب مجيء المجاز في القرآن الكريم: «أما بعد، فإن بعض الإخوان جاراني، وذكر ما يشتمل عليه القرآن من عجائب الاستعارات، وغرائب المجازات، التي هي أحسن من الحقائق معرضاً، وأنفع للعلة معنى ولفظاً، وإن اللفظة التي وقعت مستعارة لو أوقعت في موقعها لفظة الحقيقة لكان موضعها نبياً بها، ونصابها قلقاً بمركبها، إذ كان الحكيم سبحانه، لم يورد ألفاظ المجازات لضيق العبارة عليه، ولكن لأنها أحلى في أسماع السامعين، وأشبه بلغة المخاطبين، وسألني أن أجرد جميع ما في القرآن في ذلك على ترتيب السور، ليكون اجتماعه أجل موقعاً، وأعم نفعاً، وليكون في ذلك أيضاً فائدة أخرى، وهو أن الخطيب البليغ، والشاعر المطبوع، إذا رأى ما في هذا الكتاب العزيز الذي شال ميزان كل كلام، وخرج عن مقدورات الأنام، من الاستعارات العجيبة والإشارات اللطيفة، شجع على استعمال مثل ذلك، فيما يسمعه، ويجعله سلفاً يتبعه، ومما أسرع بي إلى ذلك أني لم أجد أحداً ممن تقدم جرى على هذا الغرض، وأجرى إلى هذا الأمد، بل هو ذروة ما افترعت»[٢].

---

(١) محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي، أشعر الطالبيين، مولده ووفاته ببغداد، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، (٣٥٩ - ٤٠٦هـ = ٩٧٠ - ١٠١٥م). انظر: الأعلام، (٦/٩٩).

(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق الدكتور: علي محمود مقلد، ص (٢٥ - ٢٦)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦م.

رفع
المسا هم
عبد الله بن محمد الدوري

٣ ـ ونورد أمثلة مما ذكره، فعند قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧]. قال: «وهذه استعارة على أحد التأويلين، لأن الصراط في أصل اللغة: اسم للطريق، وهو هاهنا كناية عن الدين، لأن الدين مؤد إلى استيجاب الثواب واستدفاع العقاب، فهو كالنهج المسلوك إلى مظنة النجاة والسلامة، ودار الأمن والإقامة، ولما جعل سبحانه الدين، كالطريق القاصد، والمنهج الواضح، أقام إرشاده إليه، ودلالته عليه، مقام الدليل يدل على السمت، والهادي الذي يهدي إلى القصد، فقال سبحانه: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).

والتأويل الثاني في الصراط: يخرج الكلام عن حيز الاستعارة، وهو أن يكون المراد به المجاز المسلوك إلى الجنة والنار، على ما جاءت به الأخبار، فكأنهم سألوه سبحانه توفيقهم منجاته، ومأمنه، والعدولَ بهم عن مشاقه»[1].

وعند قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ [البقرة: ١٠]، يقول: «فالمرض في الأجسام حقيقة، وفي القلوب استعارة، لأنه فساد في القلوب كما أنه فساد في الجسوم، وإن اختلفت جهتا الفساد في الموضعين، وقد قيل أيضاً: إنما سمي ما في قلوبهم من اعتقاد الكفر مرضاً لخروجهم عن صحة الدين؛ كما أن المرض يخرج الأجسام عن حال صحتها، وينقلها عن سلامة تركيبها وبنيتها»[2].

وعند قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف: ٢٦]. يقول: «وقد قرئ: (ورياشاً)، وهما جميعاً استعارة هاهنا، لأن المراد بهما اللباس، وسمى اللباس ريشاً ورياشاً تشبيهاً بريش الطائر الذي يستر جملته. ومن كلام العرب: أعطيته رجلاً بريشه. أي: بكسوته. وقال المفسرون: معنى (لباس التقوى): ما كان من الملابس يستر العورة، لأن ستر العورة من أسباب التقوى. وقرئ (ولباس التقوى) نصباً بأنزلنا

(١) المصدر السابق، ص (٢٧).
(٢) المصدر السابق، ص (٢٩).

رفع المسألة
عبد الله بن علي اللاحم

عليكم، والرفع فيه على معنى الابتداء، ويكون خير خبراً له، فيكون المعنى: ولباس التقوى المشار إليه خير، وهذا أسد القولين في هذا المعنى»[1].

نلحظ أن المؤلف يسوق رأيه أولاً، ورأي المفسرين بعد ذلك، ثم يذكر القراءات بعد ذلك، ويرجح بينها.

وأسلوب المؤلف سهل مباشر، يميل إلى الإيجاز، بعيداً عن التكلف، وكتابه حلقة في سلسلة الكتب التي عنيت بالبلاغة القرآنية.

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق، ص (٦٩).

رفع
المسار
عبدالله بن جمال الدين

سبعة عشر: القاضي عبد الجبار

١ ـ هو صاحب كتاب (المغني في أبواب التوحيد والعدل)[1]، وقد خصص الجزء السادس عشر منه للحديث عن إعجاز القرآن، وتناول فيه موضوعات شتى تتعلق بالقرآن والإعجاز، وقد جعل كتابه فصولاً، ابتدأ الفصل الأول بذكر صفة الخبر الواقع عن الجماعة، الذي يمكن أن يستدل به على صحته. وكان آخر فصل في بيان من يلزم شريعته ودخل في دعوته، وما يتصل بذلك. وبينهما فصول كثيرة، نذكر ما تناولته بعضها مما يتصل بالبلاغة والإعجاز بشكل وثيق.

فقد خصص فصولاً تحدث فيها عن: الفصاحة التي فيها يفضل بعض الكلام على بعض. والوجه الذي به يقع التفاضل في فصاحة الكلام. والسبب الذي يصح له الكلام في التفاضل في الفصاحة. والعلوم التي معها يصح الكلام الفصيح لا تكون إلا ضرورية. بيان صحة التحدي بالكلام الفصيح. بيان الوجه الذي عليه يصح كون القرآن معجزاً في أنه - ﷺ - تحدى بالقرآن، وجعله دلالة على نبوته. وبيان الدلالة بأن القرآن معجز. وبيان أن معارضة القرآن وإيراد فعله لم تقع. وتعذر المعارضة عليهم. واختصاص القرآن بمزية في رتبة الفصاحة خارجة عن العادة. ووجوه إعجاز القرآن. والجواب عن مطاعن المخالفين في القرآن. وذكر جملة من مطاعنهم في القرآن. ومن حق الكلام أن يكون دليلاً. وفوائد القرآن ومعانيه يصح أن تعرف. وأن مراد الله تعالى بالقرآن لا يختص

---

(١) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد آبادي، أبو الحسين، قاض أصولي، وكان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره، ولي القضاء بالري، ومات فيها (٤١٥هـ = ١٠٢٥م). انظر: الأعلام، (٣/ ٢٧٣).

رفع المسهم

بمعرفة الرسول ولا السلف. وإثبات سائر معجزات الرسول وأنه مبعوث إلى الناس كافة[1].

والقاضي يستخدم صيغة الحوار الافتراضية مع الغائب، بلفظ فإن قال... قيل له... فهو حريص على سد شبهات الخصم ودفع حيرته وتساؤلاته.

٢ ـ ذكر في فصل (أن مراد الله تعالى بالقرآن لا يختص بمعرفة الرسول ولا السلف) ما يؤكد على أهمية المعرفة اللغوية، وأنها وسيلة التفاضل بين العلماء، فقال: «وإنما يتقدم البعض على البعض من حيث يتقدم في معرفة اللغة ويبرز فيها، فيكون بهذه الطريقة أعرف»[2].

٣ ـ بين أن عجز العرب عن معارضة القرآن هو عجز للعجم، ويكفي للعجم أن يسلموا بذلك دون محاولة معرفة السر في العجز والإعجاز، قال «إن الجميع من العجم يعرف حال القرآن، وما يختص به من المزية في الجملة بعجز العرب عن معارضته، مع توفر الدواعي، وذلك مما لا يحتاج في معرفته إلى طريقة التفصيل، فلا يمتنع منهم أن يعرفوا ذلك، يبين ما ذكرنا: أنهم لو علموا أن بعض الأنبياء، أنه حمل جسماً ثقيلاً، وتعذر على غيره لعلموا أنه معجز، وإن لم يعلم تفصيله. فكذلك يعلمون أنه أتى بكلام مخصوص من جنس كلامهم، وتعذر عليهم، وهذا القدر يكفيهم، وذلك يتم لهم»[3].

٤ ـ ينقل كلاماً عن شيخه أبي هاشم يدور فحواه حول اللفظ والمعنى، فقد قال شيخه أبو هاشم: «إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه وحسن معناه، ولا بد من اعتبار الأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ، ركيك المعنى، لم يُعد فصيحاً، فإذا يجب أن يكون جامعاً لهذين الأمرين، وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة، وقد يكون النظم واحداً،

---

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق أمين الخولي، (١٦/ ١٩٧ ـ ٤٢٥)، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

(٢) المصدر السابق، (١٦/ ٣٦١).

(٣) المصدر السابق، (١٦/ ٢٩٥).

رفع المسهم

وتقع المزية في الفصاحة، فالمعتبر ما ذكرناه، لأنه الذي يتبين في كل نظم وكل طريقة، وإنما يختص النظم بأن يقع لبعض الفصحاء: يسبق إليه، ثم يساويه فيه غيره من الفصحاء، فيساويه في ذلك النظم، ومن يفضل عليه يفضله في ذلك النظم»[(١)].

ويعقب الدكتور شوقي ضيف على الكلام السابق قائلاً: «وكلام أبي هاشم صريح في أن النظم لا يصلح أن يكون مفسراً لفصاحة الكلام، لأن النظم قد يكون واحداً، ويفضل أديب صاحبه فيه، وكأنه يرد بذلك على الجاحظ وأمثاله الذين يرجعون إعجاز القرآن إلى نظمه وطريقته، ويقول إنه لا يوجد في الكلام إلا اللفظ والمعنى ولا ثالث لهما، وإذاً فلا بد أن تكون الفصاحة راجعة إليهما، بحيث يكون اللفظ جزلاً والمعنى حسناً»[(٢)].

٤ ـ ومحور جهود القاضي عبد الجبار أن النظم بمعنى الطريقة لا يتعلق به الإعجاز إلا إذا انضاف إليه الوجه الذي ذكره، وملخصه أن الكلمة مفردة لا تتعلق بها الفصاحة، وكذلك المعنى العام، ولكن تظهر الفصاحة بالضم على طريق مخصوصة، يقول: «اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع، لأنه إما أن تُعتبر فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لا بد من اعتبار مثله في الكلمات، إذا انضم بعضها إلى بعض، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها. فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها»[(٣)].

٥ ـ أشار إلى أن الفصاحة مرتبطة بحسن المعنى وجزالة اللفظ، يقول:

---

(١) المصدر السابق، (١٦/ ١٩٧).

(٢) البلاغة تطور وتاريخ، ص (١١٥ ـ ١١٦).

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل، (١٦/ ١٩٩)

«ولا يكون الكلام فصيحاً إلا بحسن معناه وموقعه واستقامته، كما لا يكون فصيحاً إلا بجزالة لفظه»[1].

٦ ـ أشار إلى أن الأديب عليه: «أن يعلم أفراد الكلمات وكيفية ضمها وتركيبها ومواقعها، فبحسب هذه العلوم والتفاضل فيها يتفاضل ما يصح منهم من رتب الكلام الفصيح»[2].

٧ ـ والخلاصة أن آراء عبد الجبار مهدت الطريق أمام عبد القاهر لوضع نظرية النظم؛ كما ذكر عدد من الباحثين في تاريخ البلاغة.

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، (١٦/٣٥٧).
(٢) المصدر السابق، (١٦/٢٠٨).

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

ثمانية عشر: أبو منصور الثعالبي

١ ـ ألف الثعالبي كتاب: (الإعجاز والإيجاز)[١]، وقال في مقدمته: «وأخرجته في عشرة أبواب: فالباب الأول: في بعض ما نطق به القرآن من الكلام الموجز المعجز. والباب الثاني: في جوامع الكلام عن النبي - ﷺ - . والباب الثالث: فيما صدر منها عن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين. والباب الرابع: فيما نقل منها عن ملوك الجاهلية. والباب الخامس: في روائع ملوك الإسلام وأمرائه. والباب السادس: في لطائف كلام الوزراء. والباب السابع: في بدائع كلام الكتاب والبلغاء. والباب الثامن: في ظرائف الفلاسفة والزهاد والحكماء والعلماء. والباب التاسع: في ملح الظرفاء ونوادرهم. والباب العاشر: في وسائط قلائد الشعراء»[٢].

٢ ـ وذكر في الباب الأول: وهو (في بعض ما نطق به القرآن من الكلام الموجز المعجز) عدداً من الآيات القرآنية، وقام بتحليلها مبيناً روعة الإيجاز وعظمة الإعجاز، يقول: «من أراد أن يعرف جوامع الكلم، ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكفاية الإيجاز، فليتدبر القرآن، وليتأمل علوه على سائر الكلام، فمن ذلك قوله عز ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] استقاموا كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والانزجار، وذلك لو أن إنساناً أطاع الله سبحانه مئة سنة، ثم سرق حبة واحدة، لخرج بسرقتها عن حد الاستقامة. ومن ذلك قوله

---

(١) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، صنف الكتب الكثيرة الممتعة، (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ = ٩٦١ ـ ١٠٣٨م). انظر: الأعلام، (٤/ ١٦٣).

(٢) الإعجاز والإيجاز، ص(٨ ـ ٩)، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

رفع المسهم

عز وجل: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] . فقد أدرج فيه ذكر إقبال كل محبوب عليهم، وزوال كل مكروه عنهم، ولا شيء أضر بالإنسان من الحزن والخوف، لأن الحزن يتولد من مكروه ماض أو حاضر، والخوف يتولد من مكروه مستقبل، فإذا اجتمعا على امرئ لم ينتفع بعيشه، بل يتبرم بحياته، والحزن والخوف أقوى أسباب مرض النفس كما أن السرور والمن أقوى أسباب صحتها، فالحزن والخوف موضوعان بإزاء كل محنة وبلية، والسرور والمن موضوعان بإزاء كل صحة ونعمة هنية. ومن ذلك قوله عز اسمه: ﴿لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] . فالأمن كلمة واحدة تنبئ عن خلوص سرورهم من الشوائب كلها، لأن الأمن إنما هو السلامة من الخوف، والحزن: المكروه الأعظم كما تقدم ذكره. فإذا نالوا الأمن بالإطلاق، ارتفع الخوف عنهم، وارتفع بارتفاعه المكروه، وحصل السرور المحبوب. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] . فهما كلمتان جمعتا ما عقده الله على خلقه لنفسه، وتعاقده الناس فيما بينهم»[(١)].

٣ ـ وعرض بعد ذلك إلى ما سماه: (فصل فيما يجري مجرى المثل من ألفاظ القرآن، ويجمع الإعجاب والإعجاز والإيجاز). وذكر من أمثلته: «﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] . ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣] . ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] . ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] . ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] . ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] . ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤] »[(٢)].

٤ ـ ولا ريب أن هذا الكتاب يمكن أن يندرج تحت كتب البلاغة، وإن كان قد كتب بأسلوب أدبي سهل وميسر، ولم يتناول من قضايا البلاغة غير الإيجاز.

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، ص(١٠ ـ ١١).

(٢) المصدر السابق، ص(١٤).

تسعة عشر: ابن رشيق القيرواني

١ ـ ابن رشيق هو صاحب كتاب (العمدة في صناعة الشعر ونقده)[١]، وهو يعد «من الدراسات النقدية على أسس بلاغية»[٢].

٢ ـ في البداية تحدث عن الشعر، وقال: «. . ووجدت الناس مختلفين فيه، متخلفين عن كثير منه، يقدمون ويؤخرون، ويقلون ويكثرون، قد بوبوه أبواباً مبهمة، ولقبوه ألقاباً متهمة، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة، وانتحل مذهباً هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه، إن شاء الله تعالى، وعولت في أكثره على قريحة نفسي، ونتيجة خاطري خوف التكرار، ورجاء الاختصار. .»[٣].

٣ ـ وقد تناول ابن رشيق في (العمدة) معظم أبواب البلاغة، وذكر بعض المصطلحات البلاغية، مما يمكن أن يجعل كتابه مندرجاً ضمن كتب البلاغة العربية والنقد الأدبي، ولكنه لم يُقسم البلاغة علوماً، بل اتبع طريقة ابن المعتز في سرد أبوابها ممتزجة مع أبواب الأدب، يدرس كل باب على حدة.

٤ ـ أشاد بالعرب وبالشعر العربي، فقال: «العرب أفضل الأمم، وحكمتها أشرف الحكم، كفضل اللسان على اليد، والبعد عن امتهان الجسد، إذ خروج الحكمة عن الذات، بمشاركة الآلات، إذ لا بد للإنسان من أن يكون تولى ذلك

---

(١) هو الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، أديب، نقاد، باحث. ولد بالمسيلة بالمغرب، وتوفي بمدينة مازر بجزيرة صقلية. (٣٩٠ ـ ٤٦٣هـ = ١٠٠٠ ـ ١٠٧١م). انظر: الأعلام، (٢/ ١٩١).

(٢) علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ص (١٦).

(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق د. مفيد قميحة، (١/ ١٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

بنفسه، أو احتاج فيه إلى آلة معين من جنسه، وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، لكل منهما ثلاث طبقات: جيدة ومتوسطة ورديئة، فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور في جنسه في معترف العادة»[١].

٥ ـ تحدث عن اللفظ والمعنى، فقال: «اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر، وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من مرض بمرض الأرواح»[٢].

٦ ـ وفي باب البلاغة يقول: «تكلم رجل عند النبي - ﷺ - ، فقال له النبي - ﷺ - : «كم دون لسانك من حجاب». قال: شفتاي وأسناني. فقال له: «إن الله يكره الانبعاق في الكلام، فنضر الله وجه رجل أوجز في كلامه، واقتصر على حاجته». وسئل النبي - ﷺ - : فيم الجمال فقال: «في اللسان». يريد البيان. وقال أصحاب المنطق: حد الإنسان الحي الناطق، فمن كان في المنطق أعلى رتبة، كان بالإنسانية أولى. وقالوا: الروح عماد الجسم، والعلم عماد الروح، والبيان عماد العلم. وسئل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليل يُفهم، وكثير لا يُسأم. وقال آخر: البلاغة إجاعة اللفظ وإشباع المعنى. وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز. وسئل بعض الأعراب: من أبلغ الناس؟ فقال: أسهلهم لفظاً، وأحسنهم بديهة»[٣].

٧ ـ وفي باب التشبيه يعرفه قائلاً: «التشبيه صفة الشيء بما قاربه أو شاكله من جهة واحدة لا من جهات كثيرة، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا

---

(١) المصدر السابق، (١/ ١٥).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٩١).

(٣) المصدر السابق، (١/ ١٦٨).

رفع
المسلم
عبد الله الرحمن

ترى أن قولهم خد كالورد إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه»[١].

٨ ـ وتحدث عن المطابقة والخلاف فيها بين قدامة وغيره، فقال: «المطابقة في الكلام أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه. المطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام، أو بيت شعر، إلا قدامة، ومن اتبعه، فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً، وقد تقدم الكلام في باب التجنيس، وسمى قدامة هذا النوع الذي هو المطابقة عندنا التكافؤ، وليس بطباق عنده إلا ما قدمت ذكره، ولم يسم التكافؤ أحد غيره وغير النحاس من جميع من علمته»[٢].

٩ ـ وأغلب الكتاب نقول لكلام من قبله، ففي باب الإيجاز يستهله بقوله: «الإيجاز عند الرماني على ضربين. . .»[٣].

وفي باب البيان يقول: «قال أبو الحسن الرماني: البيان هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك»[٤].

وفي باب النظم يقول: «قال أبو عثمان الجاحظ: أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان. وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ، لذ سماعه، وخف محتمله، وقرب فهمه، وعذب النطق به، وحلي في فم سامعه، فإذا كان متنافراً متبايناً عسر حفظه، وثقل على لسان الناطق به، ومجته المسامعُ، فلم يستقر فيها منه شيء»[٥].

هكذا نجده ينقل عن أعلام الأدب، وقد يعقب نقوله تعليقات يسيرة أحياناً.

---

(١) المصدر السابق، (١/ ١٩٩).
(٢) المصدر السابق، (١/ ٢٤٤).
(٣) المصدر السابق، (١/ ١٧٣).
(٤) المصدر السابق، (١/ ١٧٦).
(٥) المصدر السابق، (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

رفع
المسـ هما
عبد الله بن الله

والخلاصة أن كتاب العمدة ، غزير المادة العلمية، استوعب معظم ما قيل قبله من مسائل البلاغة والنقد والأدب، وهو يتناولها بأسلوب سهل، مع بعض الشرح والتعليق إذا اقتضت الضرورة ذلك.

❑ ❑ ❑

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

عشرون: ابن سنان الخفاجي

١ ـ وهو صاحب كتاب (سر الفصاحة)[1]، وقد وضح ابن سنان منهجه في كتابه، فقال: «أما بعد، فإني لما رأيت الناس مختلفين في ماهية الفصاحة وحقيقتها، أودعت كتابي هذا طرفاً من شأنها، وجملة من بيانها، وقربت ذلك على الناظر، وأوضحته للمتأمل، ولم أمل بالاختصار إلى الإخلال، ولا مع الإسهاب إلى الإملال»[2].

٢ ـ بين ثمرة معرفة الفصاحة، وفائدتها لتقع الرغبة فيها، فقال: «أما العلوم الأدبية فالأمر في تأثير هذا العلم فيها واضح، لأنها الزبدة منها، والنكتة نظم الكلام على اختلاف تأليفه، ونقده ومعرفة ما يُختار منه مما يُكره، وكلا الأمرين متعلق بالفصاحة، بل هو مقصور على المعرفة بها، فلا غنى للمنتحل الأدب عما نوضحه ونشرحه في هذا الباب. وأما العلوم الشرعية فالمعجز الدال على نبوة محمد نبينا - ﷺ - هو القرآن، والخلاف الظاهر فيما به كان معجزاً على قولين:

أحدهما: أنه خرق العادة بفصاحته، وجرى ذلك مجرى قلب العصا حية، وليس للذاهب إلى هذا المذهب مندوحة عن بيان ما الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج عن مقدور البشر.

والقول الثاني: أن وجه الإعجاز في القرآن: صرف العرب عن المعارضة، مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف، وأمر القائل بهذا يجري

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الخفاجي الحلبي، شاعر، أخذ الأدب عن أبي العلاء وغيره، وكانت له ولاية بقلعة عزاز بأعمال حلب. (٤٢٣ ـ ٤٦٦هـ = ١٠٣٢ ـ ١٠٧٣م). انظر: الأعلام، (٤/ ١٢٢).

(٢) سر الفصاحة، ص (١٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

رفع المسهم

مجرى الأول في الحاجة إلى تحقق الفصاحة ما هي ليقطع على أنها كانت في مقدورهم، ومن جنس فصاحتهم، ونعلم أن مُسيلمة وغيره لم يأت بمعارضة على الحقيقة، لأن أسلوب الكلام الذي أورده خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب المخصوص، وإذا ثبت بما ذكرناه الغرض بهذا الكتاب، وفائدته، فالدواعي إلى معرفة ذلك قوية، والحاجة ماسة شديدة»(١).

٣ ـ تناول جملة من الموضوعات في كتابه، فقد تحدث ابن سنان عن: تعريف الأصوات، والحروف، والكلام، واللغة، والفصاحة والبلاغة والفرق بينهما، وتكلم عن الألفاظ المؤلفة، والمعاني المفردة، وعقد فصلاً في ذكر الأقوال الفاسدة في التفضيل بين المتقدمين والمحدثين، وفصلاً آخر: في ذكر الفرق بين المنظوم والمنثور، وما يقال في تفضيل أحدهما على الآخر، وعقد آخر فصل من كتابه إلى ما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته»(٢).

٤ ـ عرف ابن سنان الفصاحة، فقال: «الفصاحة: الظهور والبيان، ومنها: أفصح اللبن إذا انجلت رغوته، وفَصُح فهو فصيح. قال الشاعر:

وتحت الرغوةِ اللبنُ الفصيحُ

ويقال: أفصحَ الصبحُ إذا بدا ضوءه، وأفصح كل شيء إذا وضح، وفي الكتاب العزيز: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ﴾ [القصص: ٣٤]. وفِصح النصارى: عيدهم... وسمي الكلام الفصيح فصيحاً، كما أنهم سموه بياناً لإعرابه عما عُبر به عنه، وإظهاره له إظهاراً جلياً»(٣).

٥ ـ فرق ابن سنان بين الفصاحة والبلاغة، فقال: «الفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً

(١) المصدر السابق، ص (١٤).
(٢) المصدر السابق، ص(٢٩٤ ـ ٢٩٨).
(٣) المصدر السابق، ص (٥٨ ـ ٥٩).

رفع المسـاهم

للألفاظ مع المعاني، لا يُقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها فصيحة. وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه»[1].

٦ ـ اشترط ابن سنان في فصاحة اللفظة المفردة ثمانية أشياء[2]:

الأول: أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج.

والثاني: أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حُسناً ومزية على غيرها، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة.

والثالث: أن تكون الكلمة ـ كما قال أبو عثمان الجاحظ ـ غير متوعرة وحشية، كقول أبي تمام:

لقد طلعتْ في وجه مصر بوجهه ... بلا طالع سد ولا طائر كهل

فإن كهلاً هاهنا من غريب اللغة.

والرابع: أن تكون غير ساقطة عامية، كما قال أبو عثمان أيضاً.

والخامس: أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة، ويدخل في هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة، ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة، وقد يكون ذلك لأجل أن اللفظة بعينها غير عربية، كما أنكروا على أبي الشيص قوله:

وجناح مقصوصٍ تحيف ريشه ... ريبُ الزمان تحيف المقراضِ

وقالوا: ليس المقراض من كلام العرب.

والسادس: أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره، فإذا أوردت وهي غير مقصودة بها ذلك المعنى، قبحت وإن كملت فيها الصفات التي بيناها، ومثال هذا قول عروة بن الورد العبسي:

قلتُ لقومٍ في الكنيف تروَّحوا ... عشيةَ بتنا عند ماوان رزَّحِ

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٩).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٤ ـ ٩٢).

والكنيف أصله الساتر، ومنه قيل للترس كنيف، غير أنه قد استعمل في الآبار التي تستر الحدث، وشهر بها، فأنا أكرهه في شعر عروة، وإن كان ورد مورداً صحيحاً، لموافقة هذا العرف الطارئ.

والسابع: أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف، فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت، وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة، ومن ذلك قول أبي نصر بن نُباتة:

فإياكمُ أن تكشفوا عن رؤوسكم ألا إن مغناطيسهنَّ الذوائبُ

فمغناطيسهنَّ كلمة غير مرضية لما ذكرته.

والثامن: أن تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي، أو قليل، أو ما يجري مجرى ذلك، فإني أراها تحسن به.

٧ ـ اشترط ابن سنان في فصاحة تأليف الكلام بعض ما اشترطه في فصاحة الكلمة المفردة، لهذا هو يكرُّ على الشروط الثمانية التي ذكرها ويحاول تطبيقها على الكلام، ثم يضيف شروطاً أخرى عليها، ونبدأ بالشروط الثمانية[١]:

الشرط الأول: أن يجتنب الناظم تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، مثل:

لو كنتُ كتمت الحب كنت كما كنا نكون ولكن ذاك لم يكنِ

وليس يحتاج إلى دليل على قبحه للتكرار أكثر من سماعه.

والشرط الثاني: أن تجد للفظة في السمع حُسناً ومزية على غيرها، لا من أجل تباعد الحروف فقط، بل لأمر يقع في التأليف، ويعرض في المزاج، كما يتفق في بعض النقوش على ما بيناه فيما تقدم، فإن هذا إنما يكون في التأليف إذا ترادفت الكلمات المختارة، فيوجد فيه الحسن أكثر.

الثالث والرابع من الأقسام: أن تكون الكلمة غير وحشية ولا عامية، وهذين

---

(١) انظر: سر الفصاحة، ص (٩٢ ـ ٢٣٤).

رفع المسلم غفر الله له ولوالديه

القسمين لا علاقة للتأليف بهما، وإنما يقبح إذا كثر فيه الكلام الوحشي أو العامي، على حد ما يحسن إذا كثر فيه الكلام المختار.

والخامس: أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح، فللتأليف بهذا القسم عُلقة وكيدة، لأن إعراب اللفظ تبع لتأليفها في الكلام، وعلى حكم الوضع الذي وردت فيه.

والسادس: أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره، فللتأليف فيه تعلق بحسب إضافة الكلمة إلى غيرها، فإن القبح يختلف بحسب ذلك.

وأما السابع والثامن من شروط الفصاحة في الكلمة المفردة فلا علاقة للتأليف بها.

بعد ذلك ينتقل إلى ما يختص بالتأليف وينفرد له، فيذكر من ذلك:

ـ وضـع الألفاظ موضعها حقيقـة أو مجـازاً، لا ينكره الاستعمال، ولا يبعد فهمه.

ـ ومن وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة.

ـ ومن وضع الألفاظ موضعها ألا تقع الكلمة حشواً، وأصل الحشو أن يكون المقصد بها إصلاح الوزن أو تناسب القوافي وحرف الروي إن كان الكلام منظوماً، وقصد السجع وتأليف الفصول إن كان منثوراً.

ـ ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون الكلام شديد المداخلة يركب بعضه بعضاً، وهذا هو المعاظلة التي وصف عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ زهير ابن أبي سلمى بتجنبها فقال: (كان لا يعاظل في الكلام). لأن المعاظلة المداخلة.

ـ ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح، بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغرض. ومن هذا الجنس عما يجب أن يُكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح.

ـ ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يستعمل في الشعر والنثر ألفاظ المتكلمين

رفع المسار

والنحويين والمهندسين ومعانيهم، والألفاظ التي تختص بها أهل المهن والعلوم.

ـ اجتناب عيوب القوافي.

ـ الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام.

ـ أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه.

وثمة أمور كثيرة ذكرها ليس هنا موضع استقصائها.

٨ ـ صرح ابن سنان الخفاجي باعتقاده بمذهب الصرفة في الإعجاز، يقول: «وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك»[١].

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ نعيم الحمصي: «وخلاصة ما أتى به الخفاجي أنه لا يرى فصاحة القرآن كافية للبرهان على إعجازه، ويقول بالصرفة على طريقة المرتضى، ويرى أن بعض القرآن أفصح من بعض»[٢].

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، ص (١٠٠).

(٢) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، ص (٨٥ ـ ٨٦).

رفع المسهم

واحد وعشرون: محمد بن حيدر البغدادي

١ ـ ألف البغدادي كتابه: (قانون البلاغة في نقد النثر والشعر)[(١)]، وقد قال في مقدمته: «سألتَ ـ أطال الله مدتك، وأدام نعمتك، وحرسَ دولتك ـ عن البلاغة، والبلاغة ليست ألفاظاً فقط، ولا معاني فحسب، بل هي ألفاظ يعبر بها عن معان، ولكن ليس كما اتفق، ولا كيفما وقع، لأن ذلك لو جرى هذا المجرى، لكان أكثر الناس بليغاً، إذ كان أكثرهم يؤدي عن المعاني التي يولدها بألفاظٍ تدل عليها، لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة، ومنهاج الكتابة من وجهين، أحدهما: أن تكون الألفاظ مستكرهة مُستوخمة، غير مرصوفة ولا منتظمة.

والثاني: أن تكون كثيرة يغني عنها بعضها، ويمكن أن يُعبر عن المعنى الدالّ عليها بأقل منها»[(٢)].

٢ ـ وتحدث عن الإيجاز والإطناب، وأن البليغ يحتاج إلى كل منهما بحسب الموضع، ثم استدرك قائلاً: «إلا أن أكثر ما هو عليه الناس في البلاغة أنها الاختصار وتقريب المعنى بالألفاظ القصار، حتى إذا سئل بعض الناس عن البلاغة فقال: هي لمحة دالة. وهذا مذهب العرب وعادتهم في العبارة، فإنهم يشيرون إلى المعاني بأوحى إشارة، ويستحبون أن تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة»[(٣)].

٣ ـ والكتاب قسمان:

القسم الأول: في بلاغة النثر ونقده، وفيه تحدث عن تعريف البلاغة،

---

(١) محمد بن حيدر البغدادي، أبو طاهر، فخر الدين، شاعر رقيق، من بلغاء الكتاب، توفي (٥١٧هـ =١١٢٣م). انظر: الأعلام، (٦/ ١١١).

(٢) قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، تحقيق الدكتور محسن غياض عجيل، ص (٢٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٣) المصدر السابق، ص (٢٤).

رفع المسـاهم

وألفاظ الكتاب، ونعوت الألفاظ، ونعوت المعاني، ومذاهب البلاغة، وتعريفات: الصوت، والفكر والبيان، والمعاني والبلاغة.

والقسم الثاني: في بلاغة الشعر ونقده، تحدث فيه عن الشعر والبديع، ثم ذكر أقسام البديع ابتداء من الطباق والتجنيس، وانتهاء بالاستعارة والمبالغة، ثم تحدث عن صناعة الشعر، ومشاكلة الألفاظ للمعاني، ودواعي الشعر، والطبع والتكلف، والنقد والنقاد.

٤ ـ ويقول في الخاتمة: «وهذه الرسالة تقتضي الإقناع، ولا تحتمل الإشباع، وإنما نبذت إليك نبذاً، وعرضت عليك لُمعاً، حتى لا تحكم من غير تثبت، ولا تقضي من غير تبين».

وفعلاً فإن حجم الكتاب مقارنة مع الموضوعات التي طرحها يدل على أنه ليس أكثر من فهرس لها، مع شرح موجز، وهو يستقي معلوماته من الجاحظ وابن قتيبة، وابن المعتز، وقدامة، وأبي هلال العسكري وغيرهم.

٥ ـ ومن التعريفات التي ذكرها[١]:

الصوت: هو آلة اللفظ، والذي به يبلغ السامع ما يدركه الفكر.

الفكر: هو مستنبط الحكمة، ومستشار الصوت، ومستوضح غوامض الأدلة، وكاشف ضباب الغفلة عن الأفئدة.

البيان: هو اسم لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك حجب الضمير، وأبدى مكنونه.

المعاني: هي الحادثة بالذكر، المتصورة للعقل، الجائلة في الفكر، وهي بعيدة وحشية، معدومة في الحال، موجودة في أخرى، ممتدة على غير غاية، مبسوطة إلى غير نهاية.

---

(١) المصدر السابق، ص (٧٥ ـ ٧٦).

البلاغة: هي أن يبلغ السامع أقصى نهاية المعنى الخاطر بقلبك، فتصوره لك كتصوره عندك، بالإبانة عنه، والإفصاح به.

وقيل: الفصاحة لمحة دالة.

وقال بعضهم: البلاغة التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، ودنو المأخذ، وإيجاز في صواب، وقصد إلى الحجة، وحسن الاستعارة.

وهو غالباً يذكر اللون البياني، ويعرفه ويسرد بعض الأمثلة القليلة، وربما ذكر النوع البياني من دون تعريفه، أو شرح الأمثلة، كما هو الحال عند مبحث المثل السائر، والتشبيه[1]، وعلى العموم فالكتاب سهل ميسر، وكتب بلغة أدبية سهلة، بعيداً عن التعقيد والإسهاب.

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق، ص (١٣٦ ـ ١٤٠).

رفع المسهم

اثنان وعشرون: ضياء الدين ابن الأثير

١ ـ هو صاحب كتاب (المثل السائر في صناعة الكاتب والشاعر)(١)، وقد أشار فيه إلى أن هنالك آلات لعلم البيان، وفي مقدمتها الطبع ـ أي الموهبة ـ يقول: «اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة، وقد قيل: ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم، حتى قيل: كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه. فيقول: فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم. ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة، فيقول: فلان الكاتب. وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن، وملاك هذا كله الطبع ؛ فإنه إذا لم يكن ثم طبع ؛ فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً، ومثال ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد، والحديدة التي يقدح بها، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئاً»(٢).

٢ ـ أشار إلى آلات لعلم البيان الثمانية، وقرر أنه ينبغي على الأديب معرفتها، وهي:

«النوع الأول: معرفة علم العربية من النحو والتصريف.

النوع الثاني: معرفة ما يحتاج إليه من اللغة، وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام، غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب.

النوع الثالث: معرفة أمثال العرب وأيامهم، ومعرفة الوقائع التي جاءت في

---

(١) هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، وزير، من العلماء الكتاب المترسلين. ولد بالموصل ومات ببغداد. (٥٥٨ ـ ٦٣٧هـ = ١١٦٣ ـ ١٢٣٩م). انظر: الأعلام، (٨/ ٣١).

(٢) المثل السائر في صناعة الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (١/ ٢٧)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

حوادث خاصة بأقوام ؛ فإن ذلك جرى مجرى الأمثال أيضاً.

النوع الرابع: الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة، والتحفظ للكثير منه.

النوع الخامس: معرفة الأحكام السلطانية الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك.

النوع السادس: حفظ القرآن الكريم، والتدرب باستعماله وإدراجه في مطاوي كلامه.

النوع السابع: حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي - ﷺ - . والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال.

النوع الثامن: وهو مختص بالناظم دون الناثر، وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر»[١].

٣ ـ تحدث عن السجع، وقيمته البيانية، وعن السبب في عدم كون القرآن كله مسجوعاً، فقال:

«فإن قيل: فإذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ما ذهبت إليه ؛ فكان ينبغي أن يأتي القرآن كله مسجوعاً، وليس الأمر كذلك، بل منه المسجوع ومنه غير المسجوع؟.

قلتُ في الجواب: إن أكثر القرآن مسجوع، حتى إن السورة لتأتي جميعها مسجوعة، وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعاً إلا أنه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار، والسجع لا يؤاتي في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار، فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب.

وهاهنا وجه آخر: هو أقوى من الأول، ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع ؛ لأن ورود غير

---

(١) المثل السائر، (١/ ٢٩).

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

المسجوع؛ معجزاً أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع، ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعاً»[1].

٤ ـ تحدث عن الفصاحة والبلاغة، وبين أنهما أشرف العلوم، لافتخار النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بهما من جهة، ولأنهما أساس الإعجاز في كتاب الله تعالى من جهة ثانية، وكان مجيء القرآن نثراً سبب لتفضيله المنثور على المنظوم، معللاً ذلك بكثرة الشعراء وقلة الكتاب، وحاجة الدول إلى الكتاب أكثر من حاجتها إلى الشعراء، يقول: «وإذ فرغت من تصنيف هذا الكتاب، وحررت القول في تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهما وحقائقهما، فينبغي أن أختمه بذكر فضليهما فأقول: اعلم أن هذا الفن هو أشرف الفضائل وأعلاها درجة، ولولا ذلك لما فخر به رسول الله - ﷺ - في عدة مواقف، فقال تارة: «أنا أفصح من نطق بالضاد». وقال تارة: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي؛ كان كل نبي يبعث في قومه، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طيبة وطهوراً، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأوتيت جوامع الكلم». وما سمع بأن رسول الله - ﷺ - افتخر بشيء من العلوم سوى علم الفصاحة والبلاغة، فلم يقل أنه أفقه الناس، ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب، ولا بغير ذلك، كما قال أنا أفصح من نطق بالضاد.

وأيضاً فلو لم تكن هذه الفضيلة من أعلى الفضائل درجة، لما اتصل الإعجاز بها دون غيرها، فإن كتاب الله تعالى نزل عليها، ولم ينزل بمعجز من مسائل الفقه ولا من مسائل الحساب ولا من مسائل الطب، ولا غير ذلك من العلوم.

ولما كانت هذه الفضيلة بهذه المكانة صارت في الدرجة العالية، والمنثور منها أشرف من المنظوم لأسباب، من جملتها:

أن الإعجاز لم يتصل بالمنظوم وإنما اتصل بالمنثور.

الآخر أن أسباب النظم أكثر، ولهذا نجد المجيدين منهم أكثر من المجيدين

---

(١) المصدر السابق، (١/ ١٩٩).

رفع
المسـ هما
عبد الله بن حمد الله

من الكتاب، بل لا نسبة لهؤلاء إلى هؤلاء، ولو شئت أن تحصي أرباب الكتابة من أول الدولة الإسلامية إلى الآن لما وجدت منهم ممن يستحق اسم الكاتب عشرة، وإذا أحصيت الشعراء في تلك المدة وجدتهم عدداً كثيراً، حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر مفلق، وهذا لا نجده في الكتاب، بل ربما ندر الفرد الواحد في الزمن الطويل، وليس ذلك إلا لوعورة المسلك من النثر وبعد مناله.

والكاتب هو أحد دعامتي الدولة، فإن كل دولة لا تقوم إلا على دعامتين من السيف والقلم، وربما لا يفتقر الملك في ملكه إلى السيف إلا مرة أو مرتين، وأما القلم فإنه يفتقر إليه على الأيام، وكثيراً ما يستغني به عن السيف»[1].

٥ ـ تحدث عن التشبيه المقلوب، وسماه الطرد والعكس، فقال: «واعلم أن من التشبيه ضرباً يسمى الطرد والعكس، وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به، وبعضهم يسميه: غلبة الفروع على الأصول، ولا تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض به المبالغة، فمما جاء من ذلك قول ذي الرمة:

ورملٍ كأردافِ العذارى قطعته ... إذا ألبسته المظلماتُ الحنادسُ

ألا ترى إلى ذي الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً، وذاك أن العادة والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء وهو مطرد في بابه، فعكس ذو الرمة القصة في ذلك، فشبه كثبان الأنقاء بأعجاز النساء، وإنما فعل ذلك مبالغة، أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء، وصار كأنه الأصل حتى شبهت به كثبان الأنقاء»[2].

٦ ـ تحدث عن المجاز، وبين أن أصل كل مجاز هو الحقيقة، وأن المجاز أكثر بلاغة من الحقيقة، فقال: «واعلم أن كل مجاز فله حقيقة؛ لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له؛ إذ المجاز هو اسم

---

(١) المصدر السابق، (٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

(٢) المثل السائر، (١/ ٤٠٣).

للموضع الذي ينتقل فيه من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى غيرها.

وإذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها إلى حالته المجازية، فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز؛ فإن من الأسماء ما لا مجاز له، كأسماء الأعلام لأنها وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات.

وكذلك فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة، لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الأصل أولى منه، حيث هو فرع عليها وليس الأمر كذلك، لأنه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عياناً؛ ألا ترى أن حقيقة قولنا: زيد أسد، هي قولنا: زيد شجاع، لكن فرق بين القولين في التصوير والتخييل وإثبات الغرض المقصود في نفس السماع»[1].

٧ ـ تحدث عن موضوع علم البيان، فقال: «موضوع كل علم هو الشيء الذي يسأل فيه عن أحواله التي تعرض لذاته، فموضوع الفقه هو: أفعال المكلفين، والفقيه يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الفرض والنفل والحلال والحرام والندب والمباح وغير ذلك. وموضوع الطب هو: بدن الإنسان، والطبيب يسأل عن أحواله التي تعرض له من صحته وسقمه. وموضوع الحساب هو: الأعداد، والحاسب يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة وغير ذلك. وموضوع النحو هو: الألفاظ والمعاني، والنحوي يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية وكذلك يجري الحكم في كل علم من العلوم، وبهذا الضابط انفرد كل علم رأسه ولم يختلط بغيره، وعلى هذا فموضوع علم البيان هو: الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٧٨).

رفع
المسلم
عبد الله بن محمد

اللغوي، وتلك دلالة عامة. وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة. والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة؟ ومن هاهنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية، وتبيين مواضع الإعراب منها، دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة»[1].

٨ ـ يوجز الدكتور عبد الفتاح لاشين جهود ابن الأثير في كتابه المثل السائر في صناعة الكاتب والشاعر، فيقول: «جعل كلمة البيان تشمل مباحث علمي المعاني والبديع، متتبعاً أصل الفكرة من عصر الجاحظ ومن تبعه، وعلى الرغم من أنه يصرح بأنه لم يستفد في كتابه إلا من كتاب الموازنة للآمدي، وسر الفصاحة للخفاجي، ولكن المطلع على كتابه يرى أنه قد استفاد من جل من سبقه، وقد ادعى أنه لم يطلع على كتابي عبد القاهر، وهذا ادعاء يخالفه الواقع»[2].

❑ ❑ ❑

(١) المثل السائر (١/ ٢٦).

(٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ص (٣٤ ـ ٣٥).

رفع عبد الرحمن الهيثم

ثلاثة وعشرون: أسامة بن منقذ

١ ـ هو صاحب كتاب (البديع في نقد الشعر)[١]، ويقول الدكتور عبد العزيز عتيق في التعريف بأسامة بن منقذ بأنه: «من أكابر بني منقذ وشجعانهم. . . وقد ذكرنا من مصنفات ابن منقذ كتاب البديع في نقد الشعر، وهو يشتمل على خمسة وتسعين باباً، ذكر فيه كثيراً من المحسنات البديعية»[٢].

٢ ـ وقد ذكر أسامة بن منقذ في مقدمة الكتاب منهجه ومصادره، فقال: «هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر، وذكر محاسنه وعيوبه، فلهم فضيلة الابتداع، ولي فضيلة الاتباع، والذي وقفت عليه: كتاب البديع لابن المعتز، وكتاب الحالي للحاتمي، وكتاب المحاضرة للحاتمي، وكتاب الصناعتين للعسكري، وكتاب اللمع للعجمي، وكتاب العمدة لابن رشيق، فجمعت من ذلك أحسن أبوابه، وذكرت منه أحسن مثالاته، ليكون كتابي مغنياً عن هذه الكتب، لتضمنه أحسن ما فيها، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب»[٣].

٣ ـ في العادة يذكر المؤلفُ الباب ثم يقوم بتعريف اللون البلاغي الذي يتناوله، ثم يسرد الأمثلة، والتحليل قليل عنده، وفي الغالب لا يكون هنالك تحليل، وهنالك أبواب ليس فيها تعريف للون البلاغي ولا أي تحليل للأبيات،

---

(١) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، أبو المظفر، مؤيد الدولة، أمير ومن العلماء الشجعان، وله تصانيف في الأدب والتاريخ. (٤٨٨ ـ ٥٨٤هـ = ١٠٩٥ ـ ١١٨٨م). انظر: الأعلام، (١/ ٢٩١).

(٢) علم البديع، ص (٣١).

(٣) البديع في نقد الشعر، تحقيق: الدكتور أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة الأستاذ إبراهيم مصطفى، ص (٨)، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

رفع المسـاهم

فهو يسرد عنوان الباب، ويعقبه بالأمثلة، من ذلك: باب الهدم، وباب التكرير، وباب التثقيل والتخفيف، وغيرها.

٤ ـ من العجيب أن يطلق لفظ المعجز على بيتين من الشعر، ففي باب التجنيس المركب قال: «ولبعضهم وهو من المعجز الذي ليس مثله:

إن ترمكَ الغُربةُ في معشرٍ | تضافروا فيك على بغضهم
فدارهمْ ما دمتَ في دارهمْ | وأرضهم ما دمتَ في أرضهم[١]

ولا ريب أن مصطلح الإعجاز لا ينبغي إطلاقه على الشعر، وإطلاقه هنا من الباب التجوز لا غير.

٥ ـ ابتدأ كتابه بباب التجنيس المغاير، وقال: «اعلم أن التجنيس ثمانية أجناس، فمنها التجنيس المغاير، وهو أن تكون الكلمتان اسماً وفعلاً، مثل قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]. وقوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]. وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]. وقوله سبحانه: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]. وقوله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]. وقوله جل جلاله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]. ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. وقول ذي الرمة:

كأنَّ البُرى والعاجَ عيجتْ متونُهُ | على عُشَرٍ نهّى به السيلَ أبطحُ

وقول جرير بن الخطَفيِّ:

كأنكَ لم تسرْ ببلاد نجدٍ | ولم تنظرْ بناظرة الخياما

وقول بعض العرب في صفة فوارس: (إنها لخيل تختال)»[٢].

ونلحظ أنه كثير الاستشهاد بالآيات القرآنية، وهو يتبعها بالشعر، وأقوال العرب، وقد ابتدأ بالجناس تأثراً ببيئة عصره التي كانت تُعنى بألوان البديع، فقد كان الشعراء يتنافسون فيه لما له من أثر جميل في البيان العربي.

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٣ ـ ٣٤).
(٢) المصدر السابق، ص (١٢ ـ ١٣).

المستهام

٦ ـ وفي باب التجنيس المماثل، قال: «اعلم أن التجنيس المماثل هو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين، كما قال الله عز وجل: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقال النبي - ﷺ - : «الظلم ظلمات يوم القيامة». وقال ﷺ : «ذو الوجهين لا يكون وجيهاً يوم القيامة».

وقال بعض الوزراء: (ليكن كلامك حاجة أو حجة، وإلا خسرت).

وكتب بعض الأدباء إلى الرشيد: (أحسن لنا في النظر، كما أحسنا في الانتظار)»[١].

ونلاحظ أنه يبتدئ دائماً بكلام الله تعالى، ثم بالحديث النبوي إن وجد، ثم يشرع بذكر بقية الأمثلة من المنظوم والمأثور.

٧ ـ أما آخر أبواب الكتاب فكان باب التهذيب والترتيب[٢]، وفيه نصائح للشاعر ابتدأت بقوله: «ومن التهذيب أن يخلص المعنى قبل السبك للفظ، والقوافي قبل الأبيات». واختتمه بقوله: «واستفتح بذكر الله، فقد كانت العرب تسمي الخطبة التي لا تستفتح بالحمد: البتراء، والتي لا توشح بالحمد: الشوهاء».

وهو بين الوصيتين يعرض كثيراً من مسائل البلاغة، منها قوله: «واعلم أن الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، فإذا قويت الألفاظ فلتقو المعاني، ليحمل بعضها بعضاً».

ويقول: «واعلم أن محاسن الشعر ثلاثة: التطبيق والتجنيس والمقابلة، ومحاسن المعاني ثلاثة: الاستعارة، والتشبيه، والمثل، فاقصد إليها، واعتمد عليها».

ونحن نلحظ مما سبق، ومن استعراض مباحث كتابه البديع ، أن الكتاب

(١) المصدر السابق، ص (١٤).
(٢) المصدر السابق، ص (٢٩٥ ـ ٢٩٩).

رفع المسـاهم

اعتمد المباحث البلاغية منطلقاً له في الحديث عن نقد الشعر.

وقبل ختام المبحث يبقى أن نشير أخيراً أن ثمة كتب كثيرة تناولت موضوعات ذات صلة بالبلاغة والإعجاز، وليس الاستقصاء هنا موضعه هنا بطبيعة الحال، ولكن لا بد من الإشارة إلى أبرزها، وأول من نبدأ به من أصحاب تلك الكتب: إمام النحو والنحاة سيبويه رحمه الله تعالى.

١ ـ سيبويه:

لسيبويه[١] ـ رحمه الله تعالى ـ دراسات لمباحث ذات صلة بعلم البلاغة، يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين: «نجد سيبويه في كتابه (الكتاب) يمزج بحوث النحو بالبلاغة، فيعرض لبعض الخصائص الأسلوبية التي عني بها فيما بعد علم المعاني، مثل: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف، فيقول مثلاً في سر بلاغة التقديم عند جواز تقديم المفعول على الفاعل: كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم. كما تكلم عن المجاز تعليقاً على قول الخنساء:

ترعى إذا نسيتْ حتى إذا ادكرتْ ... فإنما هي إقبالٌ وإدبار

فقال: جعلت الإقبال والإدبار مجازاً على سعة الكلام. كما تكلم عن التشبيه في باب ما يكون من الأسماء صفة لمفرد وليس بفاعل، ولا صفة تشبه الفاعل، وأورد له أمثلة، مثل قولك: مررت برجل مثل الأسد، إذا كنت تشبهه، ولكن لم يعرفه»[٢].

٢ ـ علي بن حمزة الكسائي:

للكسائي كتاب (معاني القرآن)[٣]، وهو يلمس فيه بعض مسائل البلاغة،

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو، (١٤٨ ـ ١٨٠هـ) = (٧٦٥ ـ ٧٩٦م). انظر: الأعلام (٨١/٥).

(٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص (١٦ ـ ١٧). المكتبة الأموية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

(٣) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي، إمام في =

المسلم

والكسائي هو إمام مدرسة الكوفة في النحو، وهو «ينشط لا في تأليف كتب تتصل بالقرآن الكريم وقراءته ومعانيه فحسب، بل يؤلف أيضاً في النحو كتابين هما: مختصر النحو و كتاب الحدود في النحو، وألف في أغلاط العامة كتاباً سماه ما تلحن به العوام وهو مطبوع»[(١)].

٣ ـ الأخفش الأوسط:

وله تفسير معاني القرآن وهو مخطوط، وللأخفش[(٢)] معاني الشعر[(٣)]، «ويقال إنه أول من أملى غريب كل بيت من الشعر تحته»[(٤)].

٤ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام:

له: (غريب القرآن، معاني القرآن)[(٥)]. وهو من تلاميذ الكسائي، «وقد جمع من إملاءاته كثيراً في كتابه معاني القرآن، وصور قراءته في كتابه عن القراءات، وكانت له عناية شديدة باللغة ورواية غريبها على نحو ما هو معروف في كتابه الغريب المصنف»[(٦)].

٥ ـ عبد الله محمد بن زيد الواسطي:

للواسطي كتاب في الإعجاز شرحه الشيخ عبد القاهر، يقول الحاج خليفة:

= اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة. ت (١٨٩هـ = ٨٠٥م). انظر: الأعلام، (٤/ ٢٨٣).

(١) المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ص (١٧٥)، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.

(٢) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي عالم باللغة والأدب من أهل بلخ، توفي (٢١٥هـ = ٨٣٠م). انظر: الأعلام، (٣/ ١٠١).

(٣) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي عالم باللغة والأدب من أهل بلخ، توفي (٢١٥هـ = ٨٣٠م). انظر: الأعلام، (٣/ ١٠١).

(٤) المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ص (٩٤).

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من أهل هراة، (١٥٧ ـ ٢٢٤هـ = ٧٧٤ ـ ٨٣٨م). انظر: الأعلام، (٥/ ١٧٦).

(٦) المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ص (١٨٦).

رفع المسهم

«إعجاز القرآن لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي، المتوفى سنة ست وثلاثمئة»[١] .

وقد شرحه الشيخ عبد القاهر الجرجاني شرحين كبيراً وسماه المقتضب، وشرحاً أصغر منه، «وليس للكتاب ولا لشرحيه أثر في أيدينا»[٢]، والرافعي يرى أنه أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف، وأنه بناه «على ما ابتدأه الجاحظ، كما بنى عبد القاهر في دلائل الإعجاز على الواسطي»[٣] .

٦ - أبو سعيد السيرافي :

وله: (صنعة الشعر، والبلاغة)[٤]. قال عنه الدكتور شوقي ضيف: «وبالسيرافي تنتهي مدرسة البصرة، وتصل إلى غايتها من تأصيل القواعد ومد الفروع المتشابكة»[٥] .

٧ - وفي التراث كتب كثيرة، فقد كتب أبو حاتم السجستاني كتاب الفصاحة[٦]، وللنضر بن شميل كتاب (معاني القرآن)، ولقطرب كتاب في نفس العنوان[٧]، كما كتب الشريف المرتضى كتاباً في الإعجاز ضاع[٨]، والكتب في

---

(١) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الحاج خليفة، (١/ ١٢٠).
(٢) انظر: بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، دراسة تاريخية فنية مقارنة، د. فتحي أحمد عامر، ص (٨٣).
(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، للرافعي، (٢/ ١٥٣).
(٤) الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد، نحوي عالم بالأدب، أصله من سيراف من بلاد فارس تفقه في عمان وسكن بغداد وتوفي فيها، (٢٨٤ ـ ٣٦٨هـ = ٨٩٧ ـ ٩٧٩م). انظر: الأعلام، (٢/ ١٩٥)
(٥) المدارس النحوية، ص (١٥٠).
(٦) سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني، من كبار العلماء باللغة والشعر من أهل البصرة، ت (٢٤٨هـ = ٨٦٢م). انظر الأعلام، (٣/ ١٤٣).
(٧) انظر: بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، د. فتحي أحمد عامر، حاشية ص (١٧).
(٨) انظر: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، ص (٦٩).

رفع المسهم

هذا الباب لا تكاد تحصر، ولم نقصد في بحثنا الإحصاء بقدر ما نقصد به الإضاءة، والتوقف عند أبرز الأعلام في الدرس البلاغي، ودرس إعجاز القرآن الكريم.

❑ ❑ ❑

رفع
المسأهم
غفر الله له ولوالديه

الفصل الثالث
مرحلة الجمود والصدى

ويتكون هذا الفصل من خمسة مباحث:

المبحث الأول: مدرسة السكاكي التقعيدية.

المبحث الثاني: مدرسة الخطيب القزويني الاتباعية.

المبحث الثالث: مدرسة الإمام الطيبي الإحيائية.

المبحث الرابع: مدرسة السيوطي الجامعة.

المبحث الخامس: جهود مختلفة لأعلام في البلاغة والإعجاز.

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

تمهيـــد

أهم ملامح هذه المرحلة ما يأتي:

١ ـ تمتد مرحلة الجمود والصدى ـ أي التكرار ـ من بداية القرن السابع حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، وأهم ما يميزها سياسياً هو دخول التتار بغداد، وقتلهم أهلها، والخليفة، والقضاء على دولة بني العباس، على يد هولاكو خان[1]، وذلك سنة (٦٥٦هـ).

٢ ـ انتهاء الحكم الأموي في الأندلس سنة (٨٩٨هـ).

٣ ـ زوال حكم المماليك ودخول مصر والشام تحت حكم الأتراك سنة (٩٢٣ هـ).

٤ ـ وأما من الناحية العلمية، فقد فشا الجمود والتكرار في العلوم عامة، وحلت التركية لغة رسمية للدولة بدلاً من العربية، ودخل العالم العربي في مرحلة سبات فكري عميق، وفي المقابل على جهة الشمال من المتوسط، بدأت يقظة الغرب، وراح ينهض ويطور نفسه، واكتشف قارتي أمريكا وإستراليا، ثم رسم خريطة العالم كما يريد!.

٥ ـ أما في البلاغة على وجه الخصوص، فقد اعتبر التلخيص صفوة ما ألف بالبلاغة، ولذا اشتغل العلماء بشرحه، يقول بهاء الدين السبكي في مقدمة شرحه للتلخيص: «أما بعد: فإن تلخيص المفتاح في علم البلاغة وتوابعها ـ بإجماع من وقف عليه، واتفاق من صرف العناية إليه ـ أنفع كتاب في هذا العلم

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق دكتور أحمد أبو ملحم مع آخرين، (١٣/٢١٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

رفع
المسـ هما
عبدالله إبراهيم

صنف، وأجمع مختصر على مقدار حجمه ألف»[١].

ويضيف في تعليقه على أصحاب شروح التلخيص، وما في شروحهم من الجمود والتكرار: «يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة، ويتناوبون المشكل والواضح على أسلوب واحد كلهم قد ألفه، لا يخالف المتأخر منهم المتقدم إلا بتغيير العبارة، ولا يجد له على حل ما أشكل على غيره أو استشكال ما اتضح جسارة، ولا يطمع أن يذوق ما في الاستدراك من اللذة، ولا تطمح نفسه لأن يقال برز على من سبقه وبذه، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة، ويسير إثره حذو القذة بالقذة... ولا يزيد في شرح عبارة المصنف على الإيضاح زيناً وجد فيه أم شيناً، فلو نطق التلخيص لتلا: ما جئتم به هذه بضاعتنا ردت إلينا»[٢].

❑ ❑ ❑

(١) شروح التلخيص، (حاشية السبكي) (١/ ٤)، دار السرور، بيروت.
(٢) المصدر السابق، (١/ ٦).

المبحث الأول:

مدرسة السكاكي التقعيدية

أولاً: ألف الإمام أبو يعقوب السكاكي[(١)] من علماء القرن السابع الهجري كتاباً سماه: (مفتاح العلوم)، ذكر في مقدمته أنه جمعه بناء على إلحاح أهل زمانه عليه، في أن يصنف لهم مختصراً يحظيهم بأوفر حظ منه، فصنفه وقال: «صنفت هذا وضمنت لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية، وسميته: (مفتاح العلوم). وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام، القسم الأول في علم الصرف، القسم الثاني في علم النحو، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان»[(٢)]. وقد أتبع السكاكي علم المعاني بملحقات وتتمات تكلم فيها عن علم البديع والاستدلال والعروض والقافية.

ثانياً: لقي كتاب مفتاح العلوم رواجاً، وخاصة القسم الثالث منه الذي يتعلق بعلم المعاني والبيان، وقد عرف علم المعاني بقوله: «و تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز من الوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره».

وأما علم البيان، فهو: «معرفة إيراد المعنى الواحد، في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[(٣)].

---

(١) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب، سراج الدين، عالم بالعربية والأدب، مولده ووفاته بخوارزم (٥٥٥ ـ ٦٢٦هـ = ١١٦٠ ـ ١٢٢٩م). انظر: الأعلام، (٨/ ٢٢٢).

(٢) مفتاح العلوم، ص (٣ ـ ٤)، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.

(٣) المصدر السابق، ص (٧٧).

رفع
المسهم
عبد الله بن محمد

ثالثاً: لم يجعل البديع علماً مستقلاً، وإنما قال عقب حديثه عن علم البيان: «وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، فهاهنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ»(١). وشرع بذكر أنواع البديع عقب ذلك.

رابعاً: تكلم عن الإعجاز، وهو عنده يدرك بالذوق ولا يوصف، حيث قال: «واعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين، نعم للبلاغة وجوه ملتثمة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلى عليك، أما نفس وجه الإعجاز فلا»(٢).

خامساً: وفي تعقيبه على الآية القرآنية: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] يقول: «والنظر في هذه الآية من أربع جهات: من جهة علم البيان، ومن جهة علم المعاني، وهما مرجعا البلاغة، ومن جهة الفصاحة المعنوية، ومن جهة الفصاحة اللفظية.

أما النظر فيها من جهة علم البيان، وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها، فنقول: إنه عز سلطانه لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض، وأن نقضي أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدنا من إغراق قومه فقضي، وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت، وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٠٠).

(٢) المصدر السابق، ص (١٩٦).

المسهم

لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويراً لاقتداره العظيم، وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام، تابعة لإرادته إيجاداً وإعداماً، ولمشيئته فيها تغييراً وتبديلاً، كأنهما عقلاء مميزون، قد عرفوه حق معرفته، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره، والإذعان لحكمه، وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده، وتصوروا مزيد اقتداره، فعظمت مهابته في نفوسهم، وضربت سرادقها في أفنية ضمائرهم، فكما يلوح لهم إشارته، كان المشار إليه مقدماً، وكما يرد عليهم أمره، كان المأمور به متمماً، لا تلقى لإشارته بغير الإمضاء والانقياد، ولا لأمره بغير الإذعان والامتثال، ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام، فقال جل وعلا: (قيل) على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد، وهو: (يا أرض . . . ويا سماء). ثم قال كما ترى: (يا أرض . . . ويا سماء) مخاطباً هلما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار لغؤور الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما؛ وهو الذهاب إلى مقر خفي. ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيهاً له بالغذاء لقوى الأرض بالماء في الإنبات للزروع والأشجار، تقوي الآكل بالطعام، وجعل قرينة الاستعارة لفظة: (ابلعي) لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء، ثم أمر على سبيل الاستعارة المشبه المقدم ذكره وخاطب في الأمر ترشحاً لاستعارة النداء، ثم قال: ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز، تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك، واختار ضمير الخطاب لأجل الترشيح، ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع، الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان، ثم أمر على سبيل الاستعارة، وخاطب في الأمر قائلاً: (أقلعي) لمثل ما تقدم في (ابلعي). ثم قال: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا﴾ فلم يصرح بمن غاض الماء، ولا بمن قضى الأمر، وسوى السفينة، وقال: (بعداً) كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء في صدر الآية، سلوكاً في كل واحد من ذلك سبيل الكناية، أن تلك الأمور العظام لا تأتي إلا من ذي قدرة لا يُكتنه، قهار لا يُغالب، فلا مجال على ذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلت عظمته قائل:

يا أرض ويا سماء، ولا غائض مثل ما غاض، ولا قاضى مثل ذلك الأمر الهائل، أو أن تكون تسوية السفينة وإقرارها بتسوية غيره وإقراره. ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم لا غير، ختم إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه، وأن قيمة الطوفان وتلك الصورة الهائلة، ما كانت إلا لظلمهم.

وأما النظر فيها من حيث علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة منها، وجهة كل تقديم وتأخير في ما بين جملها، فذلك أنه اختير (يا) دون سائر أخواتها لكونها أكثر في الاستعمال، وأنها دالة على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة، وإبداء شأن العزة والجبروت، وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به، ولم يقل: (يا أرض) بالكسر لإمداد التهاون، ولم يقل: يا أيتها الأرض لقصد الاختصار، مع الاحتراز في أيتها من تكلف التنبيه غير المناسب بالمقام، واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونها أخف وأدور، واختير لفظ السماء لمثل ما تقدم في الأرض مع قصد المطابقة وستعرفها، واختير لفظ ابلعي على ابتلعي لكونه أخصر، ولمجيء خط التجانس بينه وبين أقلعي أوفر، وقيل: ماءك بالإفراد دون الجمع لما كان في الجمع من صورة الاستكثار المتأبي عنها مقام إظهار الكبرياء والجبروت، وهو الوجه في إفراد الأرض والسماء. وإنما لم يقل ابلعي بدون المفعول أن لا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهن، نظراً إلى مقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء، ثم إذا بين المراد اختصر الكلام مع أقلعي احترازاً عن الحشو المستغنى عنه، وهو الوجه في أن لم يقل: قيل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت، ويا سماء أقلعي، فأقلعت. واختير غيض على غيض المشدد لكونه أخصر، وقيل: الماء دون أن يقال ماء طوفان السماء، وكذا الأمر دون أن يقال أمر نوح؛ وهو إنجاز ما كان الله وعد نوحاً من إهلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك، ولم يقل: سويت على الجودي، بمعنى أقرت، على نحو: قيل وغيض وقضي في البناء للمفعول، اعتبار البناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله: ﴿وَهِىَ تَجۡرِى بِهِمۡ فِى

رفع المساهم

مَوۡجٍ﴾ [هود: ٤٢]. مع قصد الاختصار في اللفظ، ثم قيل: (بعداً للقوم) دون أن يقال: ليبعد القوم طلباً للتأكيد مع الاختصار، وهو نزول بعداً منزلة ليبعدوا بعداً مع فائدة أخرى، وهو استعمال اللام مع بعداً الدال على معنى أن البعد حق لهم، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع، حتى يدخل فيه ظلمهم أنفسهم، لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في تكذيب الرسل، هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم.

وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل، فذاك أنه قد قدم النداء على الأمر، فقيل: (يا أرض ابلعي... ويا سماء أقلعي) دون أن يقال: ابلعي يا أرض، وأقلعي يا سماء. جرياً على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح، ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء، وابتدئ به لابتداء الطوفان منها، ونزلها لذلك في القصة منزلة الأصل، والأصل بالتقديم أولى، ثم أتبعهما قوله: (وغيض الماء) لاتصاله بقصة الماء، وأخذه بحجزتها، ألا ترى أصل الكلام: (قيل يا أرض ابلعي ماءك) فبلعت ماءها، (ويا سماء أقلعي) عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله، (وغيض الماء) النازل من السماء فغاض، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة، وهو قوله: (وقضي الأمر) أي أنجز الموعود، من إهلاك الكفرة، وإنجاء نوح ومن معه في السفينة، ثم أتبعه حديث السفينة، وهو قوله: (واستوت على الجودي). ثم ختمت القصة بما ختمت، هذا كله نظر في الآية من جانبي البلاغة.

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية، فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف، وتأدية لها ملخصة مبينة، لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد، ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد، بل إذا جربت نفسك عند استماعها، وجدت ألفاظها تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها، فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق إلى أذنك إلا ومعناها أسبق إلى قلبك.

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة، جارية على قوانين اللغة، سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة،

رفع المسألة
عبد الله الحسن

عذبة على العذبات، سليسة على الإسلاسات، كل منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرقة»[1].

ونحن نلحظ من خلال تعقيب السكاكي على الآية القرآنية الآتي:

١ ـ لقد قدم هذه الآية نموذجاً لآيات الإعجاز، وهو بهذا يقتفي منهج عبد القاهر الذي كان سبقه إلى تحليلها، وبيان جمال نظمها.

٢ ـ طبق على هذه الآية قواعد البلاغة التي قننها في كتابه، مبتدئاً بالبيان فالمعاني فالفصاحة المعنوية فاللفظية، بينما كانت هذه المباحث ممتزجاً بعضها ببعض خلال تناول عبد القاهر للآية كما سبق أن ذكرناه.

٣ ـ في شرح السكاكي لهذه الآية إسهاب وتفصيل لم نجده عند عبد القاهر الذي أجمل وأوجز.

٤ ـ ذهب السكاكي إلى أن الأمر (ابلعي) و (أقلعي) من باب المجاز، والحقيقة في هذا الباب أولى وأبلغ، وذلك أن الإنسان إذا تحدث إلى الجمادات كان مجازاً لأنه لا يفهم لغتها. وأما الله عز وجل فكلامه لها أولى أن يكون من باب الحقيقة فهو الذي أنطق كل شيء، وهو الذي يسبح له كل شيء، ولكن لا نفقه تسبيحهم.

سادساً: يشيد بسعة معاني القرآن، وبدور علم البلاغة في الكشف عن الإعجاز، يقول: «ولله در التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، ولا تظنن أن الآية مقصورة على ما ذكرت، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت، لأن المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان، وأن لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه، ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه، هو

---

(١) المصدر السابق، ص (١٩٧ ـ ١٩٩).

رفع
المسـتهـم
عزالله لطالله

الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه، ويصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه»[١].

سابعاً: أشار السكاكي إلى تقصير العلماء والباحثين في دراسة البلاغة، وكان يحس بأنه هو الرجل الذي سيتدارك هذا التقصير بحق هذا العلم، ويقوم بضبطه وتنظيمه، يقول: «ثم مع ما لهذا العلم من الشرف الظاهر، والفضل الباهر، لا ترى علماً لقي من الضيم ما لقي، ولا مني بسوم الخسف بما مني، أين الذي مهد له قواعد، ورتب له شواهد، وبين له حدوداً يرجع إليها، وعين له رسوماً يعرج عليها، وجمع له حججاً وبراهين، وشمر لضبط متفرقاته وذيله، واستنهض في استخلاصها من الأيدي رجله وخيله علم تراه أيادي سبأ[٢]، فجزء حوته الدبور، وجزء حوته الصبا... ولكن الله جلت حكمته إذ وفق لتحريك القلم فيه، عسى أن يعطي القوس باريها، بحول منه عز سلطانه وقوته، فما الحول والقوة إلا به»[٣].

ثامناً: تناول السكاكي من مباحث علم المعاني: الخبر، والإسناد الخبري، والمسند إليه والمسند، والفعل وما يتعلق به، والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والقصر، والطلب وأبوابه الخمسة: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء.

وتناول مباحث علم البيان ضمن: التشبيه، والمجاز، والكناية، وفصل القول في المجاز اللغوي والعقلي والمرسل، وذكر أنواع مختلفة للاستعارة، ووضع ذلك ضمن قوانين وفنون وفصول وأبواب[٤].

وتناول من مباحث علم البديع: المطابقة، والمقابلة، والمشاكلة، ومراعاة

---

(١) المصدر السابق، ص (١٩٩).

(٢) أيادي سبأ: أي متبدداً متفرقاً، وفي المثل: (تفرقوا أيادي سبأ)، ضرب المثل بهم لأنه لما غرق مكانهم، وذهبت جناتهم، تبددوا في البلاد. انظر: القاموس المحيط، مادة (سبأ).

(٣) مفتاح العلوم، ص (١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٤) انظر: المصدر السابق، ص (٢٨٧).

رفع
المسلم
عبد الله بن إبراهيم الداعي

النظير، والمزاوجة، واللف والنشر، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتوجيه، والاعتراض، والاستتباع، وتقليل اللفظ، وعدم تقليله، والتجنيس، ورد العجز إلى الصدر، والقلب، والفواصل القرآنية، والترصيع[1].

وعلى الرغم من جهد السكاكي فقد كانت الحاجة ماسة إلى اختصار مفتاح العلوم وبخاصة القسم البلاغي منه، وإعادة ترتيبه وتهذيبه لما فيه من التداخل والصعوبات، مما هيأ لظهور تلخيص القزويني كما سنذكر في ما بعد.

تاسعاً: وقد عني العلماء بكتاب: (مفتاح العلوم) للسكاكي شرحاً وتلخيصاً[2]، فممن عنوا بشرح المفتاح:

١ ـ حسام الدين المؤذني الخوارزمي، قيل: هو أول من شرحه.

٢ ـ قطب الدين محمود الشيرازي (ت ٧١٠ هـ). شرحه في كتاب سماه: (مفتاح المفتاح).

٣ ـ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (ت ٧٩١ هـ).

٤ ـ محمد بن مظفر الخلخالي (ت ٧٤٥ هـ) شرحه في كتاب سماه: (شرح المفتاح).

٥ ـ ابن الشيخ عونية (عوينة) علي بن الحسين الموصلي الشافعي، (ت٧٥٥هـ).

٦ ـ محمد بن أحمد الشريشي، (ت ٧٦٩ هـ).

٧ ـ السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ). شرح القسم الثالث من المفتاح.

٨ ـ ابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ). ألف شرح المفتاح.

٩ ـ المولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده، (ت ٩٦٢ هـ).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص (٢٠٠ ـ ٢٠٤).

(٢) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الحاج خليفة، (٢/ ١٧٦٢ ـ ١٧٦٨).

رفع المسـاهم

١٠ ـ المولى محيي الدين بن محمد بن مصطفى المحشي المعروف بشيخ زاده، (ت ٩٥١ هـ).

عاشراً: وممن عنوا بتلخيص كتاب: (مفتاح العلوم):

١ ـ بدر الدين محمد بن محمد بن مالك (ت ٦٦٨ هـ)، اختصره في كتاب سماه (المصباح في اختصار المفتاح) وطبع بعنوان: (المصباح في علوم المعاني والبديع والبيان). ثم شرح تلخيصه في كتابه: (ضوء المصباح على ترجيز المصباح).

٢ ـ الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) في: (تلخيص المفتاح). وهو أشهر من نار على علم.

٣ ـ عبد الرحمن الشيرازي (ت ٧٥٦ هـ) وسمى تلخيصه: (الفوائد الغياثية في علوم المعاني والبيان والبديع).

٤ ـ المولى حسن المعروف بالمعانيجي (ت ٩٩٠ هـ)، ورتبه أحسن ترتيب.

أحد عشر: يقول الدكتور شوقي ضيف في وصفه للدراسات التي جاءت بعد السكاكي: «وتظهر بعد السكاكي دراسات جانبية انحرف بها أصحابها عن طريقه أو ساروا فيها سيراً غير دقيق، نذكر منهم:

ابن الزملكاني الذي حاول تلخيص (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر وهو تلخيص غير دقيق.

ومنهم بدر الدين بن مالك الذي لخص القسم الثالث من كتاب المفتاح للسكاكي وضمن تلخيصه شيئاً من الترتيب، غير أنه ينقصه تحرير المسائل.

ومنهم التنوخي وهو يطلق البيان على كل فنون البلاغة مثل ضياء الدين بن الأثير، وقد استضاء به دائماً مضيفاً دراسات منطقية ونحوية كثيرة.

ومنهم ابن قيم الجوزية، وعمله أدنى إلى الجمع غير المنظم لمباحث ابن الأثير وأصحاب البديع.

رفع المسهم

ومنهم يحيى بن حمزة العلوي الذي استلهم الفخر الرازي وضياء الدين بن الأثير، وبدر الدين بن مالك، وبعض علماء الأصول، مما جعله يضطرب بين مناهج مختلفة اضطراباً أفقده دقة التصنيف.

وخير من هؤلاء جميعاً ضياء الدين ابن الأثير في كتابه المثل السائر، وهو يهتدي فيه بابن سنان الخفاجي والآمدي، وله لفتات طريفة، غير أن تصوره لكثير من مسائل علمي المعاني والبيان مضطرب اضطراباً شديداً»[1].

اثنا عشر: يقول الدكتور عبد العزيز عتيق في تقويمه لعمل السكاكي: «استطاع السكاكي تحقيق أمرين:

أحدهما: أن ينفذ إلى عمل ملخص دقيق لما نثره أولئك البلاغيون في كتبهم من آراء، وكذلك لما توصل إليه من أفكار.

وثانيهما: أن يصوغ كل ذلك في صيغ مضبوطة محكمة، مستعيناً فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتعريف والتقسيم والتفريع والتشعيب.

وبهذا تحولت البلاغة في مفهومه أولاً، وفي تلخيصه ثانياً، إلى علم بأدق المعاني لكلمة علم، فهي عنده قوانين وقواعد صبت في قوالب منطقية جافة، باعدت بينها وبين وظيفتها الأساسية من إمتاع النفس، وإرهاف الحس، وتنمية الذوق، والتمكين لذوي المواهب الأدبية من القدرة على الخلق والإبداع»[2].

وعلى الرغم من كل ما يقال عن السكاكي وكتابه (مفتاح العلوم) فمن المؤكد أنه ترك بصماته على هذا العلم إلى يومنا هذا، وما كانت بصماته لتبقى لو لم يكن قد أحسن وأفاد أكثر بكثير مما يؤخذ عليه من انتقاد، وكفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه.

❑ ❑ ❑

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٧٥).

(٢) علم المعاني، ص (٢٨). دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

رفع
المستهلم
غفر الله له ولوالديه

المبحث الثاني:
مدرسة الخطيب القزويني الاتباعية

أولاً: من آثار مدرسة السكاكي نشوء مدرسة الخطيب القزويني[1]، فقد قام الأخير بتلخيص كتاب: (مفتاح العلوم) للسكاكي، وقال في مقدمة تلخيصه: «أما بعد: فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدراً، وأدقها سراً، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها، وتُكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها، وكان القسم الثالث من (مفتاح العلوم) الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب السكاكي: أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعاً، لكونه أحسنها ترتيباً، وأتمها تحريراً، وأكثرها للأصول جمعاً، ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد، قابلاً للاختصار، مفتقراً إلى الإيضاح والتجريد، ألفتُ مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد، ويشتمل على ما يُحتاج إليه من الأمثلة والشواهد، ولم آل جهداً في تحقيقه وتهذيبه، ورتبته ترتيباً أقرب متناولاً من ترتيبه، ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه، وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه، وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها، وزوائد لم أظفر في كلام أحد بالتصريح بها ولا الإشارة إليها، وسميته: (تلخيص المفتاح)»[2].

ثانياً: ويعد تلخيص الخطيب القزويني أفضل تلخيصات كتاب (مفتاح

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، قاض من أدباء الفقهاء، مولده بالموصل، ووفاته بدمشق. (٦٦٦ ـ ٧٣٩هـ = ١٢٦٨ ـ ١٣٣٨م). انظر: الأعلام، (٦/ ١٩٢).

(٢) التلخيص في علوم البلاغة، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، ص(٢١ ـ ٢٣)، دار الفكر العربي.

رفع المسَاهِم

العلوم) وأشهرها، فهو «خير من تأثر بالسكاكي، ونحا منحاه في تلخيص قواعد البلاغة، هذا المنحى الذي أدى الالتزام به، والاسترسال فيه فيما بعد إلى جفاف الدراسات البلاغية وجمودها، وكما أقبل القزويني على مفتاح السكاكي تلخيصاً وتوضيحاً، أقبل كذلك كثيرون من رجال البلاغة شرقاً وغرباً على تلخيص القزويني درساً وحفظاً وتلخيصاً وشرحاً ونظماً، كأنهم رأوا فيه خير مرجع لقواعد البلاغة»[١].

ثالثاً: ولم يكن القزويني مجرد ملخص لمفتاح السكاكي، بل كانت له لمسات وإضافات، يقول الدكتور شوقي ضيف: «وأهم من نزعوا عن قوس السكاكي الخطيب القزويني، فإنه صنف تلخيصاً دقيقاً لمباحثه البلاغية في المفتاح، ذلل فيه صعوبته تذليلاً، مع الاستضاءة بتلخيص بدر الدين بن مالك وبآراء عبد القاهر والزمخشري، وهو يناقش الآخرين كثيراً، أما السكاكي فيخصه بكثير من الاعتراضات على تعاريفه وبعض آرائه، ورأى في هذا التلخيص إجمالاً أكثر مما ينبغي فصنف كتابه: (الإيضاح) يبسط فيه معانيه المجملة وقضاياه المشكلة»[٢].

رابعاً: وقد تنوع اهتمام العلماء بالتلخيص، فمنهم من شرحه ومن نظمه ومن لخصه، فممن شرحه[٣]:

١ ـ الخطيب القزويني نفسه في كتاب (إيضاح التلخيص)، وسنفصل الحديث عنه في نهاية هذا المبحث.

٢ ـ محمد بن مظفر الخلخالي (ت ٧٤٥ هـ)، وضع له شرحاً سماه: (مفتاح تلخيص المفتاح).

٣ ـ أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي والملقب بهاء الدين (ت ٧٧٣ هـ)، وضع له شرحاً سماه (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح).

---

(١) علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، ص (٥٧).

(٢) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٧٥).

(٣) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الحاج خليفة، (١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٩).

رفع
المسـاهم

٤ ـ محمد بن يوسف المعروف بابن ناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ) وسمى شرحه: (شرح تلخيص القزويني).

٥ ـ محمد البايرتي (ت ٧٨٦ هـ) وسمى شرحه: (شرح تلخيص المفتاح للقزويني).

٦ ـ شمس الدين القونوي (ت ٧٨٨ هـ) وسمى شرحه: (شرح تلخيص المفتاح للقزويني).

٧ ـ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (ت ٧٩٢ هـ) وضع له شرحين: الشرح الكبير وسماه: (المطول)، والشرح الصغير للتلخيص وسماه: (المختصر)، والحواشي على المطول كثيرة، وعنه يقول الدكتور شوقي ضيف: «وعد القدماء هذا الشرح خير شروح التلخيص، وعني كثيرون بوضع الحواشي عليه وفي مقدمتهم تلميذه السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة (٨١٦ هـ)، وهو يعنى في حاشيته بإيراد اعتراضات كثيرة على كلام أستاذه، مع التغلغل في المباحث المنطقية والفلسفية والكلامية... ومن حواشي المطول حاشية محمد بن حمزة الفناري المتوفى سنة (٨٣٤ هـ)، وهو من علماء الأناضول، وحاشية عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي الهندي المتوفى سنة (١٠٦٧ هـ)، وهي مطبوعة في الآستانة، وعمد التفتازاني إلى وضع مختصر لشرحه المطول، وللشيخ محمد الدسوقي المصري المتوفى سنة (١٢٣٠ هـ) حاشية مطولة عليه»[1].

وتعتبر حاشية الدسوقي[2] على السعد التفتازاني من الحواشي المتأخرة، وقد طبعت مع شروح التلخيص الشهيرة.

٨ ـ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، (ت ٩٦٣ هـ) وقد شرح شواهد التلخيص في كتاب سماه: (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص).

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٥٦ ـ ٣٥٧).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، من علماء العربية، من أهل دسوق بمصر، تعلم وأقام وتوفي بالقاهرة سنة (١٢٣٠هـ = ١٨١٥م). انظر: الأعلام، (٦/ ١٧).

رفع المسـتهم

٩ ـ عصام الدين بن إبراهيم بن محمد عربشاه الإسفراييني المتوفى بسمرقند حوالي منتصف القرن العاشر الهجري، وقد «سماه: (الأطول)، وهو حقاً أطول من مطول التفتازاني، ونراه في مقدمته ينوه بالسعد التفتازاني، وبالسيد الشريف الجرجاني لا في حاشيته فقط على المطول، بل أيضاً في شرحه للمفتاح»[(١)].

١٠ ـ ابن يعقوب المغربي (ت ١١١٠ هـ) وضع له شرحاً سماه: (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح).

وممن نظموه شعراً:

١ ـ زين الدين بن أبي العز طاهر بن حسن الحلبي، (ت ٨٠٨ هـ) وسماه (التخليص في نظم التلخيص).

٢ ـ زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بالعيني، (ت ٨٩٣ هـ).

٣ ـ السيوطي (ت ٩١١ هـ)، وسمى نظمه: (عقود الجمان في المعاني والبيان)، ثم عاد وشرحه في كتاب سماه (حل عقود الجمان).

٤ ـ عبد الرحمن الأخضري، وسمى نظمه: (الجوهر المكنون في الثلاثة فنون).

وممن قام باختصاره:

١ ـ شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بالصاحب، (ت ٧٨٨ هـ)، وسماه: (لطيف المعاني).

٢ ـ المولى لطف الله بن حسن التوقاني المتوفى شهيداً (٩٠٠ هـ)، وسماه: (تلخيص التلخيص).

٥ ـ عز الدين بن جماعة (ت ٨١٩)، وسماه: (تلخيص التلخيص).

٦ ـ زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بالعيني، (ت ٨٩٣ هـ)، وسماه: (تحفة المُعاني لعلم المعاني).

٣ ـ أبرويز الرومي (ت٩٨٧هـ)، وسماه: (تلخيص التلخيص) أيضاً.

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٥٧).

رفع
المسلم
عبد الله الحلاج

٣ ـ خضر بن محمد مفتي أماسية (ت بعد ١٠٦٠ هـ)، وسمى تلخيصه: (أنبوب البلاغة)، ثم شرحه وسماه: (الإفاضة لأنبوب البلاغة).

٤ ـ زكريا الأنصاري.

خامساً: وعن قيمة هذه الأعمال التي قامت حول التلخيص يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: «وتلك الشروح والتلخيصات والمنظومات، إن دلت على شيء فعلى جمود الفكر البلاغي وعقمه منذ عصر السكاكي، نقول ذلك لأن كل ما ظهر من شروح وتلخيصات لكتاب: (المفتاح) لا تخرج عن كونها ترديداً وتكراراً لمادته، ومحاولات قصد بها الإيضاح بالشرح أو التقريب والتبسيط، عن طريق الإيجاز والتلخيص والنظم، وإذا هي من حيث لا يريد ولا يدري أصحابها قد زادت المفتاح صعوبة على صعوبة، وإنه ليخيل لمن يقرأ هذه الشروح والمتون أن واضعيها لم يكونوا علماء في البلاغة بقدر ما كانوا معلمين لها، يذكرون الكلمة أو العبارة من الأصل، ثم يتبعونها بشرح المراد منها، ولا يتجاوزون ذلك، كلهم في ذلك سواء»[١].

سادساً: ويقول الدكتور شوقي ضيف عن جمود البلاغة بعد القزويني: «وواضح من كل ذلك أن العصور المتأخرة، منذ عصر الفخر الرازي والسكاكي، لم تستطع أن تضيف إلى مباحث البلاغة مباحث جديدة، من شأنها أن تبقي لها على ازدهارها الذي رأيناه عند عبد القاهر والزمخشري، لسبب طبيعي وهو ما ساد في هذه العصور من الجمود، لا في البلاغة فحسب، بل أيضاً في الشعر والنثر، وحقاً صاغ السكاكي قواعد الزمخشري وعبد القاهر صياغة علمية، ولكن هذه الصياغة نفسها كانت من أهم الأسباب التي أشاعت الجمود بل العقم في البلاغة، إذ تحولت إلى قواعد متحجرة، وأصبح عمل البلغاء بعد ذلك: شرحها، أو تلخيصها، ثم شرح التلخيص، مع العودة أحياناً إلى عبد القاهر والزمخشري لتحرير بعض المسائل، ومع التغلغل في مباحث فلسفية ومنطقية وكلامية وأصولية، وهي مباحث ظلت تتسلق على شجرة

---

(١) علم المعاني، ص (٣٣).

رفع المسهم

البلاغة حتى خنقتها خنقاً، وحتى أصبحنا لا نجد إلا كلاماً معاداً مكرراً، لا ينمي ذوقاً ولا يربي ملكة»[1].

سابعاً: وقد تنوعت بلدان الشارحين، مما يدل على انتشار التلخيص في المشرق والمغرب، وعلى الرغم من جمود تلك الشروح فلا يخلو بعضها من إضافات كما هو الحال عند السبكي والتفتازاني، يقول الدكتور شوقي ضيف: «وأقبل شراح مختلفون على التلخيص يشرحونه، بين مصري وإيراني ومغربي، ومن أهمهم: السبكي المصري، وسعد الدين التفتازاني، وابن عرب شاه الإسفراييني، وابن يعقوب المغربي، وكتبت على بعض الشروح حواش للسيد الشريف الجرجاني، والشيخ محمد الدسوقي، وجميعها تخوض في مباحث منطقية وفلسفية وكلامية، وأصولية ونحوية، ومناقشات لفظية، وكل يعيد ما قاله سالفه إعادة تصور ما ساد في المباحث البلاغية من عقم وجمود»[2].

ثامناً: وثمة تطور أحدثه المتأخرون في علم البديع، وعنه يقول الدكتور شوقي ضيف: «ومضى أصحاب البديع منذ عصر ابن المعتز، يحاولون أن يضيفوا إلى فنونه التي اكتشفها وسجلها فنوناً جديدة، حتى إذا كنا في القرن السابع الهجري وجدناهم يحصون منها نحو مئة وخمسة وعشرين فناً، حاشدين بينها الصور البيانية وكثيراً من صور علم المعاني، ومضيفين كثيراً من الصيغ التي لا يمكن أن تُسلك في المحسنات البديعية، وكأن المسألة تحولت إلى تكاثر بالأرقام، ولم يلبث أصحاب البديعيات النبوية أن ظهروا، مصورين في كل بيت من أبياتها فناً من فنون البديع، وبلغوا أكثر من مئة وخمسين فناً، واحتاجت هذه البديعيات إلى الشروح لتفك رموزها وتوضح دلالاتها، وتكاثرت الشروح دون جدوى حقيقية تعود على البديع، فقد عم العقم والجمود، ولم يعد هناك من يستطيع أن يبدي ملاحظة قيمة في أي شأن من شؤون البديع والبلاغة»[3].

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٥٨).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٧٥).

(٣) المرجع السابق، ص (٣٧٥ ـ ٣٧٦).

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

تاسعاً: نعود إلى شرح الخطيب القزويني للتلخيص، والمسمى: (إيضاح التلخيص)، ونوجز الحديث عنه بما يأتي:

١ ـ قال في مقدمته موضحاً منهجه ومصادره، وما أضافه فيه من آرائه ونظراته: «فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها، ترجمته بـ: (الإيضاح)، وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته: (تلخيص المفتاح)، وبسطت القول فيه، ليكون كالشرح له فأوضحت مواضعه المشكلة، وفصلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر، مما تضمنه: (مفتاح العلوم)، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، في كتابيه: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما، فاستخرجت زبدة ذلك كله، وهذبتها ورتبتها، حتى استقر كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري، فجاء بحمد الله جامعاً لأشتات هذا العلم، وإليه أرغب في أن يجعله نافعاً لمن نظر فيه من أولي الفهم»[1].

٢ ـ ناقشَ القزوينيُّ آراءَ السكاكي في كثير من المواضع، من ذلك:

ـ تعريف علم المعاني: فقد عرفه الخطيب بأنه: «علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق مقتضى الحال». ونقل تعريف السكاكي، وهو: «تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ، في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره».

ويعلق الخطيب القزويني على هذا التعريف قائلاً: «وفيه نظر، إذ التتبع ليس بعلم، ولا صادق عليه، فلا يصح تعريف شيء من العلوم به.

ثم قال ـ أي السكاكي ـ: (وأعني بالتراكيب تراكيب البلغاء).

ولا شك أن معرفة البليغ، من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة، وقد

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، (١/ ٧٠ ـ ٧١).

رفع المسهم

عرفها في كتابه بقوله: (البلاغة هي: بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها).

فإن أراد بالتراكيب في حد البلاغة تراكيب البلغاء ـ وهو الظاهر ـ فقد جاء الدور، وإن أراد غيرها فلم يبينه، على أن قوله: (وغيره) مبهم لم يبين مراده»[1].

ـ وناقشَ السكاكيَّ في إنكاره للمجاز العقلي، فقال بعد أن عرف المجاز العقلي، وذكر أمثلته: «وأنكر السكاكي وجود المجاز العقلي في الكلام، وقال: (الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية، بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه ـ على ما عليه مبنى الاستعارة كما سيأتي ـ وجعْلِ نسبة الإثبات إليه قرينة للاستعارة، وبجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم[2]، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة)»[3].

ويناقش ما ذكره السكاكي، مدعماً رأيه بالشواهد القرآنية والأمثلة البلاغية، ليصل إلى تفنيده ونفيه، يقول: «وفيما ذهب إليه نظر، لأنه يستلزم أن يكون المراد بـ: (عيشة) في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] صاحب العيشة، لا العيشة، و بـ (ما) في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] فاعل الدفق، لا المنيَّ، لما سيأتي من تفسيره للاستعارة بالكناية.

وأن لا تصح الإضافة في نحو قولهم: (فلان نهاره صائم وليله قائم). لأن المراد بالنهار ـ على هذا ـ فلان نفسه، وإضافة الشيء إلى نفسه لا تصح.

(١) المصدر السابق، (١/ ٨٤ ـ ٨٥).
(٢) المراد هنا المثل الذي أورده السكاكي: (هزم الأمير الجند).
(٣) المصدر السابق، (١/ ١٠٧).

رفع
المسـاهم

وأن لا يكون الأمر بالإيقاد على الطين في إحدى الآيتين ـ وبالبناء ـ فيهما لهامان، مع أن النداء له[1].

وأن يتوقف جواز التركيب في نحو قولهم: (أنبت الربيع البقل، وسرني رؤيتك) على الإذن الشرعي، لأن أسماء الله تعالى توقيفية.

وكل ذلك منتف ظاهر الانتفاء»[2].

ويستأنف تفنيده رأي السكاكي مدعماً رأيه بمزيد من الأمثلة والتحليل: «ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم: (فلان نهاره صائم) فإن الإسناد فيه مجاز، ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان؛ لأن ذكر طرفي التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة، ويوجب حمله على التشبيه، ولهذا عُدَّ نحو قولهم: (رأيت بفلان أسداً، ولقيني منه أسد) تشبيهاً لا استعارة، كما صرح السكاكي أيضاً بذلك في كتابه»[3].

ويبين في النهاية أنه خالف السكاكي في وضع المجاز العقلي أيضاً، فالسكاكي ساقه في مباحث علم البيان، والخطيب القزويني ساقه ضمن مباحث علم المعاني، لأنه يتعلق بالإسناد، والإسناد من مباحث علم المعاني، يقول: «تنبيه: إنما لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان، كما فعل السكاكي ومن تبعه، لدخوله في تعريف علم المعاني، دون تعريف علم البيان»[4].

ـ وخصص الخطيب القزويني فصلاً لمناقشة آراء السكاكي في الحقيقة والمجاز، بدأه بقوله: «اعلم أن كلام السكاكي في هذا الباب ـ أعني باب

---

(١) يقصد بالآيتين قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨]، وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾ [غافر: ٣٦]. فالأمر لهامان لأنه الفاعل مجازاً، والفاعل الحقيقي هم العمال.

(٢) المصدر السابق، (١/١٠٧ ـ ١٠٨).

(٣) المصدر السابق، (١/١٠٨).

(٤) المصدر السابق، (١/١٠٨).

رفع المسـتهمل

الحقيقة والمجاز ـ والفصل الذي يليه ؛ مخالف لمواضع مما ذكرنا، فلا بد من التعرض لها، ولبيان ما فيها»[1].

ومن الأمور التي ناقشه فيها: تقسيم المجاز، قال: «ومنها: أنه قسم المجاز إلى الاستعارة وغيرها، وعرف الاستعارة: بـ: (أن تذكر أحدَ طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به). وقسم الاستعارة إلى المصرح بها، والمكني عنها، وعنى بالمصرح بها: أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به. وجعلها ثلاثة أضرب: تحقيقية، وتخييلية، ومحتملة للتحقيق والتخييل، وفسر التحقيقية بما مر، وعد التمثيل على سبيل الاستعارة منها.

وفيه نظر ؛ لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركباً كما سبق، فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد؟! ولو لم يقيد الاستعارة بالإفراد، وعرفها بالمجاز الذي أُريد به ما شُبِّه بمعناه الأصلي مبالغة في التشبيه، دخل كل من التحقيقية والتمثيل في تعريف الاستعارة»[2].

وهذه الأمثلة تؤكد مقدرة الخطيب البلاغية، فلم يكن مجرد ناقل لآراء السكاكي، بل كان معقباً ومحققاً لمسائل البلاغة، لا يقل شأنه في ذلك عن شأن من سبقوه.

٣ ـ استفاد القزويني من المادة العلمية لدى السكاكي، وقام بتهذيبها وترتيبها.

فمن ذلك: أنه استطاع أن يرتب مباحث علم المعاني بيسر وسهولة، وأن يعلل حصرها بثمانية، يقول: «ثم المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب:

أولها: أحوال الإسناد الخبري.

وثانيها: أحوال المسند إليه.

---

(١) المصدر السابق، (٢/ ٤٤٧).
(٢) المصدر السابق، (٢/ ٤٤٨).

وثالثها: أحوال المسند.

ورابعها: أحوال متعلقات الفعل.

وخامسها: القصر.

وسادسها: الإنشاء.

وسابعها: الفصل والوصل.

وثامنها: الإيجاز والإطناب والمساواة.

ووجه الحصر: أن الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه. أو لا يكون لها خارج. الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء. ثم الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى، ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً، أو متصلاً به، أو في معناه. كاسم الفاعل ونحوه، وهذا هو الباب الرابع. ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس. والإنشاء هو الباب السادس. ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى، أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع. ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة، أو غير زائدة عليه، وهذا هو الباب الثامن»[1].

٤ ـ جعل علم البديع علماً مستقلاً قائماً بذاته، وعرفه بأنه: «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة»[2].

وهو هنا يطور ما فعله السكاكي الذي عرض مبحث البديع بعد أن فرغ من علم البيان، ولم ينص عليه كعلم مستقل في القسم الثالث من المفتاح الذي خصصه للمعاني والبيان، واعتبر فيه علم المعاني أصلاً لعلم البيان، حيث قال: «ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني، لا تنفصل عنه، إلا بزيادة اعتبار،

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٨٥).

(٢) المصدر السابق، (٢/ ٤٧٧)، وانظر أيضاً: (١/ ٨٣).

جرى منه مجرى المركب من المفرد، لا جرم أننا آثرنا تأخيره»[1]. وقال عند خاتمة علم البيان: «وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين، فهاهنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ، فمن القسم الأول: المطابقة»[2].

٥ ـ وعن قيمة هذا الكتاب يقول شارحه د. محمد عبد المنعم خفاجي: «وكتاب الإيضاح عمل جليل في البلاغة، سواء في ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه، أم في استيعابه واستقصائه وتحليله، أم في جمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع، أم في أسلوبه الأدبي وروحه وكثرة تطبيقاته البلاغية، وهو أهم كتاب دراسي في البلاغة في العصر الحاضر»[3].

❑ ❑ ❑

(١) مفتاح العلوم، ص(٧٧).
(٢) المصدر السابق ، ص(٢٠٠).
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، (١/ ٦٧).

رفع
المسلم
عبدالله بن عمير

المبحث الثالث:

مدرسة الإمام الطيبي الإحيائية

الإمام الطيبي أحد أعلام القرن الثامن الهجري[1]، وهو عالم مشارك في البلاغة والتفسير والحديث والحساب وغير ذلك، ويمكن إيجاز أهم ما تمتاز به شخصيته العلمية، وأبرز جهوده وإسهاماته في علمي البلاغة وإعجاز القرآن بما يأتي:

١ ـ أوتي الطيبي موهبة فائقة في تحليل النصوص، وذوقاً سليماً رائعاً، حتى وصفه الحافظ ابن حجر بأنه كان: «مقبلاً على نشر العلم، آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، شرح الكشاف شرحاً كبيراً، وأجاب عما خالف مذهب السنة أحسن جواب، يعرف فضله من طالعه، وصنف في المعاني والبيان: (التبيان)، وشرحه، وأمر بعض تلامذته باختصار المصابيح على طريقة نهجها لهن وسماه المشكاة، وشرحها هو شرحاً حافلاً، ثم شرع في جمع كتاب في التفسير»[2].

٢ ـ للطيبي كتاب في البلاغة سماه: (التبيان في البيان) تقدمت الإشارة إليه، وقد رتبه على فنين: فن البلاغة ودرس فيه علم المعاني وعلم البيان، وعلم البديع. وفن الفصاحة، وتناول فيه فصاحة الألفاظ وفصاحة التراكيب، وقد تحدث في مقدمته عن أهمية علم البلاغة، فهي السبيل إلى معرفة إعجاز

---

(١) الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان. ت (٧٤٣هـ = ١٣٤٢م). انظر: الأعلام، (٢/٢٥٦).

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، (٢/١٥٦)، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

رفع
المسـاهم
عز الدين البليدي

القرآن، يقول: «أما بعد، فإن أولى ما أعملت فيه القرائح، وعلقت به الأفكار اللواقح، وصرفت إليه الهمم العالية، وصدقت فيه العزائم الماضية: الفحص عن أسرار التنزيل، أو الكشف عن أسرار التأويل، إذ به تَشَعبُ الطرائق إلى إدراك الحقائق، وبه تقوم المعالم، وتثبت الدعائم، وتتقدم المنازل، وتتحيز به الأماثل، والعلوم المعزوة إليه كثيرة، وعوائد كل منها غزيرة، لكن لا يغوص على حقائقه، ولا يفوز بشيء من دقائقه، إلا رجل بحث عن فوائد المعاني، ونظر في اختلاف دلالات تلك المعاني، واجتلى من سماء محاسن البديع أنجماً زهراً، واجتنى من أفانين البلاغة ثمراً وزهراً. نعم هي التي توفي كلام رب العزة في مؤونة التفسير حقه، وتصون له في مظان التأويل ماءه ورونقه، فالويل كل الويل لمن يتعاطاها وهو فيها راجل، وعن دون مغزاها راحل»[(١)].

٣ ـ وقد تحدث عن مصادره، وذكر مجمل ما تميز به كتابه، فقال: «وإن كتابي إذا تركت المراء، واتبعت الهدى، قلت: هو بديع في إعرابه، وإذا رمقت بعين الرضا وجانبت الهوى، خلته مفرداً في بابه، لما ضمنته من مباحث المفتاح ما كان أصولها، ومن منافث الكشاف ما آخرَ محصولها، ورشحته بما في المصباح والإيضاح من النوادر، ورشحته بزبدة النهاية، والمثل السائر، وعقلت ما شذ على بعضهم من الأوابد، فانقيد للأزمة تلك القواعد الشوارد، ونظمت فيه من عيون فرائد النثر ودرره، ومختار قلائد النظم ومحبره، ولم آل جهداً في الترصيف، والتنقيح، والتوفير من المباحث مع التوضيح، وأدرجت في تضاعيف ذلك مما هداني الله إليه من لطائف ما لم تكن مبتدعة، ومنحني منها ما لم تجد فيها مودعة، ومع هذا لا آمن فيما أوردته من سلق اللسان وسبقه، وطغيان اليراع وخرقه»[(٢)].

٤ ـ ذكر المحقق الدكتور هادي الهلالي في مقدمة تحقيقه للتبيان أن الطيبي لم يكن مجرد ناقل عن الزمخشري والسكاكي، وذلك «لأن جهوده واضحة

---

(١) كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تحقيق الدكتور هادي عطية مطر الهلالي، ص (٤٤)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) المصدر السابق، ص (٤٤ ـ ٤٥).

المسهم

بينة، وأنه علق ما شذ عن بعضهم الأوابد، ونظم فيه من عيون فرائد النثر مقتطعاً ذلك من خطب العرب، وأمثلتها، ومن رسائل الكتاب والبلغاء، وقد أحسن الاختيار كما أحسن رصفها وتنقيحها»[1].

٥ ـ من المباحث البديعية التي ذكرها: الترقي، قال: «وهو أن نذكر معنى، ثم يردف بما هو أبلغ منه، كقولك: فلان نحرير، وشجاع باسل، وجواد فياض. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] أي قدر ما يوجد، ثم ميزه، ثم مثَّله. وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] أي لا يرضى عنك من هو أقرب مودة وهو النصارى، فكيف من هو أبعد، وهم اليهود؟ وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] كان القياس أن يقال: نوم ولا سنة، لأنه إذا لم تأخذه السنة فكيف النوم؟ لكن المراد لا يوجد السنة والنوم أولى على طريقة: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي لا تقل عند الضجر أف، فضلاً عما يزيد عليه، ثم قال: (وَلا تَنْهَرْهُمَا) تأكيداً للمنفي ضمناً. وقال أبو العلاء:

سرى برق المعرةِ بعد وهنٍ ... فباتَ برامةٍ يصفُ الكلالا
شجَا رَكباً وأفراساً وإبلاً ... وزاد فكادَ أن يشجو الرِّحالا

وأما قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٣] فمن باب التتميم للمبالغة، فإنه تعالى لما ذكر جلائل النعم وعظائمها، أراد المبالغة فتمم بما دق منها، أو التكميل، لأنه مركوز في الجبلة: أن عظائم النعم ليست إلا منه، فلو اقتصر على الرحمن لاحتُشِم أن يُطلب منه الشيء اليسير، فكمَّل بالرحيم. قال: (يا موسى سلني حتى مِلْحَ قِدْرك).

وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] لا يفيد الترقي، فيه أفضلية الملائكة كما ذهب إليه صاحب الكشاف، لأن النصارى لا يقولون بتفضيلهم عليه، وإنما ينتهض الحجة عليهم إذا قالوا به، بل يفيد أنهم في الإتيان نحو أرق العادات أقدر منه،

---

(١) المصدر السابق، ص (١٩ ـ ٢٠).

رفع
المسهمل
عز الدين النابلسي

أو أنهم وُجدوا من غير أب وأم، يدل على ذلك السياق، ويحتمل التتميم أيضاً»[1].

نلاحظ أن منهج الطيبي ـ من خلال المثال هنا ـ يعتمد الإكثار من إيراد الآيات القرآنية، وهو يذكر خلال ذلك شاهداً من النظم، ويشرح ويحلل، ويضع احتمالات للون البديعي، وينقل عن الزمخشري لأنه قدوته في البلاغة.

٦ ـ وقد اهتم الطيبي في كتابه التبيان بذكر نماذج من الحديث النبوي، فبلغ مجموع الأحاديث التي استشهد بها في كتابه (٧٢) حديثاً[2]، وقد ختم كتابه بحديث معاذ بن جبل الذي سأل فيه رسول الله ـ ﷺ ـ عن عمل يجلب له سعادة الدارين، وقد أظهر الطيبي في شرح هذا الحديث موهبته البلاغية وقدرته على التحليل والتذوق الأدبي، يقول: «وإذ قد وقفت على البلاغة، وأنواعها، وجمعت الفصاحة بأقطارها، فلنذكر الآن حديثاً صادراً عن صدر النبوة، ومنبع الرسالة، ليكون كالإجمال لهذا التفصيل، وكالفِهرس لهذه الفنون، وعوناً للمتصدي في وضع كل مقامه، وتمرناً له إذا انتصب لاعتمامه، فنقول وبالله التوفيق: قال معاذ: قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال ﷺ: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله، تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)...»[3].

وهو يذكر الحديث كاملاً، ثم يقول مخرجاً له، ومبيناً منهجه في تناول هذا الحديث: «هذا رواية جامع الأصول عن الترمذي، والنظر فيه من أربع جهات: من جهة المعاني، ومن جهة البيان، ومن جهة البديع، ومن جهة الفصاحة» وقد حلل هذا الحديث بجزئياته تحليلاً علمياً دقيقاً مفصلاً في (١٥) صفحة، وهو تحليل لم يُسبق إليه ـ في حدود علمنا ـ بهذه المنهجية العلمية التي جمعت بين التقعيد البلاغي والتذوق الأدبي، وقد ختم نظراته المنهجية التحليلية لهذا

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٨١ ـ ٣٨٣).
(٢) انظر: المصدر السابق، ص (٥٢٤ ـ ٥٣٥).
(٣) المصدر السابق، ص (١٩ ـ ٢٠).

الحديث بقوله: «وأما النظر من جهة الفصاحة فنشير إليه مجملاً حذراً من السآمة، وهو كما ترى كل كلمات الحديث سلسة على الأسلات، عذبة على العذبات، سليمة عن التنافر والتعاظل، معراة عن الغرابة والتعقيد، جارية كالماء في السلاسة، خالصة كالنسيم في الرقة، ألفاظها تابعة معانيها، معانيها سابقة ألفاظها، وكل ما صدر عنه ـ صلوات الله عليه وآله ـ وارد على هذا المنهج، لكن لا يهجمُ على مكامنه إلا جَنانُ الشهم، ولا يفوز بمحاسنه إلا من دق فهمه حتى جلَّ عن دقة الوهم، سبحان من أيده بأعلى مراتب البلاغة، وخصه بأشرف درجات الفصاحة، ومن تأمل في هذا الكلام المرتجل، علم أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أوتي كنوز الحكمة، ومُنح فصل الخطاب»[(١)].

٧ ـ نشير إلى أن الطيبي قد شرح كتابه إلتبيان في كتاب سماه: (حدائق البيان في شرح التبيان). ولم يطبع بعد.

٨ ـ وللطيبي شرح على تفسير الكشاف للزمخشري، سماه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)، وهذا الشرح كما عده ابن خلدون[(٢)]، أو الحاشية كما عدها الحاج خليفة، هو أفضل الشروح والحواشي التي كتبت على الكشاف قاطبة كما صرح بذلك عدد من العلماء، فقد قال طاش كبري زاده: «ومن لطائف التفسير: تفسير الطيبي وحاشية الكشاف للطيبي»[(٣)]. وقال الحاج خليفة عن حاشية الطيبي في حديثه عن حواشي الكشاف: «وهي أجل حواشيه في ستة مجلدات ضخمات»[(٤)]. وذكر الحاج خليفة أن الطيبي قال في مقدمة حاشيته: و«رأيت النبي ـ ﷺ ـ قبيل الشروع، أنه ناولني قدحاً من اللبن، وأشار إليَّ فأصبتُ منه، ثم ناولته عليه الصلاة والسلام فأصاب منه».

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٤٠).

(٢) ستأتي كلمة ابن خلدون في الفقرة التالية.

(٣) مفتاح السعادة ومصباح دار السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده، تحقيق كامل بكرة، وعبد الوهاب أبو النور، (٢/ ١٠١)، دار الكتب الحديثة، مصر.

(٤) كشف الظنون، (٢/ ١٤٧٨).

٩ ـ وإذا كان الزمخشري قد حرص على توجيه الآيات بما يوافق مذهب المعتزلة، مستخدماً مقدرته البلاغية، حتى عاب عليه العلماء ذلك، فإن الطيبي قد حرص على توجيه البلاغة في تفسير الآيات بما يتوافق مع اعتقاد أهل السنة، وقد نجح في ذلك، ونال ثناء ابن خلدون وغيره من العلماء، وهذه أعظم خدمة أسداها الطيبي لكتاب الله العظيم، وهنا تكمن أهمية جهوده البلاغية التي استحقت ثناء ابن خلدون، وكان قد أثنى أولاً على الكشاف بصورة عامة، وأخذ على الزمخشري تأييده للاعتزال، ثم ذكر الطيبي بعد ذلك، ورأى في منهج الطيبي أكثر علمية وسلامة في الدين مع إجادته وإمتاعه في فنون البلاغة، يقول رحمه الله تعالى: «ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير ـ يقصد التفاسير اللغوية ـ كتاب الكشاف للزمخشري، من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية، محسناً للحجاج عنها، فلا جرم أنه مأمون من غوائله، فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان، ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين، وهو شرف الدين الطيبي من أهل توريز من عراق العجم، شرح فيه كتاب الزمخشري هذا، وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها، وتبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة، لا على مايراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، وفوق كل ذي علم عليم»[١].

١٠ ـ وللطيبي كتاب اسمه (الكاشف عن حقائق السنن)، وهو شرح لكتاب مشكاة المصابيح الذي ألفه الخطيب التبريزي، وموضوع المشكاة في الحديث النبوي، وهي تحتوي على (٦٢٨٥) حديثاً نبوياً[٢]، موزعة على أبواب

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص (٤٤٠) دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٤ م.

(٢) انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٣/ ١٧٧١).

العبادات والعلم والترغيب والترهيب والفقه والأحكام وغير ذلك، وقد ألف التبريزي كتاب المشكاة بتوجيه من شيخه الطيبي الذي كان يريد كتاباً بخصائص علمية معينة في الحديث، ليقوم بشرحه وفق قواعد البلاغة، فيكون قد خدم السنة كما خدم القرآن من قبل عندما ألف حاشيته على الكشاف، «فعمد التبريزي إلى كتاب مصابيح السنة للبغوي ـ وهو كتاب ذائع الصيت في الحديث النبوي ـ وقام بتنقيحه والإضافة عليه، فزاد عليه (١٥١١) حديثاً كما ذكروا»(١)، فلما أتم التبريزي تأليف كتاب المشكاة، قام الطيبي بوضع شرح لها، وكان أول من شرحها شرحاً حافلاً اعتمد فيه البلاغة العربية قاعدة لفهم الحديث، يقول الطيبي في مقدمة الكاشف مبيناً سبب تأليفه وقصة تأليف كتاب المشكاة بناء على طلبه: «لما كان من توفيق الله تعالى إياي، وحسن عنايته لدي، أن وُفقت للاستعداد بسعادة الخوض في الكشف عن قناع الكشاف؛ توسلاً به إلى تحقيق دقائق كلام الله المجيد، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ويسر بمنه إتمامه، كان الخاطر مشغولاً بأن أشفع ذلك بإبراز بعض معاني أحاديث سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وحبيب رب العالمين، صلوات الله وسلامه عليه، وكنت من قبل قد استشرت الأخ في الدين، المسهم في اليقين، بقية الأولياء، قطب الصلحاء، شرف الزهاد والعباد، ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب، دامت بركته، بجمع أصل من الأحاديث المصطفوية، على صاحبها أفضل التحية والسلام، فاتفق رأينا على تكملة المصابيح، وتهذيبه، وتشذيبه، وتعيين روايته، ونسبة الأحاديث إلى الأئمة المتقنين، فما قصر فيما أشرت عليه من جمعه، فبذل وسعه واستفرغ طاقته فيما رمت منه، فلما فرغ من إتمامه، شمرت عن ساق الجد في شرح معضله، وحل مشكله، وتلخيص عويصه، وإبراز نكاته ولطفه، على ما تستدعيه غرائب اللغة والنحو، ويقتضيه علما المعاني والبيان»(٢).

---

(١) المصدر السابق، [مقدمة التحقيق] (١/ح).

(٢) الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق المفتي عبد الغفار مع آخرين(١/ ٣٤)، إدارة القرآن =

جدير بالذكر أن كتاب الطيبي هذا كان مرجعاً لشراح كتب السنة في الناحية البلاغية والأسلوبية، وقد استفاد منه كبار العلماء واتخذوه مصدراً لهم في شروحهم من أمثال: الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي نقل عنه كثيراً في فتح الباري، وكذلك البدر العيني صاحب كتاب عمدة القاري، والقسطلاني في إرشاد الساري، والمباركفوري في تحفة الأحوذي، وأبي الطيب آبادي في عون المعبود، والقاري في مرقاة المفاتيح، والكاندهلوي في التعليق الصبيح، وابن عاشور في التحرير والتنوير، وغيرهم كثير[١].

١١ ـ وهذا نموذج يدل على منهج الطيبي البلاغي في شرحه للحديث النبوي، يقول النبي - ﷺ - : «إن الله لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفض القسطَ ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبلَ عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابُه النور، لو كشفه لأحرقتْ سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[٢]. عرض الطيبي ما ذكره الشارحون من نكات بلاغية في هذا الحديث، ثم أضاف نكاتاً جديدة، حيث قال: «وهاهنا وجوه متعلقة بلطائف المعاني، ومحسنات البديع، لا بد من ذكرها:

أحدها: أن قوله: (ولا ينبغي له أن ينام) جملة معترضة واردة على التتميم؛ صوناً للكلام عن المكروه، فإن قوله: (لا ينام) لا ينفي جواز النوم كما قال الأشرف، فعقب به لدفع ذلك التجوز، قال أبو الطيب شعراً:

وتحتقر الدنيا احتقارَ مجربٍ ... يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

فإن (حاشاك) تتميم في غاية الحسن، ومعنى (لا ينبغي): لا يصح، ولا يستقيم النوم، لأنه مناف لحال رب العالمين.

= والعلوم الإسلامية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(١) انظر كتابنا: الإمام الطيبي الإمام في التفسير والحديث والبلاغة العربية، حياته وجهوده العلمية، ص (١٣٧ ـ ١٥١)، نشر FAJAR ULUNG SDN BHD، ماليزيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) رواه مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه، انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١/ ٣٣).

رفع المسهم

وثانيها: (يخفض. . . ويرفع) و(عمل الليل، وعمل النهار) من باب التضاد والمطابقة.

وثالثها: (لو كشفه) الجملة من الشرط والاستئناف مبينة للكلام السابق، كأنه لما قيل: إن (حجابه النور) وعرف الخبر المفيد للتخصيص، اتجه لسائل أن يقول: لم خص الحجاب بالنور؟ أجيب بأنه لو كان من غيره لاحترق.

ورابعها: الجمل الفعلية في النفي والإثبات كلها واردة على صيغ المضارع، لإرادة الاستمرار، والمنفيتان فيها تدلان على الدوام من غير انقطاع، والأربعة المثبتة على التجدد مع الاستمرار، وأما الجملة الاسمية فدلالتها على سبيل الثبات والدوام في هذا العالم، والشرطية منبئة عن ذلك، لما دلت أنها مخالفة للنور المتعارف، فإذا انقلبت إلى النور لم يكن كذلك.

وخامسها: أن معنى الحديث بأسره مسبوك من معنى آية الكرسي (الآية ٢٥٥ من سورة البقرة)، فإن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ إلى قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ مشعر بصفة الإكرام، ومنه إلى الخاتمة، يشير إلى صفة الجلال، لما فيه من المنع عن الشفاعة إلا بالإذن، ومن ذكر الكرسي الذي هو سرير الملك، وهو مناسب لحديث الحجاب.

كذلك الحديث إلى قوله: (حجابه النور) منبئ عن صفة الإكرام، ومنه إلى آخره عن صفة الجلال، فتكون صفة الجلال محتجبة بصفة الإكرام، فلو كشف حجاب الإكرام لتلاشت الأشياء، وتفنى بتجلي صفة الجلال الكائنات، ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

ومن أسماء الله الحسنى، وصفاته العظمى: النور، قال تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، وبيانه أن قوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ مقرر للكلام السابق. (الكشاف): (وهو تأكيد للقيوم، لأن من جاز عليه ذلك، استحال أن يكون قيوماً)[١]. وهو مثل قوله: (لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام). وقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ كالتعليل لمعنى القيومية، أي: كيف ينام وهو مالك

(١) تفسير الكشاف، صحححه مصطفى حسين أحمد، (١/ ٣٠٠).

رفع المسار هما

ما في السموات والأرض، ومربيهم، ومدبر أمور معاشهم ومعادهم؟ وإلى الأول الإشارة بقوله: (يخفض القسط ويرفعه). وإلى الثاني بقوله: (يرفع إليه عمل الليل)... إلى آخره.

فإن قلت: فأين معنى قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الآية في الحديث؟ قلت: تخصيص ذكر البصر هو نوع من طريق العلم ملوح إليه، فما أجمعه من كلمات، وما أفصحه من عبارات، ولعمرك إن هذا الحديث سيد الأحاديث، كما أن آية الكرسي سيدة الآيات»[1].

١٢ ـ والخلاصة أن الطيبي قام بإحياء منهج الزمخشري وعبد القاهر وابن الأثير في البلاغة العربية، وهو منهج يعتمد الذوق والتحليل للنصوص الأدبية، وقد امتلك الطيبي ناصية البلاغة والبيان، وتأثر بالزمخشري كثيراً، فصرح بالاعتماد على كشافه في مقدمة التبيان، واعتمد على كتابه الفائق في غريب الحديث في كتابه الكاشف، وقام بوضع حاشية كبيرة على الكشاف، وناقش الزمخشري في مسائل الاعتزال، وهو يمثل بحق الوجه السني للبلاغة العربية.

❑ ❑ ❑

(١) الكاشف عن حقائق السنن، (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤١). وانظر: كتابنا: الإمام الطيبي الإمام في التفسير والحديث والبلاغة العربية، حياته وجهوده العلمية، ص (٩٤ ـ ٩٧).

رفع
المسلم
عبد الله عبد الله

المبحث الرابع:

مدرسة السيوطي الجامعة

الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ)(١) هو دائرة معارف عصره، وعالم موسوعي مشارك في شتى العلوم ومن بينها البلاغة والبيان والإعجاز، ويمكن إبراز أهم إسهاماته في علمي البلاغة وإعجاز القرآن بما يأتي:

أولاً: جهوده البلاغية: قام السيوطي بنظم تلخيص الخطيب القزويني شعراً كما تقدم، وسمى نظمه: (عقود الجمان في المعاني والبيان)، ثم عاد وشرحه في كتاب سماه: (حل عقود الجمان) وقد طبع كتابه باسم: (شرح عقود الجمان في المعاني والبيان)، وقد قال في مقدمته: «هذا تعليق لطيف علقته، لينتفع به في حل أرجوزتي التي نظمتها في علم المعاني والبيان وسميتها: (عقود الجمان)، إذ لم يتسع وقتي لكتابة شرح عليه كما أرتضيه، مع إلحاح قارئيه عليَّ في ذلك، فنجزت لهم هذه العجالة لتعينهم على فهم مقاصدها»(٢).

وهو يسير فيه على خطى من قبله من أصحاب الشروح والحواشي على كتاب التلخيص، فلا إضافة ولا جديد(٣).

ثانياً: جهوده في الإعجاز: وضع السيوطي كتاباً خاصاً بإعجاز القرآن سماه: (معترك الأقران في إعجاز القرآن) جمع فيه جل ما قيل في هذا

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف. (٨٤٩ ـ ٩١١هـ = ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م). انظر: الأعلام، (٣/٣٠١).

(٢) شرح الأرجوزة المسماة بعقود الجمان في المعاني والبيان، ص (٢)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

(٣) انظر: البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٥٧ ـ ٣٥٨).

رفع المسلم

المضمار، وضمن فيه كلام الزركشي على وجه الخصوص، وقد ذكر خمسة وثلاثين وجهاً من وجوه الإعجاز، هي على التوالي:

الوجه الأول من وجوه إعجازه: العلوم المستنبطة منه.

الوجه الثاني من وجوه إعجازه: كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان.

الوجه الثالث من وجوه إعجازه: حسن تأليفه.

الوجه الرابع من وجوه إعجازه: مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض.

الوجه الخامس من وجوه إعجازه: افتتاح السور وخواتمها.

الوجه السادس من وجوه إعجازه: مشتبهات آياته.

الوجه السابع من وجوه إعجازه: ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات.

الوجه الثامن من وجوه إعجازه: وقوع ناسخه ومنسوخه.

الوجه التاسع من وجوه إعجازه: انقسامه إلى محكم ومتشابه.

الوجه العاشر من وجوه إعجازه: اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيتها.

الوجه الحادي عشر من وجوه إعجازه: تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع.

الوجه الثاني عشر من وجوه إعجازه: إفادة حصره واختصاصه.

الوجه الثالث عشر من وجوه إعجازه: احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس والروم والحبشة وغيرهم.

الوجه الرابع عشر من وجوه إعجازه: عموم بعض آياته وخصوصها.

الوجه الخامس عشر من وجوه إعجازه: ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبينة.

الوجه السادس عشر من وجوه إعجازه: الاستدلال بمنطوقه ومفهومه.

الوجه السابع عشر من وجوه إعجازه: وجوه مخاطباته.

الوجه الثامن عشر من وجوه إعجازه: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات.

رفع
المسأهم
عبد الله بن إبراهيم

الوجه التاسع عشر من وجوه إعجازه: إخباره بأحوال القرون السالفة.

الوجه العشرون من وجوه إعجازه: روعته وهيبته.

الوجه الحادي والعشرون من وجوه إعجازه: أن سامعه لا يمجه.

الوجه الثاني والعشرون من وجوه إعجازه: تيسيره تعالى حفظه وتقريبه على متحفظيه.

الوجه الثالث والعشرون من وجوه إعجازه: وقوع الحقائق والمجاز فيه.

الوجه الرابع والعشرون من وجوه إعجازه: تشبيهه واستعاراته.

الوجه الخامس والعشرون من وجوه إعجازه: وقوع الكناية والتعريض.

الوجه السادس والعشرون من وجوه إعجازه: إيجازه وإطنابه.

الوجه السابع والعشرون من وجوه إعجازه: وقوع البدائع البليغة فيه.

الوجه الثامن والعشرون من وجوه إعجازه: احتواؤه على الخبر والإنشاء

الوجه التاسع والعشرون من وجوه إعجازه: إقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها.

الوجه الثلاثون من وجوه إعجازه: اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة.

الوجه الحادي والثلاثون من وجوه إعجازه: ضرب الأمثال فيه.

الوجه الثاني والثلاثون من وجوه إعجازه: ما فيه من الآيات الجامعة للرجاء والخوف.

الوجه الثالث والثلاثون من وجوه إعجازه: ورود آيات مبهمة يحير العقل فيها.

الوجه الرابع والثلاثون من وجوه إعجازه: احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى والألقاب، وأسماء القبائل والبلاد والجبال والكواكب.

الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه: ألفاظه المشتركة[1].

---

(١) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، صححه أحمد شمس الدين، (١/ ٣٩١ - ٣٩٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ولدى التأمل في هذه الوجوه نجده قد أدخل كل مباحث علوم القرآن في الإعجاز، واعتبر كل شيء في القرآن معجزاً.

ثالثاً: ذكر أن وجوه الإعجاز لا حصر لها، فقال: «وقد أفرد علماؤنا ـ رضي الله عنهم ـ بتصنيف إعجاز القرآن، وخاضوا في وجوه إعجازه كثيراً، منهم: الخطابي، والرماني، والزملكاني، والإمام الرازي، وابن سراقة، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين، والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه كما قال السكاكي في المفتاح: (اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة، إلا بإتقان علمي المعاني والبيان، والتمرين فيهما)»[(١)].

رابعاً: يشير السيوطي إلى أنه يجمع ما قيل قبله، وأن بعض الوجوه التي ذكرها قد لا تدخل في الإعجاز، يقول: «فإذا علمت عجز الخلق عن تحصيل وجوه إعجازه، فما فائدة ذكرها؟ لكنا نذكر بعضها تطفلاً على من سبق، فإن كنت ممن لا أجول في ميدانهم، ولا أعد من فرسانهم، لعمرك إن دار كريم أبناء الدنيا تتحمل من تطفل عليه، فكيف بأكرم الكرمين وأرحم الراحمين؟ وإن كانت بعض الأوجه لا تعد عن إعجازه، فإنما ذكرتها للاطلاع على بعض معانيه، فيثلج له صدرك، وتبتهج نفسك، فإن وجدت له حلاوة فلا تنس أخاك الغريق بدعوة أن يتفضل عليه سبحانه في دار كرامته بخلق سمع وقوة حتى يدرك به كلامه القديم»[(٢)].

خامساً: يقول عند الوجه الرابع من وجوه إعجازه: «مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني. وقد ألف علماؤنا في أسرارها تواليف كثيرة، منهم العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه: (البرهان في مناسبة ترتيب

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٥)، وكلام السكاكي قد تقدم، والسيوطي هنا ينقله بتصرف.

(٢) المصدر السابق، (١/ ١١).

رفع المسهم

سور القرآن) . ومن أهل العصر: الشيخ برهان الدين البقاعي[1] في كتاب سماه: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبة السور والآيات، مع ما تضمنه، مرتباً من جميع وجوه الإعجاز، وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف، سميته: (تناسق الدرر في تناسب السور)، وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين، وقال في تفسيره: (أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط). وأول من سبق إلى هذا العلم الشيخ أبو بكر النيسابُوري، وكان كثير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئت عليه الآية: لم جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد، لعدم علمهم بالمناسبة»[2].

والسيوطي ـ في منهجه ـ يستوفي الموضوع من كافة زواياه وتشعباته، ففي هذا الوضوع تكلم عن المناسبة في اللغة، وفائدتها، والارتباط الظاهر بين الجمل، وحالة عدم الارتباط، والعطف، وعدمه، والقرائن المعنوية التي تؤذن بالربط، مثل: النظير والمضادة والاستطراد، ويقرب من الاستطراد حسن التخلص، وقد أنكره أبو العلاء بن غانم لما فيه من التكلف، ورد عليه السيوطي، وقال: «وليس كما قال، ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول»[3]، وذكر الفرق بين التخلص والاستطراد، وذكر قاعدة في علم المناسبات، وعرض للآيات التي أشكلت مناسبتها، وتكلم عن المناسبات بين السور، وذكر أسباباً تؤكد أن ترتيب السور في القرآن توقيفي صادر عن حكيم، وتكلم عن الحروف المقطعة في أوائل السور، ويكاد ألا يغادر شيئاً في

---

(١) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بطر البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخ، أديب، أصله من البقاع، سكن دمشق، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، (٨٠٩ ـ ٨٨٥هـ = ١٤٠٦ ـ ١٤٨٠م). انظر الأعلام، (١/ ٥٦).

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، صححه أحمد شمس الدين، (١/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٣) المصدر السابق، (١/ ٤٧).

الموضوع إلا ذكره، وهذا هو منهجه في عموم كتابه (معترك الأقران)، بل وفي معظم كتبه، وهو يكثر ضرب الأمثلة، ويكثر النقول، ويدلي برأيه في بعض الأحيان، مما يجعله بحق مدرسة جامعة لتراث السلف، مع التهذيب والتحقيق والإضافة أحياناً.

وقد ضرب السيوطي لموضوع المناسبة أمثلة كثيرة، قال: «من هذا النوع مناسبة السور، وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميته: (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، وخروجه من وطنه، وختمت بأمر النبي - ﷺ - بألا يكون ظهيراً للكافرين، وتسليته عن إخراجه من مكة، ووعده بالعودة إليها، لقوله في أول السورة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧]. قال الزمخشري: (وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، وأورد في خاتمتها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فشتان بين الفاتحة والخاتمة)(١). وذكر الكرماني في العجائب مثله، وقال: في سورة ص: بدأ بالذكر، وختمها بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [صّ: ٨٧]. وفي سورة (ن) بدأها بقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]. وختمها بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]»(٢).

سادساً: تحدث في الوجه الخامس من وجوه إعجاز القرآن حول افتتاح السور وخواتمها، فقال عن البلاغة القرآنية في افتتاح السور: «وهو من أحسن البلاغة عند البيانيين، وهو أن يتأنق في أول الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً قِبل السمع قَبل الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن، فينبغي أن يُؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه، وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير المُلبس، أو الذي لا يناسب. قالوا: وقد أتت فواتح جميع السور على

---

(١) تفسير الكشاف، صححه مصطفى حسين أحمد، (٣/ ٢٠٧). [بتصرف].
(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، صححه أحمد شمس الدين، (١/ ٥١ _ ٥٢).

المسهم

أحسن الوجوه وأكملها كالتحميدات، وحروف النداء، والهجاء وغير ذلك»[1].

وأشار إلى نوع خاص من الافتتاح الجميل، وإلى سر افتتاح القرآن بالفاتحة، فقال: «ومن النوع الحسن نوع أخص منه، يسمى: براعة الاستهلال، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله، والعَلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة، التي هي مطلع القرآن، فإنها مشتملة على جميع مقاصده، لأنه افتتح فيها فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة، والمقاطع المستحسنة، وأنواع البلاغة»[2].

وتحدث عن حسن الخاتمة في السور القرآنية، فقال: «وخواتم السور مثل الفواتح في الحسن، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد، لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد وتهليل ومواعظ، ووعد ووعيد، إلى غير ذلك، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]. والمراد المؤمنون، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده، ليتناول كل إنعام، لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة، لأنها مسببة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة ـ وهي نعمة الإيمان ـ وبين السلامة من غضب الله، والضلال المتسببين عن معاصيه وتعدي حدوده»[3].

وأشار إلى عدد من الأمثلة في هذا الصدد، فقال: «ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ الآية [إبراهيم: ٥٢]. ومثلها خاتمة

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٥٨).
(٢) المصدر السابق، (١/ ٥٨).
(٣) المصدر السابق، (١/ ٥٨ ـ ٥٩).

الأحقاف، وكذلك خاتمة الحجر: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وهو مفسر بالموت، وهو في غاية البراعة. وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأحوال القيامة، وختمت بقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ الآية. [الزلزلة: ٧]. وانظر إلى براعة آخر آية نزلت، وهي قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وما فيه من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة، وكذا آخر سورة نزلت، وهي سورة النصر، فيها الإشعار بالوفاة كما قال ابن عباس، كأنه قال له: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣]، ووافقه عمر على ذلك»[(١)].

سابعاً: كما أنه تحدث عن الإعجاز أيضاً في كتابه: (الإتقان في علوم القرآن)، وكان كلامه في الإتقان مختصراً من كتابه الأول، وأكثر منهجية ودقة، حيث لخص ما ذكره في كتابه (معترك الأقران) وذكر خلاصة الآراء في الإعجاز، وميز بين علوم القرآن وإعجاز القرآن، فمبحث الإعجاز جزء من مباحث علوم القرآن، وليس العكس[(٢)].

في البداية يعرف المعجزة، ويفرق بين معجزة نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومعجزات من سبقه من المرسلين عليهم السلام، موضحاً تميز المعجزة القرآنية وانفرادها عما سواها، يقول: «اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفطنة ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزة العقلية الباهرة ليراها ذوو البصائر كما قال النبي ـ ﷺ ـ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» أخرجه

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٥٩).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ١٤٨ ـ ١٦٠).

رفع
المسـ هما
عن الله

البخاري[1]. قيل إن معناه: إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة على يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون يدل على صحة دعواه. وقيل: المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهدها بالأبصار، كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً. قال في فتح الباري: ويمكن نظم القولين في كلام واحد، فإن محصلهما لا ينافي بعضه بعضاً»[2].

ويتحدث السيوطي عن عجز العرب عن معارضة القرآن، ويسرد الأدلة لذلك، ثم ينتقل إلى فصل يبحث فيه عن وجه الإعجاز، فيقول: «وقد خاض فيه الناس كثيراً، فبين محسن ومسيء»، مبتدئاً بالحديث عمن زعموا أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، ويرده «لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به، والصواب ما قاله الجمهور: أنه وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ، ثم زعم النظام أن إعجازه بالصرفة: أي أن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات. وهذا قول فاسد بدليل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الآية. [الإسراء: ٨٨]، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره»[3].

---

(١) في صحيح البخاري (٤/ ١٩٠٥): (أكثرهم تابعاً يوم القيامة)، انظر: صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، واليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. والحديث متفق عليه عن أبي هريرة، انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني (٣/ ١٦٠١) الحديث (٥٧٤٦).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

(٣) المصدر السابق، (٢/ ١٥١).

رفع المسلم

ويسرد السيوطي أقوال العلماء في الإعجاز، إلى أن يصل إلى رأي القاضي عياض، الذي يرى أن وجوه الإعجاز كثيرة، وضبطها في أربعة وجوه:

أولها: حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

والثاني: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب العرب.

والثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن، فوجد كما ورد.

والرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الدائرة؛ مما كان لا يعلم القصة الواحدة منه إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك[1].

بعد ذلك يورد تسعة تنبيهات حول أمور ذات صلة في الإعجاز، وهي تدور حول مناقشة الآتي: قدر المعجز من القرآن، وهل يعلم إعجاز القرآن ضرورة؟ وتفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة، وحكمة تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره، والتحدي للإنس والجن أم للإنس فقط؟ ونفي الاختلاف عن القرآن، وهل كلام الله في التوراة والإنجيل معجز؟ والقرآن أحسن الحديث وأفصحه وإن كان مشتملاً على الفصيح والأفصح والمليح والأملح. والتحدي قائم في قصار السور مثل طوالها.

ثامناً: يتناول في الإتقان الحديث عن جملة موضوعات ذات صلة بالبلاغة القرآنية والإعجاز دون أن يدرسها تحت مسمى الإعجاز، فيدرس التشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والفرق بين الكناية والتعريض، والحصر والاختصاص، والإيجاز والإطناب، والخبر والإنشاء، وبدائع القرآن، وفواصل الآي، وفواتح السور، وخواتمها، ومناسبة الآيات، ومناسبات

---

(١) المصدر السابق، (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

رفع
المسـاهم

الآيات، والعلوم المستنبطة من القرآن، وأمثال القرآن، وأقسام القرآن، وجدل القرآن، ومفردات القرآن وغير ذلك[1]، والسيوطي يضمن في هذا كله مادة قد ذكرها في كتابه: (معترك الأقران) وكان قد ألفه قبل الإتقان، ولكن مع تصرف في العبارة أحياناً، ولا يخلو الأمر من زيادة أو نقصان.

والسيوطي عمدة المتأخرين في علوم البلاغة والإعجاز، ولم يأت بعده ـ فيما نعلم ـ من أضاف شيئاً معتبراً في هذه العلوم إلى بداية العصر الحديث، فرحمه الله تعالى، وأجزل مثوبته يوم الدين.

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، (٢/٢٦٨).

المبحث الخامس:

جهود مختلفة لأعلام في البلاغة والإعجاز

أولاً: جهود الرازي العلمية في البلاغة والتفسير

١ ـ كتب فخر الدين الرازي[١] كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) ، وهو كتاب في البلاغة لخص فيه كتابي الشيخ عبد القاهر: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، يقول في مقدمته: «ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين؛ التقطت منهما معاقد فوائدهما، ومقاصد فرائدهما، وراعيت الترتيب مع التهذيب، والتحرير مع التقرير، وضبطت أوابد الإجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية، مع الاجتناب عن الإطناب الممل، والاحتراز عن الاختصار المخل»[٢].

٢ ـ وجاء أول مبحث فيه بعنوان: (الفصل الأول: في أن القرآن معجز، وأن الإعجاز في فصاحته)، ويقول تحت العنوان السابق: «الدليل على كون القرآن معجزاً أن العرب تحدوا إلى معارضته، ولم يأتوا بها، ولولا عجزهم عنها لكان محالاً أن يتركوها، ويتعرضوا لشبا الأسنة، ويقتحموا موارد الموت. وأما وجه كونه معجزاً فللناس فيه أربعة مذاهب:

● قال النظام: الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة، بل هو

---

(١) محمد بن عمر التيمي البكري أبو عبد الله، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، ويقال له: ابن خطيب الري، (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ = ١١٥٠ ـ ١٢١٠م). انظر: الأعلام، (٦/ ٣١٣).

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور محمد بركات أبو علي، ص (٢٨)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.

رفع المسهم

كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام، والعرب إنما لم يعارضوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك، وسلب علومهم به.

ويدل على فساد ذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن عجز العرب عن المعارضة، لو كان لأن الله أعجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها؛ لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن، بل كان يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً عليه لهم، كما أن نبياً لو قال: معجزتي أن أضع يدي على رأسي هذه الساعة ويكون ذلك متعذراً عليكم، ويكون الأمر كما زعم، لم يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه، بل من تعذر ذلك عليهم، ولما علمنا بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسها، بطل ما قاله النظام.

الثاني: وهو أنه لو كان كلامهم مقارباً في الفصاحة قبل التحدي لفصاحة القرآن؛ لوجب أن يعارضوه بذلك، ولكان الفرق بين كلامهم بعد التحدي وكلامهم قبله، كالفرق بين كلامهم بعد التحدي وكلامهم قبله وبين القرآن، ولما لم يكن كذلك بطل ذلك.

الثالث: أن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل، ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدي، فبطل ما قاله النظام.

● ومن الناس من جعل الإعجاز في أن أسلوبه مخالف لأسلوب الشعر والخطب والرسائل، لا سيما في مقاطع الآيات، مثل: يعلمون ويؤمنون، وهو أيضاً باطل من خمسة أوجه:

الأول: لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً، لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً.

الثاني: أن الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بمثله.

الثالث: يلزم أن الذي تعاطاه مسيلمة، من الحماقة في: (إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر). وكذلك: (والطاحنات طحناً). في أعلى مراتب الفصاحة.

رفع المسهم

الرابع: أنه لما فاضلنا بين قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وبين قولهم: القتل أنفى للقتل. لم تكن المفاضلة بسبب الوزن والإعجاز، إنما يتعلق بما به ظهرت الفضيلة.

الخامس: وهو أن وصف بعض العرب القرآن، بأن له لحلاوة، وأن عليه لطلاوة، لا يليق بالأسلوب.

● ومنهم من جعل الإعجاز في أنه ليس فيه اختلاف وتناقض، وهو أيضاً باطل، لأن التحدي كما وقع بالقرآن كله، فقد وقع بالسورة، وقد يوجد في خطبهم ما مقداره مقدار سورة الكوثر، ولا يكون فيه اختلاف وتناقض.

● ومنهم من قصر وجه الإعجاز على اشتماله على الغيوب، وهو باطل لأن التحدي قد وقع بكل سورة، والإخبار عن الغيوب لم يوجد في كل سورة.

ولما بطلت هذه المذاهب، ولا بد من أمر معقول حتى يصح التحدي به، ويعجز الغير عنه، ولم يبق وجه معقول في الإعجاز سوى الفصاحة، علمنا أن الوجه في كون القرآن معجزاً هو الفصاحة»[1].

٣ ـ وفي التفسير الكبير للفخر الرازي مسائل بلاغية ونقدية متعددة، وأخرى تتعلق بالإعجاز، وقد عرض لتلك المسائل خلال شرحه لآيات القرآن الكريم، ففي تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ذكر فيه مسائل، تناول خلالها الاستعارة، قال: «المسألة الأولى: إنما ذكر لفظ الشراء على سبيل الاستعارة لوجوه، أحدها: أنهم لما نبذوا كتابَ الله وراء ظهورهم وأقبلوا على التمسك بما تتلو الشياطين، فكأنهم قد اشتروا ذلك السحر بكتاب الله. وثانيها: أن الملكين إنما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز إلى منافع الآخرة، فلما استعمل السحر؛ فكأنه اشترى بمنافع الآخرة منافع الدنيا. وثالثها أنه لما استعمل السحر؛ علمنا أنه إنما تحمل المشقة ليتمكن من ذلك

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٣ ـ ٣٤).

المسَاهِم

الاستعمال، فكأنه اشترى بالمحن التي تحملها قدرته على ذلك الاستعمال»[1].

هكذا يشكل الرازي مدرسة علمية قائمة بذاتها، لما بذله من جهود كبيرة في شتى العلوم من جملتها التفسير والبلاغة.

❑ ❑ ❑

(١) التفسير الكبير، (٣/ ٢٠١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٠م.

رفع
المستهم
عبدالله بن سالم

ثانياً: جهود ابن أبي الإصبع المصري

١ ـ لابن أبي الإصبع[١] جهود حسنة في ميدان البلاغة والإعجاز، فقد ألف كتابه: (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) بغرض خدمة علمي البلاغة والإعجاز، ثم اختصره في كتاب (بديع القرآن) لبيان ما جاء من الألوان البديعية في آيات الذكر الحكيم، وعنه يقول الدكتور حفني شرف: «وقد أتى فيه المؤلف بالعجب العجاب؛ ليدلل على أن الأنواع البلاغية غير مقصورة على شعر الشعراء، ونثر الكتاب، بل هي موجودة في القرآن أيضاً»[٢].

٢ ـ يذكر في كتابه (تحرير التحبير) تأسيس علم البديع، ثم ما اعتراه من تطور، فيقول: «فإني رأيت ألقاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت إلى عدد منه أصول وفروع، فأصوله ما أشار إليها ابن المعتز في بديعه، وقدامة في نقده، لأنهما أول من عُني بتأليف ذلك»[٣].

وذكر أن مجموع الأصول عند ابن المعتز وقدامة ثلاثين باباً، ثم إن الناس قد «فرعوا من الجميع أبواباً أخرى، وركبوا منها تراكيب شتى، واستنبطوا غيرها بالاستقراء من الكلام والشعر، حتى كثرت الفوائد، ورأوا ابن المعتز قد

---

(١) عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، شاعر، من العلماء بالأدب، مولده ووفاته بمصر، له تصانيف حسنة، (٥٩٥ ـ ٦٥٤هـ = ١١٩٨ ـ ١٢٥٦م). انظر: الأعلام، (٤/ ٣٠).

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق الدكتور حفني شرف، ص(٥٠) [مقدمة التحقيق]، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

(٣) المصدر السابق، ص(٨٣).

غلب اسم البديع على اسم المحاسن، فسمى كتابه: (البديع). وهو جامع لهما معاً، فاقتدوا به، لأنه المخترع الأول للتصنيف»[1].

٣ - ذكر أنه وقف هو على أربعين كتاباً في هذا الشأن ذكرها، يقول: «ولقد وقفت من هذا العلم على أربعين كتاباً، منها ما هو منفرد به، وما هذا العلم أو بعضه داخل في بعضه، كنقدي قدامة، وبديع ابن المعتز، وحلية المحاضرة، وكشفت عن (الحالي والعاطل) الذي ذكره الحاتمي في الحلية فلم أجد من يعترف بوقوفه عليه سوى ابن منقذ في بديعه، وكالصناعتين للعسكري، والعمدة لابن رشيق، وتزييف نقد قدامة له، ورسالة ابن بشر الآمدي التي رد بها على قدامة، وكشف الظلامة للموفق البغدادي، والنكت في الإعجاز للرماني، والجامع الكبير في التفسير له، والتعريف والإعلام للسهيلي، ودرة التنزيل وغرة التأويل للخطيب، وإعجاز القرآن للباقلاني، والكشاف للزمخشري، وإعجاز الجرجاني المسمى بدلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة له، ونظم القرآن للجاحظ، والبيان والتبيين له، وإعجاز ابن الخطيب، ورسالة الصولي التي قدمها على شعر أبي نواس، ورسالته في أخبار أبي تمام، ورسالة ابن أفلح، وشروح أبي العلاء الثلاثة، وهي: ذكرى حبيب، وعبث الوليد، ومعجز أحمد، والمنصف لابن وكيع، والموازنة للآمدي، والوساطة للجرجاني، والغرر والدرر للمرتضى، وكتاب الصرفة له، والمجاز لأخيه الرضي، وشرح حديث أم زرع للقاضي عياض - رحمه الله - وما لخصه في آخره من بديع الحديث، والحديقة للحجاري براء مهملة صاحب المسهب في أخبار المغرب، وبديع التبريزي، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، والمثل السائر لابن الأثير الجزري، والإقناع للصاحب بن عباد، وبديع أبي إسحاق الأجدابي، وبديع شرف الدين التيفاشي وهو آخر من ألف فيه تأليفاً في غالب ظني، وجمع ما لم يجمعه غيره، لولا مواضع نقلها كما وجدها، ولم ينعم النظر فيها، وبعض الأبواب التي تداخلت عليه. وإذا وصلت إلى بديع ابن منقذ وصلت إلى الخبط والفساد العظيم، والجمع من أشتات الخطأ وأنواعه من التوارد والتداخل،

---

(١) المصدر السابق، ص (٨٧).

رفع
المستهام
عفا الله عنه

وضم غير البديع والمحاسن إلى البديع، كأنواع من العيوب، وأصناف من السرقات، ومخالفة الشواهد للتراجم، وفنون من الزلل والخلل يعرف صحتها من وقف علىِ كتابه، وأنعم النظر فيه، لا جرم أني لم أعتد بكتابه في عدة ما وقفت عليه من ذلك، وإن كنت قلما رأيت منها كتاباً خلا عن موضع نقد، بحسب منزلة واضعه من العلم والدراية، فمن قليل ومن كثير، وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك إلا من عصمه الله من أنبيائه، صلوات الله عليهم وسلامه»[1].

وهذا النص يفيدنا في أمور منها:

١ ـ معرفة الكتب المؤلفة في البلاغة وعلم الإعجاز حتى القرن السابع الهجري.

٢ ـ معرفة ما كان موجوداً حتى ذلك العصر، مثل كتاب نظم القرآن للجاحظ والذي فقد فيما بعد.

٣ ـ نقد ابن أبي الإصبع للتراث العلمي العربي، إذ لا يخلو كتاب من خطأ أو خلل.

٤ ـ نقده لأسامة بن منقذ وعدم الاعتداد بكتابه، وهذا موقف نقدي ينبغي أن يدرس.

٥ ـ تقريره أن العصمة للأنبياء عليهم السلام، فلا أحد فوق المراجعة والنقد، وهذه قاعدة ذهبية في المنهج العلمي الموضوعي الذي يقدم الحق على الرجال، فالرجال يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

٤ ـ وقد جاء هو فأضاف إلى أبواب البديع إلى أن وصل بها إلى مئة وثلاثة وعشرين باباً «سوى ما انشعب من أبواب الائتلاف من الجناس والطباق والتصدير»[2].

٥ ـ وعن موقفه من الإعجاز يقول الدكتور حفني شرف: «ويرى أن القرآن معجز بألفاظه وأسلوبه، وتراكيبه وأثره في النفوس البشرية، ويخالف عبد القاهر الجرجاني، والباقلاني، في رأيهما الذي يقولان به من أن وجود

---

(١) المصدر السابق، ص(٨٧ ـ ٩١).

(٢) المصدر السابق، ص(٩٥).

رفع
المسلم
عبد الله بن إبراهيم

الأنواع البديعية في القرآن غير دال على إعجازه، ويؤيد ذلك جمعه الأنواع البديعية التي عرفت إلى عهده، وجديده الذي اخترعه في كتابه (تحرير التحبير) واستشهد لهذه الألوان بآيات من القرآن، مخرجاً تلك الآيات على الوجوه البلاغية، مبيناً في دراسته لهذه الشواهد سلامة نظم القرآن وسلاسة أسلوبه، وبلاغة معانيه، وفصاحة ألفاظه، ثم يقارن هذه الشواهد بأمثالها من الشعر والنثر من كلام البشر، ليثبت بلاغة القرآن، وإعجاز البشر عن الإتيان بمثله»[١].

٦ ـ وهذا نموذج مما كتبه ابن أبي الإصبع، ففي باب الترديد، قال معرفاً له وذاكراً لأمثلته: «وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردها بعينها، ويعلقها بمعنى آخر، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] . فالجلالة الأولى مضاف إليها، والثانية مبتدأ بها. وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦ ـ ٧] . وكقوله عز وجل: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٨] .

ومن الترديد نوع يُسمى الترديد المتعدد، وهو أن يتردد حرف من حروف المعاني، إما مرة أو مراراً، وهو الذي يتغير فيه مفهوم المسمى لتغير الاسم: إما لتغاير الاتصال، أو تغاير ما يتعلق بالاسم، ومثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] . فإن اتصال مِن بضمير المخاطبين الغائبين في الموضعين مع ما تضمنت مَنْ مِنْ معنى الشرط، أصارت المؤمنين كافرين عند وقوع الشرط»[٢].

وفي باب الإغراق يقول: «الإغراق فوق المبالغة، ودون الغلو، ولا يقع شيء من الإغراق والغلو في الكتاب العزيز، ولا الكلام الصحيح الفصيح إلا مقروناً بما يُخرجه من باب الاستحالة، ويدخله في باب الإمكان، مثل كاد

(١) المصدر السابق، ص (٤٧ ـ ٤٨) [مقدمة التحقيق].
(٢) المصدر السابق، ص (٢٥٣).

رفع المسهم

وما يجري مجراها، ومن أمثلته قول ابن المعتز:

صببنا عليها ظالمينَ سياطَنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

فموضع الإغراق من البيت قوله (ظالمين) يعني أنها استفرغت جهدها في العدْو، فما ضربناها إلا ظلماً، ولا جرم أنها خرجت من الوحشية إلى الطيرية، ولو لم يقل: (ظالمين) لما حسن قوله (فطارت). ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها حقيقة»[١].

٧ - يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين موجزاً جهود ابن أبي الإصبع المصري: «في كتابه: (تحرير التحبير) يحصي فيه مئة وخمسة وعشرين محسناً بديعياً، وفي كتابه (بديع القرآن) يجمع من أنواع البديع التي وردت في القرآن، ويصل بها إلى مئة نوع وتسعة أنواع، والملاحظ أنه كان يجمع كل مباحث البلاغة تحت اسم البديع، ودراسة البلاغة عنده تعتمد على تحليل النصوص القرآنية والأدبية، والكشف عما فيها من مواطن البلاغة والجمال، من غير احتفال بالتعاريف والخلافات والأقيسة المنطقية»[٢].

٨ - ويرى الرافعي في جهود المتأخرين ومنهم ابن أبي الإصبع تكراراً لكلام من تقدمهم، يقول: «وممن ألفوا في الإعجاز أيضاً على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما: الإمام الخطابي المتوفى سنة (٣٨٨)، وفخر الدين الرازي المتوفى سنة (٦٠٦)، والأديب البليغ ابن أبي الإصبع المتوفى سنة (٦٥٤)، والزملكاني المتوفى سنة (٧٢٧)، وهي كتب بعضها من بعض»[٣].

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٢١).

(٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ص (٣٥).

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، للرافعي، (٢/ ١٥٤).

رفع المسـهم

ثالثاً: عز الدين بن عبد السلام

ألف الإمام العز بن عبد السلام[1] (كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) مسهماً في إثراء التراث العلمي، وقد قال في مقدمته: «الحمد لله الذي بعث نبينا - ﷺ - بجوامع الكلم، واختصر الحديث له اختصاراً، ليكون أسرع إلى فهم الفاهمين، وضبط الضابطين، وتناول المتناولين، فكل كلمة يسيرة جمعت معاني كثيرة فهي من جوامع الكلم، والاختصار هو الاقتصار على ما يدل على الغرض، مع حذف أو إضمار، والعرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه، ولا وصلة إليه، لأن حذف ما لا دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام، وفائدة الحذف تقليل الكلام، وتقريب معانيه على الأفهام، والحذف أنواع، أحدها: حذف المضافات، وله أمثلة كثيرة، منها نسبة التحليل والتحريم، والكراهة والإيجاب والاستحباب إلى الأعيان، فهذا من مجاز الحذف، إذ لا يتصور تعلق الطلب بالأجرام، وإنما تطلب أفعال يتعلق بها، فتحريم الميتة تحريم لأكلها، وتحريم الخمر تحريم لشربها، وتحريم الحرير تحريم لاستعماله»[2].

ونلحظ من المقدمة، وقراءة الكتاب ما يأتي:

١ ـ دخل المؤلف في الموضوع مباشرة دون أن يذكر لنا منهجه أو مراجعه، أو غرضه من تأليف كتابه.

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد بدمشق، وتوفي بالقاهرة، (٥٧٧ ـ ٦٦٠هـ = ١١٨١ ـ ١٢٦٢م). انظر: الأعلام، (٤/ ٢١).

(٢) كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ص (٢)، دار المعرفة، بيروت.

٢ ـ تناول معظم موضوعات البلاغة تحت عنوان كتابه، فتحدث عن الحذف بجميع أقسامه، ثم انتقل إلى باب المجاز، فتحدث عن العلاقة بين المجاز والحقيقة، والخلاف بالتعبير عن جميع أنواع المجاز بالاستعارة، وجمع اللفظة الواحدة لمدلولي الحقيقة والمجاز، والتجوز بالحروف، واعتبر التشبيه من المجاز، ففي حديثه عن التجوز بعلى وعسى قال: «وكلاهما مجاز تشبيه أو تسبيب». وتحدث عن التجوز بالأفعال، من ذلك: التعبير بالماضي عن المستقبل، تشبيهاً له في التحقق، والتعبير بالمستقبل عن الماضي، والتجوز بالخبر عن الأمر، والتجوز بلفظ الخبر عن النهي، والتجوز بالنهي لمن لا يصح نهيه...

٣ ـ وذكر أنواعاً أخرى من المجاز تدخل تحت أبواب من البلاغة، فذكر التجوز بالسبب عن المسبب، والمسبب عن السبب، ولفظ البعض عن الكل، والكل عن البعض، وتسمية الشيء بما يؤول إليه، وهذا مما يدخل تحت المجاز المرسل، والتجوز في نسبة الفعل إلى سببه، وإلى سبب سببه، وإلى الآمر به، وهو ما يدخل تحت المجاز العقلي.

٤ ـ خصص الفصل الثاني والأربعون لمجاز اللزوم، وذكر في النوع السادس عشر منه الكنايات، كما جاء في قول إحدى النسوة في حديث أم زرع: (زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من النار). كنَّت برفعة عماده عن شرفه ومنزلته؛ لأن رفع العماد يلازم الشرف غالباً، وكنت عن طول قامته بطول نجاد سيفه؛ لأن من طالت قامته طال نجاد سيفه، وكنت بعظم رماده عن كثرة ضيافته وإطعامه؛ لأن الرماد لا يعظم إلا عن كثرة الطبخ والإحراق للحطب الكثير، وكنت بقرب بيته من المجلس عن كرمه؛ لأن البخلاء كانوا يبعدون بيوتهم عن المجلس كيلا يستتبعون الأضياف منه، وكانوا ينزلون في المواضع المنخفضة كيلا يراهم الضيفان، فيأتونهم، ولذلك قال طرفة:

ولستُ بحلالِ التلاع مخافةً ولكن متى يسترفد القوم أرفد

والتلاع جمع تلعة، وهي من الأضداد، يطلق على الارتفاع والانخفاض،

رفع
المسبهما
عبدالله بن سالم الدايم

والظاهر أن الكناية ليست من المجاز، لأنها استعملت اللفظ فيما وضع له، وأرادت به الدلالة على غيره، ولم تخرجه عن أن يكون مستعملاً فيما وضع له»[1].

٥ ـ خصص الفصل الرابع والأربعين لمجاز التشبيه، وقال: «العرب إذا شبهوا جرماً بجرم، أو معنى بمعنى، أو معنى بجرم، فإن أتوا بأداة التشبيه كان ذلك تشبيهاً حقيقياً، وإن أسقطوا أداة التشبيه كان ذلك تشبيهاً مجازياً، ولذلك أمثلة، منها قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. أي مثل أمهاتهم في الحرمة وتحريم النكاح. ومنها قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]. أي مثل أبنائكم في تحريم حلائلكم. ومنها قوله: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]. أي مثل ولد. ومنها قوله في الدعي: زيد بن محمد، ومنها قول النبي ـ ﷺ ـ للمغيرة: «يا بني! ما ينصبك منه». أي من الدجال. وكذلك قولك للأجنبي: يا بني. معناه يا نظير بني في الشفقة والرحمة»[2]. وهو في هذا المذهب ينحو منحى ابن الأثير الذي عد التشبيه البليغ نوعاً من المجاز، وتبعه في هذا عدد من البلاغيين.

٦ ـ خصص الفصل السادس والأربعين للحديث عن مجاز المجاز، «وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فتجوز بالمجاز الأول عن الثاني؛ لعلاقة بينه وبين الثاني، مثال ذلك قوله: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥]. فإنه مجاز عن مجاز، فإن الوطء يتجوز عنه بالسر، لأنه لا يقع غالباً إلا في السر، فلما لازم السر في الغالب سمي مجازاً، ويتجوز بالسر عن العقد لأنه سبب فيه، فالمصحح للمجاز الأول: الملازمة، والمصحح للمجاز الثاني: التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب، كما سمي عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح، وكذلك سمي العقد سراً لأنه سبب في السر الذي هو النكاح،

---

(١) المصدر السابق، ص (٦٣).
(٢) المصدر السابق، ص (٦٤).

رفع
المسابهم
عزالله لعلالة

فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح»[1].

٧ ـ خصص الفصل الثامن والأربعين في ذكر أمثلة من حذف المضافات على ترتيب السور والآيات، ابتداء من سورة البقرة، حتى سورة الدين.

٨ ـ في الكتاب استشهادات كثيرة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهذا مما يحتسب له، فالقرآن والحديث هما أساس البلاغة العربية، وبحرها ولجتها، وسر خلود هذه اللغة إلى يوم الدين.

٩ ـ في الكتاب موضوعات مقحمة لا علاقة لها بعنوانه، مثل: فصل في الوعظ والتذكير بالموت ليستعد العباد للمعاد، فصل في ضرب الأمثال في القرآن حثاً على الطاعات وزجراً للمخالفات، فصل في بيان اللغات التي نزل فيها القرآن وفي معنى الأحرف السبعة...

١٠ ـ خصص فصلاً لإعجاز القرآن، قال فيه: «وهو الإيجاز والبلاغة ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. أو البيان والفصاحة ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]. وهو رصفه الذي أخرجه عن عادتهم في النظم والنثر، والخطب والشعر، والرجز والسجع، والمزدوج، مع أن ألفاظه مستعملة في كلامهم، أو هو أن قارئه لا يمله، أو ازدياد حلاوته مع كثرة تلاوته، بخلاف غيره، فإنه يمل إذ أكثر منه، أو هو إخباره بما مضى كقصة أهل الكهف وذي القرنين، وموسى والخضر، وجميع قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو هو إخباره عما يكون، كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤]. ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]. أو اشتماله على العلوم التي لم تكن فيها آلتها، ولا تعرفها العرب ولا يحيط بها أحد من الأمم، أو صرفهم عن القدرة على معارضته، أو صرفهم عن معارضته مع قدرتهم عليها، وحرصهم على إبطاله، أو إعجازه بجميع ذلك لاشتماله على جميعه»[2].

يلاحظ أن المؤلف ذكر ملخصاً لما قيل قبله في باب الإعجاز، وقد أضاف

---

(١) المصدر السابق، ص (١١٢).

(٢) المصدر السابق، ص (٢١٥).

رفع
المسـاهم

الصرفة مع عدم القدرة أصلاً، ولم يفسر وجوه الإعجاز، ولم يعرض إلا شواهد قليلة من الآيات القرآنية، وهذا ما يتناغم مع منهجه الذي يقوم على الجمع والسرد، بعيداً عن التحليل والتذوق الأدبي.

والخلاصة أن كتاب: (الإشارة إلى الإيجاز) غزير المادة العلمية، ولكن يعوزه مزيد من التدقيق والتحقيق في مصطلحاته البلاغية والعلمية.

❑ ❑ ❑

رفع
المسـاهم

رابعاً: الإمام القرطبي

١ ـ يعد كتاب (الجامع لأحكام القرآن) لمحمد بن أحمد القرطبي[1]، من كتب التفسير التي عنيت بالإعجاز، فقد تحدث في مقدمة تفسيره عن الإعجاز، وجاء ذلك تحت عنوان: (باب ذكر نكت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها).

٢ ـ لخص القرطبي وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، والتي ذكرها من قبله من العلماء، حيث قال: «ووجوه إعجاز القرآن الكريم عشرة:

منها: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها، لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]. وفي صحيح مسلم أن أنيساً أخا أبا ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر ـ أي أنواعه وطرقه وبحوره وأنحاؤه ـ فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. وكذلك أقر عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر، ولا شعر، لما قرأ عليه رسول الله ـ ﷺ ـ: (حم) فصلت، على ما يأتي بيانه هنالك، فإذا اعترف عتبة ـ على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة ـ بأنه ما سمع مثل القرآن قط، كان في هذا القول مقراً بإعجاز

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسيوط، بمصر، ومات فيها سنة (٦٧١هـ = ١٢٧٣م). انظر: الأعلام، (٥/ ٣٢٢).

رفع المسـاهم غفر الله له ولوالديه

القرآن له ولضُربائه، من المتحققين بالفصاحة، والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه.

ومنها: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

ومنها: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، وتأمل ذلك في سورة ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١] إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى آخر السورة. وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة. قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح في أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦]، ولا أن يقول: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

قال ابن الحصار: وهذه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة، لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية، وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة، من غير أن ينضاف إليها أمر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات قصار، وهي أقصر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبار عن مُغيبين:

أحدهما: الإخبار عن الكوثر وعظمه وسعته وكثرة أوانيه، وذلك يدل على أن المصدقين به أكثر من أتباع سائر الرسل.

والثاني: الإخبار عن الوليد بن المغيرة، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ [المدثر: ١١ ـ ١٤]، ثم أهلك الله ـ سبحانه ـ ماله وولده، وانقطع نسله.

ومنها: التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي، حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه.

رفع المسـاهم

ومنها: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحدوه به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين؛ فجاءهم ـ وهو أمي من أمة أمية ليس لها بذلك علم ـ بما عرفوا من الكتب السالفة صحته، فتحققوا صدقه. قال القاضي ابن الطيب: . . ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار، وحملة الأخبار، ولا متردداً إلى المتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه، عُلم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي.

ومنها: الوفاء بالوعد، المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه. وإلى وعد مقيد بشرط، كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] وشبه ذلك.

ومنها: الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك: ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] الآية، ففعل ذلك. وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه، ليثقوا بالنصر، وليستفتحوا بالنُّجح، وكان عمر يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، براً وبحراً، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] وقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] وقال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

المسلم

سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ١ ـ ٣]. فهذه كلها أخبار عن الغيوب، التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، أو من أوقفه عليها رب العالمين، فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه.

ومنها: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام وسائر الأحكام.

ومنها: الحِكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي.

ومنها: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً، من غير اختلاف، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

قلت: فهذه عشرة أوجه ذكرها علماؤنا رحمة الله عليهم، ووجه حادي عشر قاله النظام وبعض القدرية: أن وجه الإعجاز هو المنع من معارضته، والصرفة عند التحدي بمثله، وأن المنع والصرفة هو المعجزة دون ذات القرآن، وذلك أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته، مع تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله. وهذا فاسد، لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف: أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك عُلم أن نفس القرآن هو المعجز، لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد قط كلام على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفاً معتاداً منهم، دل على أن المنع والصرفة لم يكن معجزاً»[(١)].

٣ ـ وينقل عن ابن عطية تحليله لمقولة الصرفة ورفضه لها، يقول: «قال ابن عطية: ووجه التحدي في القرآن: إنما هو بنظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه. ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فعلم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن محيطاً قط، فبهذا جاء نظم القرآن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٧٣ ـ ٧٥).

رفع
المسلم
عزالله لا إله إلا الله

في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، فلما جاء محمد - ﷺ - صرفوا عن ذلك، وعجزوا عنه. والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة، يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر بعده، فيأخذها بقريحة جامة، فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال بعد ذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله لو نُزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب أن يوجِد أحسن منها لم يوجد»[1].

٤ - ويذكر أمثلة للبلاغة القرآنية، يقول: «ومن فصاحة القرآن أن الله تعالى جل ذكره، ذكر في آية واحدة أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية. وكذلك فاتحة سورة المائدة، أمر بالوفاء ونهي عن النكث، وحلل تحليلاً عاماً، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثم أخبر عن حكمته وقدرته، وذلك مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه»[2].

٥ - وأشار إلى عجز قريش عن الإتيان بمثل القرآن، قال: «فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله، وقالت: إن النبي - ﷺ - تقوله، أنزل الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤] ثم أنزل تعجيزاً أبلغ من ذلك، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]. فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار، إلى مثل سورة من السور القصار، فقال جل ذكره: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]. فأفحموا عن الجواب، وتقطعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى الحروب والعناد، وآثروا سبي الحريم والأولاد، ولو قدروا على المعارضة لكان أهون كثيراً، وأبلغ في الحجة وأشد تأثيراً، هذا

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٧٦).
(٢) المصدر السابق، (١/ ٧٦).

مع كونهم أرباب البلاغة واللحن، وعنهم تؤخذ الفصاحة واللسن»[١].

٦ ـ ويوازن القرطبي بعد ذلك بين أسلوب القرآن وأسلوب النبي - ﷺ - مبيناً ما بينهما من فرق هائل، يقول: «فبلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة، هذا رسول الله - ﷺ - مع ما أوتي من جوامع الكلم، واختص به من غرائب الحِكَم، إذا تأملت قوله - ﷺ - في صفة الجنان، وإن كان في نهاية الإحسان، وجدته منحطاً عن رتبة القرآن، وذلك في قوله عليه السلام: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر). فأين ذلك من قوله عز وجل: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]. وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. هذا أعدل وزناً، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأقل حروفاً، على أنه لا يعتبر إلا في مقدار سورة أو أطول آية، لأن الكلام كلما طال اتسع فيه مجال المتصرف، وضاق المقال على القاصر المتكلف، وبهذا قامت الحجة على العرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة عيسى ـ عليه السلام ـ على الأطباء، ومعجزة موسى ـ عليه السلام ـ على السحرة، فإن الله سبحانه إنما جعل معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بالوجه الشهير أبرع ما يكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره، فكان السحر في زمان موسى ـ عليه السلام ـ قد انتهى إلى غايته، وكذلك الطب في زمن عيسى ـ عليه السلام ـ، والفصاحة في زمن محمد - ﷺ - »[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٧٧).

(٢) المصدر السابق ، (١/ ٧٧ ـ ٧٨).

خامساً: جهود حازم القرطاجني

١ ـ يعد كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني[1] من الكتب الهامة التي عنيت بمسائل البلاغة والنقد، وقد وقع فيه مؤلفه تحت تأثير الفلسفة اليونانية، يقول عنه الدكتور إحسان عباس: «ربما كانت آخر صلة بين كتاب أرسطو والنقد العربي متمثلة في كتاب حازم القرطاجني: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، وحازم ينتمي إلى شرق الأندلس، غير أنه غادر وطنه حين سقط بلده في يد الروم ـ أو قبيل ذلك ـ وعاش في ظل الدولة الحفصية، وفي مهاجره الجديد كتب كتابه المذكور»[2].

٢ ـ من الموضوعات البلاغية التي عرض لها موضوع الحذف، حيث قال: «إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء؛ فيكون في تعدادها طول وسآمة؛ فيحذف ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها. قال: ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله في وصف أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فحذف الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى؛ فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شاءته، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك»[3].

---

(١) حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن، أديب من العلماء له شعر، من أهل قرطاجنة بشرقي الأندلس، (٦٠٨ ـ ٦٨٤هـ = ١٢١١ ـ ١٢٨٥م)، انظر: الأعلام، (٢/ ١٥٩).

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ص (٥٣٩).

(٣) الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ٧٤).

رفع
المسهم
عبد الله بن علي الدبيان

٣ ـ تعرض لموضوع الإعجاز، فقال: «إن الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانية فتقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه، والفترات في الفصاحة تقع للفصيح إما بسهو يعرض له في الشيء من غير أن يكون جاهلاً به، أو من جهل به، أو من سآمة تعتري فكره، أو من هوى النفس يغلب عليها فيما يحوش خاطره، من اقتناص المعاني سميناً كان أو غثاً، فهذه آفات لا يخلو منها الإنسان الفاضل الطبع الكامل»(١).

٤ ـ بين أهمية معرفة أغراض الشعر في صناعة المعنى الجميل، وهو بهذا يربط بين البلاغة والأدب، يقول: «يجب على من أراد جودة التصرف في المعاني، وحسن المذهب في اجتلابها، والحذق بتأليف بعضها إلى بعض؛ أن يعرف أن للشعراء أغراضاً أُول، هي الباعثة على قول الشعر، وهي أمور تحدث عنها تأثيرات وانفعالات للنفوس»(٢).

٥ ـ تحدث عن المحاكاة وبين أن شرطها هو التأثير في النفس في حالتي السلب والإيجاب، يقول: «ويشترط في المحاكاة التي يقصد بها تحريك النفس إلى طلب الشيء أو الهرب منه، أن يكون ما يحاكي به الشيء المقصود إمالة النفس نحوه مما تميل النفس إليه، وأن يكون ما يحاكى به الشيء المقصود تنفير النفس عنه مما تنفر النفس عنه أيضاً»(٣).

٦ ـ وكتاب حازم غني بمادته البلاغية والنقدية، وهو يستخدم تعبير معلم

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ص (٣٨٩ ـ ٣٩٠)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

(٢) المصدر السابق، ص (٩).

(٣) المصدر السابق، ص (١١٣).

ومعرف وإضاءة وتنوير بديلاً عن مصطلحات: كتاب أو باب وفصل، ويدور كتابه حول الشعر ونظمه، والمعاني والأسلوب، وهو يعتبر من إضافة أهل الأندلس في ميدان البلاغة.

❑ ❑ ❑

رفع
المسار هما
غفر الله له ولوالديه

سادساً: القاضي البيضاوي

١ ـ ألف القاضي البيضاوي[1] كتاباً بالتفسير سماه: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ويعرف بتفسير البيضاوي، وهو تفسير غني بمادته النحوية والبلاغية، وجاء في مقدمته إشارة إلى إعجاز القرآن، يقول: «الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديراً، وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيراً، ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيراً، فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هي رموز الخطاب تأويلاً وتفسيراً، وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيراً، ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً، فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ فهو في الدارين حميد وسعيد، ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميماً ويصلى سعيراً»[2].

٢ ـ بين شرف علم التفسير، وقيامه على جملة علوم من بينها علوم العربية، وأنه قد حازها، وسينقل عن العلماء ويضيف، يقول: «وبعد فإن أعظم العلوم

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاض ومفسر وعلامة، ولد بمدينة البيضاء بفارس، وتوفي بتبريز سنة (٦٨٥هـ = ١٢٨٦م). انظر: الأعلام، (٤/ ١١٠).

(٢) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١/ ٣ ـ ٨). دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

رفع
المسهم
عبد الله بن علي الدباغ

مقداراً، وأرفعها شرفاً ومناراً، علم التفسير الذي هو: رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها؛ أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها، ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتاباً يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين، إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته، ناوياً أن أسميه بعد أن أتممه: بـ: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)»[1].

٣ ـ أشار إلى إعجاز القرآن بفصاحته، فقد قال عند تفسير آية التحدي في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] ما نصه: «لما قرر وحدانيته تعالى، وبين الطريق الموصل إلى العلم بها؛ ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد - ﷺ -، وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطق، وإفحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء، مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة والمضارة، وتهالكهم على المعازة والمعارة، وعرف ما يتعرف به إعجازه، ويتيقن أنه من عند الله كما يدعيه. وإنما قال (مما نزلنا) لأن نزوله نجماً منجماً بحسب الوقائع على ما ترى عليه أهل الشعر.

والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٩ ـ ١١).

إزاحة للشبهة، وإلزاماً للحجة. وأضاف العبد إلى نفسه تعالى تنويهاً بذكره وتنبيهاً على أنه مختص به منقاد لحكمه تعالى، وقرئ (عبادنا) يريد محمداً - ﷺ - وأمته. والسورة: الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات، وهي إن جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة؛ لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها، أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها. أو من السورة التي هي الرتبة... لأن السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ، أو لأنها مراتب في الطول والقصر، والفضل والشرف، وثواب القراءة. وإن جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سوراً، إفراد الأنواع وتلاحق الأشكال، وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه، فإنه إذا ختم سورة نفس ذلك عنه؛ كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلاً أو طوى بريداً، والحافظ متى حذقها اعتقد أنه أخذ من القرآن حظاً تاماً وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها؛ فعظم ذلك عنده، وابتهج به إلى غير ذلك من الفوائد»(١).

ويضيف مفسراً المراد بالمثل في آية التحدي، وأن المرجح بالضمير في (مثله) أن يعود على القرآن، لا على النبي ـ محمد ﷺ ـ، يقول: «﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ صفة سورة أي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الأخفش، أي بسورة مماثلة للقرآن العظيم في البلاغة وحسن النظم. أو لعبدنا، ومن للابتداء أي بسورة كائنة ممن هو على حاله ـ عليه الصلاة والسلام ـ من كونه بشراً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة. (فأتوا): والضمير للعبد، والرد إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ولسائر آيات التحدي، ولأن الكلام فيه لا في المنزل عليه، فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم، ولأن مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم: ليأت بنحو ما أوتي به هذا آخر مثله، ولأنه معجز في نفسه لا بالنسبة إليه

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١). وانظر تفسير الكشاف، (١/ ٩٦ ـ ٩٨).

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

لقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولأن رده إلى (عبدنا) يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته؛ ولا يلائمه قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فإنه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم».

ويمضي شارحاً معنى الشهداء، فيقول: «والشهداء جمع شهيد، بمعنى: الحاضر. أو القائم بالشهادة أو الناصر أو الإمام. وكأنه سمي به لأنه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الأمور؛ إذ التركيب للحضور إما بالذات أو بالتصور؛ ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لأنه حضر ما كان يرجوه، أو الملائكة حضروه ومعنى (دون): أدنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب؛ لأنه إدناء البعض من البعض. ودونك هذا، أي: خذه من أدنى مكان منك، ثم استعير للرتب، فقيل: زيد دون عمرو أي في الشرف، ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى آخر، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]. أي: لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين... والمعنى: (وادعوا) للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يقدر على أن يأتي بمثله إلا الله، أو (وادعوا) من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم به مثله، ولا تستشهدوا بالله، فإنه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة. أو بـ: شهدائكم أي الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء وآلهة، وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة أو الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى على زعمكم»(١).

ويضيف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] مقرراً ما في الآية من دعوة إلى الإيمان لعجزهم أمام تحدي القرآن لهم: «لما بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول، وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٣).

وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعاً عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ؛ ظهر أنه معجز، والتصديق به واجب، فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب. فعبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان وغيره إيجازاً، ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية، تقريراً للمكنى عنه، وتهويلاً لشأن العناد، وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز، وصدر الشرطية بإن التي للشك، والحال يقتضي (إذا) الذي للوجوب ؛ فإن القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكاً في عجزهم ولذلك نفى إتيانهم معترضاً بين الشرط والجزاء تهكماً بهم، وخطاباً معهم على حسب ظنهم ؛ فإن العجز قبل التأمل لم يكن محققاً عندهم»[1].

ونحن نجد من خلال كلام البيضاوي إقراره بالإعجاز من جهة الفصاحة والبلاغة، مع ذكره لمسائل ذات صلة باللغة والبلاغة والقراءات من خلال تفسيره، وهو يعتمد في جل ما يقوله على الزمخشري، ويتصرف بكلامه كما هو الحال عند هذه الآية[2]، ولكن يبقى في تفسيره ما يدل على سعة علمه وقدرته على النفاذ لأغوار النص القرآني، واستخراج كنوزه للعيان.

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق، (١/٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٢) انظر تفسير الكشاف، (١/٩٦ ـ ١٠١).

رفع
المسا هم
عن الله لمطلق

سابعاً: جهود محمد بن علي الجرجاني

١ ـ محمد بن علي الجرجاني[١] صاحب كتاب (الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة)، وقد بين شرف علم البلاغة، وأنه طريق إلى إثبات إعجاز القرآن، فقال: «أما بعد، فإن علم البلاغة علم شريف عظيم الشأن، لكونها كمال الإنسان وأصل البيان، لأن أحكام الشرع تتوقف على صدق السنة والقرآن، وصدق القرآن يتوقف على أنه منزل من عند الرحمن، وذلك يتوقف على غير مقدور للبشر للبلاغة والبيان، وإلا لوجد مثله قبل التحدي به أو بعده، في بعض الأزمان، ولو صرفهم الله عن المعارضة لتعجبوا من العجز بعد قدرتهم على الإتيان، وقد خاض في تقرير قواعدها كثير من العلماء والأعيان، لكن لم يخل كلامهم الذي بلغني منه عن الزيغ والسهو والنسيان، ولذلك صرفت عنان عزمي في هذه الإشارات والتنبيهات إلى هذا الميدان، وركبت متن جواد الفكر وسقته بسوط توفيق الله المنان، إلى تحقيق تقرير قواعد الصناعة، وانتقاد أقوال أهل البلاغة والفرسان مع قلة البضاعة، وكثرة الشواغل المنافية للاستطاعة والحدثان، فإن أصبت فيها فمن الله الهادي، وإلا فمني ومن الشيطان»[٢].

٢ ـ وعن منهجه يقول الدكتور عبد القادر حسين: «تميز الجرجاني بالاستقصاء، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا عرضها عرضاً مفصلاً دقيقاً، وملماً فيها بكل الآراء، سواء كانت التي كانت في عصره أو قبل عصره، ممن عرض لها من علماء البلاغة الأفذاذ، ولم يكتف بهذا العرض في أسلوب شائق سهل،

(١) هو محمد بن علي بن محمد الجرجاني، الاسترابادي منشأ ومولداً، الحلي الغروي مسكناً، كان عالماً وأصولياً ومتكلماً، (ت ٧٢٩هـ). ولم يترجم له في الأعلام.

(٢) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، ص (١ ـ ٢)، دار نهضة مصر، القاهرة.

رفع المسـاهم

وإنما ذيل كل مسألة من مسائل البلاغة التي يجد فيها عوجاً أو خللاً، فأبرز الوهم الذي وقع فيه غيره، وناقشه مناقشة العارف البصير المتعمق في فهم البلاغة بقواعدها وأهدافها»(١).

٣ ـ ذكر أوهام كثير من علماء البلاغة، وردها، ومن هؤلاء الخطيب القزويني، ويدعوه المعاصر، والسكاكي والزمخشري وعبد القاهر وغيرهم(٢)، فمن ذلك ما ذكره في موضوع الإطناب، قال: «جعل المعاصر نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٦] من باب الإبهام والتفسير وليس منه. وجعل نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩]. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠] لمجرد طول الكلام، ولم يجعله من الباب، فأدخل ما ليس منه، وأخرج ما هو منه، وذلك وهم منه.

أما **الأول**: فلأن استيفاء الفعل متعلقاته ليس من باب الإطناب، وإلا لكانت الجملة الفعلية كلها منه؛ لاقتضاء الفعل مقتضيات من المفعولات وغيرها، وإذا تركت كان الفعل مبهماً، وإذا ذكرت كان مفسراً بها، لكن ليس فليس.

وأما **الثاني**: فلأنه توهم أن الجار والمجرور في الآيتين ـ وهو للذين ـ متعلق بغفور رحيم. وجعل (إن ربك) الثانية تكراراً يطول به الكلام، وليس كذلك، بل الجار والمجرور فيهما متعلق بمحذوف، أي: إن ربك حاصل لهم، كما يقال: أنا لك، والأمير لي. ثم لما كان ذلك مبهماً فسره، وأعاد إن واسمها، وجعل خبر الثانية تفسيراً للخبر الأول، فإن علة كون الرب لهم، بعد كونه غفوراً رحيماً»(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص (ل) [مقدمة المحقق].
(٢) المصدر السابق، ص (ز ـ ل) [مقدمة المحقق].
(٣) المصدر السابق، ص (١٥٤ ـ ١٥٥).

رفع المستهم

٤ ـ وفي موضوع القصر (بإنما) يفند رأي السكاكي والقزويني بأن إنما يراد بها القصر، يقول: «قال علي بن عيسى الربعي: الدليل على كون إنما موضوعة للقصر، أنه لما كانت إنّ موضوعة لتأكيد الإسناد، ثم اتصلت بها ما المؤكدة، ناسب أن تضمن معنى القصر، لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد، فإن قولك: زيد جاء لا عمرو، لمن يتردد في المجيء الواقع بينهما، مفيداً إثباته لزيد في الابتداء صريحاً، وفي الأخير ضمناً. واستحسن هذا الوجه السكاكي صريحاً، والمعاصر، وإنما هو أضعف من بيت العنكبوت، لأن هذه المقدمات، أي كون ما في إنما للتأكيد، وكون القصر تأكيداً على تأكيد، وكون زيد جاء لا عمرو للقصر، وأنه يفيد التأكيد، كلها ممنوعة.

وأقوى منه قول من قال من الأصوليين: أن (إن) للإثبات، و(ما) للنفي، ومن المحال تواردهما على شيء واحد، فتكون إن لإثبات المذكور، وما لنفي ما عداه، وهو القصر، وإن كان لا يخلو من ضعف، لأنا نمنع كون ما هنا للنفي، وعلى تقدير كونها للنفي نمنع أنه يرجع إلى ما عدا المذكور، لإمكان توارد النفي والإثبات على الحكم المذكور، إذا اختل شرط من شرائط التناقض»[١].

٥ ـ وفي التشبيه المقلوب ينفي أن يكون موجوداً في القرآن الكريم «لأن كلامه على وجه التحقيق؛ لا على وجه المبالغة التي تشبه الكذب، وقد توهم المعاصر وجمع من أرباب البلاغة وجوده فيه، ومثلوا بقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ [النحل: ١٧]. قالوا: لأن الخطاب للذين شبهوا من لا يخلق بمن يخلق. والجواب: المنع من أن الكفار شبهوا، بل عبدوا من لا يخلق مكان من يخلق، وليس ذلك بتشبيه، أما الباري تعالى فقد سلب التشبيه، لأنه استفهم على وجه الإنكار الذي هو في قوة السلب، وفرق بين التشبيه وسلبه، فإن التشبيه مشروط بكون وجه الشبه أظهر بالمشبه به من المشبه، وسلبه لا يستلزم ذلك، لأنه ليس فيه شبه، حتى يكون أظهر وأخفى، وحينئذ لا فرق بين التقديم

(١) المصدر السابق، ص (٩٢ ـ ٩٣).

رفع
المسـاهم

والتأخير في سلب التشبيه، وإنما قدم من يخلق، لشرفه فقط.

ومثلوا له أيضاً بقوله حكاية: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] والأصل تمثيل الربا بالبيع. والجواب: أنه ليس من كلامه تعالى، وإنما هو كلام مستحلي الربا، ولا ريب أن الربا أظهر عندهم في الحل من البيع، فجعلوه مشبهاً به، لحصول شرطه فيه دون البيع، والحكاية يجب أن تطابق المحكي»[1].

والخلاصة أن هذا الكتاب فيه تحقيق علمي لكثير من مسائل البلاغة، وتعقب لأوهام علمائها، وهو لا يمكن الاستغناء عنه في قراءة البحث البلاغي وتقويمه، وتحليله واستيعابه.

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، ص (١٩١ ـ ١٩٢).

رفع
المسلم
عبد الله الجابر

ثامناً: جهود يحيى بن حمزة العلوي

١ ـ يحيى بن حمزة العلوي[1] صاحب (كتاب الطرازالمتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز).

٢ ـ تحدث عن شرف علم البيان بين سائر العلوم، فقال: «. . فإن العلوم الأدبية وإن عظم في الشرف شأنها، وعلا على أوج الشمس قدرها ومكانها، خلا أن علم البيان هو أمير جنودها، وواسطة عقودها، وفلكها المحيطُ الدائر، وقمرها السامر الزاهر، وهو أبو عُذرتها، وإنسان مقلتها، وشعلة مصباحها، وياقوتة وِشاحها، ولولاه لم تر لساناً يحرك الوشي من حُلل الكلام، وينفثُ السحر مُفتر الأكمام، وكيف لا وهو المطلع على أسرار الإعجاز، والمستولي على حقائق علم المجاز»[2].

٣ ـ ذكر الكتب التي اطلع عليها في علم البيان، فقال: «ولم أطلع من الدواوين المؤلفة فيه مع قلتها إلا أكتبة أربعة. أولها كتاب: (المثل السائر) للشيخ أبي الفتح نصر بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير. وثانيها كتاب: (التبيان) للشيخ عبد الكريم [ابن الزملكاني]. وثالثها: كتاب: (النهاية) لابن الخطيب الرازي. ورابعها كتاب: (المصباح) لابن سراج المالكي»[3].

٤ ـ ذكر أول من أسس علم البيان وأثنى عليه، فقال: «وأول من أسس من

---

(١) يحيى بن حمزة العلوي الطالبي من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، تلقب بالمؤيد بالله، (٦٦٩ ـ ٧٤٥ هـ)= (١٢٧٠ ـ ١٣٤٤م). انظر: الأعلام، (٨/١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز، (١/٢) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

(٣) المصدر السابق، (١/٣ ـ ٤).

رفع
المسـ هم
عبد الله الحمد الله

هذا العلم قواعده، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده، ورتب أفانينه، الشيخ العالم النحرير، علم المحققين عبد القاهر الجرجاني، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد، وهدَّ من سور المشكلات بالتسوير المشيد، وفتح أزهاره من أكمامها، وفتح أزراره بعد استغلاقها واستبهامها، فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء»[1].

٥ ـ بين سبب تأليفه لكتاب الطراز ، فقال: «ثم إن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الإخوان، شرعوا عليَّ في قراءة كتاب (الكشاف) تفسير الشيخ العالم المحقق، أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري، فإنه أسسه على قواعد هذا العلم، فاتضح عند ذلك وجه الإعجاز من التنزيل، وعُرف من أجله وجه الفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل، وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه، والوقوف على أسراره وأغواره، ومن أجل هذا الوجه كان متميزاً عن سائر التفاسير، لأني لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواه. فسألني بعضهم أن أملي فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق، فالتهذيب يرجع إلى اللفظ، والتحقيق يرجع إلى المعاني، إذ لا مندوحة لأحدهما عن الثاني»[2].

٦ ـ ذكر ما تميز به كتابه عن سائر الكتب من حيث الترتيب والمنهج، فقال: «وأرجو أن يكون كتابي هذاً متميزاً عن سائر الكتب المصنفة في هذا العلم بأمرين، أحدهما: اختصاصه بالترتيب العجيب، والتلفيق الأنيق، الذي يُطلع الناظر من أول وهلة على مقاصد العلم، ويفيده الاحتواء على أسراره. وثانيهما: اشتماله على التسهيل والتيسير، والإيضاح والتقريب»[3].

٧ ـ تحدث عن مقصد علم البيان، فقال: «واعلم أنه يراد لمقصدين: المقصد الأول منها مقصد ديني، وهو الاطلاع على معرفة إعجاز كتاب الله، ومعرفة معجزة رسول الله ـ ﷺ ـ ، إذ لا يمكن الوقوف على ذلك إلا بإحراز

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٤).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٥).

(٣) المصدر السابق، (١/ ٦).

رفع المسا هم

علم البيان، والاطلاع على غوره، فإن هذا العلم لمن أشرف العلوم في المنقبة، وأعلاها في المرتبة)[١].

٨ ـ أما ترتيب الكتاب فقد جعله في ثلاثة فنون[٢]:

الفن الأول: «مرسوم المقدمات السابقة، نذكر فيها تفسير علم البيان، ونشير فيها إلى بيان ماهيته وموضوعه، ومنزلته من العلوم الأدبية، والطريق إلى الوصول إليه، وبيان ثمرته، وما يتعلق بذلك من بيان ماهية البلاغة والفصاحة، والتفرقة بينهما، ونشير إلى معاني الحقيقة والمجاز وبيان أقسامهما، إلى غير ذلك مما يكون تمهيداً وقاعدة لما نريده من مقاصد».

الفن الثاني: «ونشير فيه إلى علم ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بالمعاني وعلومها، ونردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان وأقسامها، ونشرح فيه ما يتعلق من المباحث بعلم البديع».

الفن الثالث: «نذكر فيه ما يكون جارياً مجرى التتمة والتكملة لهذه العلوم الثلاثة، نذكر فيه فصاحة القرآن العظيم، وأنه قد وصل إلى الغاية التي لا غاية فوقها، وأن شيئاً من الكلام وإن عظم دخوله في البيان والفصاحة، فإنه لا يدانيه، ولا يماثله، ونذكر كونه معجزاً للخلق لا يأتي أحد بمثله، ونذكر وجه إعجازه، ونذكر أقاويل العلماء في ذلك، ونظهر الوجه المختار فيه، إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة، والنكت الغزيرة».

٩ ـ ذكر أكثر من تعريف لعلم البيان، فقد حدد طريقتين للتعريف:

الأولى: تعريف كل من علم البيان وعلم المعاني كل واحد منهما على انفراده.

وعليه عرف علم المعاني: «هو العلم بأحوال الألفاظ العربية المطابقة لمقتضى الحال، من الأمور الإنشائية والأمور الطلبية وغيرهما».

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٣٢).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٦ ـ ٧).

رفع
المسلمون
عز الله الرحمن

وعرف علم البيان: «إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه؛ كالاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها».

والثانية: الجمع بينهما في ماهية واحدة، وهنا يذكر ثلاثة تعريفات:

التعريف الأول: «هو العلم بجواهر الكلم المفردة والمركبة، ودلائل الألفاظ المركبة، لا من جهة وضعها وإعرابها».

التعريف الثاني: «هو العلم بما يعرض للكلم المفردة والمركبة، من الفصاحة، ويعرض للكلم المركبة من البلاغة على وجه الخصوص».

التعريف الثالث: «هو العلم الذي يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز»[1].

١٠ ـ عرض لمسألة الإعجاز التي عني بها في كتابه، وهو يرى أن القرآن معجز بثلاث خصائص امتلكها، هي:

«**الخاصة الأولى**: الفصاحة في ألفاظه على معنى أنها بريئة عن التعقيد والثقل، خفيفة على الألسنة، تجري عليها كأنها السلسال، رقة وصفاء وعذوبة وحلاوة.

الخاصة الثانية: البلاغة في المعاني، بالإضافة إلى مضرب كل مثل، ومساق كل قصة وخبر، وفي الأوامر والنواهي، وأنواع الوعيد، ومحاسن المواعظ، وغير ذلك مما اشتملت عليه العلوم القرآنية، فإنها مسوقة على أبلغ سياق.

الخاصة الثالثة: جودة النظم وحسن السياق، فإنك تراه فيما ذكرناه من هذه العلوم منظوماً على أتم نظام وأحسنه وأكمله»[2].

١١ ـ وأخيراً نوجز الحديث عن العلوي بما ذكره الدكتور شوقي ضيف عن منهجه وقيمة كتابه، حيث قال: «ويتضح من عرضنا لهذا الكتاب أنه مزاوجة بين مباحث ابن الأثير، ومدرسة الفخر الرازي والسكاكي، وهي مزاوجة

---

(١) انظر: المصدر السابق، (١/ ١١ ـ ١٣).
(٢) المصدر السابق، (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥).

تنقصها الدقة والنظرة الفاحصة، حتى ليتحول بها الكتاب إلى خليط من الاتجاهات والآراء، وهو خليط صُبغ بصبغة علم أصول الفقه، لا بما أدخله في بعض جوانبه من مباحث الأصوليين فحسب، بل أيضاً بما أردف فصوله من تنبيهات وإشارات ودقائق، وبما دار فيه من كلمة أحكام، وكأننا بإزاء أحكام فقهية. وكرر كثيراً من الموضوعات، وبذلك كله يفقد الكتاب دقة التصنيف البلاغي، وقد أكثر فيه من النصوص وتحليلها، غير أن تحليله تنقصه الحيوية ورهافة الذوق وحدة الإحساس، مما ينزل به درجات عن عبد القاهر والزمخشري، وأيضاً عن ابن الأثير في كتابه المثل السائر»[1].

❑ ❑ ❑

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٢٣).

المسلم

تاسعاً: جهود أبي حيان الأندلسي

١ - كتب أبو حيان الأندلسي[١]: (تفسير البحر المحيط)، وذكر أنه بدأ تصنيف الكتاب سنة سبع وخمسين من عمره، وقال: «فعكفت على تصنيف هذا الكتاب، وانتخاب الصفو واللباب، وأجيل الفكر في ما وضع الناس في تصانيفهم، وأنعم النظر في ما اقترحوه من تآليفهم، فألخص مطولها، وأحل مشكلها، وأقيد مطلقها، وأفتح مغلقها، وأجدد مبددها، وأخلص منقدها، وأضيف إلى ذلك ما استخرجته القوة المفكرة من لطائف علم البيان، المطلع على إعجاز القرآن، ومن دقائق علم الإعراب المغرب في الوجود أي إغراب، المقتنص في الأعمار الطويلة من لسان العرب، وبيان الأدب، فكم حوى من لطيفة فكري مستخرجها، ومن غريبة ذهني منتجها، تحصلت بالعكوف على علم العربية، والنظر في التراكيب النحوية، والتصرف في أساليب النظم والنثر، والتقلب في أفانين الخطب والشعر، لم يهتد إلى إثارتها ذهن، ولا صاب بريقها مزن»[٢].

٢ - أشاد بكتاب سيبويه، مما يدل على عنايته بالنحو واللغة، وهي عناية تنبع من بيئته الأندلسية، حيث قال: «فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب سيبويه، فهو في هذا الفن المعول عليه، والمستند في حل المشكلات إليه، ولم ألق في هذا الفن من

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، الأندلسي، الجياني، النِّفزي، أثير الدين، أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها. (٦٥٤ - ٧٤٥هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤م). انظر الأعلام، (٧/ ١٥٢).

(٢) تفسير البحر المحيط، (١/ ٣)، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

رفع المستهم

يقارب أهل قطرنا الأندلسي فضلاً عن المماثلة، ولا من يناضلهم فيداني في المناضلة»[1].

٣ ـ ذكر في منهجه أنه سيتحدث عن البيان والبديع، حيث قال: «ثم أختتم كلامي في جملة من الآيات التي فسرتها إفراداً وتركيباً، بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً، ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني، ملخصاً مجملها في أحسن تلخيص، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير، وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن»[2].

٤ ـ ذكر ما يحتاج إليه علم التفسير من العلوم، وأحسن الموضوعات ـ الكتب ـ التي في تلك العلوم، وعدد سبعة وجوه للتفسير، هي:

الوجه الأول: علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً، وأحسن الموضوعات فيه كتاب ابن سيده، ومن الكتب المطولة فيه: كتاب الأزهري، والموعب لابن التياني، والمحكم لابن سيده، وكتاب الجامع لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي، والصحاح للجوهري، والبارع للقالي . . .

الوجه الثاني: معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو، وأحسن موضوع فيه كتاب سيبويه، وأحسن ماوضع المتأخرون كتاب تسهيل الفوائد لمحمد بن مالك، وأحسن ما وضع في التصريف كتاب الممتع لابن عصفور.

الوجه الثالث: كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع، وأجمعهما ما جمعه شيخه محمد بن سليمان النقيب في مجلدين في مقدمة تفسيره، وكتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٣).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٥).

رفع
المسـ همـ
عز الله لطمع الله

الوجه الرابع: تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول ونسخ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله - ﷺ - وذلك من علم الحديث، وقد تضمنت الكتب والأمهات ذلك كالصحيحين، والجامع للترمذي، وسنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجه، والشافعي. . .

الوجه الخامس: معرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا، ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن، ويؤخذ هنا من أصول الفقه، ومعظمه في الحقيقة راجع إلى علم اللغة. . . ومن أجمع ما في هذا الفن كتاب المحصول للرازي، والإشارة للباجي. .

الوجه السادس: الكلام فيما يجوز على الله تعالى، وما يجب له، وما يستحيل عليه، والنظر في النبوة، ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى، وفي الأنبياء، وفي إعجاز القرآن. ويؤخذ هذا من علم الكلام.

الوجه السابع: اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة، أو إتيان لفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات، وأحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب الإقناع لأبي جعفر بن الباذش، وفي القراءات العشر المصباح للشهرزوري[1].

٥ - بين حاجة علم التفسير إلى علم البلاغة، وأثنى على الزمخشري وابن عطية، حيث قال: «إن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو، فقط كما يظنه بعض الناس، بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة، ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير، وقل أن ترى نحوياً بارعاً في النظم والنثر، كما قل أن ترى بارعاً في الفصاحة يتوغل في علم النحو، وقد رأينا من ينسب للإمامة في علم النحو وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب، فضلاً عن أن يعرف مدلولها، أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان، فأنى لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير؟! ولله در أبي القاسم

---

(١) المصدر السابق، (١/ ٥ - ٧).

رفع المسهم

الزمخشري حيث قال في خطبة كتابه في التفسير ما نصه: ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه، وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزَّ أهلَ الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني والبيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، وبعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات، قدر رجع زمانا ورجع إليه، ورَد وُرد عليه، فارساً في علم الإعراب، مقدماً في جملة الكتاب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها، يقظان النفس، دراكاً للمحجة وإن لطف شأنها، منتبهاً على الرمزة وإن خفي مكانها، لا كزاً جاسياً، ولا غليظاً جافياً، متصرفاً ذا دربة بأساليب النظم والنثر، مرتاضاً غير ريض بتلقيح نبات الفكر، وقد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقه، ووقع في مداحضه ومزالقه. انتهى كلام الزمخشري في وصف متعاطي تفسير القرآن[(١)]، وأنت ترى هذا الكلام وما احتوى عليه من الترصيف الذي يبهر بجنسه الأدباء، ويقهر بفصاحته البلغاء، وهو شاهد له بأهليته للنظر في تفسير القرآن، واستخراج رقائق الفرقان»[(٢)].

---

(١) تقدم هذا الكلام في الحديث عن عناية الزمخشري بالبلاغة القرآنية، وهاهنا وقع اختلاف يسير مع الأصل الذي في الكشاف.

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط، (١/٩).

رفع المسار

ويضيف مثنياً على الزمخشري وابن عطية: «وهذا أبو القاسم محمود بن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري، وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير، وقد اشتهرا كاشتهار الشمس، وخلدا في الأحياء وإن هدا في الرمس، وكلامهما فيه يدل على تقدم في العلوم، من منثور ومنظوم، ومنقول ومفهوم، وتقلب في فنون الآداب، وتمكن من علمي المعاني والإعراب، وفي خطبتي كتابيهما، وفي غضون كتاب الزمخشري، ما يدل على أنهما فارسا ميدان، وممارسا فصاحة وبيان»[1].

والحق أن تفسير البحر المحيط اسم على مسمى، فهو يعد من أهم التفاسير عناية بالبلاغة القرآنية، والنحو القرآني بعد تفسير الزمخشري.

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، (١/ ٩ ـ ١٠).

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

عاشراً: جهود الزركشي

الإمام الزركشي[1] ممن أسهم في الحديث عن إعجاز القرآن في كتابه القيم: (البرهان في علوم القرآن). وقد استفاد منه السيوطي كثيراً في كتابيه: (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، و (الإتقان في علوم القرآن)، ويمكن إيجاز عمله بالأمور الآتية:

١ ـ خصص النوع الثامن والثلاثين من علوم القرآن لموضوع الإعجاز، وقال في بدايته: «وقد اعتنى بذلك الأئمة وأفردوه بالتصنيف منهم القاضي أبو بكر بن الباقلاني، قال ابن العربي: ولم يصنف مثله. وكتاب الخطابي، والرماني، والبرهان لعزيزي، وغيرهم. وهو علم جليل عظيم القدر لأن نبوة النبي - ﷺ - معجزتها الباقية القرآن؛ وهو يوجب الإهتمام بمعرفة الإعجاز، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فلولا أن سماعه إياه حجة عليه؛ لم يقف أمره على سماعه، ولا تكون حجة إلا وهي معجزة. وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٥٠ ـ ٥١] فأخبر أن الكتاب آية من آياته، وأنه كاف في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره، وآيات سواه من الأنبياء»[2].

---

(١) محمد بن بهادُر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، عالم بفقه الشافعية، والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة في عدة فنون. (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ = ١٣٤٤ ـ ١٣٩٢م). انظر: الأعلام، (٦/ ٦٠).

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، خرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، (٢/ ١٠١) =

رفع المسهم غفر الله له ولوالديه

٢ ـ ذكر في البداية وجهين للإعجاز فقال: «وإعجاز القرآن ذكر من وجهين: أحدهما إعجاز متعلق بنفسه. والثاني بصرف الناس عن معارضته».

٣ ـ ويضيف مناقشاً فكرة التحدي بالكلام القديم؛ ليقرر رفضها بعد ذلك، يقول: «ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز، واختلفوا في إعجازه، فقيل: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلفت في ذلك مالا تطيق، وفيه وقع عجزها. والجمهور على أنه: إنه إنما وقع بالدال على القديم، وهو الألفاظ، فإذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا يصح التحدي بشيء مع جهل المخاطب بالجهة التي وقع بها التحدي، ولا يتجه قول القائل لمثله: إن صنعت خاتماً كنت قادراً على أن تصنع مثله، إلا بعد أن يمكنه من الجهة التي تدعي عجز المخاطب عنها»(١).

٤ ـ ناقش فكرة أن يكون الإعجاز راجعاً إلى الإعراب والتأليف المجرد، ورفضها. يقول: «ولو كان الإعجاز راجعاً في الإعراب والتأليف المجرد، لم يعجز صغيرهم عن تأليف ألفاظ معربة، فضلاً عن كبيرهم، ولا جائز أن يقع بالنسبة إلى المعاني فقط؛ لأنها ليست من صنيع البشر، وليس لهم قدرة على إظهارها من غير ما يدل عليها، ولا جائز أن ترجع إلى المجموع لأنا قد بينا بطلانه بالنسبة إلى كل واحد؛ فيتعين أن يكون الإعجاز لأمر خارج غير ذلك»(٢).

٥ ـ خصص فقرة لعرض الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز، فقال: «وقد اختلف فيه على أقوال: أحدهما وهو قول النظام: إن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي، فصار كسائر المعجزات، وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم.

= دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(١) المصدر السابق، (٢/ ١٠٣).

(٢) المصدر السابق، (٢/ ١٠٤).

رفع المسـاهم

وأيضاً يلزم من القول بالصرفة فساد آخر ؛ وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن، وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة».

«الثاني أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به، لا مطلق التأليف، وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة، وعلت مركباته معنى، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى، واختاره ابن الزملكاني في البرهان».

«الثالث ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة، ولم يكن ذلك من شأن العرب، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الفتح : ١٦] ، وقوله في أهل بدر: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر : ٤٥] » .

«الرابع ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين، وسائر المتقدمين، حكاية من شاهدها وحضرها، وقال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩] » .

«الخامس إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل، كقوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] ، وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾ [المجادلة : ٨] . وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ . . .﴾ الآية [الأنفال: ٧] . وكإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون الموت أبداً».

«السادس وصححه ابن عطية وقال: إنه الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه، وأن التحدي إنما وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، ويتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النطق

رفع المسهم

يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله، فلما جاءهم النبي - ﷺ - صرفوا عن ذلك، وعجزوا عنه، والصحيح: أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين؛ ولهذا ترى البليغ ينقح الخطبة أو القصيدة حولاً، ثم ينظر فيها فيغير فيها، وهلم جرا، وكتاب الله سبحانه لو نزعت منه لفظة؛ ثم أدبر لسان العرب على لفظة أحسن منها، لم توجد».

ويضيف: «ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام، وقامت الحجة على العالم بالعرب؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة».

«السابع أن وجه الإعجاز: الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب، وغير ذلك مقترناً بالتحدي، واختاره الإمام فخر الدين، وهو قريب مما سبق، وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]. والمراد: بمثل نظمه؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقول من قال: إن الضمير في: (من مثله) عائد على الله ضعيف بقوله: ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣] والسياق واحد».

«الثامن ما فيه من النظم والتأليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم، واختاره القاضي أبو بكر، قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته».

«التاسع أنه شيء لا يمكن التعبير عنه وهو اختيار السكاكي».

«العاشر وهو قول حازم في (منهاج البلاغة) إن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها، في جميعه، استمراراً لا توجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر . . . وهو قريب مما ذكره ابن الزملكاني وابن عطية»[1].

---

(١) تقدم ذكر كلام حازم في الإعجاز عند الحديث عن حازم، فلم نكرره هنا.

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

«الحادي عشر قال الخطابي في كتابه: وإليه ذهب الأكثرون من علماء النظر: إن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة، لكن لما صعب عليهم تفصيلها صغوا فيه إلى حكم الذوق، والقبول عند النفس».

«الثاني عشر وهو قول أهل التحقيق: إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكل واحد عن انفراده، فإنه جمع كله، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع، بل وغير ذلك مما لم يسبق، فمنها: الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقرين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمناً به ؛ بداخله روعة في أول سماعه»[(١)].

٦ ـ خصص فصلا في قدر المعجز من القرآن، وآخر لمناقشة كلمة مفتريات في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]. وفصلاً في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة؟ وفصلاً في تنزيه الله القرآنَ عن أن يكون شعراً، وفصلاً في اشتمال القرآن على أعلى أنواع الإعجاز[(٢)].

٧ ـ خصص فصلاً في اختلاف المقامات، ووضع كل شيء في موضع يلائمه، وقال فيه: «مما يبعث على معرفة الإعجاز: اختلافات المقامات، وذكر في كل موضع ما يلائمه، ووضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به، وإن كانت مترادفة، حتى لو أبدل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطلاوة، وفاتت تلك الحلاوة. فمن ذلك: أن لفظ الأرض لم ترد في التنزيل إلا مفردة، وإذا ذكرت والسماء مجموعة لن يؤت بها معها إلا مفردة، ولما أريد الإتيان بها مجموعة قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] تفادياً من جمعها. ولفظ البقعة لم تستعمل فيه إلا مفردة، كقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠]. فإن جمعت حسن ذلك ورودها مضافة، كقولهم: بقاع الأرض. وكذلك لفظ اللب مراداً به العقل، كقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى

(١) المصدر السابق، (٢/ ١٠٤ ـ ١١٥).

(٢) المصدر السابق، (٢/ ١١٦ ـ ١٢٩).

ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٤]، ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١] فإنه يعذب دون الإفراد»[١].

والخلاصة أن الزركشي ـ رحمه الله ـ ببحثه عن الإعجاز، مهد الطريق أمام الباحثين في علوم القرآن، مما جعلهم يهتمون بدراسة الإعجاز في كتبهم.

❑ ❑ ❑

(١) المصدر السابق، (٢/١٢٦).

رفع
المسلمين

أحد عشر: جهود أبي السعود العمادي

١ ـ أشاد أبو السعود[١] في مقدمة تفسيره: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) بتفسير الزمخشري وتفسير البيضاوي؛ لعنايتهما باللغة والبيان، فقال: (ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار، وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الأقطار، فغاصوا في لججه، وخاضوا في ثبجه، فنظموا فرائده في سلك التحرير، وأبرزوا فوائده في معرض التقرير، وصنفوا كتباً جليلة الأقدار، وألفوا زبراً جميلة الآثار. أما المتقدمون فاقتصروا على تمهيد المعاني، وتشييد المباني، وتبيين المرام، وترتيب الأحكام، حسبما بلغهم من سيد الأنام، عليه شرائف التحية والسلام. وأما المتأخرون المدققون؛ فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة، وإبداء خفاياه الفائقة، ليعاين الناس دلائل إعجازه، ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه، عن سائر الكتب الكريمة الربانية، والزبر العظيمة السبحانية، فدونوا أسفاراً بارعة، جامعة لفنون المحاسن الرائعة، يتضمن كل منها فوائد شريفة، تقر بها عيون الأعيان، وعوائد لطيفة، يتشنف بها آذان الأذهان، لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل، والنعت الجميل، فإن كلاً منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز، كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز، صحائفهما مرايا المزايا الحسان، وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان، ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما، وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما، يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار؛ أن أنظم

---

(١) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود، مفسر، شاعر، من علماء الترك المستعربين، (٨٩٨ ـ ٩٨٢هـ) = (١٤٩٣ ـ ١٥٧٤م). انظر: الأعلام، (٧/ ٥٩).

درر فرائدهما في سمط دقيق، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق، وصادفته في أصداف العوالم الزاخرة من زواهر الدقائق، وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق، وأسلوب بديع، حسبما يقتضيه جلالة التنزيل ويستدعيه جلالة نظمه الجليل، ما سنح الفكر العليل بالعناية الربانية، وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية، من عوارف معارف يمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب، وغرائب رغائب ترنو إليها أحداق الأمم من كل نحرير أريب، وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الأفهام في مداحض الأقدام، وتدقيقات متينة تزيل خطرات الأوهام من خواطر الأنام، في معارك أفكار يشتبه فيها الشؤون، ومدارك أنظار يختلط فيها الظنون، وأبرز من وراء أستار الكمون، من دقائق السر المخزون، في خزائن الكتاب المكنون، ما تطمئن إليه النفوس، وتقر به العيون، من خفايا الرموز وخبايا الكنوز»(١).

٢ ـ جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] ذكر لوجوه كثيرة، وقد رجح أنها أسماء للسور، وأنها دليل على الإعجاز، حيث قال: «ولكن الذي عليه التعويل: إما كونها أسماء للسور المصدرة بها، وعليه إجماع الأكثر، وإليه ذهب الخليل وسيبويه، قالوا: سميت بها إيذاناً بأنها كلمات عربية، معروفة التركيب، من مسميات هذه الألفاظ؛ فيكون فيه إيماء إلى الإعجاز والتحدي على سبيل الإيقاظ، فلولا أنه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته»(٢).

٣ ـ وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] ذكر للتمثيل وفائدته، قال: «(أو كصيب) تمثيل لحالهم إثر تمثيل؛ ليعم البيان منها كل دقيق وجليل، ويوفي حقها من التفظيع والتهويل، فإن تفننهم في فنون

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (١/ ٤ ـ ٥)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) المصدر السابق، (١/ ٢١).

رفع المسائل هما
عبدالله بن محمد

الكفر والضلال، وتنقلهم فيها من حال الى حال، حقيق بأن يضرب في شأنه الأمثال، ويرخي في حلبته أعنة المقال، ويمد لشرحه إطناب الإطناب، ويعقد لأجله فصول وأبواب ؛ لما أن كل كلام له حظ من البلاغة، وقسط من الجزالة والبراعة ؛ لا بد أن يوفى فيه حق كل من مقامي: الإطناب والإيجاز، فما ظنك بما في ذروة الإعجاز من التنزيل الجليل؟ ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم، وهو عطف على الأول على حذف المضاف، لما سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك، أي كمثل ذوي صيب، وكلمة أو للإيذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معاً، والصيب فيعل من الصوب، وهو النزول الذي له وقع وتأثير، يطلق على المطر وعلى السحاب، قال الشماخ:

عفا آية نسج الجنوب مع الصبا وأسحم دان صادق الوعد صيب

ولعل الأول هو المراد هاهنا، لاستلزامه الثاني، وتنكيره لما أنه أريد به نوع منه شديد هائل، كالنار في التمثيل الأول، وأمد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الأولى التي هي الصاد المستعلية، والياء المشددة، والباء الشديدة، ومادته الثانية أعني: الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب، ومن جهة بنائه الدال على الثبات»[1].

٤ ـ وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾ [الكهف: ٨٦ ـ ٨٨] ذكر للأسلوب الحكيم، قال: «والجواب من باب الأسلوب الحكيم ؛ لأن الظاهر التخيير بينهما، وهم كفار، فقال: أما الكافر فيراعى في حقه قوة الإسلام، وأما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب. ويجوز أن تكون إما، وإما للتوزيع دون التخيير، أي وليكن شأنك

(١) المصدر السابق، (١/ ٥٢ ـ ٥٣). وانظر: تفسير الكشاف، (١/ ٨١ وما بعدها).

معهم إما التعذيب، وإما الإحسان فالأول لمن بقي على حاله، والثاني لمن تاب»[1].

٥ ـ وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ذكر للمشاكلة، قال: «﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ فإنه يستدعي أن يكون المستحيى منه أمراً حقاً متعلقاً بهم، لا أنفسهم، وما ذاك إلا إخراجهم، فينبغي أن لا يترك حياء، ولذلك لم يتركه تعالى، وأمركم بالخروج، والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة»[2].

والخلاصة: أن تفسير أبي السعود غني بمادته البلاغية، وقد ضمن معظمها من الزمخشري والبيضاوي، وقدم مادة علمية انتفع بها الناس، وتدل على أنه من الراسخين في البحث والتحقيق.

وقبل ختام هذا المبحث، نشير بإيجاز إلى جهود بعض العلماء في موضوع البلاغة والإعجاز، فمن هؤلاء:

١ ـ محمد بن عمرو التنوخي (ت٧٤٩ هـ) صاحب كتاب (الأقصى القريب في علم البيان). «وهو يتبع طريقة ابن الأثير التي تعد البلاغة وحدة عضوية مترابطة، ثم هو بعد ذلك يخالف ابن الأثير في طريقة البحث والمعالجة، فإذا كان ابن الأثير يعتمد في بحثه على الذوق الأدبي، فإن التنوخي يعتمد على النحو والمنطق»[3].

٢ ـ شهاب الدين الأبشيهي[4] صاحب كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف)، وهو من كتب الأدب التي تنوه بالإعجاز بشكل عام، دون تحليل

---

(١) المصدر السابق، (٥/ ٢٤٣).

(٢) المصدر السابق، (٧/ ١١٢).

(٣) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ص (٥٠).

(٤) محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي، بهاء الدين، أبو الفتح، نسبة إلى أبشُريه من قرى الغربية بمصر، (٧٩٠ ـ ٨٥٢) = (١٣٨٨ ـ ١٤٤٨م). انظر: الأعلام، (٥/ ٣٣٢).

وتفصيل، فقد قال في حديثه عن القرآن: «أنزله الله تعالى على سيد الأنام، وخاتم الأنبياء الكرام، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، فكان من أعظم معجزاته أن أعجز الله الفصحاء عن معارضته، وعن الإتيان بآية من مثله، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. فهو النور المبين، والحق المستبين، لا أسطع من أعلامه، ولا أصدع من أحكامه، ولا أفصح من بلاغته، ولا أرجح من فصاحته، ولا أكثر من إفادته، ولا ألذ من تلاوته»[١].

والأبشيهي مثال لأصحاب كتب الأدب؛ الذين ينوهون بالإعجاز من دون تحليل، ولا تتبع له في القرآن الكريم.

❑ ❑ ❑

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، ص (٢٨)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠٠٣م.

الفصل الرابع
مرحلة النهضة الحديثة

وتمتد تقريباً من القرن الثالث عشر الهجري، حتى يومنا هذا.

ويتكون هذا الفصل من خمسة مباحث:

المبحث الأول: مدرسة الرافعي المؤسس الثالث لعلم الإعجاز

المبحث الثاني: مدرسة الذوق والبلاغة: محمد الطاهر بن عاشور

المبحث الثالث: مدرسة الأدب والتصوير الفني: سيد قطب

المبحث الرابع: اتجاهات جديدة في البلاغة

المبحث الخامس: جهود واتجاهات متعددة في الإعجاز

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

تمهيـد

نوجز أهم عوامل النهضة في العصر الحديث، وأبرز الأحداث التاريخية:

١ ـ انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ)، وقامت الدولة الأيوبية في مصر والشام، ثم صارتا إلى المماليك، ثم دخلتا تحت حكم الأتراك العثمانيين سنة (٩٢٣هـ)، وصارت عاصمة الإسلام القسطنطينية لا القاهرة، واللغة الرسمية التركية لا العربية.

٢ ـ غزا نابليون مصر سنة (١٧٩٨هـ)، فأرسلت الدولة العثمانية محمد علي باشا سنة (١٨٠١) لإخراجه، واستطاع أن يستولي على مصر سنة (١٨٠٥م).

٣ ـ علم محمد علي رأس الأسرة الخديوية أن ما في الغرب من حضارة وعمران؛ إنما أساسه العلم، فأخذ في تعليم المصريين، وأنشأ المدارس، وفرض التعليم الإلزامي، واستقدم طائفة من علماء فرنسا للتدريس في مصر، وبعث بمن أنجبت تلك المدارس إلى فرنسا ليستفيدوا، وذلك سنة (١٨٢٦م). ثم توالت البعوث، وكلهم كانوا من الأزهر الشريف.

٤ ـ فتحت في القاهرة مدرسة الألسن، ودار الترجمة، وأقيمت المطبعة المصرية على أنقاض المطبعة الأهلية التي جاء بها الفرنسيون، وأنشئت الوقائع المصرية وهي أول صحيفة عربية في الشرق.

٥ ـ انتشر تأثير حركة التنوير في مصر إلى البلاد الأخرى، ومنها لبنان، حيث حذا الأمير بشير الشهابي حذو محمد علي بمصر، وأقيمت المدارس والمطابع والمجلات.

٦ ـ كانت أهم وسائل النهضة الأدبية الحديثة ما يأتي: المدارس، والجامعة

الأزهرية، والجامعات الأخرى، مثل: الجامعة المصرية التي فتحت سنة (١٩٠٨ م)، ثم سميت بجامعة القاهرة، وانتشار الطباعة والمطابع، وانتشار الصحافة، ووجود المسارح، وإرسال البعثات العلمية، وقيام المجامع الأدبية، وكان السوريون أول من أقام المجامع العلمية حيث أنشأ المجمع العلمي بدمشق سنة (١٩١٦م)، برعاية محمد كرد علي وزير المعارف السورية[١].

٧ ـ وكان من ثمار هذا: قيام ثلاثة مدارس أدبية: كلاسيكية قديمة، ومعاصرة حديثة، وثالثة وسط تسمى: مدرسة الأصالة والمعاصرة.

٨ ـ وقد انعكس تأثير التطور الحديث على التراث العلمي العربي، والشريعة وعلومها، فظهرت اتجاهات جديدة في إعجاز القرآن، وكذلك امتد التأثير إلى العربية وعلومها، ومن ذلك البلاغة، وهو ما نحاول تلمسه خلال هذا الفصل.

❑ ❑ ❑

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي للزيات، ص (٤١٥ ـ ٤٣٠).

رفع المسهم

المبحث الأول:

مدرسة الرافعي المؤسس الثالث لعلم الإعجاز

١ ـ ألف مصطفى صادق الرافعي[1] كتابه (تاريخ آداب العرب)، وقد جعل القسم الثاني منه خاصاً بإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ونشر مستقلاً في بعض طبعاته، وهو كتاب جامع حافل بمنهج عصري جديد، ولا نبالغ إذا قلنا لم يصنف مثله من قبل، وحسبك بقيمة هذا الكتاب شهادة السيد محمد رشيد رضا؛ حيث قال في عرض الكتاب بعد الثناء على كتب عبد القاهر والباقلاني: «فإن كان ذلك قد وفى بحاجة الأزمنة التي صنعت فيها تلك الكتب، فهو لا يفي بحاجة هذا الزمان، إذ هي داعية إلى قول أجمع وبيان أوسع، وبرهان أنصع في أسلوب أجذب للقلب، وأخلب للب، وأصغى للأسماع، وأدنى إلى الإقناع.

استوى إلى هذا وانتدب له الأديب الأروع، والشاعر الناثر المبدع، صاحب الذوق الرقيق، والفهم الدقيق، الغواص على جواهر المعاني، الضارب على أوتار مثالثها والمثاني، صديقنا الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، فصنف في إعجاز القرآن سِفرا لا كالأسفار، أتى فيه ـ وهو الأخير زمانه ـ بما لم تأت به الأوائل، فكان مصداقاً للمثل السائر: (كم ترك الأول للآخر!). ناهيك بمنثور لآلئه في نظم القرآن العجيب، وأسلوبه المباين لجميع الأساليب، فلا هو مرسل طلق العنان كالنوق المراسيل، يتعصى على ترسل التجويد ونغمات الترتيل، ولا هو مسجوع كسجع الكهان، ولا شعر تلتزم فيه القوافي الأوزان، ومن آياته

---

(١) مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، وفاته بطنطا، (١٢٩٨ ـ ١٣٦٥هـ = ١٨٨١ ـ ١٩٣٧م). انظر: الأعلام، (٧/ ٢٣٥).

رفع
المسـ هم

القصار ذات الكلمة المفردة والكلمتين والكلمات، والوسطى المؤلفة من جمل مثنى وثلاث ورباع، والطولى منها لا تتجاوز سطورها جمع القلة، وأطولها آية الدين، فقد تجاوزت مئة كلمة، وكل نوع يؤدى بالترتيل اللائق به المعين على تدبره».

ويضيف مثنياً على الكتاب، ومتمنياً على المؤلف لو بسط الكلام فيه أكثر: «وإني على شهادتي للرافعي بأنه جاء في هذا المقام بما تجلت به مباين الإعجاز ومواضحه، وأضاءت لوائح الحق فيه وملامحه، وددت لو مد هذا البحث مد الأديم، بل أمد بحيرات نيله بجداول الغيث العميم، فعم فيضانه الفروق بين نظم الآيات في طولها وقصرها، وقوافيها وفواصلها، ومناسبة كل منها لمواضيع الكلام، واختلاف تأثيره في القلوب والأحلام»[1].

٢ ـ درس في القسم الثاني الذي خصصه لإعجاز القرآن والبلاغة النبوية جملة من العلوم القرآن، هي: تاريخ القرآن، والقراءة وطرق الأداء، والقراء، ووجوه القراءة، وقراءة التلحين، ولغة القرآن، والأحرف السبعة، ومفردات القرآن، وتأثير القرآن في اللغة، والجنسية العربية في القرآن، وآداب القرآن، والقرآن والعلوم، وسرائر القرآن.

كما تناول جملة من قضايا الإعجاز، فتحدث عن: معنى الإعجاز، والأقوال في الإعجاز، ومؤلفاتهم في الإعجاز، وحقيقة الإعجاز، والتحدي والمعارضة، وأسلوب القرآن، ونظم القرآن وإعجاز تأليفه، وتناول في نظم القرآن: الحروف وأصواتها، والكلمات وحروفها، والجمل وكلماتها، وغرابة أوضاعه التركيبية، والبلاغة في القرآن، والطريقة النفسية في الطريقة اللسانية، وإحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة.

وفي الحديث عن البلاغة النبوية تحدث عن فصاحة النبي - ﷺ - ، وعن صفته - ﷺ - ، وإحكام منطقه - ﷺ - ، واجتماع كلامه وقلته - ﷺ - ، ونفي

(١) تاريخ آداب العرب، للرافعي، (٢/ ٢٠ ـ ٢١).

رفع
المسلم
عبد الله الدهمي

الشعر عنه - ﷺ - ، وتأثيره في اللغة - ﷺ - ، ونسق البلاغة النبوية، ودعائم البلاغة النبوية[1].

وقد اندرج تحت كل مبحث من المباحث السابقة مجموعة من العناوين الفرعية ذات الصلة به.

٣ ـ تتمثل قيمة كتاب الرافعي في أمور ثلاثة:

الأول: طرح الموضوعات القديمة بأسلوب حديث، وطريقة جديدة.

الثاني: طرقه لموضوعات جديدة.

الثالث: أنه أول من تناول الحديث عن البلاغة النبوية بهذا التفصيل في تاريخ الإسلام، وكان الجاحظ قد نبه إلى جمال البيان النبوي في كتابه البيان والتبيين، فكان أول من أنار شمعة في هذا الطريق.

٤ ـ تحدث عن القرآن بأسلوب أدبي رفيع، فقال: «آيات منزلة من حول العرش، فالأرض بها سماء هي منها كواكب، بل الجند الإلهي قد نشر له من الفضيلة علم، وانضوت إليه من الأرواح مواكب، أغلقت دونه القلوب؛ فاقتحم أقفالها، وامتنعت عله (أعراف) الضمائر فابتز (أنفالها). وكم صدوا عن سبيله صداً، ومن ذا يدافع السيل إذا هدر؟ واعترضوه بالألسنة رداً، ولعمري من يرد على الله القدر؟ وتخاطروا له بسفهائهم كما تخاطرت الفحول بأذناب، وفتحوا عليه من الحوادث كل شدق، فيه من كل داهية ناب، فما كان إلا نور الشمس: لا يزال الجاهل يطمع في سرابه، ثم لا يضع منه قطرة في سقائه...

ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وصرامها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسن ترعد من حمى القلوب.

ومعان بينا هي عذوبة البيان ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم

---

(١) انظر: المرجع السابق، (٢/ ٣٤٣ ـ ٣٥٠).

رفع
المسهم
عبد الله الجليل

الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان»[1].

٥ ـ في حديثه عن القرآن والعلوم قال: «وللقرآن وجه اجتماعي من حيث تأثيره في العقل الإنساني، وهو معجزة التاريخ العربي خاصة، ثم هو بآثاره النامية معجزة أصيلة في تاريخ العلم كله على بسيط هذه الأرض... وليس يرتاب عاقل ـ ممن يتدبرون تاريخ العلم الحديث، ويستقصون في أسباب نشأته، ويتشبثون عند الخاطر من ذلك إذا أقدموا عليه، وعند الرأي إذا قطعوا به ـ أنه لو لم يكن القرآن الكريم، لكان العالمُ اليومَ غيرَ ما هو في كل ما يستطيلُ به، وفي تقدمة وانبساط ظل العقل فيه، وقيامه على أرجائه، وفي نموه واستبحار عُمرانه. فإنما كان القرآن أصل النهضة الإسلامية، وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة في استبقاء علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها، وإطلاق العقل فيما شاء أن يرتعَ منها، وأخذه على ذلك بالبحث والنظرِ والاستدلالِ والاستنباط، وتوفير مادة الروية عليه بما كان سبباً في طلب العلم للعمل، ومزاولة هذا لذاك، إلى صفات أخرى ليس هذا موضع بسطها ـ وإن لها لموضعاً متى انتهينا إلى بابها من الكتاب ـ وهذا كله كان أساس التاريخ العلمي في أوروبة. فما من موضع في هذا الأساس القائم إلا وأنت واجد من دونه قطعة من الآداب الإسلامية، أو العقول الإسلامية، أو الحضارة الإسلامية، فالقرآن من هذا الوجه إنما هو الباب الذي خرج منه العقل الإنساني المسترحلُ، بعد أن قطع الدهر في طفولةٍ وشباب»[2].

٦ ـ عرض لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤] تحت عنوان (تفسير آية)، وقد نقل تفسيرها عن داود الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ) الذي «فتح عليه به، وهو أضعف الأزمنة، وأشدها

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ١١٤ ـ ١١٥).

رفع المسـتهمـ

انحطاطاً وفقراً من الوسائل العلمية»[1].

وقد نقل عن داود الأنطاكي تفسيره للآية بما يتوافق تماماً مع معطيات العلم الحديث في هذا الموضوع، ونحن نذكر بعضه لأنه يختص بدقائق الأسلوب القرآني، يقول:

«وفي هذه الآية دقائق:

الأولى: عبر في الأول بخلقنا لصدقه على الاختراع، والثاني بجعلنا لصدقه على تحويل المادة، ثم عبر في الثالثة وما بعدها كالأول؛ لأنه أيضاً إيجاد لم يسبق.

الثانية: مطابقة هذه المراتب لأيام الكواكب المذكورة ومقتضياتها للمناسبة الظاهرة، وحكمة الربط الواقع بين العوالم.

الثالثة: قوله (فكسونا)؛ وهي إشارة إلى أن اللحم ليس من أصل الخلقة اللازمة للصورة، بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال، وأن الاعتماد على الأعضاء والنفس خاصة.

الرابعة: قوله تعالى: (ثم أنشأناه) سماه بعد نفخ الروح إنشاء، لأنه حينئذ قد تحقق بالصورة الجامعة.

الخامسة: قوله (خلقاً) ولم يقل إنساناً، ولا آدمياً، ولا بشراً، لأن النظر فيه حينئذ لما سُيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهية، فقد آن خروجه من السجن، وإلباسه المواهب، فقد يتخلق بالملكيات فيكون خلقاً ملكياً قدسياً. أو بالبهيمية فيكون كذلك. أو بالحجرية إلى غير ذلك. فلذلك أبهمَ الأمر، وأحاله على اختياره، وأمره بتنزيهه على هذا الأمر الذي لا يشاركه فيه غيره.

وفي هذه الآية من العجائب ما لا يمكن بسطه هنا، وكذلك سائر آيات هذا الكتاب الأقدس، ينبغي أن تُفهم على هذا النمط، انتهى كلام الحكيم المفسر.

وأنت لو عرضت ألفاظ هذه الآية على ما انتهى إليه علماء تكوين الأجنة،

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ١٣٤).

رفع المسهم

وعلماء التشريح، وعلماء الوراثة النفسية، لرأيت فيها دقائق علومهم، كأن هذه الألفاظ إنما خرجت من هذه العلوم نفسها، وكأن كل علم وضع في الآية كلمته الصادقة، فلا تملك بعد هذا أن تجد ختام الآية إلا ما خُتمت هي به من هذا التسبيح العظيم(فتبارك الله)!»[1].

٧ - في حديثه عن إعجاز القرآن قال: «وإنما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة، بالغة ما بلغت، فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبه في الرأي مقابلة أطول الناس عمراً بالدهر على مداه كله. فإن المعمر دهر صغير، وإن لكليهما مدة في العمر هي من جنس الأخرى، غير أن واحدة منهما قد استغرقت الثانيةَ؛ فإن شاركتها الصغرى إلى حد، فما عسى أن يشركهما فيما بقي»[2].

٨ - رفض الرافعي القول بالصرفة، وبين أثره السلبي في الأمة، حيث تقاعس جمهور العلماء عن بيان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، يقول: «على أن القول بالصرفة هو المذهب الفاشي من لدن قال به النظام، يصوبه فيه قوم، ويشايعه عليه آخرون، ولولا احتجاج هذا البليغ لصحته، وقيامه عليه، وتقلده أمره، لكان لنا اليوم كتب ممتعة في بلاغة القرآن، وأسلوبه، وإعجازه اللغوي، وما إلى ذلك، ولكن القوم - عفا الله عنهم - أخرجوا أنفسهم من هذا كله، وكفوها مؤنته بكلمة واحدة تعلقوا عليها، فكانوا فيها جميعاً كقول الشاعر الظريف الذي يقول:

كأننا والماء من حولنا ... قومٌ جلوسٌ حولهم ماء

... وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤] وهذا زعم رده الله على أهله، وأكذبهم فيه،

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ١٣٧ - ١٣٨).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢/ ١٣٩).

رفع
المسهم
عبد الله بن عبد الله

وجعل القول به ضرباً من العمى ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]. فاعتبر ذلك بعضه ببعض فهو كالشيء الواحد»[١].

٩ ـ تناول الحديث عن حقيقة الإعجاز، فقال: «إن القرآن معجز بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً، وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية، يشاركها في إعجاز الصنعة، وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوْب تلك المواد كلها. وما نظنه إلا الصورة الروحية للإنسان، إذا كان الإنسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله.

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء؛ فهي باقية ما بقيت، وقد أشرنا إليها في بعض الفصول المتقدمة، على أنها ليست من غرضنا في هذا الباب، وإنما غرضنا في بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي، لأننا إنما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب، دون جهة التأويل والتفسير»[٢].

١٠ ـ أشار إلى أن القرآن الكريم «أفصح كلام وأبلغه لفظاً وأسلوباً ومعنى «وقد عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، حيث لم تقم للعرب قائمة بعد أن أعجزهم القرآن، من جهة الفصاحة التي هي أكبر أمرهم، ومن جهة الكلام الذي هو سيد عملهم، بل تصدعوا عنه وهم أهل البسالة والبأس، وهم مساعير الحروب ومغاويرها، وهم كالحصى عدداً وكثرة، وليس لرسول الله ـ ﷺ ـ إلا نفسه، وإلا نفر قليل معه، لم يستجيبوا له، ولم يبذلوا مفادَتهم ونصرهم إلا بعد أن سمعوا القرآن، ورأوا منه ما استهواهم وكاثرهم، وغلبهم على أنفسهم، فكانت الكلمة منه تقع من أحدهم وإن لها ما يكون للخطبة الطويلة، والقصيدة

---

(١) المرجع السابق، (٢/١٤٦).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

رفع المسهم

العجيبة في قبيلة بأجمعها، ولهذا قام كل فرد منهم في نصرة النبي - ﷺ - وكأنه في نفسه قبيلة في مقدار حميتها وحفاظها ونجدتها»(١).

١١ ـ تحدث الرافعي عن الطريقة التي سلكها القرآن في التحدي، وهي «أن التحدي كان مقصوراً على طلب المعارضة بمثل القرآن، ثم بعشر سور مفتريات لا يلتزمون فيها الحكمة ولا الحقيقة، وليس إلا النظم والأسلوب، وهم أهل الله، ولن تضيق أساطيرهم وعلومهم أن تسعها عشر سور، ثم قرنَ التحدي بالتأنيب والتقريع، ثم استفزهم بعد ذلك بجملة واحدة كما ينفخُ الرماد الهامد، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ ـ ٢٤] . فقطع أنهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله، ولا يقولها عربي في العرب أبداً، وقد سمعوها واستقرت فيهم ودارت على الألسنة، وعرفوا أنها تنفي عنهم الدهر نفياً، وتعجزهم آخر الأبد، فما فعلوا، ولا طمعوا قط أن يفعلوا»(٢).

١٢ ـ تحدث عن الإعجاز في أسلوب القرآن، وقال: «وهذا الأسلوب فإنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله، ليس من ذلك شيء إلا وهو معجز، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة، واعتقلهم عن الكلام فيها».

ويضيف: «ولما كان مرجع تقدير الكلام في بلاغته وفصاحته إلى الإحساس وحده ـ وخاصة في أولئك العرب الذين من أين تأملتهم ورأيتهم كأنما خُلقوا خلقاً لغوياً، وكان القرآن الكريم قد جمع في أسلوبه أرقى ما تحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان، ومذاهب النفس إليه ـ فقد أحسوا بعجزهم عما امتنع مما قبله، وكان كل امرئ منهم كأنما يحمل في قرارة نفسه برهان الإعجاز، وإن حمل كل إفك وزور على لسانه»(٣).

(١) المرجع السابق، (٢/ ١٦٧).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠).
(٣) المرجع السابق، (٢/ ١٩١ ـ ١٩٢).

رفع
المسلم
عبد الله الغامدي

١٣ ـ وتحدث عن التكرار في أسلوب القرآن، فقال: «وهاهنا معنى دقيق في التحدي، ما نظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجباً: وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء، وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة، والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى ما يكون هذا الباب، وهو مذهب للعرب معروف، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم: للتهويل والتوكيد، والتخويف والتفجع، وما يجري مجراها من الأمور العظيمة، وكل ذلك مأثور عنهم، منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة. بيد أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته، وأنهم يُخلون عنه لقوة غريبة فيه، لم يكونوا يعرفونها إلا توهماً، ولضعف غريب في أنفسهم، لم يعرفوه إلا بهذه القوة، لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوبه بصورتين أو صور، كل منها غير الأخرى وجهاً أو عبارة، وهم على ذلك عاجزون عن الصورة الواحدة، ومستمرون على العجز، لا يطيقون ولا ينطقون. فهذا لعمرك أبلغ في الإعجاز وأشد عليهم في التحدي، إذ هو دليل على مجاوزتهم مقدارَ العجز النفسي الذي قد تمكن معه الاستطاعة، أو تتهيأ المعاريض حيناً بعد حين، إلى العجز الفطري الذي لا يتأول فيه المتأول، ولا يعتذر منه المعتذرون ولا يجري الأمر فيه على المسامحة»(١).

١٤ ـ وأشار الرافعي إلى انفراد أسلوب القرآن بالإعجاز دون سائر أساليب البشر، فقال: «وفي القرآن مظهر غريب لإعجازه المستمر، لا يحتاج في تعرفه إلى روية ولا إعنات، وما هو إلا أن يراه من اعترض شيئاً من أساليب الناس، حتى يقع في نفسه معنى إعجازه؛ لأنه أمر يغلب على الطبع، وينفرد به فيبين عن نفسه بنفسه، كالصوت المطرب البالغ في التطريب، لا يحتاج امرؤ في معرفته وتمييزه إلى أكثر من سماعه.

ذلك هو: وجه تركيبه، أو هو أسلوبه، فإنه مباين بنفسه لكل ما عرف من

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

رفع
المسـ هما
عزالله لعزالدين

أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم وتنزيل كلامهم، وعلى أنه يواتي بعضه بعضاً، وتناسب كل آية منه كل آية أخرى في النظم والطريقة، على اختلاف المعاني وتباين الأغراض، سواء في ذلك ما كان مبتدأ به من معانيه وأخباره، وما كان متكرراً فيه، فكأنه قطعة واحدة، على خلاف ما أنت واجده في كلام كل بليغ، من التفات باختلاف الوجوه التي يصرفه إليها، والعلو في موضع والنزول في موضع، ثم ما يكون من فترة الطبع ومسحة النفس في جهة بعث عليها الملل، أو جهة استؤنف لها النشاط، ثم ما لابد منه من الإجادة في بعض الأغراض والتقصير في بعضها، مما يختلف البلغاء في علمه والإحاطة به، أو التأتي والانطباع عليه، وهذا كله معروف متظاهر في الناس لا يمتري فيه أحد»[١].

١٥ ـ أشار إلى عجز الخلق إلى يوم القيامة أمام تحدي القرآن لهم، مبيناً سبب ذلك، فقال: «ومادامت قوة الخلق ليست في قدرة المخلوق، فليس في قدرة بشر معارضة هذا الأسلوب ما دامت الأرض أرضاً، وهذا هو الصريح من معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. وبعد: فأنت تعرف أن أفصح الكلام وأبلغه، وأسراه وأجمعه، لحر اللفظ ونادر المعنى، وأخلقَه أن يكون منه الأسلوب الذي يحسم مادة الطبع في معارضته، هو ذلك الذي تريده كلاماً فتراه نفساً حية، كأنها تُلقي عليك ما تقرؤه ممزوجاً بنبرات مختلفة، وأصوات تدخل على نفسك ـ إن كنت بصيراً بالصناعة متقدماً فيها ـ كل مدخل، ولا تدع فيها إحساساً إلا أثارته، ولا إعجاباً إلا استخرجته، فلا يعدو الكلام أن يكون وجهاً من الخطاب بين نفسك ونفس كاتبه، وتقرؤه كأنك تسمعه، ثم لا يلجُ إلى فؤادك حتى تصير كأنك أنت المتكلم به، وكأنه معنى في نفسك ما يبرح مختلجاً، ولا ينفك ماثلاً من قديم؛ مع أنك لم تعرفه إلا ساعتك، ولم تجهد فيه، ولا اعتملت له، وذلك بما جوده صاحبه، وبما نفث فيه من روحه، وما بالغ في تصفيته وتهذيبه، وما اتسع في تأليفه وتركيبه، حتى خرج مطبوعاً

(١) المرجع السابق، (٢/ ٢٠١).

رفع
المسار هما
عبد الله الهاشمي

من أثر مزاجه وأثر نفسه جميعاً، فكأنه مادة روحية منه»[1].

١٦ ـ تحدث عن خصائص عدة لأسلوب القرآن، من ذلك: الغرابة والسهولة حيث قال: «وهل ترى فيه من الغرابة التي يكسوها البلغاء كلامهم في تجويد رصفه وحبكه، إلا أن غرابته في كونه منسجماً لا غرابة فيه؟ وهل عندك أغرب من هذه السهولة التي يسيل بها القرآن، وهي في كثير من الكلام، وكثير من أغراضه تقتضي الابتذال، وفي القرآن كله على تنوع أغراضه لا تقتضي إلا الإعجاز».

ومن خصائص أسلوب القرآن الرهبة، قال: «وتأمل، هل تصيب في القرآن كله مما بين الدفتين إلا رهبة ظاهرة، لا تمويه في شيء منها، وإلا أثراً من التمكن يصف له منزلة المخلوق من أمر الخالق، وإلا روحاً أكبر من أن يكون نفساً إنسانة، أو أثراً من آثار تلك النفس، ثم هل تجد في أغراضه إلا ما كان في وضعه مادة لتلك الرهبة ولذلك الأثر، ولذلك الروح».

وأشار الرافعي إلى غزارة معاني القرآن، فقال: «هذا على أن فيه من المعاني الكثيرة، والأغراض الوافرة، مما لو كان في كلام الناس لظهر عليه صبغ النفس الإنسانية لا محالة».

وذكر من أساليب القرآن اللين والمطاوعة على التقليب «بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة، التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة، فهو يفسر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيه، واختلاف وتمحيص»[2].

١٧ ـ وفي حديثه عن نظم القرآن، فقال: «والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة: حروف هي من الأصوات، وكلمات هي من الحروف، وجمل هي من الكلم، وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها، بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به؛ فليس لنا بد في صفته من الكلام في ثلاثتها جميعاً».

---

(١) تاريخ آداب العرب، (٢/ ٢٠٤).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

ويضيف محدداً الفروق بين أنواع البلاغة في القرآن وبين هذه الأنواع في كلام البلغاء، بأن «نظم القرآن يقتضي كل ما فيه منها اقتضاء طبيعياً، بحيث يُبنى هو عليها؛ لأنها في أصل تركيبه، ولا تبنى هي عليه؛ فليست فيها استعارة ولا مجاز ولا كناية، ولا شيء من مثل هذا يصح في الجواز، أو فيما يسعه الإمكان أن يصلح غيره في موضعه إذا تبدلته منه، فضلاً عن أن يفي به، وفضلاً عن أن يربي عليه، ولو أدرت اللغة كلها على هذا الموضع. فكأن البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه؛ بخلاف ما أنت واجد من كلام البلغاء، فإن بلاغته إنما تصنع لموضعها وتبنى عليه، فربما وفت وربما أخلفت ... فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها؛ ليمسك بها الآية، والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة، وما أنزله إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض»[1].

١٨ ـ تحدث عن غرابة الأوضاع التركيبية في القرآن، فقال: «وهاهنا أمر دقيق لا بد لنا من طلب وجهه، لأنه شطر الإعجاز في القرآن الكريم، وسائر ما قدمناه شطر مثله؛ وذلك أنك حين تنظر في تركيبه؛ لا ترى كيفما أخذت عينك منه، إلا وضعاً غريباً في تأليف الكلمات، وفي مَساق العبارة، وبحيث تبادرك غرابته من نفسها وطابعها، بما تقطع أن هذا الوضع وهذا التركيب ليس في طبع الإنسان، ولا يمكن أن يتهيأ له ابتداء واختراعاً دون تقديره على وضع يشبهه، أو احتذاء لبعض أمثلة تقابله، لا تحتاج في ذلك إلى اعتبار ولا مقايسة، وليس إلا أن تنظر فتعلم.

ولو ذهبت تفلي كلامَ العرب من شعر شعرائهم، ورجز رجازهم، وخطب خطبائهم، وحكمة حكمائهم، وسجع كهانهم، من مضى منهم ومن غبر، على أن تجد ألفاظاً في غرابة تركيبها ـ التي هي صفة الوحي ـ كألفاظ القرآن، وعلى

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ٢١٠ ـ ٢١١).

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

أن ترى لها معاني كهذه المعاني الإلهية التي تكسب الكلام غرابة أخرى، يحس بها طبع المخلوق، ويعتريه لها من الروعة ما يعتري من الفرق بين شيء إلهي وشيء إنساني، لما أصبت في كل ذلك مما تختاره إلا لغة وأوضاعاً ومعاني إنسانية، تقع بجملتها دون قصدك الذي أردت، ولا ترضاها للتمثيل والمقابلة، ولا تراها تحل مع القرآن إلا في محل نافر، ولا تنزل منه إلا في قاصية شاردة؛ ثم لوجدت فرق الغرابة الإلهية بين اثنينهما في الكلام عيْنَ ما تعرفه من الفرق بين الماء في سحابه، والماء في ترابه»(1).

١٩ ـ وفي فصل: (البلاغة في القرآن)، أشار إلى أن ما ورد في القرآن من فنون الكلام قد خلا من التكلف، ونقد ما ذهب إليه العلماء من ذكر فنون البلاغة التي وقع بها الإعجاز، وفضل أن يقال: إن إعجاز القرآن كان لأن الفطرة والعقل لا يبلغان مبلغه في سياستي البيان والمنطق بهذه اللغة، يقول: «ولسنا نقول إن القرآن جاء بالاستعارة لأنها استعارة، أو بالمجاز لأنه مجاز، أو بالكناية لأنها كناية، أو ما يطرد مع هذه الأسماء والمصطلحات، إنما أريدَ به وضع معجز في نسق ألفاظه، وارتباط معانيه على وجوه السياستين من البيان والمنطق، فجرى على أصولهما في أرقى ما تبلغه الفطرة اللغوية على إطلاقها في هذه العربية، فهو يستعير حيث يستعير، ويتجوز حيث يتجوز، ويطنب، ويوجز، ويؤكد، ويعترض، ويكرر إلى آخر ما أحصي في البلاغة ومذاهبها؛ لأنه لو خرج عن ذلك لخرج من أن يكون معجزاً في جهة من جهاته، ولاستبان فيه ثمة نقص، يمكن أن يكون في موضعه ما هو أكمل منه وأبلغ في القصد والاستيفاء.

فالعلماء يقولون: إن كل ذلك فنون من البلاغة وقع بها الإعجاز، لأنهم اصطلحوا على هذه التسمية التي حدثت بعد العرب، ولو قالوا إن القرآن معجز في العربية لأن الفطرة والعقل لا يبلغان مبلغه في سياستي البيان والمنطق بهذه اللغة، لكان ذلك أصوب في الحقيقة، وأبلغ في حقيقة الصواب، وأمكن في

---

(1) تاريخ آداب العرب، (٢/ ٢٥٠).

معنى الإعجاز، وأتم في هذا الباب كله، مادام في لسان الدهر حرف من العربية»[1].

٢٠ ـ وتحدث في فصل عن (الطريقة النفسية في الطريقة اللسانية)، فقال: «والقرآن وإن كان لم يخرج عن أعلى طبقات اللغة، ولا برز عن وجوه العادة في تصريفها، غير أنه أتى بذلك من وراء النفس لا من وراء اللسان، فجعل من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وأدار المعاني على سنن ووجوه؛ تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس، فليس إلا أن تقرأ الآية على العربي، أو من هو في حكمه لغة وبلاغة، حتى تذهب في نفسه مذهبها، لا تني ولا تتخلف، على حين أن أكثر المعاني الإنسانية يجيء من النقص في السياسة البيانية، بحيث ترى نفس السامع أو القارئ هي التي تذهب فيه فتأخذه إلى جهة، وتعدل عن جهة، وتصعد في ناحية وتستبطن في ناحية أخرى، ولا يكون من شأنها أن تنقاد وتذعن، ولكن أن تكابر وتأبى، أو تتصفح وتستدرك، أو تستحسن وتزدري؛ لأن المعنى قد أُلقي إليها في ألفاظ تقصر بحقيقته النفسية في تركيبها ونظمها، أو تضعف هذه الحقيقة، أو تلبسها بغيرها، أو تهمل تصورها لوناً من الألوان، أو تجيء بها على الشبه والمحاكاة، مما لا يبلغ الحق في تصورها والتنبيه عليها»[2].

والرافعي هنا يطور ما ذكره عبد القاهر في أسرار البلاغة من جعل سر البلاغة هو التأثير في النفس، فالبلاغة ليست وضعاً لغوياً لا صلة له بالنفس، بل إن التأثير النفسي هو قاعدة البلاغة، والأديب البارع ليس هو الذي ينطلق من اللغة إلى النفس ليعبر عنها، ولكن هو الذي ينطلق من النفس إلى اللغة ليختار منها ما يلائم أحوال النفس البشرية من فنون القول.

٢١ ـ تحدث في آخر فصل عن (إحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة) فقال: «وبقي سر من أسرار هذه البلاغة المعجزة نختم به الباب، وهو شيء

(١) المرجع السابق، (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ٢٦٢).

لا نراه يتفق إلا في القليل من كلام النوابغ المعدودين الذين يكون الواحد منهم تاريخ عصر من عصور أمته، أو يكون عصراً من تاريخها، وهو إحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة لا على طريقة المنطق، فإن الفرق بين الطريقتين: أن هذه المنطقية منها تأتي على أوضاع وأقيسة معروفة مكررة، يسترسل بعضها إلى بعض، ويراد بها إلزام المخاطب ليتحقق المعنى الذي قام به الخطاب، إلزاماً بالعقل لا بالشعور، وبطبيعة السياق لا بطبيعة المعنى، ومن أجل ذلك تدخلها المكابرة، وتتسع لها المغالطة، وتنتدح فيها أشياء من مثل ذلك؛ فراراً من الإلزام ودفعاً لحجته، وإن كان المعنى في نفسه واضحاً مكشوفاً، والبرهان طبيعة قائمة معروفاً.

بيد أن طريقة البلاغة إنما يراد بها تحقيق المعنى، واستبراء غايته، وامتلاخ الشبهة منه، وأخذ الوجوه والمذاهب عن النفس من أجزائه التي يتألف منها، بعد أن تُستوفى على جهتها في الكلام استيفاء يقابل ما يمكن أن تشعر به النفس من هذه الأجزاء، حتى لا تصدِف عنه، ولا تجد لها مذهباً، ولا وجهاً غير القصد إليه؛ فيكون من ذلك الإلزام البياني الذي توحيه طبيعة المعنى البليغ، وكان حتماً مقضياً»[1].

٢٢ ـ أشار في الخاتمة إلى أن كل ما قاله في كتابه حول إعجاز القرآن إنما كان مجملاً لمفصل، وأنه اكتفى بذكر ما يرشد إلى أمثاله، وأنه اقتصر من كل وجه على أصل المعنى دون مثاله، وذلك أن «القرآن الكريم ليس كتاباً يُتخير منه، فيستجاد بعضه ويُصفح عن بعضه، إنما هو طريق مستبصر، من أين أخذت منه نفذت، ومن حيث تأديت به تهديت، وهو في كل معنى قدمناه سننه القائم، ومثاله الدائم»[2].

٢٣ ـ تحدث عن البلاغة النبوية فقال: «هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت العقول دون غاياتها، لم تُصنع وهي من

(١) تاريخ آداب العرب، (٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ٢٧٤).

الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة.

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه الوحي بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي، ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل، فقد كانت هي من دليله، مُحكمة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفضولة، وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ.

إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح، في منزع يلين فينفر بالدموع، ويشتد فينزو بالدماء، وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء»[١].

وهذا الوصف للبيان النبوي مما يُحتسب للرافعي رحمه الله، فلا نعلم أحداً احتفل لبيان النبي محمد - ﷺ - بمثل هذه الكلمات، إلا أن يكون الجاحظ الذي كان أول من فتح الباب على مصراعيه في هذا الباب، ولذلك نجد الرافعي يضمن كلام الجاحظ في حديثه عن البلاغة النبوية[٢]، وكنا قد ذكرناه في حديثنا عن الجاحظ.

٢٤ ـ وفي حديثه عن البلاغة النبوية أشار إلى الفرقان بين أسلوب القرآن وأسلوب النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: «على أن أعجب شيء أنك إذا قرنت كلمة من تلك البلاغة إلى مثلها مما في القرآن، رأيت الفرق بينهما في ظاهره، كالفرق بين المعجز وغير المعجز سواء، ورأيت كلامه - ﷺ - في تلك الحال خاصة مما يطمع في مثله، وأحسست أن بين نفسك وبينه صلة تطوع لك القدرة عليه، وتمد لك أسباب المطمعة فيه، بخلاف القرآن، فإنك تستيئس من جملته، ولا ترى لنفسك إليه طريقاً ألبتة، إذ لا تحس منه نفساً إنسانية، ولا أثراً

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ٢٧٩).

(٢) انظر: تاريخ آداب العرب، (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

رفع
المسهم

من آثار هذه النفس، ولا حالة من حالاتها حتى تأنس إلى ذلك على التوهم، ثم تتوهم الطمع والمعارضة من هذه الأنسة، فتمضي عزمك وتقطع برأيك، وتبت القول فيه، كما يكون لك قراءة الكلام الإنساني، فإن جميع هذا الكلام الآدمي منهاج، ولجملته طريق؛ وحدود البلاغة التي تفصل بعضه عن بعض كلها مما يوقف عليه بالحس والعيان، ويقدر فرق ما بين بعضها إلى بعض، مهما بلغ من تفاوتها واختلافها في السبك والصنعة والغرابة»[1].

٢٥ ـ يبقى أن نشير إلى أن الرافعي الذي نذر نفسه لخدمة القرآن والبيان العربي، كان يعد دراسة يتناول فيها البلاغة القرآنية تحت عنوان (أسرار الإعجاز) ولكن المنية عاجلته قبل أن يتم الكتاب[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) المرجع السابق، (٢/ ٣٣٢).

(٢) انظر: المرجع السابق، (٢/ ١٥ ـ الحاشية. و١٣٤ الحاشية أيضاً).

رفع المسهم

المبحث الثاني:

مدرسة الذوق والبلاغة: محمد الطاهر بن عاشور

لعل من أعظم كتب التفسير في هذا العصر الأخير، بل وفي كل العصور، تفسير (التحرير والتنوير) للعلامة الإمام محمد الطاهر بن عاشور طيب الله ثراه[1]، فهو تفسير حافل جامع في بابه، عني على وجه الخصوص بالبلاغة القرآنية والإعجاز، ويمكن إبراز أهم معالمه المنهجية بالأمور الآتية:

أولاً: أشار العلامة ابن عاشور في مقدمة تفسيره إلى خطورة هذا العلم، وإقدامه عليه، وحدد منهجه، وبين أنه ليس مجرد ناقل، بل هو مضيف ومجدد، قال: «أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع، متوسطاً في معترك أنظار الناظرين، وزائراً بين ضباح الزائرين[2]، فجعلت حقاً عليَّ أن أبدي في تفسير القرآن نكتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين؛ تارة لها، وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد»[3].

ثانياً: بين اختلاف مناهج الناس من التراث العلمي، فقال: «ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضر كثير،

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، (١٢٩٦ ـ ١٣٩٣هـ = ١٨٧٩ ـ ١٩٧٣م). انظر: الأعلام، (٦/ ١٧٤).

(٢) الزائرين هنا: اسم فاعل من زأر.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ٦ ـ ٧)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

رفع
المسلم
عبد الله الغامدي

وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقصه أو نبيده، عالماً بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من خصال حميد الأمة، فالحمد لله الذي صدق الأمل، ويسر إلى هذا الخير ودل»[١].

ثالثاً: وتحدث عن أهم التفاسير التي اعتمد عليها، فرتبها بحسب أهميتها عنده، فقال: «والتفاسير وإن كانت كثيرة؛ فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق، بحيث لا حظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإن أهم التفاسير: تفسير الكشاف، والمحرر الوجيز لابن عطية، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع، وتفسير الشهاب الألوسي، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتازاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي، والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي، وهو بكونه تعليقاً على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد بن جرير الطبري، وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني. ولقصد الاختصار أُعرض عن العزو إليها، وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه، وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم، وقديماً قيل:

هــل غــادر الشعــراء مــن متــردم»[٢]

رابعاً: وأشار العلامة ابن عاشور إلى مزية تفسيره البلاغية، فقال: «إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة، بعيدة المدى مترامية الأطراف،

---

(١) المرجع السابق، (١/ ٧).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٧ ـ ٨).

المسلم

موزعة على آياته، فالأحكام مبينة في آيات الأحكام، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها، وربما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك أو أكثر، وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكن فناً من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة، هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن، كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر»[1].

خامساً: كما ذكر عنايته ببيان وجوه الإعجاز، وأساليب الاستعمال، وذكر الترابط بين الآيات، فقال: «وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض؛ فلا أراه حقاً على المفسر»[2].

سادساً: وأشار إلى أنه تحدث عن السورة بشكل عام مع عنايته بالجزئيات، فكان منهجه شاملاً، قال: «ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله»[3].

سابعاً: وأشار إلى ما تميز به تفسيره من شرح الغريب والضبط، وبيان نكت المعاني؛ بحيث صار صفوة للتفاسير ومتفرداً بينها بالفرائد، قال: (واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد

---

(١) المرجع السابق، (١/٨).
(٢) المرجع السابق، (١/٨).
(٣) المرجع السابق، (١/٨).

رفع المسابهما

ونكتاً على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير»(١).

ثامناً: بعد مقدمة الكتاب، يذكر عشر مقدمات هي بمثابة التمهيد لتفسيره، تناولت: التفسير والتأويل وكون التفسير علماً، واستمداد علم التفسير، وصحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه، وما يحق أن يكون غرض المفسر، وأسباب النزول، والقراءات، وقصص القرآن، واسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها، والمعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها، وإعجاز القرآن(٢).

تاسعاً: حدد روافد علم التفسير، وهي لا تتجاوز عنده الستة، يتفرع منها علوم، وفي مقدمة هذه العلوم علم اللغة العربية، يقول حول استمداد علم التفسير:

«فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولد، من المجموع الملتئم من علم العربية، وعلم الآثار، ومن أخبار العرب، وأصول الفقه، قيل: وعلم الكلام وعلم القراءات.

أما العربية، فالمراد منها: معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها. إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف،

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، (١/٨).

(٢) المرجع السابق، (١/١٠ - ١٣٠).

والنحو والمعاني والبيان. ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم، ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين»[1]. ثم يفصل بعد ذلك في الحديث عن بقية العلوم.

عاشراً: وفي المقدمة السادسة حول القراءات؛ يطرح تساؤلاً يتعلق ببلاغة القراءات، ولعله أول من أثار مثل هذا الموضوع، يقول: «فإن قلت: هل يفضي ترجيح بعض القراءات على بعض إلى أن تكون الراجحة أبلغ من المرجوحة، فيفضي إلى أن المرجوحة أضعف في الإعجاز؟ قلت: حد الإعجاز مطابقة الكلام لجميع مقتضى الحال، وهو لا يقبل التفاوت، ويجوز مع ذلك أن يكون بعض الكلام المعجز مشتملاً على لطائف وخصوصيات تتعلق بوجوه الحسن كالجناس والمبالغة، أو تتعلق بزيادة الفصاحة، أو بالتفنن مثل: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]»[2].

أحد عشر: ويشير أيضاً في المقدمة السادسة إلى مقدار المعجز من القرآن فيقول: «وأما الإعجاز؛ فلا يلزم أن يتحقق في كل آية من آي القرآن، لأن التحدي إنما وقع بسورة مثل سور القرآن، وأقصر سورة ثلاث آيات، فكل مقدار ينتظم من ثلاث آيات من القرآن يجب أن يكون مجموعه معجزاً»[3].

اثنا عشر: وتحدث في المقدمة السابعة عن قصص القرآن، فذكر فائدة تكرير الكلام ضمن حديثه عن تكرار القصص؛ وهي عنده: بيان قدرة البليغ على صياغة المعاني بألفاظ مختلفة، ويضيف محدداً فوائد أخرى تتعلق بتثبيت الكلام في أذهان السامعين، وظهور البلاغة والإعجاز، يقول: «ثم تحصل معه مقاصد أخرى، أحدها: رسوخها في الأذهان بتكريرها. الثاني: ظهور البلاغة، فإن تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ، فإذا جاء

---

(١) المرجع السابق، (١/ ١٨).

(٢) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ٦٢ ـ ٦٣).

(٣) المرجع السابق، (١/ ٦٣).

رفع
المسلم
عبد الله الحلاق

اللاحق منه إثر السابق، مع تفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز أو استعارات أو كناية، وتفنن الألفاظ وتراكيبها، بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات، مثل: ولئن رددت، ولئن رَجعتُ. وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذلك، كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة، فذلك وجه من وجوه الإعجاز»[(١)].

ثلاثة عشر: والمقدمة العاشرة (في إعجاز القرآن) نود أن نفصل الحديث فيها لأهميتها وصلتها بموضوعنا، ولعل أهم ما تناولته هذه المقدمة الآتي:

١ ـ يربط بين البلاغة والإعجاز، ويذكر قصور الباحثين في هذا المجال، فيقول: «لم أر غرضاً تناضلت له سهام الأفهام، ولا غاية تسابقت إليها جياد الهمم، فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صُبابة نزراً، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن؛ فإنه لم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل، ومَوردها للمعلول والناهل، ومُغلى سِبائها للنديم والواغل، ولقد سبق أن ألف علم البلاغة مشتملاً على نماذج من وجوه إعجازه، والتفرقة بين حقيقته ومجازه، إلا أنه باحث عن كل خصائص الكلام العربي البليغ ليكون معياراً للنقد أو آلة للصنع، ثم ليظهر من جراء ذلك كيف تفوق القرآن على كل كلام بليغ، بما توفر فيه من الخصائص التي لا تجتمع في كلام آخر للبلغاء، حتى عجز السابقون واللاحقون منهم عن الإتيان بمثله»[(٢)].

٢ ـ يبين أنه أضاف أصولاً غفل عنها الأئمة المتقدمون، يقول: «ولعلك تجد في هذه المقدمة أصولاً ونكتاً أغفلها من تقدموا؛ ممن تكلموا في إعجاز القرآن، مثل الباقلاني والرماني وعبد القاهر والخطابي وعياض والسكاكي، فكونوا منها بالمرصاد، وافلوا عنها كما يفلي عن النار الرماد، وإن علاقة هذه المقدمة بالتفسير هي أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه؛ ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة، في آيه

---

(١) المرجع السابق، (١/ ٦٨).

(٢) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ١٠١).

المفسرة، بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار»[1].

٣ - يتعجب من خلو معظم التفاسير من مبحث الإعجاز، ويستثني بعضها، يقول: «فمن أعجب ما نراه خلو معظم التفاسير عن الاهتمام بالوصول إلى هذا الغرض الأسمى، إلا عيون التفاسير، فمن مقل مثل: معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج، والمحرر الوجيز للشيخ عبد الحق بن عطية الأندلسي، ومن مكثر مثل الكشاف»[2].

٤ - يبين أهمية بحث الإعجاز في إثبات النبوة، يقول: «ثم إن العناية بما نحن بصدده من بيان وجوه إعجاز القرآن؛ إنما نبعت من مختزن أصل كبير من أصول الإسلام، وهو كونه المعجزة الكبرى للنبي - ﷺ -، وكونه المعجزة الباقية، وهو المعجزة التي تحدى بها الرسول معانديه تحدياً صريحاً»[3].

٥ - يبين تواتر الإقرار بالعجز عند جميع من تحداهم القرآن، يقول: «فعجز جميع المتحدَّين عن الإتيان بمثل القرآن؛ أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم، وسكوتهم عن المعارضة مع توفر دواعيهم عليها»[4].

٦ - يذكر مذاهب العلماء في الإعجاز، ويؤكد على الإعجاز البلاغي، ويذكر أن سبب بقاء الآيات المنسوخة في الكتاب لما فيها من الإعجاز والتحدي، يقول: «وقد اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك، فذهبت طائفة قليلة إلى تعليله بأن الله صرفهم عن معارضة القرآن، فسلبهم المقدرة أو سلبهم الداعي، لتقوم الحجة عليهم بمرأى ومسمع من جميع العرب، ويعرف هذا القول بالصرفة . . . وأما الذي عليه أهل العلم والتحقيق، واقتصر عليه أئمة الأشعرية وإمام الحرمين، وعليه الجاحظ وأهل العربية كما في المواقف، فالتعليل لعجز المتحدَّين به: بأنه بلوغ القرآن من درجات البلاغة والفصاحة مبلغاً تعجز عنه قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله، وهو الذي نعتمده ونسير

(١) المرجع السابق، (١/١٠١ - ١٠٢).
(٢) تفسير التحرير والتنوير، (١/١٠٢).
(٣) المرجع السابق، (١/١٠٢).
(٤) المرجع السابق، (١/١٠٣).

عليه في هذه المقدمة العاشرة، وقد بدا لي دليلٌ قوي على هذا ؛ وهو بقاء الآيات التي نسخ حكمها، وبقيت متلوة من القرآن، ومكتوبة في المصاحف، فإنها لما نسخ حكمها لم يبق وجه لبقاء تلاوتها وكتبها في المصاحف إلا ما في مقدار مجموعها من البلاغة، بحيث يلتئم منها مقدار ثلاث آيات متحدى بالإتيان بمثلها، مثال ذلك آية الوصية في سورة العقود»[١].

٧ ـ يذكر الوجه بالتحدي بالسورة دون بعض الآيات، فيقول: «وإنما وقع التحدي بسورة ـ أي وإن كانت قصيرة ـ دون أن يتحداهم بعدد من الآيات ؛ لأن من أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه ؛ بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع إلى الغرض، وفنون الفصل، والإيجاز والإطناب، والاستطراد والاعتراض، وقد جعل شرف الدين الطيبي هذا هو الوجه لإيقاع التحدي بسورة، دون أن يجعل بعدد من الآيات»[٢].

٨ ـ يلخص وجوه الإعجاز عند العلماء، فيقول: (وإذا قد كان تفصيل وجوه الإعجاز لا يحصره المتأمل ؛ كان علينا أن نضبط معاقدها التي هي ملاكها، فنرى ملاك وجوه الإعجاز راجعاً إلى ثلاث جهات:

الجهة الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ ؛ من حصول كيفيات في نظمه، مفيدة معاني دقيقة، ونكتاً من أغراض الخاصة من بلغاء العرب ؛ مما لا يفيده أصل وضع اللغة ؛ بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام ؛ مما لم يكن معهوداً في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودِع فيه من المعاني الحكمية، والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية، مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن، وفي

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ١٠٤).

(٢) المرجع السابق، (١/ ١٠٤).

رفع المسلم
غفر الله له ولوالديه

عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن من علمائنا، مثل: أبي بكر الباقلاني والقاضي عياض.

وقد عد كثير من العلماء من وجوه إعجاز القرآن ما يعد جهة رابعة، هي: ما انطوى عليه من الأخبار عن المغيبات، مما دل على أنه منزل من علام الغيوب، وقد يدخل في هذه الجهة ما عده عياض في الشفاء وجهاً رابعاً من وجوه إعجاز القرآن، وهو ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب، فهذا معجز للعرب الأميين خاصة، وليس معجزاً لأهل الكتاب، وخاص ثبوت إعجازه بأهل الإنصاف من الناظرين في نشأة الرسول - ﷺ - وأحواله، وليس معجزاً للمكابرين؛ فقد قالوا إنما يعلمه بشر»[1].

٩ - يناقش الجهتين الأولى والثانية المذكورتين آنفاً، ويبين أن عجز العرب هو عجز لمن سواهم، يقول: «فإعجاز القرآن من الجهتين: الأولى والثانية، متوجه للعرب، إذ هو معجز لفصحائهم وخطبائهم وشعرائهم مباشرة، ومعجز لعامتهم بواسطة إدراكهم أن عجز مقارعيه عن معارضته - مع توفر الدواعي عليه - هو برهان ساطع على أنه تجاوز طاقة جميعهم، ثم هو بذلك دليل على صدق المنزَّل عليه لدى بقية البشر، الذين بلغ إليهم صدى عجز العرب بلوغاً لا يستطاع إنكاره لمعاصريه بتواتر الأخبار، ولمن جاء بعدهم بشواهد التاريخ، فإعجازه للعرب الحاضرين دليل تفصيلي، وإعجازه لغيرهم دليل إجمالي. ثم قد يشارك خاصةَ العرب كل من تعلم لغتهم، ومارس بليغ كلامهم وآدابهم، من أئمة البلاغة العربية في مختلف العصور»[2].

١٠ - والجهة الثالثة من الإعجاز عنده متوجهة إلى الناس جميعاً، ويستطيع أن يلمسها بنفسه العربي والعجمي، يقول: «والقرآن معجز من الجهة الثالثة للبشر قاطبة؛ إعجازاً مستمراً على ممر العصور، وهذا من جملة ما شمله قول

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) المرجع السابق، (١/ ١٠٥).

رفع
المسـتـهـمل
عفا الله عنه

أئمة الدين: إن القرآن هو المعجزة المستمرة على تعاقب السنين، لأنه قد يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمة العربية، بواسطة ترجمة معانيه التشريعية والحكمية والعلمية والأخلاقية، وهو دليل تفصيلي لأهل تلك المعاني وإجمالي لمن تبلغه شهادتهم بذلك»[١].

١١- ويبين أن الجهة الرابعة من الإعجاز تشمل المعاصرين للرسالة، ومن جاء بعدهم، يقول: «وهو من الجهة الرابعة ـ عند الذين اعتبروها زائدة عن الجهات الثلاث ـ معجز لأهل عصر نزوله إعجازاً تفصيلياً، ومعجز لمن يجيء بعدهم ممن يبلغه ذلك؛ بسبب تواتر نقل القرآن، وتعين صرف الآيات المشتملة على هذا الإخبار إلى ما أريد منها»[٢].

١٢- وتحدث ضمن المقدمة العاشرة عن مبتكرات القرآن، وفي مقدمتها أسلوبه، يقول: «هذا وللقرآن مبتكرات تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب، فمنها: أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة، وقد نبه عليه العلماء المتقدمون، وأنا أضم إلى ذلك: أن أسلوبه يخالف أسلوب الخطابة بعض المخالفة، بل جاء بطريقة كتاب يُقصد حفظه وتلاوته، وذلك من وجوه إعجازه، إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة؛ ليس فيها اتباع لطرائقها القديمة في الكلام. وأعد من ذلك: أنه جاء بالجمل الدالة على معان مفيدة محررة شأن الجمل العلمية والقواعد التشريعية، فلم يأت بعمومات شأنها التخصيص غير مخصوصة، ولا بمطلقات تستحق التقييد غير مقيدة، كما كان يفعله العرب لقلة اكتراثهم بالأحوال القليلة والأفراد النادرة»[٣].

١٣ ـ ومن مبتكرات القرآن طريقة توزيعه وتقسيمه، يقول: «ومنها أن جاء على أسلوب التقسيم والتسوير؛ وهي سنة جديدة في الكلام العربي، أدخل بها عليه طريقة التبويب والتصنيف، وقد أومأ إليها في الكشاف إيماء»[٤].

---

(١) المرجع السابق، (١/ ١٠٥).

(٢) المرجع السابق، (١/ ١٠٥).

(٣) المرجع السابق، (١/ ١٠٥).

(٤) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ١٢٠).

رفع
المسابهم
غفر الله له ولوالديه

١٤ ـ ومن مبتكرات القرآن: «الأسلوب القصصي في حكاية أحوال النعيم والعذاب في الآخرة، وفي تمثيل الأحوال، وقد كان لذلك تأثير عظيم على نفوس العرب، إذ كان فن القصص مفقوداً من أدب العربية إلا نادراً»[(١)].

١٥ ـ وذكر طريقة القرآن في سرد أقوال معانديه من العرب وغير العرب، وأقوال الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وكيف ينقلها من سياقها العادي إلى سياق معجز؛ بما يلبسها من حلل صياغته، يقول: «ومما يتبع هذا أن القرآن يتصرف في حكاية أقوال المحكي عنهم؛ فيصوغها على ما يقتضيه أسلوب إعجازه؛ لا على الصيغة التي صدرت فيها. فهو إذا حكى أقوالاً غير عربية صاغ مدلولها في صيغة تبلغ حد الإعجاز في العربية، وإذا حكى أقوالاً عربية تصرف فيها تصرفاً يناسب أسلوب المعبر، مثل ما يحكيه عن العرب، فإنه لا يلتزم حكاية ألفاظهم بل يحكي حاصل كلامهم، وللعرب في حكاية الأقوال اتساع؛ مداره على الإحاطة بالمعنى دون التزام الألفاظ، فالإعجاز الثابت للأقوال المحكية في القرآن هو إعجاز للقرآن، لا للأقوال المحكية»[(٢)].

وأتبع ذلك بالحديث عن تصرف القرآن بالأسماء، فقال: «ومن هذا القبيل حكاية الأسماء الواقعة في القصص، فإن القرآن يغيرها إلى ما يناسب حسن مواقعها في الكلام من الفصاحة، مثل تغيير شاول إلى طالوت، وتغيير اسم تارح أبي إبراهيم إلى آزر»[(٣)].

وأتبع ذلك بالحديث عن تصرف القرآن بالأمثال المتداولة، فقال: «وكذلك التمثيل، فقد كان في أدب العرب الأمثال؛ وهي حكاية أحوال مرموز لها، بتلك الجمل البليغة التي قيلت فيها أو قيلت لها؛ المسماة بالأمثال، فكانت تلك الجمل مشيرة إلى تلك الأحوال، إلا أنها لما تداولتها الألسن في الاستعمال، وطال عليها الأمد، نُسيت تلك الأحوال التي وردت فيها، ولم يبق

(١) المرجع السابق، (١/ ١٢٠).
(٢) المرجع السابق، (١/ ١٢٠ ـ ١٢١).
(٣) المرجع السابق، (١/ ١٢١).

رفع المسهم

للأذهان عند النطق بها إلا الشعور بمغازيها التي تقال لأجلها. أما القرآن: فقد أوضح الأمثال وأبدع تركيبها، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ [إبراهيم: ١٨]. وقوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٩ ـ ٤٠]. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ [الرعد: ١٤]»[١].

١٦ ـ أشار العلامة ابن عاشور إلى تنوع الأساليب القرآنية، فقال: «لم يلتزم القرآن أسلوباً واحداً، واختلفت سوره وتفننت، فتكاد تكون لكل سورة لهجة خاصة، فإن بعضها بني على فواصل، وبعضها ليس كذلك. وكذلك فواتحها منها ما افتتح بالاحتفال كالحمد، ويا أيها الذين آمنوا، وآلم ذلك الكتاب، وهي قريب مما نعبر عنه في صناعة الإنشاء بالمقدمات. ومنها ما افتتح بالهجوم على الغرض من أول الأمر نحو: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١] و﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١]»[٢].

١٧ ـ وتحدث عن أسلوب الإيجاز في القرآن، فقال: (ومن أبدع الأساليب في كلام العرب: الإيجاز، وهو متنافسهم، وغاية تتبارى إليها فصحاؤهم، وقد جاء القرآن بأبدعه، إذ كان مع ما فيه من الإيجاز المبين في علم المعاني ؛ فيه إيجاز عظيم آخر، وهو صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معان متعددة ؛ كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ»[٣].

١٨ ـ وتحدث عما هو جار مجرى المثل من كلام القرآن، فقال: «ومن هذا الباب ما اشتمل عليه من الجمل الجارية مجرى الأمثال، وهذا باب من أبواب البلاغة نادر في كلام البلغاء العرب، وهو الذي لأجله عدت قصيدة زهير في المعلقات، فجاء في القرآن ما يفوق ذلك، كقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ١٢١).

(٢) المرجع السابق، (١/ ١٢١).

(٣) تفسير التحرير والتنوير، (١/ ١٢١).

رفع المسهم

شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] وقوله: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [النور: ٥٣] وقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦] »[١].

١٩ ـ وذكر ما تميز به أسلوب الإطناب في القرآن، فقال: «وسلك القرآن مسلك الإطناب؛ لأغراض من البلاغة، ومن أهم مقامات الإطناب: مقام توصيف الأحوال التي يراد بتفصيل وصفها: إدخالُ الروع في قلب السامع، وهذه طريقة عربية في مثل هذا كقول ابن زيَّابة:

نبئت عمراً غارزاً رأسه　　في سِنةٍ يُوعد أخوالهُ

فمن آيات القرآن في مثله: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٢٩]. وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٤]. وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣][٢].

٢٠ ـ وتحدث عن المشترك وكيف أغفله المفسرون، فقال: (ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما، وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز، وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر، ودال على أنه منزل من لدن العليم بكل شيء والقدير عليه)[٣].

٢١ ـ وتحدث عن اختلاف الألفاظ والمعاني باختلاف حروف الألفاظ، فقال: «ومن أساليبه: الإتيان بالألفاظ التي تختلف معانيها باختلاف حروفها، أو اختلاف حركات حروفها، وهو من أسباب اختلاف كثير من القراءات، مثل: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] قرئ عند دون

---

(١) المرجع السابق، (١/١٢٣).
(٢) المرجع السابق، (١/١٢٣).
(٣) تفسير التحرير والتنوير، (١/١٢٣).

رفع
المسهم
عزالله

ألف، وقرئ عباد بالموحدة وألف بعدها، ومثل: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] بضم الصاد وكسرها»[1].

٢٢ ـ وختم حديثه ـ رحمه الله ـ بالحديث عن أسلوبي: الجزالة والرقة في القرآن الكريم، فقال: «واعلم أن مما يندرج تحت جهة الأسلوب، ما سماه أئمة نقد الأدب بالجزالة، وما سموه بالرقة، وبينوا لكل منهما مقاماته، وهما راجعتان إلى معاني الكلام، ولا تخلو سورة من القرآن من تكرر هذين الأسلوبين، وكل منهما بالغ غايته في موقعه، فبينما تسمعه يقول: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ويقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]؛ إذ تسمعه يقول: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]. قال عياض في الشفا: إن عتبة بن ربيعة لما سمع هذه الآية أمسك بيده على فم النبي - ﷺ - وقال له: ناشدتك الله والرحم إلا ما كففت»[2].

تلك كانت أهم معالم تفسير ابن عاشور، وقد عني كما رأينا بالبلاغة والإعجاز، وكان في هذا الميدان فارس هذا العصر، فسقى الله تربة ضمها جدثه على حسن ما قدم وأفاد، في زمن ندر فيه العارفون بالبلاغة والإعجاز.

❑ ❑ ❑

---

(١) المرجع السابق، (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤).
(٢) المرجع السابق، (١/ ١٢٤).

رفع المستهم

المبحث الثالث:

مدرسة الأدب والتصوير الفني: سـيد قطب

من أهم التفاسير في هذا العصر تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب[1]، وسنحدد الحديث عنه بالأمور الآتية:

● **أولاً: منهج سيد قطب في تفسير الظلال**

إن منهج سيد قطب يتميز بأمرين اثنين:

الأول: اعتماده على اللغة والأدب، وساعده في ذلك موهبته وتمرسه في الكتابة والصحافة والتأليف نثراً وشعراً.

والثاني: السلفية، والمقصود بها اتباع مناهج المفسرين من أهل السنة، ورفض إقحام الإسرائيليات، أو لـيّ أعناق النصوص؛ كما فعل المعتزلة في تفاسيرهم لآيات الصفات ونحوها.

● **ثانياً: الموقف من التفسير العلمي**

ذكر الدكتور فهد الرومي أن سيد قطب رفض التفسير العلمي[2]، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن سيد قطب لم يرفض التفسير العلمي على إطلاقه، وإنما رفض إخضاع آيات القرآن التي جاءت هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان لقوانين ونظريات لم يقطع العلم بصحتها، أو ربما أقر بها اليوم وأنكرها غداً،

---

(١) سيد بن قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية موشا في أسيوط، (١٣٢٤ ـ ١٣٨٧هـ = ١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م). انظر الأعلام، (٣/١٤٧ ـ ١٤٨).

(٢) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (٣/٩٩٨ ـ ١٠٥١)، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

رفع
المسـ هما

فكتاب الله أسمى من تتلاعب به أهواء البشر، وهو فوق الشبهات، وليس بحاجة إلى النظريات العلمية التي تثبته وتسانده، لأن النظريات والحقائق العلمية هي التي يؤيدها الدين الحنيف وليس العكس، لأن صحة الدين قطعية الثبوت عند المؤمنين به من الجيل الأول من الصحابة وإلى قيام الساعة.

● **ثالثاً: سيد قطب والبلاغيون القدماء**

عرف سيد قطب البلاغيين القدماء، ودرسهم في كتابه (النقد الأدبي أصوله ومناهجه) وجعل إهداءه في كتابه النقد الأدبي موجهاً إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني. فما هي خلاصة آراء سيد قطب في هذا الصدد؟

ويقال في جواب السؤال السابق ما يأتي: كان موقفه سلبياً من الباحثين في البلاغة والإعجاز، حيث ذكر «بأنهم شغلوا أنفسهم بمباحث عقيمة حول اللفظ والمعنى، أيهما تكمن فيه البلاغة، ومنهم من غلبت عليه روح القواعد البلاغية؛ فأفسد الجمال الكلي المنسق، أو انصرف عنه إلى التقسيم والتبويب، ووصلوا في هذا وذلك في بعض الأحيان إلى درجة من الإسفاف لا تطاق»[1].

يستثني سيد قطب من موقفه السابق رجلين من رجال البلاغة، الأول: وهو الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وقد عده سيد قطب أفضل من اشتغلوا في البلاغة والنقد قديماً وحديثاً، وأشاد بنظرية النظم التي حسمت الخلاف في مسألة اللفظ والمعنى، وقد استغرقت من النقاد ما استغرقت منذ أثارها الجاحظ. واعترف بفضله وقال: «ولو خطا خطوة واحدة في التعبير الحاسم عنها لبلغ الذروة في النقد الفني»[2].

والرجل الثاني: هو الزمخشري، ففي حديثه عن المفسرين الذين أهملوا البحث عن الجانب الفني في القرآن، استثنى الزمخشري من هذا الحكم حيث

---

(١) التصوير الفني في القرآن، ص (٢٩)، دار الشروق، الطبعة الثامنة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
(٢) المرجع السابق، ص (٢٤).

رفع المسابهم

«كان يقع له بين الحين والحين شيء من التوفيق في إدراك بعض مواضع الجمال الفني في القرآن»[1].

● **رابعاً: مراحل فهم القرآن**

قسم سيد قطب مراحل فهم القرآن إلى ثلاث:

الأولى: مرحلة التذوق الفطري للفنون، وتشمل المعاصرين لفترة الوحي.

والثانية: مرحلة الإدراك لمواضع الجمال المتفرقة، وتعليل كل موضع منها تعليلاً مفرداً، وتمتد من عهد الصحابة إلى العصر الحديث.

والثالثة: هي مرحلة إدراك الخصائص العامة للجمال الفني في القرآن، وهي مرحلة لم يصلوا إليها أبداً لا في الأدب ولا في القرآن[2].

وهذه المرحلة كما يقول الدكتور صلاح الخالدي: «لم يمثلها إلا سيد قطب، وهذه الدراسة لم يقم بها إلا سيد قطب، على هدي هذا الهدف أرسى أسس بحوثه في مكتبة القرآن الجديدة، وقد وفق إلى كشف الطريقة العامة للتعبير القرآني، والقاعدة الكبيرة فيه، وهي التصوير الفني، ووفق في بيان سمات هذه الطريقة وألوانها»[3].

ويقودنا كلام الدكتور الخالدي إلى البحث عن المقصود بالتصوير الفني في القرآن عند سيد قطب، فما هو التصوير الفني الذي اكتشفه سيد قطب؟

يقول سيد قطب في تعريف التصوير الفني: «التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٨).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٥ ـ ٣٥).

(٣) د. صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص (١٢١)، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

رفع المسـهم

الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل»[١].

ويؤكد سيد قطب أنه هو الذي اكتشف نظرية التصوير الفني، يقول: «لقد كان القرآن جميلاً في نفسي نعم. ولكن جماله كان أجزاء وتفاريق، أما اليوم فهو عندي جملة واحدة، تقوم على قاعدة خاصة، قاعدة فيها من التناسق العجيب ما لم أكن أحلم به من قبل، وما لا أظن أحداً تصوره»[٢].

● **خامساً: سيد قطب والمصطلحات البلاغية:**

يرى الدكتور صلاح الخالدي أن سيد قطب «عرض المصطلحات البلاغية عرضاً جديداً، لم يشغل نفسه في تعريفها وتقعيدها وتبويبها، وإنما عدها مباحث من فن القول. ولابد من توافرها في أي أسلوب أدبي بليغ»[٣]. وما قاله الدكتور الخالدي يحتاج إلى تفصيل دقيق فنقول:

أما أن سيد قطب لم يشغل نفسه في تعريف المصطلحات وتقعيدها؛ فهذا صحيح.

وأما قوله: (عرض المصطلحات البلاغية عرضاً جديداً)، فهنا يجب أن نلحظ أربعة أمور:

الأول: أن المصطلحات البلاغية قليلة جداً عند سيد قطب مقارنة بغيره من المفسرين، وهو يميل إلى التحرر من وضع اصطلاحات جديدة[٤].

الثاني: أن بعض المصطلحات القديمة حافظ عليها، ولم يجدد فيها، ومن

---

(١) التصوير الفني، ص (٣٦).
(٢) المرجع السابق، ص (١٠).
(٣) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص (٣٧٤).
(٤) انظر: التصوير الفني في القرآن، ص (١١٢ ـ ١١٤).

أمثلة ذلك قوله عند الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] : «وفي هذا التعبير ألوان من التناسق الظاهر والمضمر، ومن لطف الكناية عن ملابسات دقيقة، وأدق ما فيه هو ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه، وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال الخاص. وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، وذلك النبت الذي تخرجه الزوج، وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح. وكل هذه الصور تنطوي تحت استعارة في بضع كلمات»(١).

فهو في هذا النص استعمل من مصطلحات البلاغة: (الكناية، التشابه، الاستعارة) في موقعها الصحيح ولم يغير فيها.

الثالث: أنه عدل مدلولات بعض المصطلحات القديمة إلى مدلولات جديدة، فقد قال عند الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] : «فالصورة صورة مبايعة بالأيدي، ولتنسيق الجو كله، جعل يد الله فوق أيديهم، واستخدم هذا التجسيم في موضع التجريد المطلق والتنزيه الخالص، وعلماء البلاغة يسمون مثل هذا مراعاة النظير، ويعنون منه الجانب اللفظي، لأنهم لم يحاولوا أن يلحظوا جانب التصوير، ونحن نأخذ تعبيرهم نفسه، ونعني به جانب التناسق الفني في الصورة، للمحافظة على وحدة الرسم وعلى جو المشهد وعلى الانسجام العام»(٢).

الرابع: أنه عرض مضمون بعض المصطلحات القديمة دون لفظ المصطلح، من ذلك موقفه عند الآيات: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩] حيث قال: «قد انتهى الدعاء وانتهى المشهد وأسدل الستار. هنا حركة عجيبة في الانتقال من الخبر إلى الدعاء، هي التي

---

(١) المرجع السابق، ص (٩١).
(٢) المرجع السابق، ص (١٢٢).

المسلم

أحيت المشهد وردته حاضراً، فالخبر: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ كان كأنما هو الإشارة برفع الستار ليظهر المشهد: البيت وإبراهيم وإسماعيل، يدعوان هذا الدعاء الطويل. وكم في الانتقال هنا من الحكاية إلى الدعاء من إعجاز فني بارز، يزيد وضوحاً لو فرضت استمرار الحكاية، ورأيت كم كانت الصورة تنقص لو قيل: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان ربنا... إلخ. إنها في هذه الصورة حكاية، وفي الصورة القرآنية حياة. وهذا هو الفارق الكبير. إن الحياة في النص لتثب متحركة حاضرة. وسر الحركة كله في حذف لفظة واحدة... وذلك هو الإعجاز»[١].

وما ذكره سيد قطب هو ما يطلق عليه في البلاغة القديمة مصطلح الالتفات، وقد أشار إليه الزمخشري في مطلع تفسيره، وذلك عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فقال: «فإن قلت: لم عدل من لفظ الغيبة إلى الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان، وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم... وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه، من إجرائه على أسلوب واحد»[٢].

● **سادساً: الموقف من الإعجاز**

يرى سيد قطب أن القرآن معجز بنظمه، حيث قال في تفسير الآية: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١]: «وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة. نختار منها أنها إشارة للتنبيه، إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المخاطبين به من العرب، ولكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملك أن يصوغوا من تلك الحروف مثله»[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص (٥٧).

(٢) تفسير الكشاف، (١/ ١٣ ـ ١٤).

(٣) في ظلال القرآن، (١/ ٣٧ ـ ٣٨)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

رفع المسهم

ويرى سيد قطب أن سر الإعجاز لا يعلمه إلا الله، يقول: «والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً، وهو مثل صنع الله في كل شيء، وصنع الناس، إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات، فإذا أخذ الناس هذه الذرات، فقصارى ما يصوغونه منها لبنة أو آجرة، أو آنية أو أسطوانة، أو هيكلاً أو جهازاً، كائناً في وقته ما يكون. . ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة، حياة نابضة خافقة، تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز، سر الحياة، ذلك السر الذي لا يستطيعه بشر، ولا يعرف سره بشر، وهكذا القرآن، حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاماً وأوزاناً، ويجعل منها الله قرآناً وفرقاناً، والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات، هو الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض، هو الفرق بين صورة الحياة وحقيقة الحياة»[1].

يبقى أن نشير إلى أن إضافة سيد قطب هنا تتمثل في شيئين:

الأول: إشارته إلى الإعجاز التشريعي، وعنه يقول: «أما الإعجاز القرآني فيتجلى في أن هذه التوجيهات، وهذه الأسس التي جاء بها القرآن لكي ينشىء الجماعة المسلمة الأولى هي هي ما تزال التوجيهات والأسس الضرورية لقيام الجماعة المسلمة في كل زمان ومكان، وأن المعركة التي خاضها القرآن ضد أعدائها هي ذاتها المعركة التي يمكن أن يخوضها في كل زمان ومكان، لا. بل إن أعداءها التقليديين الذين كان يواجههم القرآن، ويواجه دسائسهم وكيدهم ومكرهم، هم هم، ووسائلهم هي هي. . . تتغير أشكالها بتغير الملابسات، وتبقى حقيقتها وطبيعتها، وتحتاج الأمة المسلمة في كفاحها وتوقيها إلى توجيهات هذا القرآن حاجة الجماعة المسلمة الأولى. كما تحتاج في بناء تصورها الصحيح، وإدراك موقفها من الكون والناس إلى ذات النصوص وذات التوجيهات، وتجد فيها معالم طريقها واضحة كما لا تجدها في أي مصدر آخر من مصادر المعرفة والتوجيه، ويظل القرآن كتاب هذه الأمة العامل في حياتها،

---

(١) المرجع السابق، (١/ ٣٨).

وقائدها الحقيقي في طريقها الواقعي، ودستورها الشامل الكامل، الذي تستمد منه منهج الحياة، ونظام المجتمع، وقواعد التعامل الدولي، والسلوك الأخلاقي والعملي، وهذا هو الإعجاز»(١).

الثاني: إشارته إلى الإعجاز في نظم آيات التشريع، وأنه لا يقل جمالاً عن غيره، بل هو أقوى. يقول عند آية المداينة (٢٨٢) من سورة البقرة: «إن الإعجاز في صياغة آيات التشريع هنا لهو الإعجاز في صياغة آيات الإيحاء والتوجيه. بل هو أوضح وأقوى، لأن الغرض هنا دقيق يحرفه لفظ واحد، ولا ينوب فيه لفظ عن لفظ، ولولا الإعجاز ما حقق الدقة التشريعية المطلقة، والجمال الفني المطلق على هذا النحو الفريد»(٢).

وهذا القول له أهميته القصوى، لأن إبراز سحر البلاغة وعظمة الإعجاز في آيات التشريع ؛ يتغافل عنه الكثيرون بسبب صعوبته، فهو لا يمنحك معرفته إلا بعد كد وجهد، وليس الأمر كذلك في الآيات التي تعنى بالكون والقصص وغير ذلك، وهو أمر كان الباقلاني قد أشار إليه بإيجاز في حديثه عن وجوه إعجاز القرآن فقال: «إن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة، والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع»(٣)، بيد أن دراسة هذا الجانب من وجوه إعجاز القرآن لم تلق حقها من الدراسة كما لقيته عند سيد قطب هنا(٤).

---

(١) المرجع السابق، (١/ ١٢٤).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٣٣٤).

(٣) إعجاز القرآن، تحقيق السيد صقر، ص (٤٤).

(٤) انظر بحثنا: (التجديد في منهجية التفسير بين الزمخشري وسيد قطب، دراسة تحليلية تطبيقية مقارنة) المنشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد (٤٥) ربيع الأول ١٤٢٢هـ/ يونيو ٢٠٠١م. وهو أحد مصادرنا هنا.

رفع
المسلم
عبد الله إبراهيم

● **سابعاً: نموذج من الظلال حول قصة آدم في سورة البقرة**

ذكر سيد قطب في قصة آدم [الآيات ٣٠ ـ ٣٩ من سورة البقرة] كلاماً نفيساً نثبت بعضه ؛ لأنه يعطي صورة عن جهوده في التفسير وفي بيان القصص القرآني، بأسلوب ميسر قريب من نفس القارئ، يقول :

«يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات. وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدى بها. تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه. وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب.

ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى . ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق. وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار.

ويزيغ أناس فيزعمون: أن هنالك خلقاً للحوادث أو تصرفاً فيها، يقصد به إلى مجرد الفن ـ بمعنى التزويق الذي لا يتقيد بواقع ـ ولكن الحق الذي يلمسه كل من ينظر في هذا القرآن، وهو مستقيم الفطرة، مفتوح البصيرة، هو أن المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء. والقرآن كتاب دعوة، ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية ولا تسلية ولا تاريخ. وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار، بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق، الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء.

وقصص الأنبياء في القرآن يمثل موكب الإيمان في طريقه الممتد الواصل الطويل. ويعرض قصة الدعوة إلى الله واستجابة البشرية لها جيلاً بعد جيل ؛

رفع
المسهم
عبد الله الحجاج

كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم . . وتتبع هذا الموكب الكريم في طريقه اللاحب يفيض على القلب رضا ونوراً وشفافية، ويشعره بنفاسة هذا العنصر العزيز ـ عنصر الإيمان ـ وأصالته في الوجود. كذلك يكشف عن حقيقة التصور الإيماني، ويميزه في الحس من سائر التصورات الدخيلة . . ومن ثم كان القصص شطراً كبيراً من كتاب الدعوة الكريم.

فلننظر الآن في قصة آدم ـ كما جاءت هنا ـ في ضوء هذه الإيضاحات .

إن السياق ـ فيما سبق ـ يستعرض موكب الحياة، بل موكب الوجود كله. ثم يتحدث عن الأرض ـ في معرض آلاء الله على الناس ـ فيقرر أن الله خلق كل ما فيها لهم . . فهنا في هذا الجو تجيء قصة استخلاف آدم في الأرض، ومنحه مقاليدها، على عهد من الله وشرط، وإعطائه المعرفة التي يعالج بها هذه الخلافة. كما أنها تمهد للحديث عن استخلاف بني إسرائيل في الأرض بعهد من الله ؛ثم عزلهم عن هذه الخلافة، وتسليم مقاليدها للأمة المسلمة الوافية بعهد الله [كما سيجيء] فتتسق القصة مع الجو الذي تساق فيه كل الاتساق.

فلنعش لحظات مع قصة البشرية الأولى وما وراءها من إيحاءات أصيلة:

* * *

ها نحن أولاء ـ بعين البصيرة في ومضات الاستشراف ـ في ساحة الملأ الأعلى ؛ وها نحن أولاء نسمع ونرى قصة البشرية الأولى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

وإذاً فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله ـ بإذن الله ـ في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه.

وإذاً فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة، والاستعدادات

رفع المسهم

المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات ؛ ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية.

وإذاً فهنالك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض ـ وتحكم الكون كله ـ والنواميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته، كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك ؛ وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة!

وإذاً فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان، في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة. وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم.

هذا كله بعض إيحاء التعبير العلوي الجليل: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ حين نتملاه اليوم بالحس اليقظ والبصيرة المفتوحة، ورؤية ما تم في الأرض على يد هذا الكائن المستخلف في هذا الملك العريض!

﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾.

ويوحي قول الملائكة هذا بأنه كان لديهم من شواهد الحال، أو من تجارب سابقة في الأرض، أو من إلهام البصيرة، ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، أو من مقتضيات حياته على الأرض ؛ وما يجعلهم يعرفون أو يتوقعون أنه سيفسد في الأرض، وأنه سيسفك الدماء . . ثم هم ـ بفطرة الملائكة البريئة التي لا تتصور إلا الخير المطلق، وإلا السلام الشامل ـ يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له، هو وحده الغاية المطلقة للوجود، وهو وحده العلة الأولى للخلق، وهو متحقق بوجودهم هم، يسبحون بحمد الله ويقدسون له، ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته!

لقد خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا، في بناء هذه الأرض وعمارتها، وفي تنمية الحياة وتنويعها، وفي تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود في تطويرها وترقيتها وتعديلها، على يد خليفة الله في أرضه. هذا الذي قد يفسد أحياناً، وقد يسفك الدماء أحياناً، ليتم من وراء هذا الشر الجزئي الظاهر خير

أكبر وأشمل. خير النمو الدائم، والرقي الدائم. خير الحركة الهادمة البانية. خير المحاولة التي لا تكف، والتطلع الذي لا يقف، والتغيير والتطوير في هذا الملك الكبير.

عندئذ جاءهم القرار من العليم بكل شيء، والخبير بمصائر الأمور:

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾

ها نحن أولاء ـ بعين البصيرة في ومضات الاستشراف ـ نشهد ما شهده الملائكة في الملأ الأعلى . . ها نحن أولاء نشهد طرفاً من ذلك السر الإلهي العظيم الذي أودعه الله هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد الخلافة. سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها ـ وهي ألفاظ منطوقة ـ رموزاً لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض. ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى، لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، والمشقة في التفاهم والتعامل، حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه . . الشأن شأن نخلة فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا باستحضار جسم النخلة! الشأن شأن جبل. فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بالذهاب إلى الجبل! الشأن شأن فرد من الناس فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بتحضير هذا الفرد من الناس . . . إنها مشقة هائلة لا تتصور معها حياة! وإن الحياة ما كانت لتمضي في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات.

فأما الملائكة فلا حاجة لهم بهذه الخاصية، لأنها لا ضرورة لها في وظيفتهم . ومن ثم لم توهب لهم. فلما علم الله آدم هذا السر، وعرض عليهم ما عرض لم يعرفوا الأسماء. لم يعرفوا كيف يضعون الرموز اللفظية للأشياء

والشخوص . . وجهروا أمام هذا العجز بتسبيح ربهم، والاعتراف بعجزهم، والإقرار بحدود علمهم، وهو ما علمهم . . وعرف آدم . . ثم كان هذا التعقيب الذي يردهم إلى إدراك حكمة العليم الحكيم:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾.

إنه التكريم في أعلى صوره، لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء، ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة. لقد وهب سر المعرفة، كما وهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق . . إن ازدواج طبيعته، وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه، واضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة . . إن هذا كله بعض أسرار تكريمه .

ولقد سجد الملائكة امتثالاً للأمر العلوي الجليل . . ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وهنا تتبدى خليقة الشر مجسمة: عصيان الجليل سبحانه ! والاستكبار عن معرفة الفضل لأهله . والعزة بالإثم . والاستغلاق عن الفهم .

ويوحي السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة، إنما كان معهم . فلو كان منهم ما عصى . وصفتهم الأولى أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . . والاستثناء هنا لا يدل على أنه من جنسهم، فكونه معهم يجيز هذا الاستثناء، كما تقول: جاء بنو فلان إلا أحمد . وليس منهم إنما هو عشيرهم وإبليس من الجن بنص القرآن، والله خلق الجان من مارج من نار . وهذا يقطع بأنه ليس من الملائكة .

والآن . لقد انكشف ميدان المعركة الخالدة . المعركة بين خليقة الشر في إبليس، وخليفة الله في الأرض . المعركة الخالدة في ضمير الإنسان. المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته . ويبعد عن ربه :

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

لقد أبيحت لهما كل ثمار الجنة . . إلا شجرة . . شجرة واحدة، ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض . فبغير محظور لا تنبت الإرادة، ولا يتميز الإنسان المريد من الحيوان المسوق، ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط . فالإرادة هي مفرق الطريق. والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة، ولو بدوا في شكل الآدميين!

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

ويا للتعبير المصور: (أزلهما) . . إنه لفظ يرسم صورة الحركة التي يعبر عنها. وإنك لتكاد تلمح الشيطان وهو يزحزحهما عن الجنة، ويدفع بأقدامهما فتزل وتهوي!

عندئذ تمت التجربة: نسي آدم عهده، وضعف أمام الغواية . وعندئذ حقت كلمة الله، وصرح قضاؤه:

﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة في مجالها المقدر لها . بين الشيطان والإنسان . إلى آخر الزمان .

ونهض آدم من عثرته، بما ركب في فطرته، وأدركته رحمة ربه التي تدركه دائماً عندما يثوب إليها ويلوذ بها .

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

وتمت كلمة الله الأخيرة، وعهده الدائم مع آدم وذريته . عهد الاستخلاف في هذه الأرض، وشرط الفلاح فيها أو البوار .

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

وانتقلت المعركة الخالدة إلى ميدانها الأصيل، وانطلقت من عقالها ما تهدأ

رفع المسـهم

لحظة وما تفتر. وعرف الإنسان في فجر البشرية كيف ينتصر إذا شاء الانتصار، وكيف ينكسر إذا اختار لنفسه الخسار . . .

دروس واستنباطات من قصة آدم:

وبعد فلا بد من عودة إلى مطالع القصة . قصة البشرية الأولى .

لقد قال الله تعالى للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . . وإذاً فآدم مخلوق لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى . ففيم إذاً كانت تلك الشجرة المحرمة؟ وفيم إذاً كان بلاء آدم؟ وفيم إذاً كان الهبوط إلى الأرض، وهو مخلوق لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى؟ .

لعلني ألمح أن هذه التجربة كانت تربية لهذا الخليفة وإعداداً. كانت إيقاظاً للقوى المذخورة في كيانه. كانت تدريباً له على تلقي الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين.

إن قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة، ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة من بعد السكرة، والندم وطلب المغفرة . . إنها هي تجربة البشرية المتجددة المكرورة!

لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته، مزوداً بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً، استعداداً للمعركة الدائبة وموعظة وتحذيراً .

وبعد . . مرة أخرى . . فأين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حيناً من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو إبليس . . كيف قال الله تعالى لهم وكيف أجابوه؟ . . . ذا وأمثاله في القرآن الكريم غيب من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه؛ وعلم بحكمته أن لا جدوى للبشر في معرفة كنهه وطبيعته، فلم يهب لهم القدرة على إدراكه والإحاطة به، بالأداة التي وهبهم إياها لخلافة الأرض، وليس من مستلزمات الخلافة أن نطلع على

رفع المسـتـهـمـل

هذا الغيب . وبقدر ما سخر الله للإنسان من النواميس الكونية وعرفه بأسرارها، بقدر ما حجب عنه أسرار الغيب، فيما لا جدوى له في معرفته . وما يزال الإنسان مثلاً على الرغم من كل ما فتح له من الأسرار الكونية يجهل ما وراء اللحظة الحاضرة جهلاً مطلقاً، ولا يملك بأي أداة من أدوات المعرفة المتاحة له أن يعرف ماذا سيحدث له بعد لحظة، وهل النفس الذي خرج من فمه عائد أم هو آخر أنفاسه؟ وهذا مثل من الغيب المحجوب عن البشر، لأنه لا يدخل في مقتضيات الخلافة ، بل ربما كان معوقاً لها لو كشف للإنسان عنه! وهنالك ألوان من مثل هذه الأسرار المحجوبة عن الإنسان، في طي الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

ومن ثم لم يعد للعقل البشري أن يخوض فيه، لأنه لا يملك الوسيلة للوصول إلى شيء من أمره. وكل جهد يبذل في هذه المحاولة هو جهد ضائع، ذاهب سدى، بلا ثمرة ولا جدوى.

وإذا كان العقل البشري لم يوهب الوسيلة للاطلاع على هذا الغيب المحجوب؛ فليس سبيله إذاً أن يتبجح فينكر . . فالإنكار حكم يحتاج إلى المعرفة. والمعرفة هنا ليست من طبيعة العقل، وليست في طوق وسائله، ولا هي ضرورية له في وظيفته!

إن الاستسلام للوهم والخرافة شديد الضرر بالغ الخطورة. ولكن أضر منه وأخطر، التنكر للمجهول كله وإنكاره، واستبعاد الغيب لمجرد عدم القدرة على الإحاطة به . . إنها تكون نكسة إلى عالم الحيوان الذي يعيش في المحسوس وحده، ولا ينفذ من أسواره إلى الوجود الطليق.

فلندع هذا الغيب إذاً لصاحبه، وحسبنا ما يقص لنا عنه، بالقدر الذي يصلح لنا في حياتنا، ويصلح سرائرنا ومعاشنا. ولنأخذ من القصة ما تشير إليه من حقائق كونية وإنسانية، ومن تصور للوجود وارتباطاته، ومن إيحاء بطبيعة الإنسان وقيمه وموازينه . . فذلك وحده أنفع للبشرية وأهدى. وفي اختصار يناسب ظلال القرآن سنحاول أن نمر بهذه الإيحاءات والتصورات والحقائق مروراً مجملاً سريعاً.

رفع المسهم

إن أبرز إيحاءات قصة آدم ـ كما وردت في هذا الموضع ـ هو القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان ولدوره في الأرض، ولمكانه في نظام الوجود، وللقيم التي يوزن بها. ثم لحقيقة ارتباطه بعهد الله، وحقيقة هذا العهد الذي قامت خلافته على أساسه. . وتتبدى تلك القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان في الإعلان العلوي الجليل في الملأ الأعلى الكريم، أنه مخلوق ليكون خليفة في الأرض؛ كما تتبدى في أمر الملائكة بالسجود له. وفي طرد إبليس الذي استكبر وأبى، وفي رعاية الله له أولاً وأخيراً.

ومن هذه النظرة للإنسان تنبثق جملة اعتبارات ذات قيمة كبيرة في عالم التصور وفي عالم الواقع على السواء.

وأول اعتبار من هذه الاعتبارات: هو أن الإنسان سيد هذه الأرض، ومن أجله خلق كل شيء فيها ـ كما تقدم ذلك نصاً ـ فهو إذاً أعز وأكرم وأغلى من كل شيء مادي، ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعاً. ولا يجوز إذاً أن يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية أو شيء مادي . . لا يجوز أن يعتدي على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة، ولا أن تهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق أي كسب مادي، أو إنتاج أي شيء مادي، أو تكثير أي عنصر مادي . . فهذه الماديات كلها مخلوقة ـ أو مصنوعة ـ من أجله. من أجل تحقيق إنسانيته . من أجل تقرير وجوده الإنساني. فلا يجوز إذاً أن يكون ثمنها هو سلب قيمة من قيمه الإنسانية، أو نقص مقوم من مقومات كرامته.

والاعتبار الثاني: هو أن دور الإنسان في الأرض هو الدور الأول. فهو الذي يغير ويبدل في أشكالها وفي ارتباطاتها؛ وهو الذي يقود اتجاهاتها ورحلاتها. وليست وسائل الإنتاج ولا توزيع الإنتاج، هي التي تقود الإنسان وراءها ذليلاً سلبياً كما تصوره المذاهب المادية التي تحقر من دور الإنسان وتصغر، بقدر ما تعظم في دور الآلة وتكبر!

إن النظرة القرآنية تجعل هذا الإنسان بخلافته في الأرض، عاملاً مهماً في نظام الكون، ملحوظاً في هذا النظام. فخلافته في الأرض تتعلق بارتباطات شتى مع السموات ومع الرياح ومع الأمطار، ومع الشموس والكواكب . .

وكلها ملحوظ في تصميمها وهندستها إمكان قيام الحياة على الأرض، وإمكان قيام هذا الإنسان بالخلافة . . فأين هذا المكان الملحوظ من ذلك الدور الذليل الصغير الذي تخصصه له المذاهب المادية، ولا تسمح له أن يتعداه؟!

وما من شك أن كلاً من نظرة الإسلام هذه ونظرة المادية للإنسان تؤثر في طبيعة النظام الذي تقيمه هذه وتلك للإنسان؛ وطبيعة احترام المقومات الإنسانية أو إهدارها؛ وطبيعة تكريم هذا الإنسان أو تحقيره . . وليس ما نراه في العالم المادي من إهدار كل حريات الإنسان وحرماته ومقوماته في سبيل توفير الإنتاج المادي وتكثيره، إلا أثراً من آثار تلك النظرة إلى حقيقة الإنسان، وحقيقة دوره في هذه الأرض!

كذلك ينشأ عن نظرة الإسلام الرفيعة إلى حقيقة الإنسان ووظيفته إعلاء القيم الأدبية في وزنه وتقديره، وإعلاء قيمة الفضائل الخلقية، وتكبير قيم الإيمان والصلاح والإخلاص في حياته. فهذه هي القيم التي يقوم عليها عهد استخلافه: فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . . وهذه القيم أعلى وأكرم من جميع القيم المادية ـ هذا مع أن من مفهوم الخلافة تحقيق هذه القيم المادية، ولكن بحيث لا تصبح هي الأصل ولا تطغى على تلك القيم العليا ـ ولهذا وزنه في توجيه القلب البشري إلى الطهارة والارتفاع والنظافة في حياته. بخلاف ما توحيه المذاهب المادية من استهزاء بكل القيم الروحية، وإهدار لكل القيم الأدبية، في سبيل الاهتمام المجرد بالإنتاج والسلع ومطالب البطون كالحيوان!

وفي التصور الإسلامي إعلاء من شأن الإرادة في الإنسان فهي مناط العهد مع الله، وهي مناط التكليف والجزاء . . إنه يملك الارتفاع على مقام الملائكة بحفظ عهده مع ربه عن طريق تحكيم إرادته، وعدم الخضوع لشهواته، والاستعلاء على الغواية التي توجه إليه. بينما يملك أن يشقي نفسه ويهبط من عليائه، بتغليب الشهوة على الإرادة، والغواية على الهداية، ونسيان العهد الذي يرفعه إلى مولاه. وفي هذا مظهر من مظاهر التكريم لا شك فيه، يضاف إلى عناصر التكريم الأخرى. كما أن فيه تذكيراً دائماً بمفرق الطريق بين السعادة

رفع
المسـتهم
عبدالله الغزالي

والشقاوة، والرفعة والهبوط، ومقام الإنسان المريد ودرك الحيوان المسوق!

وفي أحداث المعركة التي تصورها القصة بين الإنسان والشيطان مذكر دائم بطبيعة المعركة. إنها بين عهد الله وغواية الشيطان بين الإيمان والكفر. بين الحق والباطل. بين الهدى والضلال . . والإنسان هو نفسه ميدان المعركة . وهو نفسه الكاسب أو الخاسر فيها. وفي هذا إيحاء دائم له باليقظة ؛ وتوجيه دائم له بأنه جندي في ميدان ؛ وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلب في هذا الميدان!

وأخيراً تجيء فكرة الإسلام عن الخطيئة والتوبة . . إن الخطيئة فردية والتوبة فردية. في تصور واضح بسيط لا تعقيد فيه ولا غموض . . ليست هنالك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده ـ كما تقول نظرية الكنيسة ـ وليس هنالك تكفير لاهوتي، كالذي تقول الكنيسة إن عيسى ـ عليه السلام ـ [ابن الله بزعمهم] قام به بصلبه، تخليصاً لبني آدم من خطيئة آدم ! . . كلا ! خطيئة آدم كانت خطيئته الشخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة. وخطيئة كل ولد من أولاده خطيئة كذلك شخصية، والطريق مفتوح للتوبة في يسر وبساطة . . تصور مريح صريح . يحمل كل إنسان وزره، ويوحي إلى كل إنسان بالجهد والمحاولة وعدم اليأس والقنوط . . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾

هذا طرف من إيحاءات قصة آدم ـ في هذا الموضع ـ نكتفي به في ظلال القرآن . وهو وحده ثروة من الحقائق والتصورات القويمة ؛ وثروة من الإيحاءات والتوجيهات الكريمة ؛ وثروة من الأسس التي يقوم عليها تصور اجتماعي وأوضاع اجتماعية، يحكمها الخلق والخير والفضيلة. ومن هذا الطرف نستطيع أن ندرك أهمية القصص القرآني في تركيز قواعد التصور الإسلامي ؛ وإيضاح القيم التي يرتكز عليها. وهي القيم التي تليق بعالم صادر عن الله، متجه إلى الله، صائر إلى الله في نهاية المطاف . . عقد الاستخلاف فيه قائم على تلقي الهدى من الله، والتقيد بمنهجه في الحياة . ومفرق الطريق فيه أن يسمع الإنسان ويطيع لما يتلقاه من الله، أو أن يسمع الإنسان ويطيع لما

رفع المسهم

يمليه عليه الشيطان. وليس هناك طريق ثالث . . إما الله وإما الشيطان. إما الهدى وإما الضلال . إما الحق وإما الباطل . إما الفلاح وإما الخسران . . وهذه الحقيقة هي التي يعبر عنها القرآن كله، بوصفها الحقيقة الأولى، التي تقوم عليها سائر التصورات، وسائر الأوضاع في عالم الإنسان»[1].

ونحن نلحظ من هذا النص الآتي :

١ ـ حدد سيد قطب وظيفة القصص القرآني، فهو يرد في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية.

٢ ـ يفند فكرة التكرار في القصص القرآني، لأنه حيثما تكررت القصة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار.

٣ ـ رفض فكرة مخالفة القصص القرآني للواقع بقصد الفن والتزويق ؛ لأن الجمال الفني الصادق، لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء.

٤ ـ تلخص قصص الأنبياء رحلة موكب الإيمان عبر تاريخ البشرجيلاً بعد جيل ؛ كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر.

٥ ـ يرى أن سياق قصة آدم يستعرض موكب الحياة، بل موكب الوجود كله.

٦ ـ آدم مخلوق لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى، وكان بلاء آدم وهبوطه إلى الأرض، تربية لهذا الخليفة وإعداداً، كانت تدريباً له على تلقي الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين.

٧ ـ إن قصة آدم بما فيها من أحداث وابتلاءات هي تجربة البشرية المتجددة المكرورة!

---

(١) في ظلال القرآن، (١/ ٥٥ ـ ٦١).

٨ ـ لقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته، مزوداً بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً، استعداداً للمعركة الدائبة، وموعظة وتحذيراً.

٩ ـ في قصص القرآن الكريم غيب استأثر الله تعالى بعلمه؛ وعلم بحكمته أن لا جدوى للبشر في معرفة كنهه وطبيعته، كالسؤال عن الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حيناً من الزمان؟.

١٠ ـ إن أبرز إيحاءات قصة آدم هو القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان ولدوره في الأرض، ولمكانه في نظام الوجود، وللقيم التي يوزن بها. ثم لحقيقة ارتباطه بعهد الله، وحقيقة هذا العهد الذي قامت خلافته علي أساسه.

١١ ـ الإنسان سيد هذه الأرض، فهو خليفة، ومن أجله خلق كل شيء فيها، ولا يجوز إذاً أن يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية أو شيء مادي.

١٢ ـ يعلي الإسلام القيم الأدبية والفضائل الخلقية.

١٣ ـ وفي التصور الإسلامي إعلاء من شأن الإرادة في الإنسان؛ فهي مناط العهد مع الله، وهي مناط التكليف.

١٤ ـ في التصور الإسلامي تذكير دائماً بمفرق الطريق بين السعادة والشقاوة.

١٥ ـ هناك معركة دائمة بين عهد الله وغواية الشيطان، والإنسان هو نفسه ميدان المعركة.

١٦ ـ فكرة الإسلام عن الخطيئة والتوبة أن الخطيئة فردية والتوبة فردية، وليست هنالك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده كما تقول نظرية الكنيسة.

١٧ ـ في قصة آدم ثروة من الحقائق والتصورات القويمة، ومن الإيحاءات والتوجيهات الكريمة، وثروة من الأسس الاجتماعية، وهنا تكمن أهمية القصص القرآني في تركيز قواعد التصور الإسلامي.

رفع
المسلم
عبد الله بن عبد الله

هكذا يعالج سيد قطب القصص القرآني، ويتناول الآيات القرآنية بأسلوب أدبي رائق، بعيداً عن الإسرائيليات والمباحث الكلامية والفلسفية، وبلغة سهلة محببة إلى النفس، استطاع من خلالها أن ينقل معاني القرآن إلى نفوس أبنائه، وكأنه يتنزل بينهم، وليس قبل أربعة عشر قرناً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو ذو الفضل العظيم.

❑ ❑ ❑

المسلم

المبحث الرابع:

اتجاهات جديدة في البلاغة

أولاً: دراسات كلاسيكية في حلة جديدة

هنالك كثير من الكتب التي تدور في فلك البلاغة القديمة بأسلوب ميسر مختصر، من ذلك:

١ ـ جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي(١)

وقد جاء في مقدمته: «وبعد: فإن العلوم أرفع المطالب، وأنفع المآرب، وعلم البلاغة من بينها أجلها شأناً وأبينها تبياناً، إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التنزيل، وإفصاح دقائق التأويل، وإظهار دلائل الإعجاز، ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالي بتدريس البيان بالمدارس الثانوية، كانت البواعث داعية إلى تأليف كتاب جواهر البلاغة، جامعاً للمهمات من القواعد والتطبيقات»(٢).

والكتاب درس مصطلح الفصاحة والبلاغة وعلوم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع بأسلوب مبسط، وفي ذيل كل مبحث تطبيقات مع الإجابة عليها، ولم يخرج عن قواعد البلاغة القديمة.

---

(١) أحمد بن إبراهيم الهاشمي، أديب، معلم مصري، من تلاميذ الشيخ محمد عبده، (١٢٩٥ ـ ١٣٦٢هـ = ١٨٧٨ ـ ١٩٤٣م). انظر: الأعلام (١/ ٩٠).

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص(٣).

رفع
المسهم
عبد الله بن علي

٢ ـ علوم البلاغة للمراغي[١]

ألف أحمد مصطفى المراغي ـ أستاذ العربية بكلية دار العلوم ـ كتابه: (علوم البلاغة: البيان المعاني البديع)، وقال في مقدمته: «وبعد فإن موضع علوم البيان من علوم العربية موضع الرأس من الإنسان، أو اليتيمة من قلائد العقيان، فهي مستودع سرها، ومظهر جلالها، فلا فضيلة لكلام على كلام، إلا بما يحويه من لطائفها، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها، ولا تبريز لمتكلم على آخر إلا بما يحوكه من وشيها، ويلفظه من درها، وينفثه من سحرها، ويجنيه من يانع ثمرها، إلى أن بها نعرف وجه إعجاز القرآن، وندرك ما فيه من خصائص البيان، ونفهم براعة أسلوبه، وانسجام تأليفه، وسهولة نظمه وسلامته، وعذوبته وجزالته، إلى تلك المحاسن التي أسالت على العرب الوادي عجزاً، حتى حارت عقولهم، وقصرت عن بلوغ شأوه جهابذتهم وفحولهم»[٢].

وقد بدأ الكتاب بنبذة في تاريخ علوم البيان أو علوم النقد أو علوم البلاغة، ثم مقدمة في حقيقة الفصاحة والبلاغة لغة واصطلاحاً، ثم تناول موضوعات علم المعاني والبيان والبديع ضمن أبواب ومباحث، وغالباً ما يذكر تدريبات مصحوبة بالإجابة عقب كل مبحث، ولم يخرج عن قواعد البلاغة القديمة.

٣ ـ البلاغة الواضحة لعلي الجارم[٣] ومصطفى أمين

وقد جاء في مقدمة الكتاب: «فهذا كتاب وضعناه في البلاغة، واتجهنا فيه كثيراً إلى الأدب، رجاء أن يجتلي الطلاب فيه محاسن العربية، ويلمحوا ما في أساليبها من جلال وجمال، ويدرسوا أفانين القول وضروب التعبير، ما يهب

---

(١) أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، توفي بالقاهرة (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م). انظر: الأعلام، (١/ ٢٥٨).

(٢) علوم البلاغة، ص (٥) دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

(٣) علي بن صالح الجارم، أديب مصري من رجال التعليم، له شعر ونظم كثير، كان من أعضاء المجمع اللغوي، (١٢٩٩ ـ ١٣٦٨هـ = ١٨٨١ ـ ١٩٤٩م). انظر: الأعلام (٤/ ٢٩٤).

رفع المسهم

لهم نعمة الذوق السليم، ويربي فيه ملكة النقد الصحيح»[1].

والكتاب موضوع لتلاميذ المدارس الثانوية، يبدأ بعلم البيان، فالمعاني، فالبديع، وهو كتاب مبسط فيه كثير من التدريبات مع حلها، ولا يخرج عن قواعد البلاغة القديمة.

٤ ـ معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة

حاول فيه تصنيف موضوعات البلاغة القديمة وفق حروف المعجم، وقد قال في مقدمته ـ للطبعة الثانية ـ مبيناً ما أصاب البلاغة من خمول، وكأنه كان يشعر بأهميته إنجازه في تجلية وجه البلاغة من جديد: «فما أبعد الفراق بين بلاغة الأمس؛ تذبُّ عن القرآن، وتنبه إلى وجوه الإعجاز البياني فيه، وتحكم في الآداب، وتوجهها إلى حيث ينبغي أن تكون، وبلاغة اليوم؛ وهي في أحسن أحوالها عند نابتة هذا الزمان حدود تذكر، وأقسام تحصر، وشواهد تستظهر، وهيهات لبلاغة تصير إلى هذا المصير أن تنبه خاملاً، أو توقظ غافلاً، أو تنشط ملكة بيان، أو تحل معقود لسان، أو تعين على نقد أو تمييز! ولا تتحمل البلاغة وحدها هذا الوزر، فإن البلاغة معرفة مستنيرة بفنون الأدب، وأصولها ومظاهر الإبداع فيها، ترفدها أذواق النخبة الواعية من ذوي البصيرة بالفن الأدبي، وقد أصاب البلاغة ما أصاب غيرها من معارف هذه الأمة، ومقوماتها الأصيلة في العلم والفكر والفن، وهي تحاول الآن أن تنفض عن نفسها غبار الأحداث»[2].

ويذكر في مقدمة الطبعة الأولى أهمية ما قام به حفاظاً على التراث، يقول: «ومن الحق أن أقرر صادقاً أن الإقدام على تأليف كتاب أو معجم جامع لفنون تلك الثقافة البلاغية عند العرب، كان عبئاً ثقيلاً، وكنت أول من يحس بفداحة

---

(١) البلاغة الواضحة، ص (٣) دار المعارف بمصر، الطبعة الحادية والعشرون، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

(٢) معجم البلاغة العربية، ص (٩)، دار المنارة، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

هذا العبء، وبعد أثره في الحفاظ على هذا التراث»[1].

ويضيف مبيناً كثرة مصادره وشمولها: «ولا بد من الإشارة إلى أنني استعنت في تأليف هذا المعجم، بجميع ما استطعت الوصول إليه من أصول البلاغة ومراجعها المعتمدة، منذ بدأ التفكير والتدوين فيها، ثم تابعت الآثار المختلفة التي سجل فيها الأسلاف من علماء هذا الفن خلاصة جهدهم، وثمرات تتبعهم، في سبيل تنميته وازدهاره، حتى نضج واستوى على سوقه، وأصبحت البلاغة على أيديهم علماً متكاملاً، وما أكثر المراجع والمصنفات التي خلفوها، وبذلوا فيها ما لا يقدره إلا أهل الخبرة والممارسة»[2].

ولا شك أن هذا المعجم هو خطوة عصرية لتقريب مباحث البلاغة للباحثين والدارسين على حد سواء.

ثانياً: دراسات بلاغية وفق منهج جديد

١ ـ ومنها دراسة لم تكتمل كان ينوي الرافعي أن يتناول فيها البلاغة القرآنية تحت عنوان: (أسرار الإعجاز)، ولكن المنية عاجلته قبل أن يتم الكتاب، وكنا قد أشرنا إلى ذلك في الحديث عن الرافعي.

٢ ـ ومنها دراسة الأستاذ الدكتور أحمد موسى (البلاغة التطبيقية)، حيث عرف علم البيان بأنه: (علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية)، ورفض أن يكون مبحث الدلالة وأنواعها بسبب من علم البيان[3].

٣ ـ ومنها كتاب (من بلاغة القرآن) للأستاذ الدكتور أحمد بدوي، وقد «بدأه بمقدمة؛ رسم فيها المنهج الذي يجب أن يكون لدراسة النص الأدبي دراسة كاملة ملخصة: أن تدرس مفردات النص أولاً دراسة فنية، لتبين مدى الإصابة في اختيارها، ومدى تمكنها من موضعها من جملتها، وقوة ربطها بأخواتها. ثم

---

(١) المرجع السابق، ص (١٣).

(٢) المرجع السابق، ص (١٧).

(٣) انظر: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، للدكتور عبد العزيز عرفة، ص(٧٦٩).

رفع
المسلم
عبد الله الغالي

تدرس الجملة في النص ؛ لإدراك سر قوتها وجمالها، ويقول: إن المجال فسيح هنا أمام علوم البلاغة الاصطلاحية التي تدرس أسباب الجمال في تكوين الجملة العربية، فتبحث لم قُدم هذا الجزء من الجملة ؟ ولمَ أُخر ذاك ؟ ولماذا حذف هنا، وأثبت هناك ؟ ولمَ جاء هنا التعريف ؟ وهناك التنكير ؟ ولمَ استخدم الخبر في موضع الإنشاء... إلى غير ذلك من أبحاث تتصل بالجملة والجملتين. ثم يدرس النص برمته، فينظر إليه على أنه وحدة متصلة الأجزاء، فيرى مدى ارتباط بعضه ببعض، ومدى تضافر أجزائه على رسم الصورة التي يريد النص توضيحها، ومدى الإصابة في ترتيب الأجزاء كي يؤدي سابقها إلى لاحقها، حتى إذا تم النص صارت فكْرته واضحة في النفس، جلية مؤثرة، ولا بد من دراسة المعاني التي حواها النص، لمعرفة القوي منها والضعيف، وما له دخل في تكوين الصورة، وما هو دخيل، وكيف نضدت هذه المعاني ونسقت، حتى التأمت وحدة تنبض بالحياة»[(١)].

٤ ـ ومنها دراسة للدكتورة عائشة عبد الرحمن، بعنوان: (التفسير البياني للقرآن الكريم)، وهي حريصة في منهجها على إقامة الصلة بين علوم العربية وعلوم الدين، وبالعكس، تقول: «فإذا كنت في دروسي الجامعية بقسم اللغة العربية بمصر، قد حرصت على توثيق علوم العربية بالبيان القرآني، فإني في دراساتي القرآنية بجامعة القرويين، حريصة على توثيق علوم الإسلام بالعربية لغة وبياناً، من حيث لا يصح لدارس فقه الإسلام دون رسوخ في علوم العربية، كما لا يصح له رسوخ في العربية دون دراية بعلوم القرآن والإسلام»[(٢)].

وعن منهجها الجديد تقول: «والأصل في منهج التفسير ـ كما تلقيته عن أستاذي ـ هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك، وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، يؤخذ اللفظ أو الآية، مقتطعاً من سياقه العام في

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص(٧٨٥ ـ ٧٨٦).

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، (١/ ١١)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.

رفع المسهم

القرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظاهره الأسلوبية وخصائصه البيانية»[1].

ولنأخذ كمثال على جهودها ما ذكرته في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨] حيث أثبتت من خلال عرض آيات القرآن، واستقراء حال النبي - ﷺ - قبل البعثة وبعدها، وقبل الهجرة وبعدها، أن الغنى في الآية هو غنى النفس، تقول: «العيْلة في اللغة: الفاقة والعوز. يقال: عالني الشيء، إذا أعوزني. ومنه قالوا للرجل: عائل، إذا كثر عياله لأنهم عالة. ولُحظ فيه مع كثرة العيال ثقل العبء؛ مما يُظن معه الضيقُ المادي والعَوز، ومن ثم قيل: عال، بمعنى افتقر.

ولم ترد المادة في القرآن إلا مرتين: آية الضحى، وآية التوبة ٢٨: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: ٢٨].

وهي في المرتين كلتيهما: مقابلة الغنى. فما الغنى؟ أخذه المفسرون بمعنى الإثراء، وهو المعنى القريب المتبادر، ففسروا آية الضحى بأن الله تعالى: (أغناه في صباه بتربية أبي طالب، ولما اختلت أحواله؛ أغناه بمال خديجة، ولما اختل ذلك؛ أغناه بمال أبي بكر، ولما اختل ذلك؛ أمره بالهجرة، وأغناه بإعانة الأنصار، ثم أمره بالجهاد؛ وأغناه بالغنائم).

واختصر الشيخ محمد عبده هذه السلسلة من الاختلال والإغناء، مكتفياً بربح التجارة، ومال السيدة خديجة، قال: (وكان الرسول فقيراً، لم يترك له والده من الميراث إلا ناقة وجارية، فأغناه الله بما ربحه في التجارة، ومما وهبت له خديجة من مالها).

وأحسبه بهذا الاكتفاء، إنما أراد أن ينفي المشكلة الزمنية التي أحوجت مفسرين إلى تأول بعيد، فالسورة مكية مبكرة بلا خلاف، وهذا الغنى بالأنصار والغنائم كان بعد الهجرة، ومن ثم قالوا: (إن هذا كله كان من معلوم الله، وهو كالواقع، فيكون من قبيل الإخبار بالغيب، وقد وقع بعد ذلك، فيكون معجزاً).

---

(١) المرجع السابق، (١/ ١٧ ـ ١٨).

المسـاهم

على أنهم ذكروا مع غنى المال، احتمال أن يكون الغنى هو القناعة، وغنى القلب، والصبر، والكفاف.

وجعل (الراغب) الغنى ضروباً: فهو عدم الحاجات، وليس ذلك إلا لله، وهو غنى النفس، وكثرة المقتنيات، والتعفف.

وأول ما نلحظه حين نحتكم إلى القرآن، أن الغنى فيه غير مرادف للثراء الذي لم يستعمله القرآن قط، وأسند الغنى إلى غير المال في مثل آيات:

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ ﴾ [الأعراف: ٤٨]، ومعها الأنفال [١٩].

﴿ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾ [هود: ١٠١].

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ [يونس: ٣٦].

ولا يمكن أن يفسر الإغناء في موضع منها بالإثراء، وجاء الغنى بمعنى الاستغناء في آيات:

﴿ فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن: ٦].

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ [عبس: ٥].

وإن يكن القرآن استعمل الغنى للمال في مثل آيات: (النساء: ٦، ١٣٠، ١٣٥، وآل عمران: ١٨١، والتوبة: ٩٣، والحشر: ٧) فلسنا نعرف أن الرسول - ﷺ - قد أثرى بعد المبعث أو اقتنى مالاً، بل لا نعرف أن مستوى حياته قد تغير مادياً... وإنما أغناه الله بالتعفف وسد الحاجة، فلم يذله فقر المال، كما لم يكسر اليتم نفسه، بل وقاه الله وقاية نفسية معنوية من آثار اليتم والفقر والضلال، وليست وقاية مادية ترد إليه أباه الذي مات قبل مولده، وتملأ خزائنه بالمال، وتهيئ له رغد العيش. واليتم مظنة الضياع والقهر: ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [النساء: ٩].

والفقر مظنة الذل والعوز، وقد وجد الله محمداً يتيماً عائلاً، فأعفاه سبحانه، منذ كان، من تلك الآثار البغيضة، وسلم جوهره من الآفات التي كان معرضاً لها بحكم يُتمه وعيلته، وبذلك تم فيه الاستعداد النفسي لتلقي الرسالة

الكبرى التي بُعث بها ليقي الناس من المذلة والهوان والضلال»[1].

وتشير الكاتبة إلى سر استعمال الفعل وجد دون غيره، تقول: «واستعمل القرآن في الآيات الثلاث الفعل وجد، وهو من أفعال القلوب، ولم يقل مثلاً: أما كنت يتيماً، وكنت عائلاً، فسيطر الجو المعنوي النفسي على الموقف، وتهيأت للرسول الطمأنينة الوجدانية لتلقي الآيات الكريمة»[2].

وقد عرضت لبيان سبب حذف المفعول به في ثلاثة مواضع من رؤوس الآيات، فقالت: «وفي حذف كاف الخطاب من: (فآوى، فهدى، فأغنى) قال مفسرون بالحذف لرعاية الفواصل، وهو ما لا نرى البيان العالي يتعلق به، وأولى منه قول من قالوا بالحذف لدلالة صريح السياق على المخاطب. ونضيف إليها فائدة الإطلاق، فتحتمل: فآواك وآوى برسالتك اليتامى والمستضعفين، فهداك وهدى بك أمتك، فأغناك وأغناها بك»[3].

ولا ريب أن للكاتبة قدرة فائقة على التحليل والترجيح بين الأقوال، ونقد بعض الآراء، فكانت جهودها لبنة في عرض البلاغة القرآنية بأسلوب جديد.

ثالثاً: جدل حول مآخذ على درس البلاغة العربية

هنالك فريق لديه بعض المآخذ على البحث البلاغي عند العرب، فهو قاصر وجزئي، مقارنة بالبلاغة الأوروبية حسب تصور الدكتور شوقي ضيف، وفي هذا السياق يقول: «من يقرن مباحث البلاغة العربية إلى مباحث البلاغة الغربية؛ يلاحظ تواً أن الغربيين عنوا في بلاغتهم بدراسة الأساليب والفنون الأدبية، بينما لم يكد يعنى بهذه الجوانب أسلافنا، إذ صبوا عنايتهم على الكلمة والجملة والصورة، وفي رأينا أن ذلك يرجع من بعض الوجوه إلى أنهم قصدوا بقواعدهم البلاغية: تعليلَ بلاغة العبارة القرآنية، وما تحمل من خصائص تعبيرية وصور بيانية، واستوفوا تصوير ذلك تصويراً دقيقاً رائعاً، وأيضاً من

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم، (١/ ٤٧ ـ ٥١).
(٢) المرجع السابق، (١/ ٥١).
(٣) المرجع السابق، (١/ ٥١).

الأسباب التي دفعتهم في هذا الاتجاه طبيعة شعرنا القديم، إذ كان في جملته وجدانياً غنائياً، يجري في أسلوب عام واحد، سواء في معانيه، أو في صوره وأخيلته، وصيغ تعبيره. وتعارف الشعراء على أن كل بيت في القصيدة وحدة مستقلة، وهذه الوحدة هي أساس البلاغة والجمال الفني، وبذلك لم توجد في محيط الشعراء، ولا في محيط البلاغيين، نظرة شاملة عامة للقصيدة، بل ظلت نظرتهم تنصب على الجزئيات وأفراد الأبيات والعبارات»[(١)].

ويبين سبب قصور البحث البلاغي في الشعر والنثر على حد سواء، وهو يعود إلى طبيعة الشعر من جهة، وعدم تنوع موضوعات النثر من جهة أخرى، يقول: «لم يهيئ الشعر إذاً لأسلافنا أن يبحثوا في تفاوت الأساليب الشعرية، فظلت أبحاثهم البلاغية محصورة في البيت، وما يتصل به من العبارات الجزئية، ونفس هذه الملاحظة يمكن تعميمها في النثر، فإن أسلافنا لم ينوعوا في موضوعاته، بحيث تتضح فيه فكرة الفنون النثرية، إذ كادوا يقفون به عند الرسائل الديوانية السياسية . . . وبذلك أصبح الموقف في النثر كالموقف في الشعر، فليس هناك إلا فن واحد هو فن الرسائل، وليس هناك إلا أسلوب السجع وما يُطوى فيه من صور بيانية وبديعية، وبذلك أصبحت السجعة هي الوحدة البلاغية في النثر، كما كان البيت هو الوحدة البلاغية في الشعر، وهي وحدة أضيق من وحدة البيت وأقصر، إذ قد تصبح كلمة أو كلمتين، وعلى هذا النحو لم تتفاوت أساليب النثر عند أسلافنا، ولا تعددت فنونه، وكذلك الشأن في الشعر، مما جعلهم يحصرون بلاغتهم في المفردات والجمل، والصور البيانية والبديعية»[(٢)].

ويرى الأستاذ أحمد الشايب علمَ البلاغة قاصراً في الأساليب؛ كما هو قاصر في قسم الفنون الأدبية، إلا فقرات مفرقة أو فصول درست لأغراض غير أدبية، كما في آداب البحث والمناظرة، ويوازن بين البلاغة كما هي في الكتب، وكما ينبغي أن تكون عليه ليقرر النتائج الآتية:

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، ص (٣٧٦).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٧٧).

رفع
المسابهم
غفرالله لهم

١ ـ إن نصف البلاغة النظرية مفقود في اللغة، أكثره في قسم الفنون الأدبية وباقيه في الأسلوب، على أن ما ترجم من خطابة أرسطو وشعره؛ إنما نقل على أنه فلسفة لا أدب، وكذلك كانت الترجمة قاصرة فلم تفد كثيراً.

٢ ـ إن شطراً من الأسلوب قد درس تحت عنوان: المعاني والبيان والبديع، وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق، ولا حاجة بنا الآن إلى هذه الأسماء التي تسمي علوماً خاصة؛ لأنها فصول بلاغية يسيرة.

٣ ـ إن البلاغة العربية في حاجة إلى وضع علمي جديد، يشمل هذه الأبواب والفنون التي أشرنا إليها، ويصل بينها وبين الطبيعة الإنسانية لملابساتها الزمانية والمكانية، حتى يخدم الأدب، وذلك كله غير البحث التاريخي الذي يفرد له درس خاص.

٤ ـ إن الأدباء هم أولى الناس بدرس البلاغة؛ حتى يخلصوها من أساليب الفلاسفة ومذاهبهم، وألغازهم، فذلك هو الذي أفسد علينا بلاغتنا، وحولها بحوثاً لفظية عقيمة أشبه بالرياضة والكيمياء[١].

ويرى الأستاذ أمين الخولي[٢] وجوب أن تكون غايات البلاغة للحياة ليس إلا، يقول: «غايات البلاغة اليوم غايات لا تلتمس لغيرها من أغراض أخرى وراءها، دينية كانت أو سواها، بل تلتمس وفاء بحاجة الحياة التي يحياها الفرد والجماعة، وسعياً إلى ترقية مستوى هذه الحياة، وإفساح آفاقها المعنوية على ما رأيت أنه غاية الحياة الجادة اليوم في مختلف صورها»[٣].

وقد دعا الخولي إلى استبدال (فن القول) بالبلاغة، فقد عرف البلاغة بأنها: «فنية القول، وأنه بحيث يكون تعبيراً عن إحساس القائل بالجمال، وليست بنا

---

(١) انظر: الأسلوب، ص(٣٨ ـ ٣٩)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٩٠م.

(٢) أمين الخولي، من أعضاء المجمع اللغوي بمصر، عين أستاذاً في الجامعة المصرية، ومديراً للثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم إلى سنة ١٩٥٥م. توفي بالقاهرة. (١٣١٣ ـ ١٣٨٥هـ = ١٨٩٥ ـ ١٩٦٦م). انظر: الأعلام، (٢/١٦).

(٣) فن القول، ص (١٥٦)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

رفع المسهما

حاجة في الرسم إلى أن أكثر من أن البلاغة هي فن القول»[1].

ويقول الأستاذ رجاء عيد، ناعياً على البلاغة وقوفها عند الجملة دون النص: «لم يكن بد من أن ينصرف كل إلى وجهته، ولكنهم تحلقوا حول الجملة، يدورون حولها بلا عياء ـ ولا نقول بلا حياء ـ وظلت الجملة وظل الإسناد ولواحقه محور البلاغة»[2].

ونستطيع أن نلخص مما سبق أهم المآخذ على البلاغة لدى مجموعة من الباحثين، وهي:

١ ـ قصور البحث البلاغي على الجملة أو البيت من الشعر دون النص.

٢ ـ إن البلاغة القديمة لا تغطي مباحث علم الأسلوب.

٣ ـ أدخلت غايات على البلاغة خارجة عن وظيفتها الأساسية.

٤ ـ امتزاج البلاغة بالمباحث الفلسفية.

دفاع عن البلاغة:

وهناك فريق من الباحثين يفندون الدعاوى السابقة بحق البلاغة، فمثلاً رد الدكتور فضل حسن عباس فكرة وقوف البلاغة عند الجملة، حيث قال في هذا الصدد: «ودعوى وقوف البيانيين عند الجملة وحدها دعوى ظالمة، أخذت دون روي أو تمحيص، روج لها شوقي ضيف في كثير من كتبه، فتلقفها الكثيرون»[3].

ثم تساءل عن الهدف من الهجوم على البلاغة، ورجح أسباباً عدة وراء ذلك، حيث قال: «لماذا هذه الحملة على البلاغة العربية وحدها؟ وعلى رجالها؟ مع أن البلاغة في كل أمة لم تنشأ بعيداً عن تلك المؤثرات المتعددة كما قلنا من قبل؟ ترى ألأنها بلاغة قرآنية، أمدها القرآن بهذه الروافد الحية؟ أم لعوامل الضعف التي لحقت بهذه الأمة، وما ذاك إلا لتنكرها لذاتيتها؟ أم لأن

(١) المرجع السابق، ص (١٧٨).

(٢) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص (١٣)، منشأة المعارف، الإسكندرية.

(٣) البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، ص (٢٦٨).

بعض المنتسبين لهذه الأمة أمسى أذناً لكل ما يلقيه أعداء هذه الأمة من شبهات ؟ أم لتلك الأسباب جميعا ؟ وهذا ما نرجحه»[1].

على أن الدكتور فضل حسن عباس لم يرفض مصطلح : (فن القول)، فقد قال في مقدمة أحد كتبه : «فهذه مباحث في البلاغة العربية (فن القول) أرجو أن تكون دانية القطوف، سهلة المنال، وارفة الظلال»[2].

موقفنا من الفريقين

والموقف العلمي السليم أن ننظر إلى العلوم بعامة، ومنها البلاغة، على أنها تنمو وتتطور عبر التاريخ، فلا نقدس التراث كما يعمل سدنته، ولا نرميه في البحر كما يريد أعداؤه، ولكن ننظر إليه بعين فاحصة، ونعطي للأوائل حقهم من السبق والتأسيس والتمهيد للعلوم، ونسمح للمتأخرين بتطوير ما شيده الأوائل، وإكماله لا هدمه، فالبلاغة حين التفتت للجملة ولم تهتم بالنص كما زعموا ؛ كانت بنت عصرها، ويمكن أن تُدَرَّسَ هذا اليوم دراسة تاريخية مستقلة كعلم قائم بذاته للطلبة المتخصصين باللغة العربية، ويمكن أن تدرس مباحثها ضمن علم الأسلوب للطلبة بشكل عام، ويضاف إليها بقية مباحث علم الأسلوب.

ونحن نؤمن بتطور العلوم عبر التاريخ، ونرفض نظرية الصراع بين القديم والجديد في تاريخ العلوم، كما نؤمن بوحدة الثقافة الإنسانية والتراث الإنساني، فلا ضير من التأثير والتأثر، شريطة أن لا نجور في أحكامنا النقدية، فنعزو كل إبداع إلى التأثر بالآخرين، متناسين دور العبقرية الإنسانية في التوليد والتجديد والاختراع.

رابعاً : كيف نطور مباحث البلاغة العربية ؟

هنالك دعوات كثيرة لتطوير البلاغة، لعل من أهمها ما ذكره الشايب

---

(١) المرجع السابق، ص (١٢).

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، ص (١)، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٥م.

رفع المسـ هم

والخولي في هذا الصدد، لأنهما يريدان استبدالها بالأسلوبية، وسنقف عند دعوات أخرى كانت أقل جرأة وأكثر موضوعية.

١ - يحدد الأستاذ أحمد الشايب معالم المنهج الجديد لدراسة البلاغة، فيقول: «إن علم البلاغة يجب أن يوضع وضعاً جديداً، يلائم ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتيها العلمية والإنشائية، ورأينا أن يدخل علم البلاغة في بابين، أو كتابين:

الأول: باب الأسلوب أو كتابه، ويتناول دراسة الحروف والكلمات، والجمل والصور، والفقرات والعبارات، على أن تدرس درساً مفصلاً دقيقاً يعتمد على علوم الصوت، والنفس، والموسيقى، وما إليها مما يقوم الأسلوب على أنه صورة فنية أدبية، وفي هذا الباب أو الكتاب تدخل موضوعات: المعاني والبيان والبديع، لا على أنها علوم مستقلة، بل على أنها فصول في باب الأسلوب، يتناول بحوثها، كما يتناول غيرها.

أما الباب أو الكتاب الثاني: فيدرس الفنون الأدبية وقوانينها شعراً أو نثراً، يدرس أصول المقالة، والخطابة، والرسالة، والجدل، والوصف، والرثاء، والقصة، والملحمة، والتمثيلية، والتاريخ، والتأليف، إلى غيرها من الفنون الأدبية التي زخرت بها الآداب العالمية، وشرعت قواعدها، ولم تحظ في بلاغتنا النظرية إلا بإشارات خاطفة لا تغني شيئاً، ولعل هذا ما دعا قدماءنا إلى القول بأن البلاغة علم لم ينضج، ولم يحترق كغيره. هذا المنهج يرد عليك مجملاً في هذا الكتاب حين أعجلني الزمن عن تفصيله»[١].

٢ - ودعا أمين الخولي إلى:

١ - إبعاد الملاحظات والاعتبارات التي حددوا على أساسها بحثهم، وإبطال غير الصحيح منها[٢].

---

(١) الأسلوب، ص(٣ - ٤)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٩٠م.
(٢) انظر: فن القول، ص (١٨٣).

رفع
المسـ هم
عبد الله الحيلي

٢ ـ إلغاء تقسيم البلاغة إلى ثلاثة علوم[١].

٣ ـ توسعة دائرة البحث، فلا يقتصر على الجملة ؛ وإنما يمتد إلى الفقرة الأدبية والقطعة الكاملة[٢].

٤ ـ إفراد مكان من هذه الدائرة الفسيحة لبحث المعاني الأدبية[٣].

٥ ـ تخصيص مكان من هذه الدائرة لبحث الفنون الأدبية.

٦ ـ إبعاد الأبحاث التي أقحمها في البلاغة اضطراب المنهج، مثل: الصدق والكذب، وأنواع الدلالات، وأنواع الجامع في الفصل والوصل[٤].

٧ ـ استبدال (فن القول) بمصطلح البلاغة كما تقدم، وهو يشيد بفن القول، فيقول: «فن القول: كلمتان خفيفتان على اللسان، فعولان في الوجدان، تمثلان أمامي شاخصتين، كأنهما العلم الذي يركزه الرائد، حيث ينتهي به الارتياد، يثبت به أصوله، ويبسط به سلطان أمته، وكذلك هاتان الكلمتان الخفاقتان، الرفافتان، هما العلم الذي ثبت بعد ارتياد دام بضعة عشر عاماً، لهذه المنطقة من الدرس الأدبي في العربية»[٥].

٨ ـ جعل مباحث (فن القول) مقسمة إلى: مبادئ ومقدمات وأبحاث، وراح يفصلها.

فالمبادئ: التعريف بفن القول، وغايته، وصلته بغيره من الدراسات. . .

والمقدمات: ذكر فيها: المقدمة الفنية، والمقدمة النفسية.

والأبحاث: تكون في الكلمة، والجملة، والفقرة، وصور التعبير، والقطعة الأدبية، والأساليب[٦].

---

(١) المرجع السابق، ص (١٨٤).

(٢) المرجع السابق، ص (١٨٦).

(٣) المرجع السابق، ص (١٨٦).

(٤) المرجع السابق، ص (١٩٤ ـ ١٩٥).

(٥) المرجع السابق، ص (٧).

(٦) المرجع السابق، ص (٢١٥).

رفع
المسلم
عبد الله الحميد

٩ ـ دعا إلى تمصير البلاغة، فقال: «إنما تقصد إلى القول الصراح في غير مواربة، بأن العربية في مصر ليست إلا عربية مصرية، إن لم تتميز مفرداتها وصيغها عن العربية المراكشية أو العربية العراقية، أو غير هاتين، فلا بد أن يتميز ذوقها ومزاجها الفني عن كل أولئك اللهجات، تميزاً جلياً لا يصح الإغضاء عنه في دراسة فنية، قوامها الذوق، وميزانها الحس الأدبي، كدراسة هذه البلاغة التي نحن بصددها»[1].

١٠ ـ دعا إلى أن نحرر دراستنا من آثار الدراسة القديمة الضيقة الأفق، وأن لا نلزم دراستنا الطابع الديني، وأن نثق في الثقافة العلمية والفنية لهذا العصر، وأن نزود ثقافتنا الأدبية بما يجدي عليها من دراسات فنية لها اليوم تقدمها[2].

ولاشك أن دعوة الخولي للتطوير تحمل في طياتها معول هدم لأهم علم من علوم المسلمين، وهو علم الإعجاز، بل هو يدعو صراحة إلى فصل البلاغة عن علم الإعجاز، ويدعو دعوة جاهلية عنصرية إلى تمصير البلاغة، ترى لو طال به الزمن! ورأى الوحدة الأوروبية، وكيف يتوحد العالم، بينما يتشرذم العالم العربي ـ وليس تشرذمه السياسي إلا تبع لتشرذمه الثقافي ـ ترى هل كان الخولي سيدعو إلى وحدة الأمة؟! أم يستمر في دعوته إلى التمزيق والتفريق؟!

٣ ـ ويرى الدكتور شفيع السيد في كتابه: (التعبير البياني) ضرورة مزج علم المعاني بعلم النحو، لينشأ منهما نحو جديد، ويرى أيضاً أن دراسة علم البيان وفق المناهج القديمة تجمد حاسة الذوق الأدبي، ولذلك مزج بحث المجاز بالدراسات اللغوية المعاصرة، ومزج دراسة البلاغة بالنقد، فتحدث عن الصورة وعلاقتها بعلم البيان، يقول: «إن أسلم ابتداء بأن أحد علوم البلاغة التقليدية، وهو ما يعرف بعلم المعاني، ينبغي أن يمتزج بالدراسة النحوية الخالصة ليشكلا معاً نحواً جديداً، ينفذ من دراسة شكل العلاقات التركيبية بين

---

(١) المرجع السابق، ص (١٦٠).

(٢) المرجع السابق، ص (٢١٢).

رفع
المسٰهم
عبدالله أبوالحسن

مفردات الجملة، إلى دراسة جوهرها، المتمثل في أسرارها البلاغية، وهو ما عناه عبد القاهر قديماً باسم النظم، وما يقوم على أساسه علم الأسلوب في الدراسات الحديثة. أما فيما يتصل بعلم البيان، وهو العلم الثاني من علوم البلاغة، فإن دراسته بأسلوب التقعيد الذي أشار إليه البلاغيون المتأخرون، وكثير من الباحثين المحدثين، من شأنه أن يجمد حاسة التذوق الأدبي، ويمكن الانفصال بين النقد الأدبي الذي زاد عطاؤه، وأثرى ثراء عظيماً في العصر الحديث، وبين الدراسة البلاغية التي جمدت في موقفها أمداً طويلاً، من أجل هذا آثرت في هذا الكتاب أن أصل ما انقطع، وأن أعود إلى البحث البلاغي في منابعه الأولى، لأعالج موضوعات علم البيان، فإن عرجت على كتابات المتأخرين فإنني أستصفي منها ما أراه يمثل جوهر الموضوع ولبابه، وأغضي عما أحسبه لا ينمي حساً أدبياً أو يضيف جديداً، وكان من نتيجة ذلك أنني تخففت من تقسيماتهم الكثيرة وتفريعاتهم المتنوعة، التي ينسي آخرها أولها، ويشعر القارئ الذي يحاول استيعابها بفراغ جعبته في النهاية مما أجهد نفسه وأتعب ذاكرته.

على أن ذلك لا يعني أنني وقفت عند مجرد تحرير المفاهيم البلاغية القديمة، فقد كان تمحيص هذه المفاهيم، ومناقشتها بما تتمخض عنه المناقشة من قبول أو رفض، خطاً أساسياً في المنهج الذي اتبعته.

ولما كان المجاز قضية لغوية بالدرجة الأولى، فقد أفدت في دراسته من الدراسات اللغوية الحديثة، كما أفدت منها في بعض المواطن الأخرى.

وإيماناً مني بضرورة الارتباط بين البحث البلاغي والنقد الأدبي، جعلت المبحث الثالث من هذا الكتاب لدراسة الصورة وعلاقتها بأساليب البيان، وهي علاقة جد وثيقة، على نحو ما سيرى القارئ فيما بعد»[(١)].

٤ ـ ويدعو الدكتور عبد العزيز عرفة إلى غربلة التراث كخطوة أولى لتجديد

---

(١) التعبير البياني، رؤية بلاغية نقدية، ص (٥ ـ ٦)، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

رفع
المسلم
عبدالله بن عبد الرحمن

البلاغة، يقول: «والحق أننا إذا أردنا تجديد بلاغتنا، لا بد لنا من العودة إلى تراثنا، نأخذ منه النافع ونطرح منه الضار، ونستفيد من المراحل التي مرت بها البلاغة العربية مع قضية الإعجاز القرآني... إذا قمنا بهذا نستطيع أن نقيم دعائم بلاغتنا العربية على أساس قوي متين، وندرك الكثير من أسرار النظم القرآني، ونظم الكلام بوجه عام»(١).

ويضيف محدداً طريقة الأخذ من التراث القديم، وأن تكون النصوص الأدبية ـ التي يراد من خلالها تنمية الحس البلاغي ـ من عصور مختلفة: «لا بد أن نعود إلى تراثنا البلاغي، نأخذ منه النافع ونطرح الضار، نأخذ من البلاغة السكاكية دقة الحصر والتنظيم، ونأخذ من البلاغة المزدهرة طريقة تذوق النصوص الأدبية الرائعة وتحليلها، لا لنكرره على مسامعنا فحسب ونقتصر عليه، بل لنجعله الأساس الذي نبني عليه، فنحن في أشد الحاجة إلى دراسة البيان العربي بوجه عام دراسة متذوقة ومؤثرة ونافعة، حتى نخلق في دارس البلاغة حاسة التذوق للأدب العربي ونصوصه... ويجب أن تكون هذه النصوص على الأقل تمثل غرضاً تاماً، ومن عيون الشعر العربي في عصوره المختلفة، ومرتبطة بالنتاج الأدبي المعاصر»(٢).

٥ ـ ويحذر الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه: (البلاغة العربية في ثوبها الجديد) من الدعوة إلى إلغاء علم البلاغة، ليحل محلها علم الأسلوب، ويعزو هذه الدعوة إلى حقد دفين على تراث هذه الأمة ودينها، وفي المقابل فهو يحبذ تنقية علم البلاغة مما لحق به من مباحث الفلسفة، وضرورة وضعه بين أيدي الدارسين بصورة تناسب هذا العصر وتطوره، يقول: «وتختلف نظرة العلماء المعاصرين إلى البلاغة العربية باختلاف ثقافاتهم واتجاهاتهم وميولهم الفكرية والاجتماعية. فريق يسعى إلى إلغاء دور البلاغة العربية إلغاء تاماً، وإحلال علم النقد أو علم الأسلوب محلها، لأنه يزعم أن القدماء وقفوا في بلاغتهم عند حدود الشاهد المجتزأ المبتور، فأظهروا ما فيه من تشبيه أو استعارة أو سوى

---

(١) قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص(٨٠٣).
(٢) المرجع السابق، ص(٧٩٢ ـ ٧٩٣).

رفع
المسلم
عبد الله المالكي

ذلك، ولم يتجاوزوا تلك الحدود، وهم ـ وأعني هذا الفريق ـ يريدون أن يتخطوا الحدود ويكسروا القيود، لينطلقوا إلى آفاق الصورة الفنية الكاملة، ذات الأطر والأبعاد والظلال والأنداء، والبلاغة العربية عاجزة بنفسها وبرجالها المعاصرين والغابرين عن بلوغ هذا الهدف الرفيع. هذا الفريق يدس السم في الدسم، يظهر شيئاً ويبطن أشياء، يتظاهر بالغيرة على الصورة الفنية، ويبطن شعوبية سوداء، أولها عداوة لكتاب الله، ولكل علم يخدم كتاب الله، أو يدور في فلكه، والبلاغة من خدم القرآن وحراسه، تسعى في المقام الأول إلى بيان إعجازه، ومن ثم تتجه إلى النصوص الأدبية التي أبدعها الناس. ولئن اهتمت البلاغة العربية بالشاهد الفرد، فأظهرت وجوه البيان أو البديع فيه.. إنها لم تهمل النظرة الكلية الجامعة، والتعبير البياني، والأثر النفسي، والظلال والأفياء والأنداء، وكتب عبد القاهر خير دليل عما نقول. أما الفريق الثاني من العلماء، فينظر إلى هذا العلم نظرة محبة وتقدير، ويشيد بما جاء به الآباء والأجداد من آراء واجتهادات، ويطالب بوضعها بين أيدي الدارسين والمتعلمين، لأنها جزء من حضارة هذه الأمة، وعنوان مشرف على إبداعها وسمو تفكيرها، ومع هذا، فإنه يطالب بالتطوير والتحديث، ويلح على اقتلاع ما علق بالبلاغة من أوشاب المنطق والفلسفة، وآثار التحجر والجمود، وربطها بمعطيات العلوم الأخرى، ومقارنتها ببلاغة الأمم الحية، ثم إعادة صوغها ببيان مشرق ناصع عربي مبين»[1].

والخلاصة أن تطوير البحث البلاغي مطلوب، ومراعاة أحوال الطلبة في جامعاتنا ومعاهدنا العلمية واجبة، وعليه نقترح الآتي:

١ ـ التخفيف من التقسيمات الكثيرة، والمصطلحات العقيمة، فيكفينا في بحث الاستعارة مثلاً ما كان عليه اللغويون والمفسرون الأوائل، وهو أن نطلق مصطلح الاستعارة دون الدخول في التقسيمات الكثيرة، وهي تقسيمات لا تسمن ولا تغني، بل هي ترهق ذهن الطالب، وتفسد حسه الفني أحياناً،

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، (١/٦ ـ ٧)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣م.

رفع المسهم

ولا سيما مسألة إجراء الاستعارة، وكذلك تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية، بحسب اللفظ المستعمل فيها إذا كان جامداً أو مشتقاً هو من مباحث المتعلقة باللغة والصرف، ولا علاقة له ألبتة بالأدب والموهبة والبلاغة والإبداع.

٢ ـ ربط علم البلاغة بالكتاب والسنة، من أجل تشجيع الطلبة على دراسته.

٣ ـ الاستفادة من البحث البلاغي لدى الأوروبيين، فالحكمة ضالة المؤمن، وقد أشاد الرافعي بالأدب والنقد الأمريكي.

٤ ـ ربط البلاغة بالواقع باستخدام أمثلة معاصرة، بدلاً من الأمثلة القديمة المستهلكة.

٥ ـ الفصل بين البلاغة والمباحث اللغوية والفلسفية المقحمة على علم البلاغة.

٦ ـ لا بد من إعادة النظر في كثير من مباحث البلاغة، فمثلاً أخرج البلاغيون الإنشاء غير الطلبي من مباحث البلاغة، والذي يتضمن صيغ المدح والذم، والعقود، والترجي والقسم من دراستهم، علماً أن هذه الصيغ وردت في القرآن الذي هو دستور البلاغة، فمن صيغ المدح قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]. ومن صيغ الذم قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]. ومن صيغ العقود: بعت واشتريت ووهبت، قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، ومن الترجي قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ [الكهف: ٦]. ومن القسم قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣]، ومن استعمال كم الخبرية قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥]... والشواهد كثيرة، فلا بد أن يدرس مبحث الإنشاء بقسميه الطلبي وغير الطلبي في درس البلاغة، بل لقد عرض له البلاغيون دون أن يشعروا، فدرسوا القسم في مؤكدات الخبر، ودرسوا الترجي في بحث النداء، وفرقوا بينه وبين النداء.. وعليه فلا بد من

إعادة النظر في بعض المسلمات، كما أن مبحث الإسناد ينبغي أن يعم الجمل الخبرية والإنشائية، وليس الأولى فقط كما فعل بعض البلاغيين، لأن جميع الجمل ينطبق عليها مبحث الإسناد.

❑ ❑ ❑

رفع
المسلم
عبد الله

المبحث الخامس:

جهود واتجاهات متعددة في الإعجاز

ويتكون هذا المبحث من أربعة أقسام:

القسم الأول: علماء مفكرون

أولاً: محمد عبد العظيم الزرقاني[1] في كتابه: (مناهل العرفان في علوم القرآن).

• ١ ـ خصص الزرقاني المبحث السابع عشر من كتابه المذكور لموضوع إعجاز القرآن، وما يتعلق به، فذكر أربعة عشر وجهاً من وجوه الإعجاز هي على التوالي:

١ ـ لغته وأسلوبه.

٢ ـ طريقة تأليفه.

٣ ـ علومه ومعارفه.

٤ ـ وفاؤه بحاجات البشر.

٥ ـ موقف القرآن الكريم من العلوم الكونية.

٦ ـ سياسته في الإصلاح.

٧ ـ أنباء الغيب فيه.

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة، (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م). انظر: الأعلام (٦/ ٢١٠).

رفع المسـاهم

٨ـ آيات العتاب .

٩ـ ما نزل بعد طول انتظار .

١٠ـ مظهر النبي عند نزول الوحي عليه .

١١ـ آية المباهلة .

١٢ـ عجز الرسول بإتيان بدل له .

١٣ـ الآيات التي تجرد الرسول من نسبة القرآن إليه .

١٤ـ تأثير القرآن ونجاحه(١) .

● ٢ ـ بعد ذلك ناقش شبهة القول بالصرفة ودفعها، ثم ناقش سبعاً من الشبهات، ليقول في النهاية: «والخلاصة أن القرآن من أي ناحية أتيته، لا ترى فيه إلا أنواراً متبلجة، وأدلة ساطعة على أنه كلام الله، ولا يمكن أن تجد فيه نكتة من كذب، ولا وصمة من زور، ولا لطخة من جهل، وإني لأقضي العجب من هؤلاء الذين أغمضوا أعينهم عن هذه الأنوار، وطوعت لهم أنفسهم اتهام محمد ـ ﷺ ـ بالكذب، وزعموا أن القرآن من تأليفه هو، لا من تأليف ربه، مع أن الكاذب لا بد أن تكشف عن خبيئته الأيام، والمضلل لا مناص له من أن يفتضح أمره ويتهتك ستره(٢) .

ثانياً: د. محمد عبد الله دراز(٣) في كتابه: (النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن).

● ١ ـ يتكون الكتاب من بحثين:

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٤)، دار الفكر.

(٢) المرجع السابق، ص (٢/ ٤٣٥).

(٣) محمد بن عبد الله دراز، فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء، وفاته (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م). انظر: الأعلام، (٦/ ٢٤٦). وجاء في النبأ العظيم، ص (٦) [دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م]: أن مولده (١٨٩٤م). وأنه سافر إلى فرنسا في بعثة أزهرية عام ١٩٣٦م، فكتب رسالتين عن (التعريف بالقرآن) وعن: (الأخلاق في القرآن) نال بهما دكتوراة الدولة من السربون، بمرتبة الشرف الممتازة، عام ١٩٤٧م.

رفع
المسـ هما

البحث الأول: في تحديد القرآن، فذكر المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمتي قرآن وكتاب، وسر التسمية بالاسمين جميعاً، وسر اختصاص القرآن بالخلود وعدم التحريف دون الكتب السابقة، وهل يمكن تحديد القرآن منطقياً، والتفرقة بين القرآن، وبين الأحاديث النبوية، والأحاديث القدسية.

البحث الثاني: في بيان مصدر القرآن، وناقش في بدايته أموراً عدة، منها: تحديد الدعوى أخذاً من النصوص القرآنية، وكان من حق هذه النصوص ألا يعوزها برهان وراءها، ونسبة القرآن إلى الله لا يمكن أن تكون احتيالاً، وسيرة الرسول - ﷺ - تأبى عليه نقيصة الختل والخداع، وطرف من سيرة الرسول بإزاء القرآن، ومخالفة القرآن لطبع الرسول وعتابه الشديد له، وموقف الرسول من النص القرآني موقف المفسر، إلى غير ذلك من المباحث.

● ٢ - ثم ينتقل إلى المرحلة الأولى من البحث، وفيها يذكر أن القرآن لا يمكن أن يكون إيحاء ذاتياً من محمد، وطبيعة المعاني القرآنية ليست مما يدرك بالذكاء وصدق الفراسة، وأنباء الماضي لا سبيل إليها إلا بالتلقي والدراسة، والحقائق الدينية الغيبية لا سبيل للعقل إليها، والنبوءات القرآنية، وغير ذلك..

● ٣ - ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية من البحث، وفيها يدرس أموراً منها: بيان أن محمداً لا بد أن يكون أخذ القرآن عن معلم، والبحث في الأوساط البشرية عن ذلك المعلم، وينفي أن يكون معلمه من الأميين أو من أهل العلم، وموقف محمد من العلماء موقف المصحح لما حرفوا، الكاشف لما كتموا، ويذكر حيرة المعاندين واضطرابهم في الجدل قديماً وحديثاً.

● ٤ - ثم ينتقل إلى المرحلة الثالثة من البحث، وهي البحث في ظروف الوحي وملابساته الخاصة عن مصدر القرآن، وظاهرة الوحي وتحليل عوارضها.

● ٥ - ثم ينتقل إلى المرحلة الرابعة من البحث وهي البحث في جوهر القرآن نفسه عن حقيقة مصدره، وهذه المرحلة أهم مراحل الكتاب، وفيها يناقش

رفع المسـاهم

النواحي الثلاث للإعجاز: وهي الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي.

يبدأ الحديث عن القرآن معجزة لغوية، ويستقصي في البداية الشبه حول هذه القضية ليمحوها واحدة واحدة، ثم ينتقل للحديث عن أسرار الإعجاز، فيبدأ بالحديث عن نظرتين في القشرة السطحية للفظ القرآن، فيلاحظ الجمال التوقيعي في توزيع حركاته وسكناته ومداته وغناته، والجمال التنسيقي في رصف حروفه وتأليفها في مجموعات مؤتلفة مختلفة. ثم ينتقل لنظرات في لب البيان القرآني، وخصائصه التي امتاز بها عن سائر الكلام، سواء في الفقرة التي تتناول شأناً واحداً، أو في السورة التي تتناول شؤوناً شتى، أو في ما بين سورة وسورة، أو في القرآن جملة.

ففي دراسة القرآن في فقرة فقرة منه، يذكر أن أسلوب القرآن هو ملتقى نهايات الفضيلة البيانية، على تباعد ما بين أطرافها: القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى، وخطاب العامة وخطاب الخاصة، وإقناع العقل وإمتاع الوجدان، والبيان والإجمال، ويعمل تطبيقاً على آية كريمة، ثم يذكر أن القرآن إيجاز كله ويفصل في الموضوع.

وفي دراسة القرآن سورة سورة منه: الوحدة في الكثرة، ذكر أن صنعة البيان في الانتقال من معنى إلى معنى أشق منها في التنقل بين أجزاء المعنى الواحد، وبين أن جمع الأحاديث المختلفة المعاني المتباعدة الأزمنة، المتنوعة الملابسات في حديث واحد مسترسل، هو مظنة التفكك والاقتضاب، ومظنة المفارقة والتفاوت.

والمعضلة الإنسانية الكبرى في الاهتداء إلى تحديد وضع كل جزء من أجزاء المركب قبل تمام أجزائه، بل قبل معرفة طبيعة تلك الأجزاء، ليتحدث عقب هذا عن اجتماع هذه الأسباب كلها في كل سورة متفرقة النجوم، دون أن تغيض من إحكام وحدتها، ولا استقامة وزنها، وهو بالتحقيق معجزة المعجزات.

وتناولَ السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني، وقام بعرض نموذج من

رفع
المسـ هما
عبد الله الحكيم

هذه الدراسة في أطول سورة من القرآن، فدرسَ نظام عقد المعاني في سورة البقرة إجمالاً وتفصيلاً[1].

● ٦ ـ ويختم حديثه عقب دراسة سورة البقرة بهذه الكلمات: «لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات، فلعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات»[2].

● ٧ ـ يقول الأستاذ نعيم الحمصي مبيناً ما تميز به المنهج العلمي للدكتور دراز: «وللمؤلف ميزتان وهو يذكر هذه الوجوه: الأولى حسن عرضها، وتفصيل أجزائها، ومناقشتها، وجودة تقسيمها، وترتيبها علمياً، بين إعجاز أسلوبي، وإعجاز علمي، وإعجاز تأثيري، ثم تفصيل كل منها وفق ترابط منطقي. والميزة الثانية: هي كثرة الشواهد القرآنية في كل فكر من أفكاره، مهما دق، حتى ليكاد يستوفي هذه الشواهد، مع غزارة العلم وحرارة الدفاع عن الرأي. ولا يعيب الكتاب لهاتين المزيتين أن تكون أفكاره في أصولها مسبوقاً إليها، لأنه يفصل فيها تفصيلاً يجعلها ملائمة لعصرنا: كجعله النظريات العلمية الحديثة وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، ثم تفصيله في حسن تأليف القرآن، في الآية منه، وفي السورة، وفي عدة سور فيما بينها، وفي القرآن كله»[3].

ثالثاً: أمين الخولي

للشيخ أمين الخولي جهود في البلاغة والإعجاز، وكنا قد عرضنا لبعضها سابقاً، وسنذكر هنا بعض آرائه في مسألة الإعجاز.

١ ـ في بحث (البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها) يرى «أن الإعجاز يدرك

---

(١) انظر: النبأ العظيم، ص (٢١٢ ـ ٢١٦).

(٢) المرجع السابق، ص (٢١١).

(٣) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، ص (٣٨٦).

رفع المسلم

بالذوق وطول الممارسة لعلوم الأدب؛ وبخاصة البلاغة، وأن هذا الإدراك وهذا الذوق يحتاجان إلى استعداد خاص في النفس، ويستحسن الأستاذ الخولي رأي السكاكي هذا في أن يكون طريق معرفة الإعجاز تكوين الذوق الفني، ودرس البلاغة على ما تقضي به أصول التربية الفنية الصحيحة، ولا يرى ضرراً حينئذ من قصر البلاغة على بيان الإعجاز قصراً فنياً، ويقول بأن قواعد البلاغة الجافة التي نجدها في شرح السعد التفتازاني لا تفيد في تربية هذا الذوق الأدبي، وبأن الاقتصار عليها خطأ فني بل تقصير ديني، لأنها لا تفيد شيئاً في فهم الإعجاز، بل ترين على البصيرة وتضعف قوة الإدراك»[١].

٢ ـ وينكر الخولي الإعجاز العلمي في بحثه: (التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم)، ويرى «أنه يكفي في الدلالة على عدم مناقضة الدين للعلم؛ ألا يوجد نص صريح يخالف الحقائق العلمية»[٢].

٣ ـ ويقول الخولي بالإعجاز النفسي وذلك في مقالته: (البلاغة وعلم النفس)، وهو «يضرب المثل على الإعجاز النفسي بالتكرار، وما قال القدماء فيه، ثم بيان ما قرره علماء النفس حديثاً فيه، من أنه أقوى طرق الإقناع، وخير وسائط تقوية الرأي والعقيدة في النفس البشرية على هينة وفي تؤدة، دون استثارة لمخالفيها بالجدل والمشادة في نظم البرهان، والتعرض البادي للاستدلال، إلى آخر ما يسوق علماء النفس على ذلك من شواهد ومثل عملية تُغني عن اختراع الوجوه في تعليل التكرار القرآني، وجعله مثار الجدل والاختلاف. وينتهي من هذا إلى ضرورة تفسير القرآن تفسيراً نفسياً؛ ولو لم ننته إلى اتخاذ الطريق النفسي في فهم الإعجاز ومحاولة دركه، لأن هذا الفن القرآني، وهذا الموضوع الاعتقادي جانبان من جوانب الحياة الوجدانية»[٣].

---

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق، نعيم الحمصي، ص (٣٣٧).
(٢) المرجع السابق، ص (٣٣٨).
(٣) المرجع السابق، ص (٣٣٩ ـ ٣٤٠).

رفع المسارهما

رابعاً: محمود محمد شاكر في كتابه: (مداخل إعجاز القرآن):

١ ـ العلامة محمود محمد شاكر علم من أعلام اللغة والأدب والتحقيق العلمي، أسهم في تحقيق عدد من كتب التراث منها: (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي، و (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) و (الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز) للشيخ عبد القاهر الجرجاني.

٢ ـ ألف العلامة محمود محمد شاكر كتابه: (مداخل إعجاز القرآن)، وقد حلل محتوياته ولده الأستاذ فهر في مقدمته لكتاب أبيه، فقال: «فهذا الكتاب إذاً ذو وجهين: الأول تاريخ لعلم إعجاز القرآن كما وضعه علماؤنا قديماً. والثاني بيان لمنهاج العلماء في النظر، واستقراء لطرائق نظرهم ومداخلهم في البحث عن الإعجاز، يعتمد على تحليل الكلام وتحليل التاريخ تحليلاً يهدف لتأسيس علم خاص وهو علم إعجاز القرآن، يضارع علم البلاغة، الذي استدعى نشأته بحث أهل القرنين الثالث والرابع في إعجاز القرآن، لذا كان البحث عن تاريخ نشأة كلمة إعجاز القرآن هو الأساس الأول الذي يصل بنا إلى تأسيس علم إعجاز القرآن، وهكذا جاء هذا الكتاب نمطاً فريداً، فهو لم يعن كسابقيه ببيان وجه الإعجاز، بل كانت جل عنايته منصرفة إلى تأسيس علم لإعجاز القرآن، مستمدة أصوله من مباحث السلف»(١).

٣ ـ وعن تقسيم الكتاب يقول الأستاذ فهر: «والكتاب مقسم إلى ثلاثة مداخل؛ كل منها يقص تاريخ إعجاز القرآن كما نشأت صورته عند الأستاذ شاكر، كل مدخل منها ينظر إلى هذا تاريخ الإعجاز من وجه غير الأول، لكنها جميعاً تصب في آخر الأمر في معين واحد، ألا وهو تأسيس علم إعجاز القرآن. وقد نشر المدخلان الثاني والثالث منفصلين عن الأول، أما الثالث فقد نشر في كتاب مستقل بعنوان: (قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام). وأما الثاني فقد كان مقدمة لكتاب: (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي، لذا فقد آثرت ضم

(١) مداخل إعجاز القرآن، ص (٤ ـ ٥) دار المدني بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

المدخلين الأول والثاني في كتاب واحد ؛ لتكون الفائدة بهما أجدى»[١]

٤ ـ ويضيف مبيناً نقص المدخل الأول وسبب ذلك: «وهنا أمر أخير لا بد من الإشارة إليه، وهو أن المدخلين الثاني والثالث قد جاءا تامين، أما الأول وهو أحدثهن كتابة كما ذكر الأستاذ شاكر لم يتمه، إذ وقف عند الفصل العشرين بادئاً فيه، ثم لم يكمله، ولو كان فعل لكان فتحاً وخيراً كثيراً جاءنا، لكن قضاء الأجل كان قد وافاه قبل أن يكمل المدخل الأول»[٢].

٥ ـ يرى العلامة محمود شاكر أن «إعجاز القرآن لفظ وضع في أواخر القرن الثالث للهجرة، ولم يكد حتى أحدث تاريخاً مستفيضاً رائعاً، شارك فيه أكبر علماء الأمة في اللغة والبيان، والتفسير وعلوم القرآن، وعلم الكلام، وسيظل هذا اللفظ باقياً يحدث تاريخاً لا ينقطع، تشارك فيه أقلام العلماء والكتاب والباحثين»[٣].

٦ ـ يشير إلى أن ألفاظ: الإعجاز والمعجزة والتحدي ألفاظٌ محدثة، وجدت في القرن الثالث الهجري وما بعده، «ولفظ التحدي الذي نجده منذ أواخر القرن الثالث، ثم الرابع إلى يومنا هذا، مقترناً بلفظي: الإعجاز والمعجزة، هو فيما أستظهر أسبق الثلاثة وجوداً في لغة المتكلمين، وهم أصحاب علم الكلام كالمعتزلة وأشباههم، فالجاحظ ـ وهو خطيب الاعتزال، وأحد رؤوس فرق المعتزلة، وأقدمهم، وأكثرهم كتباً وصلت إلى أيدينا ـ أتى بلفظ التحدي على ندرة في رسائله وكتبه، ولا سيما كتاب: (حجج النبوة)، ثم لم يأت به إلا منفرداً، وهو أيضاً لم يذكر قط لفظ الإعجاز، ولا لفظ المعجزة، فهذا الانفراد، وغياب هذين اللفظين عن كتبه ورسائله غياباً ظاهراً مشهوداً، يدل دلالة قاطعة حاسمة على أن لفظ التحدي من بين الألفاظ الثلاثة المقترنة أبدا في كلام من جاء بعده، هو أسبقهن توليداً ووضعاً واستعمالاً»[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص (٥).

(٢) المرجع السابق، ص (٦).

(٣) المرجع السابق، ص (٨).

(٤) المرجع السابق، ص (٢٣ ـ ٢٤).

رفع
المسـ هما
عبد الله ...

٧ ـ يشير إلى أن الإعجاز كان ثمرة التحدي، يقول: «جاء التحدي بمثل قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (يونس:٣٨)، فلما انقضت ثلاث وعشرون سنة، ولم يأت أحد من مشركي العرب بما طُولبوا به، صار تركهم الإتيان بسورة مثله عجزاً من مشركي العرب عن معارضة القرآن بسورة من مثله، فكان ظاهراً جداً أن يقال: إن هذا التحدي قد أعجزهم إعجازاً. أي: كشف عجزهم، أو أوقعهم في العجز عن معارضة هذا القرآن. فاستخرج المتكلمون لفظ الإعجاز للدلالة على هذا المعنى المقارن للتحدي، وكان نتيجة له، وهو عجزهم عن فعل ما تحداهم به!»(١).

٨ ـ يميز بين العجز والإبلاس أمام معجزات الأنبياء، يقول: «وبعد الحيرة المشتتة، انتهيت إلى أن آيات الرسل جميعاً، حاشا القرآن العظيم، العجز فيها ليس عجزاً عن فعل طولبت بفعله، أو الإتيان بمثله، فظهر عجزهم عنه وقد حاولوا فعله، بل هو تسليم مبتدأ تسليماً محضاً بأن الذي رأوه أو سمعوا به، داخل دخولاً مبيناً في قدرة الخلاق العظيم وحده، وخارج خروجاً مبيناً عن قدرة جميع الخلائق التي خلقها سبحانه، ومعنى ذلك أن هذا الذي سموه عجزاً من الخلائق، ليس على الحقيقة عجزاً منهم عن شيء طولبوا بفعله. . . بل هو إبلاس محض من جميع الخلائق، ودهش وسكوت، ووجوم وإطراق، أحدثته مباغتة الآية عند المعاينة، ثم تسليم قاطع تستيقنه النفوس، بأنها فعل ممتنع أصلاً على هذا النبي وعلى جميعهم، بلا ريب يخامرها في ذلك، وإذن فالشرط الذي وضعه المتكلمون وهو: مدار الآية على عجز الخليقة. شرط فاسد المعنى، غير دال على حقيقة الآية، والشرط الصحيح هو أن نقول: مدار الآية على إبلاس الخليقة ليس غير»(٢).

٩ ـ يستعرض تاريخ نشوء علم الإعجاز، يقول: «جاء بعد أبي عثمان

(١) المرجع السابق، ص (٣٠ ـ ٣١).
(٢) المرجع السابق، ص (٤٤ ـ ٤٥).

الجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥) أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتكلم المعتزلي، المتوفى سنة (٣٠٦)، وهو أول من نعلم أنه أنشأ كتاباً يحمل عنوانه لفظ إعجاز القرآن، وهو اللفظ الذي كان دانياً في كلام أبي عثمان الجاحظ ثم تجاوزه كما قلت آنفاً، واستخرجه استخراجاً من كتب أبي عثمان، ولا سيما كتابه الاحتجاج لنظم القرآن، وإذا كان قد فعل ذلك، فإنه من القريب الذي لا يكاد يدفع، أنه هو نفسه الذي استخرج لفظ المعجزة، وهو يريد بها آية النبي التي يستدل بها على نبوته»[(١)].

١٠ ـ ذكر أنه لم يدرس الإعجاز بحد ذاته، حيث إن «مسألة إعجاز القرآن قد بقيت خارج هذا الكتاب، وهي عندي أعقد مشكلة يمكن أن يعانيها العقل الحديث ـ كما يسمونه ـ حتى بعد أن يتمكن من إرساء كل دعامة يقوم عليها إيمانه بصدق نبوة رسول الله ـ ﷺ ـ وبصدق الوحي، وبصدق التنزيل. . . ومعرفة معنى إعجاز القرآن ما هو؟ وكيف كان؟ أمر لا غنى عنه لمسلم ولا لدارس، وشأنه أعظم من أن يتكلم فيه امرؤ بغير تثبت من معناه، وتمكن من تاريخه، وتتبع للآيات الدالة على حقيقته»[(٢)].

١١ـ ذكر أموراً «لا غنى للدارس عن معرفتها:

الأول: أن قليل القرآن وكثيره في شأن الإعجاز سواء.

الثاني: أن الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب، ثم في سائر لغات البشر، ثم في بيان الثقلين جميعاً إنسهم وجنهم ظاهرين.

الثالث: أن الذين تحداهم بهذا القرآن، قد أوتوا القدرة على الفصل بين الذي هو من كلام البشر، والذي هو ليس من كلامهم.

الرابع: أن الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الإتيان

---

(١) المرجع السابق، ص (٧٧).
(٢) المرجع السابق، ص (١٥٦).

المسهم

بمثله، أو بعشر سور مثله مفتريات، هو هذا الضرب من البيان، الذي يجدون في أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر.

الخامس: أن هذا التحدي، لم يقصد الإتيان بمثله مطابقاً لمعانيه، بل أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه واختلاقه من كل معنى أو غرض، مما يعتلج في نفوس البشر.

السادس: أن هذا التحدي للثقلين جميعاً؛ إنسهم وجنهم متظاهرين، تحد مستمر قائم إلى يوم الدين.

السابع: أن ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى. ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم، وأنه بهذه المباينة كلام رب العالمين، لا كلام بشر مثلهم»[١].

١٢ ـ ويختم العلامة محمود شاكر حديثه بالتأكيد على أهمية البيان، فيقول: «ورحم الله مالك بن أنس إذ يقول: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، فإذا كان أولها لم يصلح إلا بالبيان، فآخرها كذلك لن يصلح إلا به، وإن امرأ يقتل لغته وبيانها، وآخر يقتل نفسه، لمثلان، والثاني أعقل الرجلين»[٢].

خامساً: بنت الشاطئ والإعجاز البياني:

١ ـ ألفت الدكتورة عائشة عبد الرحمن، والملقبة ببنت الشاطىء، كتابها: (الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية ولغوية وبيانية)، والكتاب مكون من جزأين، ودرست فيهما ما يأتي[٣]:

---

(١) المرجع السابق، ص (١٦٢ ـ ١٦٣).

(٢) المرجع السابق، ص (١٩١).

(٣) انظر: الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية ولغوية وبيانية، ص (٦٠٥ ـ ٦١٦)، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.

رفع المسـاهم

في الجزء الأول (الإعجاز البياني) جاء فيه الحديث وفق الآتي:

المبحث الأول، تحدثت فيه عن المعجزة، والجدل والتحدي، ووجوه الإعجاز والبيان القرآني، وعلماء السلف والإعجاز البياني.

وفي المبحث الثاني: (محاولة في فهم الإعجاز البياني)، درست فيه: فواتح السور وسر الحرف، ودلالات الألفاظ، وسر الكلمة.

وقد ذكرت عن هذا الجزء بأنه يجمع خلاصة مما لمحت من أسرار الإعجاز البياني الباهرة، في دراسات منشورة من قبل، وبحوث قدمتها إلى مؤتمرات(١).

وأما الجزء الثاني: فتناولت فيه مسائل ابن الأزرق تحقيقاً ودراسة، وذكرت بأنه «محاولة تطبيقية لمنهج الدرس الاستقرائي للنص القرآني، بدراسة نحو مئتي مسألة في كلمات قرآنية، سأل فيها نافعُ بن الأزرق، عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما، وطلب إليه في تفسير كل مسألة منها: أن يأتي بشاهد له من كلام العرب»(٢).

٢ ـ أشارت إلى إعجاز القرآن في مواضع عدة، كما في قولها: «وكانت المعجزة الكبرى الشاهدة على نبوة هذا البشر الرسول، كتاباً عربياً مبيناً، يعيى العرب أن يأتوا بمثله، لكي يصدقوا بنبوته ويتبعوه، وهو يقودهم برسالته إلى عصر الإنسان الذي لا يقر بالعبودية لغير خالقه»(٣).

٣ ـ أكدت على أهمية الإعجاز البلاغي، فهو «الذي ذهب إليه الأكثرون من علماء أهل النظر، وسيطر على مباحث المتكلمين في الإعجاز، سواء منهم من جعلوه الوجهَ الذي يصح به التحدي بالسورة الواحدة من القرآن، ويفسر موقف العربِ عصر المبعثِ من المعجزة، والذين ذكروا مع إعجازه البلاغي غيره من

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص (١٢).
(٢) نفسه.
(٣) المرجع السابق، ص (٥٦).

رفع
المسـ هما

وجوه الإعجاز الأخرى التي لا مشاحة فيها، وإنما الخلاف أن تنفصل عن إعجاز نظمه وبلاغته»[1].

٤ ـ بينت صلة الإعجاز بالبحث البلاغي عند المؤلفين الأوائل، فقالت: «والواقع أن المصنفات الأولى في الإعجاز، على اختلاف مذاهب أصحابها، جاءت أشبه بمباحث بلاغية؛ مما قدروا أن إعجاز القرآن يُعرف بها، وإن استوعبت أقوال المتكلمين وجوه الإعجاز، فرسائل الخطابي السني، والرماني المعتزلي، والباقلاني الأشعري، تأخذ مكانها في المكتبة البلاغية. وبعد أن استقلت البلاغة بالتأليف والتصنيف، وُجهت إلى خدمة الإعجاز البلاغي، الجرجاني يضع كتابه في النظم والبلاغة، ويقدمه باسم: (دلائل الإعجاز)، وأبو هلال العسكري يضع علم الفصاحة والبلاغة تالياً لعلم التوحيد»[2].

٥ ـ رفضت الإعجاز العلمي، وقالت في هذا السياق: «لا أحد يحجر على أي إنسان أن يفهم القرآن كما يشاء، ولكن المحنة أن يؤلف فيه من ليسوا من أهل الاختصاص، وتروج في البيئة الإسلامية أقاويل وتأويلات مقحمة على القرآن نصاً وروحاً، لا يعرف لها فقهاء العربية والإسلام والمتخصصون في القرآن، سنداً ولا دليلاً، وإنما تستند إلى ملتقطات من معارف المحدثين، في التشريح، وعلم الأجنة، ورياضيات الفلك، وبيولوجيا القمر، والتكنولوجيا، و...، ولا شيء من هذا إن صح في أي خبر أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قاله لتلاميذه الصحابة، لكي يفهموا هذا الإعجاز العلمي، فضلاً عن أن يبينوه للناس»[3].

٦ ـ وللدكتورة أيضاً كتاب (التفسير البياني) [وقد أشرنا إليه من قبل]، وهو يقع في جزأين:

تناولت في الجزء الأول تفسير السور الآتية: الضحى، الشرح، الزلزلة، العاديات، النازعات، الزلزلة، التكاثر.

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق، ص (٩٤).
(٢) المرجع السابق، ص (٩٤).
(٣) المرجع السابق، ص (٩٦).

رفع المسهم

وتناولت في الجزء الثاني تفسير السور الآتية: العلق، القلم، العصر، الليل، الفجر، الهمزة، الماعون.

٧ ـ قالت عن منهجها في التفسير البياني: «والمنهج المتبع هنا، هو الذي خضعت له فيما قدمت من قبل، بضوابطه الصارمة، التي تأخذنا باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله، التماساً لسرها البياني»(١).

سادساً: محمد متولي الشعراوي في كتابه: (معجزة القرآن).

١ ـ لا بد أن ننوه بالبداية بأن الشيخ الشعراوي من أبرز من عنوا بالبلاغة والإعجاز على المستوى الإعلامي الجماهيري في هذا العصر، وقد حقق في هذا المجال نجاحاً عظيماً، ولكن ما كتبه في هذا الباب قليل، وأكثره مجموع مما قاله عبر وسائل الإعلام.

٢ ـ وفي كتابه (معجزة القرآن) تحدث عما تفردت به المعجزة القرآنية عما سواها من معجزات الرسل السابقين، يقول: «معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين في كثير من زوايا الإعجاز، وفي القرآن إعجاز لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره»(٢).

٣ ـ تحدث عن دقة اللفظ القرآني، وعلاقته بالإعجاز، فقال: «إذا أردنا أن نتحدث عن معجزة القرآن وبلاغته، فإننا لا بد أن نتناول دقة اللفظ ودقة التعبير في القرآن الكريم، وكلام الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون في غاية الدقة،

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم، (٢/٧).

(٢) معجزة القرآن، ضمن سلسلة كتاب اليوم رقم ١٥٤، ص (٢٣) تصدر عن أخبار اليوم، القاهرة.

المسلم هما

بحيث يعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً، فلا تجد حرفاً زائداً بلا معنى، ولا كلمة مترادفة، إلى آخر ما يقال عن القرآن الكريم»[(١)].

٤ ـ والقرآن معجز لأنه كلام الله وليس العكس، فقد ذكر في حديثه عن المعجزة اللغوية للقرآن ما يأتي: «القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، ومادام كلام الله فيجب أن يكون معجزاً، لأن قائله هو الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء»[(٢)].

٥ ـ دحض فكرة وجود تناقض في القرآن الكريم، بل الاختلاف بين الآيات كما يراه هو أحد دعائم الإعجاز في القرآن الكريم، ولا يفطن لهذا إلا أهل العلم الصادقون، يقول: «السؤال الذي شغل بال المستشرقين، وكل من يريد أن يحارب هذا الدين، هو الادعاء بأن هناك تناقضاً في القرآن الكريم، ولو بذل هؤلاء الناس لفهم القرآن الكريم نفس الجهد الذي بذلوه في محاولة ما أسموه بالتناقض في القرآن الكريم، لاستطاعوا أن يصلوا إلى عظمة القرآن»[(٣)].

٦ ـ ويلخص الأستاذ نعيم الحمصي جهود الشعراوي فيقول: «جعل أكثر اهتمامه في الكتاب بالإعجاز العلمي والغيبي، واكتفى بالإشارة إلى الإعجاز البلاغي اللغوي، وببعض لمحات خاطفة، وإلى أنه يجمع بين العرض الشيق والفائدة والسهولة. وموضوع الإعجاز العلمي ليس جديداً، ولكن المؤلف أضاف بعض اللفتات واللمسات الجديدة إلى الحقائق العلمية الواردة في القرآن التي تحدث عنها العلماء والأدباء قبله، ومنها: أن معجزة النبي وهي القرآن؛ هي في الوقت نفسه منهجه، عكس الأنبياء الآخرين الذين كانت معجزتهم غير منهجهم، فمنهج موسى على سبيل المثال التوراة، ومعجزته العصا.

ومنها: أن غير المسلمين يشاركون في حفظ القرآن برسمه وطباعته، وفي كشف علمائهم عن حقائق علمية حديثة طابقت نصوص القرآن، وذلك لقوله

---

(١) المرجع السابق، ص(٤٧).
(٢) المرجع السابق، ص(٣٥).
(٣) المرجع السابق، ص(٦٥).

رفع
المسٺهمٌ
عبد الله لبلولاي

تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومنها: أن القرآن هتك حجاب النفس البشرية؛ حين كشف عما يعتلج في نفوس الكافرين والمنافقين زمن النبي.

ومنها: أن الباحثين في العلوم قد يتبعون أهواءهم؛ فيضلوا الناس، مما بينه قوله تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

ومنها دفاعه في آية المغيبات الخمس عن قوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] بناحيتين:

الأولى: أن ما في هذه الآية ليس من الضروري أن يقصد بها الذكورة والأنوثة، وهناك معان أخر تفيدها، مثل: الذكاء والغباء، والجهل والعلم، والطول والقصر... إلخ

والثانية: دفاعه عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الحجر: ١٩] بأن من كانوا في عصر النبي، وقبل أن تُعرف كروية الأرض، كانوا يفسرون المد على مستوى إدراكهم، وإذا فسرنا معنى المد الآن، انتهينا إلى أن الأرض كروية.

ونراه يستخرج من دفاعيه هذين حقيقة جديرة بالاهتمام، وهي أن الاختلاف بين القرآن وحقيقة علمية، إما أن يرجع إلى خطأ في الحقيقة العلمية، أو إلى خطأ في فهم الحقيقة القرآنية. ويستنتج من ذلك أيضاً: أن القرآن يستعمل الألفاظ استعمالاً معجزاً، بحيث نرى اللفظ يفسر في كل بيئة وكل زمان تفسيراً يلائم مستوى المفسرين في بيئتهم وزمانهم»(١).

٧ ـ وأهم ما يحسب للشيخ الشعراوي أنه حبب العامة والخاصة على حد سواء بعلمي البلاغة والإعجاز، ونجح في ذلك بشكل منقطع النظير، رحم الله الشيخ الشعراوي ونفع بعلمه المسلمين.

❑ ❑ ❑

---

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، ص (٣٠٢ ـ ٣٠٣).

رفع
المسـ هما
عبد الله بن المبارك

سابعاً: د. محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه: (من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل).

١ ـ الكتاب قسمان:

تناول في القسم الأول: خلاصة لتاريخ القرآن وعلومه.

وتناول في القسم الثاني: دراسة موجزة لمنهجه وأسلوبه، درس فيها:

أسلوب القرآن، إعجاز القرآن، موضوعات القرآن وطريقة عرضه لها، التصوير في القرآن، الأمثال في القرآن، القصة في القرآن أغراضها وخصائصها، المنهج التربوي في القرآن، النزعة الإنسانية في القرآن، وهل من الممكن ترجمة القرآن.

٢ ـ وفي حديثه عن خصائص أسلوب القرآن حدد هذه الخصائص بما يأتي[١]:

الخاصة الأولى: جريانه على نسق بديع خارج عن المألوف.

الخاصة الثانية: جريانه على مستوى رفيع واحد على الرغم من تنوع المعاني والموضوعات.

الخاصة الثالثة: صلاحية صياغته لمخاطبة الناس عامة على اختلاف ثقافاتهم وعصورهم.

الخاصة الرابعة: ظاهرة التكرار للألفاظ والمعاني.

الخاصة الخامسة: تداخل بحوثه وموضوعاته، ويقول في هذه الخاصية: «فأنت لا تجد فيه ما تجده في عامة المؤلفات والكتب الأخرى من التنسيق والتبويب حسب الموضوعات... والحقيقة أن هذه الخاصة في القرآن هي

---

(١) انظر: من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، ص (١١١ ـ ١٢٠) مكتبة الفارابي، دمشق.

مظهر من مظاهر تفرده، واستقلاله عن كل مألوف ومعروف من طرائق البحث والتأليف».

٣ ـ وفي حديثه عن إعجاز القرآن قال: «الحديث عن إعجاز القرآن من أهم البحوث المتعلقة بالقرآن وآدابه وعلومه، وهو لبها وجوهرها وأساسها وعمدتها»(١).

ويذكر أربعة نواحي للإعجاز(٢)، هي:

أولاً: الإعجاز اللفظي أو البلاغي.

ثانياً: الإعجاز بالغيبيات.

ثالثاً: الإعجاز بالتشريع.

رابعاً: مظهر جلال الربوبية، ويقول فيه: «ومما لا ريب فيه أن أكثر الناس الذين يقرؤون كتاب الله تعالى، وقد وقر في أنفسهم أن هذا الكلام لا يمكن أن ينطق به بشر من الناس... وهو ما أسميناه: مظهر جلال الربوبية في القرآن».

٤ ـ ويفصل الحديث عن الإعجاز البلاغي، ويرى أنه يتجسد في مظهرين:

المظهر الأول: الكلمة القرآنية «فهي أولاً: تتناول من المعنى سطحه وأعماقه وسائر صوره وخصائصه... وهي ثانياً: تمتاز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أتم مع المعنى المراد»(٣).

المظهر الثاني: الجملة القرآنية «ويتلخص مظهر الإعجاز في الجملة القرآنية في الأمور الثلاثة التالية:

١ ـ الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي.

٢ ـ دلالتها بأقصر عبارة على أوسع معنى.

---

(١) المرجع السابق، ص (١٢١).
(٢) المرجع السابق، ص (١٣٥ ـ ١٦١).
(٣) المرجع السابق، ص (١٣٩).

رفع
المسـاهم
عفر الله له ولوالديه

٣ ـ إخراجها المجرد في مظهر المحسوس»[١].

والخلاصة أن البوطي بذل جهداً في تقريب الإعجاز إلى المعاصرين بلغة سهلة، وحاول إخراج ما قاله القدماء بحلة جديدة.

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (١٤٤).

رفع
المسـاهم
عفا الله عنه وعن والديه

القسم الثاني: كتاب وباحثون أكاديميون

هنالك عدد كبير من الكتاب والباحثين ممن تناولوا موضوع الإعجاز في العصر الحديث، وسوف نعرض لبعض الدراسات التي وقفنا عليها بإيجاز، ونذكرها مرتبة معجمياً وفق عناوينها، بعد أن تعذر عرضها بحسب تاريخ تأليفها أو نشرها، لخلو بعضها من بعض البيانات في هذا الصدد.

أولاً: عبد الكريم الخطيب في كتابه: (إعجاز القرآن - الإعجاز في دراسات السابقين - دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها).

١ ـ تكون الكتاب من مقدمة ومدخل إلى البحث وأربعة أبواب:

الباب الأول: كلمات الله وكلام الناس.

الباب الثاني: المعجزة في زمانها ومكانها.

الباب الثالث: آراء ومباحث الإعجاز.

الباب الرابع: شبهات ودعاوى ومفتريات.

٢ ـ بين المؤلف غايته من البحث ومنهجه فيه، فقال: «من أجل هذا كان هذا البحث الذي لا يعدو أن يكون وجهات نظرات في كتاب الله، تتمثل فيها مفاهيم المسلمين للقرآن الكريم على اختلاف وجهات نظرهم، وتغاير أزمانهم وثقافاتهم، وقد استقبلنا هذه النظرات جميعاً بنظر خاص لنا، أجريناه معها، وعملناه في حسابها، راجين أن يزداد به العلم، الذي تستبين به معالم الطريق إلى الله، وإلى تدبر آياته، وفهمها فهماً يقيم في كيان المسلم إيماناً راسخاً بها، ووازعاً قوياً منهماً»(١).

---

(١) إعجاز القرآن ـ الإعجاز في دراسات السابقين ـ دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، ص (١٥ ـ ١٦)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

رفع المسلم

ثانياً: د. حفني شرف في كتابه: (إعجاز القرآن الكريم البياني بين النظرية والتطبيق).

١ ـ قال يذكر غرضه من الدراسة: «وكان هدفي من هذه الدراسة: توجيه أنظار الباحثين والدارسين والعلماء إلى الرجوع إلى بلاغة القرآن، والتأسي بها، باعتبارها المنار الذي يهدينا في دراستنا البلاغية، ويضع أيدينا في سهولة ويسر على ما نصبوا إليه من سمو وجمال في لغتنا العربية حرسها الله»(١).

٢ ـ يقع الكتاب في مبحثين:

المبحث الأول: الدراسة النظرية لتطور فكرة الإعجاز البياني، وقد درس (٢٨) عالماً، ابتداء من أبي عبيدة معمر بن المثنى، وانتهاء بالدكتور مصطفى محمود.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لأسرار إعجاز القرآن الكريم، وتكون من خمسة فصول تناولت: ألفاظ القرآن، البلاغة والقرآن، معاني القرآن، التصوير البياني في القرآن، نظم القرآن، ثم خاتمة.

٣ ـ قال في خاتمة كتابه، مبيناً ما توصل إليه من الربط بين دراسة البلاغة والإعجاز عند علماء الإعجاز: «انتهيت من هذا كله، إلى أن فكرة الإعجاز عامة، اهتم بها علماء كثيرون، وأكثر من اهتم بإعجازه البياني: المتكلمون والمفسرون والأدباء، الذين كانت لهم اليد الأولى في توضيح هذه الفكرة... والذي لاحظته أثناء هذا التطواف، وتلك المقابلات، أن أكثر علماء الإعجاز درسوا العربية، وأرخوا لها، وطوروا دراستها، لأنهم كانوا مؤمنين بأن دراسة البلاغة وسيلة لغاية أسمى، وهي إعجاز القرآن البياني»(٢).

---

(١) إعجاز القرآن الكريم البياني بين النظرية والتطبيق، ص (٣)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الرابع، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٢) المرجع السابق، ص (٢٧٥).

رفع المسا هم

ثالثاً: د. محمد أحمد يوسف قاسم في كتابه: (الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره).

١ ـ بين المؤلف فائدة دراسة علم المناسبات، فقال: «وإن الباحث المنصف في مناسبات القرآن، إذا أعمل فكره في ربط الآي بعضها ببعض، ثم في ربط أجزاء السورة بعضها ببعض، ثم في ربط السور بعضها ببعض كذلك، مطبقاً القاعدة العامة في استخراج المناسبات، ظهرت له وجوه من الحكم في ترتيب القرآن الكريم، وبرزت له ناحية جليلة من نواحي إعجازه، فينتهي إلى نتيجة هي: أن القرآن ليس من صنع البشر، بل إن الله أوحاه إلى نبيه ﷺ، وبلغه عنه كما هو، لم يقدم منه مؤخراً، ولا أخر منه مقدماً»[1].

٢ ـ والكتاب في الأصل أطروحة دكتوراة في تفسير القرآن الكريم بكلية أصول الدين في الأزهر، ويتكون من:

مقدمة، تناولت ثلاثة بحوث: كيفية إنزال القرآن الكريم، ونزوله منجماً حسب الحاجة وعلى مقتضى البيئة في العهدين المكي والمدني، وترتيب المصحف ليس على ترتيب النزول.

ثم تأتي أربعة أبواب مقسمة إلى فصول، تناول الباب الأول: تاريخ علم المناسبات، والثاني: ترتيب القرآن الكريم، والثالث: أنواع المناسبات، والرابع: الشبهات الواردة على ترتيب القرآن، وناقش فيه شبهات عدة لإحدى الفرق الإسلامية، وأخرى للمستشرقين.

٣ ـ ويقول في الختام: «بعون الله توصلنا إلى مدى أهمية هذا النوع من

---

(١) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، ص (٢)، دار المطبوعات الدولية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

التفسير، ومكانته في إبراز نواحي إعجاز القرآن الكريم، لم تظفر بمثل هذا الاهتمام الذي حظيت به تلك النواحي أخرى، ورأينا أن شبه أعداء الدين فيه من هذه الناحية ناحية ترتيبه وحسن تنسيقه لا تقوم على أساس علمي»[1].

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (٥٢٧).

رفع المسهم

رابعاً: د. محمد الأمين الخضري في كتابه: (الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، دراسة تحليلية للإفراد والتثنية والجمع في القرآن).

١ ـ بين في البداية غرضه من تأليف كتابه، فقال: «هذا الفن من فنون المجاز، وهذا الضرب من ضروب الإيجاز، وذلك اللون من ألوان الخروج على خلاف ظاهر الأحوال، أين حظه في حقل الدراسات البلاغية؟ وهذا الفيض من أسرار الإعجاز، ما نصيبه من الدراسات القرآنية؟ ذلك ما تجيب عنه هذه الدراسة من خلال تتبع ما خالف الظاهر من صيغ الإفراد والجمع في القرآن الكريم، والكشف عن أسرار الإعجاز فيه»(١).

٢ ـ ناقش في كتابه: وضع المفرد موضع الجمع، ووضع الجمع موضع المفرد، وتعاور الجموع مواقعها، وتناسق الصيغ في مشتبه النظم.

٣ ـ ونسوق مثالاً عن جهوده مما ذكره في حديثه عن وضع الجمع موضع المفرد، قال: «ومن العجيب أن يستعمل القرآن من مرادفات العقل: (النهى) ولا يستعمله إلا جمعاً كذلك، عازفاً عن مفرده (نهية)؛ لنفس السبب من عذوبة الجمع وحسنه، كما يشهد به الذوق، وينطق به الحس، وقد ورد هذا الجمع مرتين، في سورة طه: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]. ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨]. وكان وراء إيثاره على الألباب والقلوب ما يحمله في أصل مادته من النهي عن قبيح الفعال وذميمها، وهو الملائم لسياق الموضعين، ففي الموضع الأول: دعوة إلى العقل أن يتدبر آثار المنعم فيما بين أيدي الناس من نعمه، وينهى صاحبه عن التمرد على من أنعم عليه. وفي

(١) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، دراسة تحليلية للإفراد والتثنية والجمع في القرآن، ص (٥)، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

رفع المسـتهمل

الثاني: دعوة إلى التفكر في تاريخ الأمم وآثار الهالكين، وتحذير من الوقوع في مغبة ما أدى بهذه الأمم إلى الهلاك، وفي ذلك ما يهيب بالعقول أن تنهى أصحابها عن الاستمرار فيما يدفع بهم إلى مصير هذه الأمم»[1].

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (٩٤ ـ ٩٥).

رفع
المسـهم
غفرالله له ولوالديه

خامساً: محمود السيد حسن مصطفى في كتابه: (الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية).

١ ـ ذكر في مقدمته أن الباحثين لم يتطرقوا لموضوع: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، وأن «هذا اللون القرآني يتطلب اهتماماً واعياً من جانب الباحثين باستجلاء الحقائق، والأسرار الباهرة الكامنة في تراكيبه اللغوية»[١].

وبين منهجه، فقال: «وقد اعتمدت في هذا التحليل اللغوي على المنهج الوصفي، الذي يقوم على تقديم صورة جلية أمام القارئ، للجانب اللغوي في صوره المتعددة، وأسراره الباهرة، وكنت حريصاً على نقل القارئ إلى استنباط الحقائق، وإظهار الآثار اللغوية الناجمة عن طريقة القرآن في عرض قصصه وتقديم أبحاثه»[٢].

٢ ـ والكتاب في الأصل أطروحة ماجستير، وقد جاء في ثمانية فصول:

الفصل الأول: أسلوب القصة الأدبية عند العرب.

الفصل الثاني: أسلوب القصة في الكتب المقدسة.

الفصل الثالث: الخصائص التعبيرية اللغوية لأسلوب القصة القرآنية.

الفصل الرابع: التكرار وأثره في لغة القصة القرآنية.

الفصل الخامس: من صور التركيب الإسنادي في القصص القرآني (الجملة الخبرية في القصة القرآنية).

الفصل السادس: الجملة الطلبية في القصة القرآنية.

---

(١) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ص (١)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

(٢) المرجع السابق، ص (٢).

رفع المسـاهم

الفصل السابع: أسلوباً الاستفهام والنهي في قصص القرآن الكريم.

الفصل الثامن: أثر بعض الظواهر اللغوية للقصة القرآنية في الدراسة البلاغية[1].

٣ ـ وقد ختم الكتاب بذكر النتائج التي توصل إليها ولخصها في سبع عشرة نتيجة، يقول في النتيجة الخامسة: «هناك اختلاف جوهري في طريقة العرض والأسلوب والمضمون في قصص الكتاب المقدس ـ التوراة والإنجيل ـ عنها في قصص القرآن الكريم، فكثيراً ما تظهر المبالغات والمزايدات في ذكر الخوارق والعجائب في قصص الكتاب المقدس، ويتضح معه الإسهاب في العرض والتفصيل؛ مما يؤثر على الأسلوب ذاته، فيصير ركيكاً بعض الشيء، ويحدث معه الخلل في العبارات، بخلاف قصص القرآن الكريم، التي تتسم بالإيجاز الشديد، بما يعطي المعنى الصائب البعيد عن المبالغة والخيال، كما أنها تدور في نطاق الحقيقة المطلقة التي يخضع لها العقل الإنساني، وكثيراً ما تغفل القصة القرآنية التصريح بذكر الشخصيات، زيادة في الإيجاز، فالشخصية ليست مقصودة لذاتها كما هو الحال في قصص الكتاب المقدس التي تسلط الأضواء على الشخصية، لغرض إبرازها والتنويه بها»[2].

٤ ـ ويقول في النتيجة السادسة عشرة: «النظم في قصص القرآن الكريم مجاله البلاغة النحوية في كثير من الصور التي أشرت إليها؛ كالحذف والتكرار وما يشتبه الزيادة والنقصان، والخروج والاقتصاص وغيرها من الصور والظواهر اللغوية التي توثق الصلة بالدراسة البلاغية. ويكثر الحذف بالنسبة للحروف والكلمات في كثير من قصص القرآن الكريم، وفي الحذف علة ترتبط بأن الزمان قد يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وهذا يعني ضرورة الحذف ببعض المواضع، لأن الاشتغال بذكره يحدث الخلل في العبارات، ويقضي إلى

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٧١ ـ ٣٧٦).
(٢) المرجع السابق، ص (٣٥٨).

رفع
المسلم
غفر الله له ولوالديه

تفويت الغرض المطلوب. وقد تبينت أن الحذف يحسن في بعض المواضع لقوة الدلالة عليه، وحتى يترك للنفس أن تتشوق إلى حقيقة المحذوف الذي يفهم غالباً من خلال السياق القصصي للقرآن»[1].

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (٣٦٢ ـ ٣٦٣).

رفع
المسلم
عبد الله بن عبد الله

سادساً: د. فتحي أحمد عامر في كتابه: (بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، دراسة تاريخية فنية مقارنة).

١ ـ قسم كتابه خمسة فصول، تناول فيها جملة موضوعات كالآتي:

في الفصل الأول: النظرات الأولى: درس مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء.

وفي الفصل الثاني: المتكلمون، درس فيه درس فيه جهود الجاحظ وابن قتيبة والواسطي والرماني والباقلاني وعبد القاهر.

وفي الفصل الثالث: المحدثون والمفسرون، درس فيه جهود الخطابي والزمخشري والفخر الرازي وابن جرير الطبري وابن العربي والقرطبي، ومحد رشيد رضا في المنار.

وفي الفصل الرابع: الأدباء، ودرس فيه جهود الشريف الرضي، وابن الزملكاني، وابن أبي الإصبع، والعلوي صاحب الطراز.

وفي الفصل الخامس: تجارب أخرى، درس جهود الدكتور أحمد بدوي والأستاذ سيد قطب[١].

٢ ـ ختم كتابه بالإشادة بكتب سيد قطب الثلاثة: (التصوير الفني في القرآن)، و (مشاهد القيامة في القرآن)، و (في ظلال القرآن)، وأبدى إعجابه بطريقة التصوير الفني، حيث قال: «تلك الطريقة الرائدة التي ندعو إلى أن يتمثلها دارسو القرآن، لما لها من أثر نفسي بعيد، يغذي قوى النفس، ويلهمها مسارها الرشيد لعقيدة التوحيد، إنها طريقة جديدة رائدة، ما في ذلك ريب،

---

(١) انظر: بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، دراسة تاريخية فنية مقارنة، د. فتحي أحمد عامر، ص (٣٩٥ ـ ٣٩٦).

رفع
المسـ هما
عبد الله المحمدي

وإن كنا نرى عبد القاهر الجرجاني وتلميذه الزمخشري منها على بعد خطوات، وولي التوفيق هو الله»[1].

٣ ـ وللدكتور فتحي عامر كتاب بعنوان: (المعاني الثانية في الأسلوب القرآني)، وقد حدد المراد بالمعاني الثانية عند العلماء قبل عبد القاهر، ثم قال: «وبقيت فكرة المعاني الثانية منتشرة في تضاعيف هذه الدراسات، من غير تحديد لسماتها الفنية، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني ففسر نظرية النظم تفسيراً ردها فيه إلى تلك المعاني التي تلتمس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس، وهي معان ترجع إلى الإسناد، وإلى خصائص مختلفة في المسند إليه، والمسند، وفي أضرب الخبر، وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال، وفي الفصل بين الجمل والوصل، وفي القصر، وفي الإيجاز والإطناب، وهي نفسها الأبواب التي ألف منها من خلفوه علم المعاني. فهو أول من فسر نظرية النظم في اتساع وقدرة، وأول من قصد إلى المعاني الثانية قصداً من وراء فكرة النظم»[2].

ويضيف: «ومن ثم كانت دراستنا للمعاني الثانية ضرورية، إذ هي تضيف جديداً إلى حقل الدراسات القرآنية هو في حاجة إليه، وتكشف عن ألوان من الدلالات الفنية في بحوث السابقين لها خطرها، مما يعد نقطة بدء للمجال الأرحب حول النظر في كتاب الله، وتضع ركيزة هامة لعمل جديد في عمق التأمل لما يوحي به تركيب القرآن من دلائل»[3].

٤ ـ وتكون الكتاب من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

في المقدمة: إشارات عابرة لتاريخ فكرة المعاني الثانية في نظم القرآن.

وفي التمهيد: عرض لبحث مسألة الخلاف في وقوع المجاز.

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٩٤).
(٢) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، ص (٧)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٧م.
(٣) المرجع السابق، ص (٩).

يأتي بعد ذلك فصول ثلاثة كما ذكرت:

الفصل الأول: معاني القرآن. درس فيه ما يدل ظاهر لفظه على معناه، وما يدل على خلاف ظاهر اللفظ، والمعاني الظاهرة والمعاني الخفية، والحقيقة ومعناها، والتورية والأساليب الخبرية، والأساليب الإنشائية، والذكر والحذف وأنواع المجاز.

الفصل الثاني: المعاني الثانية في القرآن. درس فيه المعاني الثواني دراسة تطبيقية من خلال عشرة موضوعات هي: التوحيد، الحياة الدنيا، الحياة الآخرة، العبادات والمعاملات، المتشابه، الإسراء والمعراج، قصص القرآن، نماذج إنسانية، نماذج فلسفية نفسية، صور ومواقف.

الفصل الثالث: بلاغة المعاني الثواني في أسلوب القرآن. درس فيه موضوعات شتى منها: الألفاظ المختلفة المعاني وتجمعها دلالة واحدة، والجمل الخبرية تفتتح بها ثلاث وعشرون سورة، ولأسلوب المجاز أكثر من إيحاء، وأساليب في الكناية، ونماذج من التشبيه، وجولات لابن قتيبة في هذا الباب، والمثل، وموقف الجاحظ وغيره من قضية السجع القرآني.

❑ ❑ ❑

رفع عبد الرحمن النجدي
المسلمين

سابعاً: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه: (البيان في إعجاز القرآن)

١ ـ جاء كتابه في أربعة فصول:

الفصل الأول: مقدمات لدراسة إعجاز القرآن، وفيه تسعة مباحث درس فيها: كلمة إعجاز في اشتقاقاتها واستعمالاتها. كلمات قرآنية قريبة من معنى معجزة. البدايات الأولى للمعجزة والإعجاز. مادة العجز في القرآن الكريم. بين معجزات محمد ـ ﷺ ـ ومعجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام. آيات التحدي في القرآن. مستوى العرب البياني. المعاجزة والعجز والإعجاز. مكمن الإعجاز ووسائل إدراكه.

الفصل الثاني: مع فكرة الإعجاز في مسيرتها التاريخية. درس فيه الإعجاز من عصر النبوة إلى العصر الحديث، وكان آخر من توقف عنده سيد قطب.

الفصل الثالث: الإعجاز في الأسلوب القرآني. ودرس فيه سر الحرف، وسر الكلمة، وسر التعبير، ومزايا الأداء الفني عند سيد قطب، ونظرية التصوير الفني عند سيد قطب. وخصائص التصوير الفني في القرآن.

الفصل الرابع: الإعجاز في المضمون القرآني، ودرس فيه وجوه الإعجاز الأخرى، فدرس فيه الإعجاز الموضوعي، والإعجاز الغيبي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز النفسي.

ويندرج تحت كل مبحث مجموعة متشعبة من الموضوعات[١].

٢ ـ يؤكد على الإعجاز البياني، وأنه هو المراد به التحدي دون سواه، يقول: «لقد أجمعوا على القول بالإعجاز البياني، وأن القرآن معجز ببيانه وفصاحته وبلاغته وأسلوبه، وأجمعوا على اعتبار هذا الوجه هو أبرز وأظهر

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٨٩ ـ ٤٠٢).

رفع
المسـاهم

وأشهر وجوه الإعجاز، وأنه بهذا يقدم شهادة للمسألة الأساسية، وهي إثبات أن القرآن كلام الله.

واكتفى علماء محققون بالإعجاز البياني، واعتبروه هو الوجه الوحيد لإعجاز القرآن، وأن القرآن به تحدى المنكرين الجاحدين، وطالبهم بالإتيان بسور مثل القرآن في بيانه وبلاغته وفصاحته، فعجزوا عن ذلك البيان القرآني. واعتبر هؤلاء المحققون، ما يقدمه غيرهم من العلماء الآخرين من وجوه أخرى للإعجاز، ليست وجوهاً للإعجاز، وأنها ليس فيها تحد، وأن القرآن لم يطالب الجاحدين الإتيان بها أو بمثلها؛ لكنهم لم ينكروها، ولم يرفضوها، بل اعتبروها أدلة تدل على مصدر القرآن الرباني، وأنه كلام الله، وأن وجودها في القرآن وتوفرها فيه، يجعل من المستحيل الاعتقاد أنه كلام بشر، وأن تلك الوجوه عند المحققين من العلماء دارسي الإعجاز، تقف أدلة على مصدر القرآن بجانب الإعجاز، أكبرِ الأدلة وأعظمها وأوضحها، وليست وجوهاً للإعجاز تندرج تحته. من العلماء الذين على هذا الرأي: رائد الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، ومن المعاصرين: الأساتذة: محمود شاكر، والدكتور عدنان زرزور، والدكتور محمد لطفي الصباغ. وأنا مع هؤلاء في فهم الإعجاز»[(١)].

٣ - ويشير إلى تطور قضية الإعجاز لتصبح علماً مستقلاً، نتج عنه مدارس واتجاهات، وكانت هناك جهود علمية متعددة، منها الأصيل ومنها المكرر، يقول: «وقد تطورت مسألة الإعجاز من كون الإعجاز دليلاً على النبوة، وشاهداً على مصدر القرآن الرباني، ليتحول إعجاز القرآن إلى علم مستقل، قائم بذاته، يُدرس كما يدرس أي علم من علوم العربية، وتعددت المدارس والاتجاهات في دراسة إعجاز القرآن، فظهرت: مدرسة المعتزلة، ومدرسة المتكلمين، ومدرسة المفسرين، ومدرسة الأدباء، وتنوعت النظرات واختلفت التحليلات، وتباينت الآراء، وتوسعت مسألة إعجاز القرآن توسعاً كبيراً، وظهرت الكتب

---

(١) البيان في إعجاز القرآن، ص (٧)، دار عمار، عَمَّان، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

رفع
المسلم
عبد الله الحماد

الكثيرة ـ القديمة والمعاصرة ـ التي بحثت في الإعجاز، وقدم أصحابها أفكاراً وآراء ونظرات، وأضافوا على من سبقوهم إضافات كثيرة نافعة، كما وقع كثير ممن بحثوا في الإعجاز في التاريخ الإسلامي في التكرار، وإعادة كلام من سبقوهم في الإعجاز»[١].

وبين أن من أهدافه من الكتاب: «هدف أكاديمي تعليمي تدريسي، ليجد فيه طلبة الجامعات وكليات المجتمع ما يحتاجون إليه أثناء دراسة المادة»[٢].

٤ ـ تحدث عن التناسق العددي في القرآن الكريم، وجعله تابعاً للإعجاز البياني، يقول: «لسنا مع من يقول بالإعجاز العددي، ولا مع من يسمي التناسق العددي الإعجاز العددي، إن من يسمي هذا التناسق الإعجاز العددي يعتبره وجهاً مستقلاً من وجوه إعجاز القرآن، ويعتبر القرآن متحدياً بأعداده المعجزة الناسَ، فهل التحدي قائم بالأعداد القرآنية؟ وهل طالب القرآن الجاحدين تأليف كلام تتساوى أعداد حروفه وكلماته مع الأعداد القرآنية؟ ومن هم الذين تحداهم الله بذلك؟ أهم الكفار في عصر التنزيل؟ أم الناس في القرن العشرين؟ . . . إن التناسق العددي تابع للإعجاز البياني، ومظهر من مظاهره، إن وجوده في القرآن ليس هدفاً مقصوداً لذاته، بل هو من لوازم استخدام القرآن لحروفه وكلماته المعجزة»[٣].

وقد أشاد بجهود عبد الرزاق نوفل في كتابه (الإعجاز العددي في القرآن الكريم)، في حين رفض جهود الدكتور محمد رشاد خليفة، يقول في هذا الصدد: «إن معظم كلام المرحوم نوفل عن الموضوع صحيح، ومعظم أرقامه وحساباته صادقة، ومعظم نتائجه طيبة، وإن كنا لا نوافقه على تسمية التناسق العددي بالإعجاز العددي، لما سبق أن بيناه.

أما الفريق الثاني صاحب الكلام الباطل، والحسابات الخاطئة، والبحث

(١) البيان في إعجاز القرآن، ص (٩).
(٢) المرجع السابق، ص (٩ ـ ١٠).
(٣) المرجع السابق، ص (٣٥٢).

المزاجي، والأرقام الباطلة، والهدف الباطني الخبيث، فيمثلهم الدكتور محمد رشاد خليفة، صاحب أكذوبة: (الإعجاز العددي: عليها تسعة عشر) المعتنق للديانة البهائية الكافرة»[1].

٥ ـ في حديثه عن الإعجاز العلمي قال: «اعتبر الباحثون الإسلاميون المعاصرون ـ أنصار هذا الفهم للإعجاز ـ أن الإعجاز العلمي في القرآن هو أبرز وجوه الإعجاز لأهل هذا الزمان، يفوق الوجوه الأخرى، بسبب التقدم العلمي المذهل... ومن أشهر من عرف بالاهتمام بهذا الجانب والتخصص فيه: المفسر طنطاوي جوهري في تفسيره: (الجواهر في تفسير القرآن) ومنهم الدكتور محمد أحمد الغمراوي، والدكتور محمد جمال الدين الفندي، وعبدالرزاق نوفل، والشيخ عبد المجيد الزنداني، والشيخ محمد متولي الشعراوي»[2].

٦ ـ تحدث عن استمرار التحدي فقال: «إذا تحدى القوي خصمه، فأضعفه وأعجزه، فإن عجزه وضعفه ينسحب على الآخرين الذين أقل منه في قوته، فيكون بذلك المنتصر غالباً للآخرين، معجزاً لهم، لأنهم أضعف وأعجز من صاحبهم المهزوم... وهكذا الأمر في تحدي القرآن للكافرين، وتعجيزه لهم. إن التحدي موجه للمتقدمين في الفصاحة والبيان، وهم العرب المعاصرون لنزوله، وإنهم قد عجزوا عن معارضته، وضعفوا عن الإتيان بما تحداهم به، وبما أنهم قد عجزوا وهم الأقوياء المتقدمون المتفوقون، كان غيرهم من الناس ـ الذين أقل منهم في الفصاحة، وأدناهم في البلاغة، وأضعف منهم في البيان ـ أضعف وأعجز، حيث ينسحب عليهم ذلك العجز والضعف. ولذلك نحكم على الأجيال العربية التالية، في العصور الإسلامية المختلفة، وحتى عصرنا الحاضر، بأنها ضعيفة عاجزة، لأنها أقل بدرجات من أولئك العرب السابقين، ولذلك يكون القرآن معجزاً لهم، كما كان معجزاً لأسلافهم»[3].

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٥٦ ـ ٣٥٧).
(٢) المرجع السابق، ص (٢٦٠ ـ ٢٦١).
(٣) المرجع السابق، ص (٧٦ ـ ٧٧).

رفع المسهم

٧ ـ ذكر أن النظر في إعجاز القرآن ودراسته ليس هدفاً بحد ذاته ، وإنما هو كله وسيلة إلى غاية، إذ الهدف منه إثبات مصدر القرآن، وأنه كلام الله، وليس من كلام محمد ﷺ . وكم أخطأ من عكس هذه الحقيقة ؟! وقال: «القرآن معجز لأنه كلام الله. إذ الأصل إثبات أنه معجز، فإذا ثبت إعجازه؛ ثبت أنه كلام الله. أما أن نحيل مصدره الرباني إثباتاً لإعجازه، فهذا خطأ في البحث، يضعف قضية الإعجاز»[١].

والخلاصة أن الخالدي أضاف إضافة حسنة إلى مكتبة الإعجاز تتمثل بكتابه القيم، وهو لا يألو في إمداد المكتبة الإسلامية بجهوده الطيبة.

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق ، ص (٣٧٩).

رفع المسلم

ثامناً: د. حسن عتر في كتابه: (بينات المعجزة الخالدة)

١ ـ تناول في المقدمة دور القرآن في العرب والعربية والإنسانية.

وجاء الباب الأول تحت عنوان: (المعجزة في القرآن الكريم)، تناول فيه خصائص المعجزة وتميزها، ومعجزات رسولنا محمد ﷺ، وإنكار المستشرقين ومقلدتهم معجزات سيد المرسلين.

الباب الثاني: (دلائل المعجزة العظمى)، وذكر فيه أن القرآن معجزة الرسول العظمى، وشهادة العالم بإعجاز القرآن.

الباب الثالث: (بيان إعجاز القرآن الكريم)، وهو أكبر أبواب الكتاب تحدث في الفصل الأول منه عن مصدر إعجاز القرآن الكريم ومذهب الصرفة.

وفي الفصل الثاني عن: الإعجاز الذاتي للقرآن الكريم، وتحدث فيه عن أوجه إعجاز القرآن الكريم، وهي عنده:

الوجه الأول: أسلوب القرآن المعجز، ويتمثل بفصاحة الألفاظ القرآنية وروعتها، وفصاحة جمل القرآن وتراكيبه، وبلاغة القرآن المعجزة.

الوجه الثاني: الإخبار عن الغيب في القرآن.

الوجه الثالث: الوفاء بكل ما وعد الله في القرآن.

الوجه الرابع: سمو التشريع القرآني.

الوجه الخامس: إعجاز القرآن الخلقي والاجتماعي.

الوجه السادس: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

الوجه السابع: اتساق نظريات القرآن وأحكامه.

الوجه الثامن: الإعجاز النفسي في القرآن العظيم.

وتناول الفصل الثالث: نقض مزاعم المستشرقين.

رفع المسهم

ودرس في الفصل الرابع: آثار القرآن المجيد في اللغة والأدب والبلاغة والنقد.

ثم تأتي الخاتمة وذكر فيها مجمل إعجاز القرآن الكريم[١].

٢ ـ والكتاب جاء بشكل منهجي علمي مختصر، ففي حديثه عن الوجه الرابع: (سمو التشريع القرآني) قال: «إن تشريع القرآن العظيم يشمل كل جوانب الحياة الإنسانية ومشاكلها، ويعم الناس جميعاً أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، في زمن الرسول ـ ﷺ ـ ومن بعدهم إلى أبد الدهر، وقد جاء التشريع القرآني معجزاً للبشر في سموه ورفعته وعدالته. ولا غرو، فقد تناولت أحكام القرآن جوانب الحياة جميعاً، بما فيه صلاح البشرية وسعادتها، فكان منها ما يتعلق: بالفرد والأسرة، والمجتمع ونظام حكم الدولة، والعلاقات الدولية في حالتي السلم والحرب، وكل ما يخطر بالبال من نواحي الحياة»[٢].

وفي حديثه عن الوجه الخامس: (إعجاز القرآن الخلقي والاجتماعي) قال: «إن نظرة عابرة على أخلاق الجاهلية، تعطيك صورة واضحة عن البون الشاسع بينها وبين ذروة النهضة الأخلاقية التي بلغها القرآن بأصحاب وأتباع رسول الله ﷺ، وتظفر بالتالي بلوحة جمالية واقعية للتكوين الخلقي الذي أداه القرآن في الأمة الإسلامية»[٣].

وفي حديثه عن الوجه الثامن: (الإعجاز النفسي في القرآن العظيم) قال: «إن تأثير القرآن في القلوب قد بلغ مبلغاً عظيماً لم يُعرف قبله ولا بعده لكلام قط، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية، وتعتريهم هيبته، وتهيمن عليهم عظمته، وترى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرعهم على ضلالهم، ويقيم عليهم حججاً لا معقب لها، فيستثقلون سماعه، ويتولون عنه

---

(١) انظر: بينات المعجزة الخالدة، ص (٤٦٩ ـ ٤٨١)، دار النصر، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
(٢) بينات المعجزة الخالدة، ص (٣٦٦).
(٣) المرجع السابق، ص (٣٦٩).

رفع
المساهم

بنفور مدبرين، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١]. وقال: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]. وقد شعر بعض زعماء الشرك أن القرآن قد تملك قلوبهم، وأحسوا في أعماقهم هزة وروعة... فأوصوا أتباعهم أن يحولوا بينه وبين أنفسهم»[1].

والخلاصة أن كتاب (بينات المعجزة الخالدة) قد لخص ما قيل في التراث؛ بأسلوب ميسر، وأضاف جوانب جديدة مثل الحديث عن الإعجاز التشريعي والخلقي؛ بيد أنه بحاجة إلى مزيد من الأمثلة والتحليل لخطورة القضايا التي يطرحها.

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (٣٨٥).

تاسعاً: نعيم الحمصي في كتابه: (فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق)

١ ـ كتاب (فكرة إعجاز القرآن. .) مرجع قيم في هذا الباب، قدم له العلامة محمد بهجة البيطار، فقال: «هذا ويود كل باحث في أسرار القرآن ومقاصده، أن لو جمع ما دونه البلغاء في كنه هذا الإعجاز على تراخي العصور، واتساع دائرة العلوم، فانتدب لهذا الأستاذ نعيم الحمصي، فلخص ما سطرته الأقلام، مما جادت به القرائح والأفهام، وجمعها في كتاب واحد، سماه تاريخ فكرة إعجاز القرآن، من بعد ما نشره مقالات في مجلة المجمع العلمي بدمشق»[١].

والكتاب في الأصل مجموعة مقالات، يقول عنها المؤلف: «كنت نشرتها نجوماً في مجلة المجمع العلمي العربي، بعنوان: (تاريخ فكرة إعجاز القرآن) وهو عنوان أكبر مما يستحقه جهدي، ولعل تسميتها بـ: (محاولة في تاريخ فكرة الإعجاز) كانت أكثر موافقة للحق وانطباقاً للواقع»[٢].

٢ ـ بين منهجه، فقال: «وقد عرضت فيه الآراء عرضاً تاريخياً، وحرصت ما استطعت أن يكون حيادياً، لا ثناء فيه على ما أستحسنه، ولا ذم لما لا أرضاه، وقد أعتقد الرأي، وأُضعف مع ذلك حجة من جاء به، إن كانت قاصرة ضعيفة، أو لم يوفق في عرضها»[٣].

٣ ـ وقد تتبع المؤلف بتقص كبير فكرة الإعجاز من عهد النبوة إلى العصر الحديث، متبعاً المنهج التاريخي حسب القرون، ومرتباً للعلماء بحسب وفياتهم، وكتابه مرجع حافل في هذا الباب، ذكر فيه مذاهب العلماء المختلفة

---

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق، نعيم الحمصي، ص (ب، ج).
(٢) المرجع السابق، ص (١).
(٣) المصدر السابق نفسه.

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

في الإعجاز، سواء أكانوا من أهل التفسير أم من أهل البلاغة، كما عرض لذكر من اتهموا بالمعارضة؛ كابن المقفع والمتنبي والمعري، وذكر رد الرافعي عنهم هذا الاتهام، وعرض لمن أنكروا الإعجاز؛ مثل ابن الراوندي وغيره من الزنادقة.

٤ ـ وننوه بأن كتاب المؤلف كان أحد مراجعنا في هذه الدراسة، ورغم التقصي والجهد الكبير المبذول في الكتاب، فقد فاته ذكر جهود بعض العلماء؛ مثل: القرطبي، والطيبي، وأبي حيان الأندلسي، وغيرهم.

❑ ❑ ❑

رفع
المسلم
عبدالله البابلي

عاشراً: د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة في كتابه: (قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية).

١ ـ تناول في التمهيد: لفظ القرآن في عرف اللغة والاصطلاح، وامتياز القرآن بوصوله إلينا خالياً من التحريف والتبديل والزيادة والنقص، وتحقيق الإعجاز، ووجه إعجاز القرآن الكريم في صدر الإسلام.

٢ ـ في الباب الأول: (قضية الإعجاز القرآني ونشأة البلاغة العربية)، درس في الفصل الأول: المحافظة على سلامة الذوق العربي ليظل القرآن مفهوماً، ودرس في هذا الصدد جهود أبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة (٢١٠ هـ)، وجهود أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المتوفى سنة (٢٠٧ هـ).

وفي الفصل الثاني: الدفاع عن النظام القرآني والأدب العربي بوجه عام، وتناول في هذا الصدد دراسة جهود الجاحظ، وجهود ابن قتيبة، وجهود ابن المعتز.

٣ ـ وفي الباب الثاني: (قضية الإعجاز القرآني وازدهار الدراسات البلاغية)، تناول في الفصل الأول: المحسنات البديعية أو وجوه البلاغة في القرن الرابع الهجري، ومحاولة تعليل وجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم بها، ودرس في هذا الصدد جهود الرماني، وجهود أبي هلال العسكري.

وفي الفصل الثاني: رفض استقلال ألوان البديع أو وجوه البلاغة بالكشف عن إعجاز القرآن البلاغي، والتمهيد لنظرية النظم.

وفي الفصل الثالث: نظرية النظم وثراء البلاغة العربية، ودرس فيه جهود الإمام عبد القاهر، وجهود الزمخشري.

٤ ـ وفي الباب الثالث: (قضية الإعجاز القرآني والبلاغة العربية بعد الإمامين عبد القاهر والزمخشري)، درس في الفصل الأول: تعقد البلاغة وجمودها.

رفع
المسلم

ودرس في الفصل الثاني: محاولة التجديد وكيف ندرس البلاغة العربية.

ثم أشفع ذلك بالخلاصة، وبمصادر البحث[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص (٨٢١ ـ ٨٢٢).

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

أحد عشر: الدكتور مصطفى مسلم، في كتابه: (مباحث في إعجاز القرآن).

١ - ابتدأ الكتاب بمقدمة، وعقبها مبحثان:

الأول تناول المعجزة: تعريفها وشروطها وإمكان وقوعها، ووجه الدلالة على صدق الرسول.

والثاني: معجزات الأنبياء السابقين، ومعجزات خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٢ - عقب ذلك يأتي القسم الأول، وخصصه للجانب التاريخي في إعجاز القرآن، وهو مقسم لثلاثة فصول؛ درس فيها الإعجاز عند المعتزلة، وأهل السنة، وفي دراسات المعاصرين.

القسم الثاني: الجانب الموضوعي لإعجاز القرآن، وهو ثلاثة فصول تناولت: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي التجريبي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي.

أعقب ذلك الخاتمة، وذيلها بخمسة فهارس تناولت: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأعلام والمراجع والموضوعات[١].

٣ - من أهم ما توصل إليه أن قيام علم البلاغة؛ كان سببه: البحث عن الإعجاز، يقول: «كانت هذه جولات سريعة مع آي الذكر الحكيم في الآفاق والأنفس، حاولنا أن نلقي فيها الأضواء على جهود السلف في إبراز الإعجاز في

---

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، ص (٢٩٣ - ٢٩٥) دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

رفع
المسلم
عبد الله بن محمد

النظم القرآني، بعد أن ابتدع المعتزلة القول بالصرفة، وتصدى لمقولتهم علماء المسلمين، فكان سبباً لقيام صرح علم البلاغة»[١].

٤ ـ كما أكد على الإعجاز العلمي، وأنـه باق إلى قيام الساعة، يقول: «ولما كانت المعجزة قرينة الرسالة، ولما كان القرآن الكريم معجزة الرسالة الخالدة، فلا بد أن تقام الحجة بالقرآن الكريم على كل جيل من الأجيال، ليذعن أهل الإنكار والجحود في كل عصر لعظمة منزلته، ويوقنوا في قرارة نفوسهم أنه كلام الذي أحاط بكل شيء علماً، الذي يعلم السر في السموات والأرض، وكلما تقدمت الوسائل العلمية، وتوسعت دائرة المعارف البشرية؛ ستفتح آفاق جديدة أمام الباحثين في إعجاز القرآن الكريم»[٢].

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (٢٦٥).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٦٥).

رفع
المسـتهـمل
عبدالله البطاح

اثنا عشر: د. رشاد محمد سالم في كتابه: (مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي، لطائف وأسرار).

١ ـ قال عن دراسته: «.. من هنا: فليس عجيباً أن تستمر المؤلفات لاقتطاف الثمرات من كلام الله مباشرة، أو استخراج الحكم والفوائد من كتب السابقين عن القرآن الكريم، أو توضح ما غمض من أقوالهم، أو تقريب ما غرب من علومهم، أو استدراك ما ند عنهم، وهو ما طمحت إليه نفسي، فاستخرت الله، فرزقني هذا الشرف، واستعنت به سبحانه، فهداني إلى التنقيب في بطون الكتب أجمع، أتذوق، ثم وفقني للعرض والتحليل والمناقشة؛ فكانت هذه اللمحات التي ترى منها كيف كان القرآن معجزاً، ونتبصر منها نواحي إعجازه، وما أنا بمستقص دلائل الإعجاز في آحاد الآيات والسور، فذلك له مصنفاته»(١).

٢ ـ درس في كتابه الموضوعات الآتية: القرآن معجزة الإسلام الخالدة، حالة العرب اللغوية عند نزول القرآن، القرآن معجزة لغوية، الإعجاز والتحدي، المفرد القرآني ودوره في الإعجاز، الأسلوب القرآني، الإيجاز والإعجاز، الفاصلة القرآنية والإعجاز، من صور الإعجاز: نماذج تطبيقية.

٣ ـ ونذكر نموذجاً مما ذكره في كتابه تتعلق بالإعجاز اللغوي، يقول: «وتأمل في قول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] كيف أتى بإذا هاهنا لما كان مس الضر في البحر لهم محققاً، بخلاف قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]. فإنه لم يقيد مس الشر هنا، بل أطلقه، ولما قيده بالبحر الذي هو متحقق فيه ذلك أتى بأداة إذا. وتأمل في

---

(١) مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي، لطائف وأسرار، ص (١٢ ـ ١٣)، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]. كيف أتى هنا بإذا المشعرة بتحقيق الوقوع المستلزم لليأس؛ فإن اليأس إنما حصل عندما تحقق مس الشر له؛ فكان الإتيان بإذا هاهنا أدل على المعنى المقصود من إن، بخلاف قوله: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ فإنه بقلة صبره وضعف احتماله، متى توقع الشر أعرض وأطال في الدعاء، فإذا تحقق وقوعه كان يئوساً»[1].

٤ ـ وقال في خاتمة كتابه متحدثاً عن إحكام البناء القرآني: «فلقد علا القرآن هذا العلو الشامخ، وارتفع ذلك الارتفاع البعيد عن متناول البلغاء والفصحاء، بهذا الإحكام المعجز في تصميم بنائه، وفي وضع كل حرف، وكل كلمة، وكل عبارة، مكانها الذي لا يمكن أن يكون غيرها قائماً مقامها فيه، والذي إن زُحزحت عنه تغير وجه الكلام، وربما فسد نظامه، وانفرط عقده»[2].

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (١٧١ ـ ١٧٢).

(٢) المرجع السابق، ص (٢١٧).

ثلاثة عشر: د. محمود السيد شيخون، في كتابه: (الإعجاز في نظم القرآن).

١ ـ قال في المقدمة: «.. فهذه دراسات حول النظم القرآني، أردت أن أوضح من ورائها بعض ما ينطوي عليه هذا الكتاب المبين من روعة البيان وإعجازه، وكيف أنه أعجز أساطين البيان من العرب، مع أنه منظوم من نفس الحروف والكلمات التي ينظمون منها كلامهم، وكيف أنه بنظمه الفريد قد أثر فيهم تأثيراً بليغاً؛ فطار بألبابهم واستولى على أحاسيسهم ومشاعرهم ... ولم أقصد من وراء هذه الدراسات إلى الاستقراء والاستقصاء، فمثلي يستعصي عليهم مثل ذلك في هذا الميدان»[١].

٢ ـ يلي المقدمة خمسة فصول تناول فيها:

ـ الإعجاز نشأته وتطوره ووجوهه.

ـ والذين كتبوا في الإعجاز.

ـ ومظاهر الإعجاز في نظم القرآن. درس فيه ثلاثة مظاهر: الأول يتناول الخصائص المتعلقة بأسلوبه. والثاني: المفردة القرآنية. والثالث: الجملة القرآنية وصياغتها.

ـ والإعجاز والبلاغة. درس فيه نماذج من روائع التشبيه والاستعارة والكناية في القرآن الكريم.

ـ والإعجاز في نغم القرآن.

٣ ـ تحدث عن الإعجاز في نغم القرآن، فقال: «إنك إذا قرأت القرآن قراءة سليمة، وتلوته تلاوة صحيحة، أدركت أنه يمتاز بأسلوب إيقاعي، ينبعث منه

---

(١) الإعجاز في نظم القرآن، ص (٥)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

نغم جميل ساحر يبهر الألباب، ويسترق الأسماع، ويسيل الدموع من العيون، ويستولي على الأحاسيس والمشاعر»[1].

ومثل بأمثلة كثيرة للإعجاز في نغم القرآن، نقتطف منها قوله: «وحين تتسمع همس السين المكررة تكاد تستشف نعومة ظلها، مثلما تستريح إلى خفة وقعها في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧ ـ ١٨]. بينما تقع الرهبة في صدرك وأنت تسمع لاهثاً مكروباً صوت الدال المنذرة المتوعدة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة (تحيد) بدلاً من تنحرف، في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]»[2].

٤ ـ وفي خاتمة كتابه ذكر موضوعاً هاماً يتعلق بشروط يجب توافرها في الباحث عن إعجاز القرآن، حيث قال: «والآن وقد انتهيت من هذه السياحة العجلى في رحاب القرآن الكريم، أحب أن أقرر أنه لا يستطيع أن يدرك الإعجاز في نظم القرآن إلا من وفق لاكتساب أمور عدة، هي:

١ ـ ذهن صاف، وقلب سليم من الأمراض، نقي من الآفات، مملوء بحب الله وحب رسوله ﷺ.

٢ ـ إحاطة تامة بعلم التجويد؛ تمكنه من تلاوة كتاب الله تلاوة صحيحة سليمة.

٣ ـ حفظ كتاب الله عز وجل، والمداومة على تلاوته في تدبر وتأمل وخشوع.

٤ ـ ذوق رقيق وطبع سليم، وطول معاشرة لأساليب اللغة العربية شعراً ونثراً.

---

(١) المرجع السابق، ص (١١٢).
(٢) المرجع السابق، ص (١١٥).

رفع
المسهم
عبدالله بن فهد

٥ ـ بصيرة نافذة حكيمة، وحس مرهف؛ يدرك ما احتجب من الأسرار خلف الأستار»[١].

وهذه الشروط في التعامل مع بحث الإعجاز هي شروط موضوعية مقننة نافعة، إذ لا يمكن لأي باحث أن يلج في هذا العلم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، وأحسب أن المؤلف أول من عني بذكرها في موضوع الإعجاز، فجزاه الله خيراً.

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (١١٧).

رفع
المسـاهم
عبد الله الرشيد

أربعة عشر: أ. د. صلاح الدين محمد عبد التواب، في كتابه: (النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن).

١ ـ ذكر في الجزء الأول من هذا الكتاب آراء الأقدمين في بيان الإعجاز، والأصول التي قامت عليها. وجعله فصلين:

الفصل الأول: الأقوال السابقة في إعجاز القرآن. درس فيه معنى إعجاز القرآن، وموقف النظّام والجاحظ وابن قتيبة من الإعجاز.

الفصل الثاني: منهج الأقدمين في بيان الإعجاز، ودرس فيه جهود كل من: الرماني والخطابي والباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري.

٢ ـ بين أن سر الإعجاز لا يمكن إدراكه على الرغم من كثرة الدراسات حول هذا الموضوع، يقول: «ومع كل ما حفلت به الدراسات القرآنية من ذلك الحشد الكبير من العلماء والأدباء الذين بذلوا الجهود الرائعة في طوافهم حول القرآن وظواهر إعجازه، فما أحاطوا بها جميعاً، ولن يحيطوا بها علماً، إلا إذا أدرك الناس سر الروح التي أضفاها الله على الكلم فحركتها وصورتها.. وذلك أمر بعيد المنال»(١).

٣ ـ وقال محدداً منهجه: «وعنيت أولاً بدراسة الاتجاهات الأدبية والنقدية التي دارت حول قضية الإعجاز القرآني، وتتبع هذه الاتجاهات لدى القدماء والمحدثين... كما عنيت ثانياً بدراسة المقاييس الجمالية والفنية التي توصل إليها أولئك العلماء، والكشف عن مدى أهميته وما تركته من أثر بالغ في دراسات الأدب والنقد كثمرة طيبة لجهود العلماء في دراساتهم التي قاموا بها حول قضية الإعجاز في القرآن الكريم»(٢).

---

(١) النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، ص (٧)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) المرجع السابق، ص (٨).

رفع المسهم

وهنالك جزء آخر من الدراسة ذكر أنه سيطبع عقب الجزء الأول، ولم نطلع عليه، ولا ندري أطبع أم لا؟

يبقى أن نشير إلى أن ربط النقد الأدبي بالقرآن الكريم بحث جديد قد طرقه المؤلف، ونحن نؤيد ما ذهب إليه، لأننا نرى ضرورة أن تنطلق العلوم جميعاً من القرآن، وأن تعود إليه، فهو القطب والمحك لكل علم، وهو الهادي والموجه للعلماء جميعاً، فلا بد أن يكون مرجعاً للعلوم كافة، ولا بد لهذه العلوم أن تخضع بين يديه، فهو المهيمن عليها جميعاً، وهذه هي نظرية أسلمة المعرفة التي يسعى إليها الراسخون من أهل البحث والتحقيق العلمي.

❑ ❑ ❑

خمسة عشر: د. عودة الله منيع القيسي في كتابه: (سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد).

١ ـ قال في مقدمته مشيراً إلى أهمية موضوعه وصلته بالإعجاز: «لقد وجدت صيغاً كثيرة؛ ترجع كل اثنتين إلى خمس إلى أصل لغوي واحد، فكان هذا مثيرا للتساؤل: لماذا استعمل القرآن مثلاً: أنبأ ـ ونبأ، مبين ـ ومستبين، حب ـ ومحبة... إلخ، ولم يكتف بواحدة من كل اثنتين منها؟ أليس ذلك دلالة على أن كلاً من الصيغتين المشتقتين من أصل لغوي واحد ذات خصوصية في المعنى والاستعمال؟ لأنه لا يكون من كتاب معجز أن يستعمل صيغتين لمعنى واحد، لأن استعمال صيغتين لمعنى واحد نقص في التعبير يتبرأ منه القرآن، إذ عند حصول الثقة بأن الصيغة تؤدي المعنى أداء تاماً، لا يكون العدول عنها إلى غيرها حكيماً، والقرآن حكمة بالغة»[١].

٢ ـ تكون الكتاب من:

تمهيد: في إعجاز القرآن البياني.

الفصل الأول: تنوع صيغ الأفعال المشتقة من أصل لغوي واحد.

الفصل الثاني: تنوع صيغ المشتقات الراجعة إلى أصل لغوي واحد.

الفصل الثالث: تنوع صيغ المصادر المشتقة من أصل لغوي واحد.

ثم تعقب ذلك الخاتمة.

❑ ❑ ❑

---

(١) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد، ص (٧)، دار البشير، عمان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

رفع المسـ‍اهم

ستة عشر: الطبيب الشيخ محمد أبو اليسر عابدين في كتابه: (الإيجاز في آيات الإعجاز).

١ ـ سنقتطف نبذة عن هذا الكتاب مما ذكر محققه الشيخ محمد كريم راجح في تقديمه للكتاب، فقد ذكر أن الشيخ محمد بن عابدين ابتدأ كتابه: (الإيجاز في آيات الإعجاز) بتقديم ذكر فيه شيئاً عن حياته، ثم ذكر شيئاً عن عظمة القرآن.

ثم أعقب ذلك بمقدمة تناول فيها تعريف التأويل والتفسير، وتحدث عن بيان القرآن، وبيان السنة، وبيان الصحابة، ثم بين أن التفسير يكون بأحد أمور، هي:

١ ـ النقل عن النبي ﷺ.

٢ ـ الأخذ بقول الصحابي.

٣ ـ الأخذ بمطلق اللغة.

٤ ـ التفسير بالمقتضى من معاني الكلام، والمقتضب من قوة الشرع.

ثم تكلم عن التفسير بالرأي، فبين الصواب ودحض الخطأ. ثم تكلم عن الإعجاز، والدلالات، والمعاني الإشارية، والتفاسير، وغير ذلك. ثم عرض لناحيتين:

الأولى: أنه لا يجوز استخدام القرآن لتأييد الفرق والخلافات بينها.

والثانية: استخراج ما في القرآن من المعجزات الكونية، والتي استطاع العصر الحديث أن يدرك الإشارة منها في القرآن، وذكر أن كتابه حاو للآيات التي تضمنت الإعجاز العلمي في غير غلو.

٢ ـ بعد ذلك هنالك تسعة فصول:

الفصل الأول: في أحوال الآخرة، وذلك أن أحوال الآخرة غائبة عنا، وأنه

رفع
المسهم
عفا الله عنه

سبحانه هو العليم بها وحده، ولا يتسنى لبشر أن يخبر بشيء من ذلك.

الفصل الثاني: ما تحدى به كل من سواه تعالى، مثل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان: ١٠ ـ ١١].

الفصل الثالث: ما أخبر الله به رسوله عليه الصلاة والسلام من نوايا الأعداء التي كانوا يبطنونها، ومن نجواهم في السر، فهو من المعجزات الغيبية.

الفصل الرابع: ما في القرآن العظيم من الإخبار في بالغيب، وفي بعضه أن لو كان كيف يكون، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [التوبة: ٤٧].

الفصل الخامس: في ذكر الأمم السابقة، وما جرى معهم، وغيبوبة التاريخ عن ذكر أحوالهم، ثم اختباط المؤرخين واختلافهم بعدد سني أيامهم، ومدة الأعمار السابقة التي أثبتت الآثار الجيولوجية أنها فوق ما ذكروه بكثير وكثير، ثم جاءت الآية التي في أول سورة إبراهيم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٩].

الفصل السادس: آيات التهديد للأمم العاصية، وما يحل بهم من العذاب إن خالفوا أوامر أنبيائهم، وحصول تلك الكوارث كما وعدهم الله على لسان أنبيائهم.

الفصل السابع: آيات الأحكام الشرعية التي أتت موافقة لكل عصر وزمان.

الفصل الثامن: القواعد التي سنها الله سبحانه لعباده من مكارم الأخلاق، وهذه عددها يفوق الحصر؛ لاستنتاجها من جميع كلام الله سبحانه، ولكن أمهات آياتها مثل قول الله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء: ٥٨].

الفصل التاسع: احتمال الآيات معاني متعددة يأخذ السامع والتالي منها حسب فهمه واستعداده؛ ابتلاء من الله تعالى لمن يتبع دينه ولمن يضل، وهذا الفصل تحدث فيه عن أربعة أنواع:

النوع الأول: المتشابه.

النوع الثاني: آيات الأحكام الشرعية، وما استنتج منها علماء الأصول والفقه.

النوع الثالث: ما استخرج منها علماء التصوف، ما دق من المعاني على حسب الإشارة لا العبارة.

النوع الرابع: الذي عليه مدار بحث هذا الكتاب، حيث أخذ يتكلم عن آيات الإعجاز التي هي غرضه ومقصوده[1].

٣ ـ ومن أمثلة آيات الإعجاز قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢] فقد قال عند هذه الآية: «هذه الآية من آيات الإعجاز التي لا يمكن لبشر أن يأتي بمثلها في حين نزولها، ولا يمكن لأي كان أن يتكلم بها بدون علم ولا روية، وما هي إلا من وحي علام الغيوب، وما يدري البشر أن الرياح تنقل أعضاء التذكير من النبات والأشجار، إلى مكان يتعذر أو يتعسر لقاحها، فيتزاوج عالم النبات، والأشجار العاليات، بما تسفيه الرياح، وبما تقربه من رؤوس الأشجار لبعضها، كما تشاهد في الحور والدلب والصفصاف والسرو وغيرها وبما يتطاير في الهواء»[2].

٤ ـ وعن علم المؤلف محمد بن عابدين؛ يقول محمد كريم راجح: «إنك في هذا الكتاب (الإيجاز في آيات الإعجاز) ستقرأ الشيخ عالماً باحثاً ناظراً

---

(١) انظر: الإيجاز في آيات الإعجاز، بتحقيق الشيخ محمد كريم راجح، ص (هـ ـ ط من مقدمة التحقيق)، دار البشائر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق، ص (ط من مقدمة المحقق).

رفع المساهم

مدققاً، وسترى الشيخ من العلماء الأوائل الذين لا يقلون عن الغزالي والنووي وابن عابدين. فإنه على شاكلتهم رحمهم الله في العلم والعمل والتقوى»[1].

❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق، ص (د من مقدمة المحقق).

رفع
المسلم
عبدالله البيان

سبعة عشر: وقد رأينا أن نلحق بالكتب السابقة أحد كتب الثقافة الإسلامية، وهو كتاب ذائع الصيت، واسع الانتشار، للأستاذ عفيف طبارة، وعنوانه: (روح الدين الإسلامي).

١ - بسط القول في الإعجاز، إذ تحدث عن تحدي القرآن للعرب، وعن القرآن معجزة إلهية، وعن إعجاز القرآن، وقال: «ووجوه الإعجاز القرآن وافرة، إلا أنها تحتاج إلى تحليل وإسهاب واستدلال عليها بالآيات القرآنية، وهذه الأمور تستغرق عدة مجلدات، ونحن مضطرون في هذا البحث إلى الإيجاز والاكتفاء بلمحة عن بعض نواحي إعجاز القرآن التي تشهد أنه وحي إلهي، ليكون لدى القارئ فكرة مجملة عن إعجازه»[١].

٢ - وقد تناول في بداية مبحث الإعجاز: (أسلوب القرآن وخصائصه البلاغية) فقال: «كتب كثير من علماء البلاغة في أسلوب القرآن، وما اختص به من فنون البلاغة، مما لو استعرضناها جميعاً لضاق بنا المجال، ولكن سنقصر الكلام هنا على بعض خصائص أسلوب القرآن، وما احتواه من تشبيه، واستعارة، وإيجاز، وضرب للأمثال، كي نعطي القارئ صورة مجملة عن بلاغته، فيكون عند تلاوته متذوقاً سحر بيانه، وروعة أسلوبه»[٢].

٣ - ثم تحدث عن (اختلاف أسلوب القرآن عن الحديث النبوي)، فقال: «وهناك ناحية جديرة بإمعان النظر، تشهد بأن القرآن وحي إلهي، وهي أننا نرى أسلوب القرآن مخالفاً لأسلوب كلام النبي ﷺ، فإذا رجعنا إلى كتب الأحاديث الشريفة التي جمعت أقوال النبي ﷺ وقارناها بالقرآن، رأينا الفرق واضحاً في كل شيء: في أسلوب التعبير، وفي الموضوعات. فالحديث النبوي تتجلى فيه

---

(١) روح الدين الإسلامي، ص (٢٧)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية والثلاثون، ٢٠٠١م.

(٢) المرجع السابق، ص (٢٨).

رفع المسـاهم

لغة المحادثة والتفهيم والتعليم، والخطابة في صورها ومناهجها المألوفة لدى العرب بإيجاز في القول، بخلاف أسلوب القرآن الذي لا يُعرف له شبيه في أساليب كلام العرب»[1].

٤ ـ وتحدث عن (أسلوب القرآن وجماله الصوتي) فقال: «ويتميز أسلوب القرآن بذلك الجمال الصوتي الناشئ من تخير الألفاظ العذبة، وتآلف حروفها في النغم، واطراد الفاصلة، أو تغيرها في نسق معين، فهو حلو النغم، قريب الوقع على النفوس، لا تتعثر فيه الألسنة لسلاسته»[2].

٥ ـ وانتقل للحديث عن التشبيه في القرآن، والتشبيه: «هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى يجمعهما، وقد احتوى القرآن على أنواع من التشبيه البليغة تكسب المعاني روعة، وتجعلها أكثر تأثيراً في النفس، فمن تشابيه القرآن: إيضاح الأمور المعنوية بالصور المرئية المحسوسة، فهو مثلاً يشبه ضعف ما اعتمد عليه المشركون في عبادتهم لغير الله، وما يبذلون من جهد يظنونه مثمراً، ولكنه لا يجدي لهم نفعاً، يشبههم بالعنكبوت، تلك الحشرة الصغيرة التي تجهد نفسها في البناء، وهي لا تبني سوى أوهن البيوت، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]».

٦ ـ تناول بعد ذلك مبحث الاستعارة في القرآن، فقال: «هي استعارة الكلمة من معناها المعروف بها، إلى معنى جديد لم تُعرف به في أصل اللغة، وذلك بعد أن تتوفر بينهما علاقة المشابهة، وحكمة ذلك: إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي، بصورة أجلى وأوضح. وقد احتوى القرآن على صنوف من الاستعارة تُظهر بلاغة القرآن وعلو منزلته في التعبير. هذا والاستعارة تؤدي بألفاظ قليلة ما تؤديه شروح كثيرة، من ذلك ما جاء في

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٩).
(٢) المرجع السابق، ص (٢٩).

رفع عبد الرحمن المسلم

القرآن: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٤]. فاشتعل استعارة؛ لأن الاشتعال للنار، ولما كان الشيب يأخذ في الرأس، ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يشمله، كان بمنزلة النار التي تدب في الفحم مبطئة في دأب واستمرار، حتى تأتي عليه، والعلاقة واضحة بين ضوء النار وبياض الشيب».

٧ ـ ثم تناول بعد ذلك مباحث: الإيجاز في القرآن، والأمثال في القرآن، وتكرار معانيه بأساليب شتى.

٨ ـ انتقل بعد ذلك إلى عنوان: (من وجوه إعجاز القرآن) وناقش فيه: فصاحة القرآن في كل المواضيع، وفرة بلاغة القرآن، سلامة القرآن من التناقض والخطأ، غزارة معاني القرآن، اشتماله على أنباء غيبية، القصص في القرآن، وهي من جملة الأنباء الغيبية عنده، روح القرآن أي روحانيته التي جاء ذكرها حين خاطب الله رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

٩ ـ عقد بعد ذلك فصلاً لمعجزات القرآن العلمية، ذكر فيه عدداً من المعجزات العلمية تتعلق بوحدة الكون وسر الحياة، ونشأة الكون، وتمدد الكون وسعته، ومراحل نمو الجنين، وكيفية تكون الذكر والأنثى، وأغشية الجنين، ونقص الأوكسجين في الارتفاعات، وتقسيم الذرة، والزوجية في كل شيء، واهتزاز الأرض بسبب المطر، وتوازن العناصر الكونية، الأمواج الداخلية والسطحية، وتنبؤات عن وسائل النقل الحديثة، واختلاف بصمات الإنسان، ومن مظاهر القيامة، وانكماش الأرض(١).

وهذا الفصل هو أهم مبحث عرض له، فقد رتبه ترتيباً جيداً مختصراً، ونقتبس منه مثالين:

المثال الأول: نقص الأوكسجين في الارتفاعات، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، ص (٢٧ ـ ٥٦).

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقد قال عقب ذكره للآية: «فمنذ ارتياد الطبقات الجوية العليا بواسطة الطائرات وغيرها، استطعنا أن ندرك ظاهرة طبيعية تنتج عن نقص أوكسجين الهواء في تلك الطبقات، إذ يشعر الصاعد في هذا العلو ببعض الصعوبة في التنفس ويحس بالضيق، والآية القرآنية صرحت بأن من يرتفع في السماء يشعر بعوارض الضيق، وقد لفتت هذه الظاهرة نظر هواة التسلق حتى قبل ارتياد الطبقات الجوية العليا، فضلاً عن أن الآية لم تعبر عن لفظ الصعود في الجبال، بل عبرت عن الصعود في السماء، ونضيف أن بلاد العرب ذات سطح منبسط، وجبالها قليلة الارتفاع، لا يأخذ الساكن فيها فكرة عن تسلق الجبال العالية، وما يشعر المتسلق فيها من الضيق، وهنا نسجل اتفاقاً رائعاً للآية القرآنية مع الواقع العلمي»(١).

المثال الثاني: تقسيم الذرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]. وقد قال عقب ذكره للآية: «إن أصغر جزء يمكن أن يوجد في عنصر؛ ما يسمى: الذرة. وقد ظل الاعتقاد السائد إلى القرن التاسع عشر: أن الذرة غير قابلة للتجزئة، وخلال عشرات السنين الماضية حول كثير من رجال الطبيعة اهتمامهم إلى مشكلة تقسيم الذرة التي لا تتجزأ، فوفقوا أخيراً إلى تجزئتها، ووجدوها تحتوي على الدقائق التالية:

١ـ البروتون. ٢ ـ النيترون. ٣ ـ الإلكترون.

فكلمة (أصغر) من الذرة في الآية القرآنية؛ تصريح جلي بإمكان تجزئتها. وفي قوله تعالى: (ولا في السماء) بيان بأن خواص الذرات التي في الأرض هي نفس خواص الذرات الموجودة في الشمس والنجوم والكواكب، أي أنها محتوية على الأجزاء التي ذكرناها»(٢).

وخلاصة القول هي: أن الأستاذ عفيف طبارة لم يأل جهداً في تثبيت إعجاز

---

(١) المرجع السابق، ص (٥٠).

(٢) المرجع السابق، ص (٥١).

رفع
المسـاهم
عفا الله عنه

القرآن لدى قارئه، لأنه قاعدة النبوة وأساس الإسلام، ولذلك جعله المبحث الثاني من بابه الأول الذي سماه (حجة الله على خلقه)، وتناول فيه أموراً أربعة هي: معنى الإسلام، والقرآن الكريم وبعض وجوه إعجازه، ومعجزات القرآن العلمية، والدلائل على صدق نبوة محمد عليه السلام. وكان أسلوبه علمياً ومختصراً، مما جعل لكتابه أثراً علمياً كبيراً لدى عامة القراء في العالم العربي.

❑ ❑ ❑

رفع
المسلم
عبد الله الحجاج

القسم الثالث: دراسات في الإعجاز العلمي

هنالك جهود كبيرة لمدرسة الإعجاز العلمي في هذا العصر ـ عصر العلوم والتكنولوجيا ـ تركت لنا كتباً كثيرة، ننوه بذكر أسماء ما رأيناه منها، حسب الترتيب المعجمي، وبعد توزيعها إلى مجموعات:

فمنها ما يتعلق بالحساب والأعداد، مثل:

ـ معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم، عبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ـ معجزة القرآن العددية، صدقي البيك، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. (يقع في ١١٧ صفحة من القطع المتوسط، وهو متأثر بالدكتور رشاد خليفة).

ـ موسوعة معجزة القرآن الكريم الرياضية، أ.د. عبد الله محمد البلتاجي، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، وتضم السلسلة (١٩) عدداً، صدر منها أربعة، وتشمل دراسات لموضوعات وسور مختلفة من القرآن، والأعداد الصادرة هي: ١ ـ القرآن يتحدى. ٢ ـ معجزة مثل آدم وعيسى. ٣ ـ سر الوجود والرقم ١٩. ٤ ـ مقدمة في الإعجاز الرياضي للقرآن الكريم.

ومنها ما يتعلق بالجغرافية:

ـ إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية، د. محمد مختار عرفات، دار اقرأ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، أ. د. حسن أبو العينين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

ومنها ما يتعلق بالطب:

ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، د. محمود دياب، مطبعة دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. (مطبوع بالعربية والإنكليزية، ويقع الكتاب في ٩٤ صفحة بالعربي و٥٠ صفحة بالإنكليزي).

ـ الإعجاز الطبي في القرآن والأحاديث النبوية، الرطب والنخلة، د. عبد الله عبد الرزاق السعيد، الدار السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ـ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأعز، دار المعرفة، بيروت.

ـ خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، الدار السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ومنها ما يتعلق بالكون والعلوم:

ـ الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. عبد العليم خضر، الدار السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ـ من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، د. زغلول نجار، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. وهو في ستة أجزاء.

ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد الرحيم مارديني، دار آية، بيروت، ودار المحبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

ونحن نؤيد مبحث الإعجاز العلمي بشرطين:

الأول: أن يكون ما ينسب إلى العلم حقيقة، علمية وليس فرضية أو نظرية قابلة للنقض، ثم نفسر الآيات على أساسها.

الثاني: أن يحتمل اللفظ القرآني والمعنى الدلالي للآية هذه الحقيقة دون تكلف، أو تحميل القرآن ما لا يحتمل.

ولا عبرة لرأي من نفى الإعجاز العلمي، فالقرآن كتاب مفتوح لكل العصور، ولا تنقضي عجائبه، ولسنا ملزمين بفهمه على طريقة السلف إلا في

رفع
المسَاهِم
غفر الله له ولوالديه

مسائل العقيدة والعبادات والتشريع، وفيما سوى ذلك لنا أن ننظر فيه ونجتهد، ولا عبرة لمن قال: إن الصحابة لم يعرفوا هذا، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ ﴾ [ص: ٨٨]. وقال أيضاً: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وإنه لمن أعظم أسباب الإعجاز أن ينطق العلم بحقائق ذكرها القرآن قبل خمسة عشر قرناً، ولو كانت مثل هذه المعجزات تظهر لكتاب غيره لاحتفلت به الأمم، وجعلوا يوم ظهورها عيداً، فلماذا يرفضه البعض وفيه تثبيت لنبوة محمد - ﷺ - في عصر صار العلم فتنة للناس، وحديثهم الشاغل في كل بقاع الأرض على حد سواء!

❑ ❑ ❑

رفع
المسـاهم
عز الله لطالب الله

القسم الرابع: دراسات في وجوه مختلفة من الإعجاز

هنالك جهود كبيرة لدراسة الإعجاز من جوانب مختلفة، وننوه بذكر أسماء بعض الكتب في هذا الصدد، فمن ذلك:

١ ـ الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، د. علي أحمد محمد بابكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

وقد ناقش فيه عدداً من القضايا منها: مجيء التشريع القرآني عن طريق نبي أمي، الأفعال الإنسانية الثابتة والمتغيرة واعتبار التشريع القرآني لها، شمول التشريع الإسلامي، تضمن التشريع القرآني لأحكام كل الأحوال على مرور الزمن، والموازنة بين المصالح، وبين التشريع القرآني وغيره، والتشريع القرآني صالح لكل الأزمنة.

٢ ـ الإعجاز الفكري في القرآن، د. السيد الجميلي، مكتبة الثقافة الدينية.

ناقش فيه: القرآن والعلم، الخلق والإبداع والسببية، الفلسفة والوجود، فلسفة الكلام، النفس، الأخلاق، وبعض جوانب الإيمان، ومشتبه آيات القرآن من أروع إعجازه، والتعريف والتنكير، وغيرها.

٣ ـ إعجاز القرآن الكريم وصدق السنة في العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفلسفة، د. محمد عبد الحليم.

قال في المقدمة: «ولقد أظهرت لي دراستي المقارنة التي دامت عدة سنوات، أن الفقه الإسلامي مستقل تمام الاستقلال عن الفقه الأوروبي والأمريكي الحديث، كما أنه مستقل أيضاً وبعيد كل البعد عن القانون الروماني

رفع
المسـاهم
غفر الله له ولوالديه

وعن الشرائع القديمة كافة، مثل شريعة حامورابي وغيرها»[1].

٤ ـ تيسير البيان عن إعجاز القرآن، د. محمود أحمد الزين، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. (يقع في ٥١ صفحة من القطع الصغير، وتحدث فيه عن الإعجاز التشريعي والأدبي والطبي).

٥ ـ القرآن الكريم: هدايته، وإعجازه في أقوال المفسرين. محمد الصادق إبراهيم عرجون، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٦ ـ الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، البروفسور موريس بوكاي، دار المعارف بمصر، ١٩٨٣م.

٧ ـ كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية، محمد بن أحمد الإسكندراني الدمشق، ركابي للنشر، القاهرة. (وهو كتاب قديم أعيد نشره حديثاً).

❑ ❑ ❑

(١) إعجاز القرآن الكريم وصدق السنة في العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفلسفة، ص (٣)، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م. فاس، المغرب.

رفع
المسلم
عبد الله الحمد لله

الخاتمة

ونوجزها بالآتي:

١ ـ جاء هذا البحث في أربعة فصول، تناولت تاريخ البلاغة والإعجاز في آن واحد.

٢ ـ وقفنا عند جهود أبرز العلماء في هذا الباب، فدرسنا بمباحث مستقلة جهود عدد منهم، من أمثال: الجاحظ والباقلاني وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري، والسكاكي والقزويني والطيبي، والسيوطي، والرافعي، وابن عاشور، وسيد قطب.

٣ ـ كما تناولنا جهود عدد آخر من العلماء القدامى والمعاصرين بشكل موجز.

٤ ـ وقد عرضنا لنشأة علوم البلاغة، وعرضنا إلى أهم وجوه الإعجاز عند القدماء، وهي: الوجه الأول: الإعجاز بالصرفة.

الوجه الثاني: الإعجاز اللغوي والبياني.

الوجه الثالث: الإعجاز بالإخبار عن الغيوب.

الوجه الرابع: الإعجاز العلمي.

الوجه الخامس: وجوه أخرى من الإعجاز، مثل الإعجاز الخلقي والتشريعي والنفسي والصوتي والقصصي ونحو ذلك.

٥ ـ وذكرنا أهم المآخذ على علم البلاغة العربية، وعرضنا بعض آراء المعاصرين في تطوير البلاغة.

رفع
المسلم
عبد الله الحارثي

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى ما يأتي :

١ ـ أن علم البلاغة قام لخدمة علم إعجاز القرآن، وقام العلمان معاً ـ أساساً ـ خدمة لعلم التفسير، فهذان العلمان نشأتهما بسبب الدين، كما هو حال بقية علوم الآلات.

٢ ـ هنالك جهود كبيرة بذلتها الفرق الإسلامية ؛ من المعتزلة والسنة وغيرهما من أجل خدمة البلاغة والإعجاز.

٣ ـ كان هنالك ضبابية في المنهجية العلمية خلال تناول هذه العلوم لدى بعضهم، ونحن ندعو إلى منهجية علمية محددة في دراسة مثل هذه العلوم، تكون بعيدة عن العصبية للرأي والمذهب، وتتميز بالشفافية ؛ فتنتصر للحق، وتبتعد عن المزاجية والهوى، والنظرة الجزئية للعلوم.

٤ ـ مرت هذه العلوم بمراحل متعددة من الازدهار والجمود عبر التاريخ الإسلامي.

٥ ـ لا بد من بذل مزيد من الجهود خدمة لهذين العلمين: البلاغة والإعجاز، في العصر الحديث.

٦ ـ يحسن الاستفادة مما توصلت إليه العلوم الإنسانية والطبيعية لدى الأمم الأخرى، في تطوير مباحث البلاغة وعلم الإعجاز.

٧ ـ إن الحفاظ على عقيدة الأمة وهويتها مرتبط بالحفاظ على علوم اللغة والدين، ومن جملتها هذين العلمين الجليلين.

٨ ـ ينبغي تبسيط مباحث هذين العلمين للطلبة والناشئين ؛ حتى يقبلوا على تعلمها.

والله نسأل مزيداً من العون والتوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل

رفع
المسـتهـمل

المصادر والمراجع[1]

أولاً: الكتب:

١ـ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، د. فهد الرومي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٢ـ **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣ـ **أدب الكاتب**، لابن قتيبة، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المطبوعات الحديثة، بيروت.

٤ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥ـ **أسرار البلاغة**، للجرجاني، تحقيق هـ. ريتر، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦ـ **الأسلوب**، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٩٠م.

٧ـ **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، محمد بن علي الجرجاني، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة.

---

(١) اكتفينا بذكر المصادر والمراجع التي عزونا إليها مباشرة، دون تلك التي نوهنا بها ولم ندرسها، أو ذكرناها ولم نقتبس منها نصاً معيناً، ولا تلك التي استفدنا منها بصورة غير مباشرة.

رفع
المسـ هم
غفر الله له ولوالديه

٨ - **الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره**، د. محمد أحمد يوسف قاسم، دار المطبوعات الدولية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٩- **الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ**، دراسة تحليلية للإفراد والتثنية والجمع في القرآن، د. محمد الأمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٠- **الإعجاز البياني للقرآن**، ومسائل ابن الزرق، دراسة قرآنية ولغوية وبيانية، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.

١١- **الإعجاز في نظم القرآن**، د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٢- **إعجاز القرآن**، للباقلاني، تحقيق السيد صقر، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.

١٣- **إعجاز القرآن** - الإعجاز في دراسات السابقين - دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٤- **إعجاز القرآن الكريم البياني بين النظرية والتطبيق**، د. حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب الرابع، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٥- **إعجاز القرآن الكريم وصدق السنة في العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفلسفة**، د. محمد عبد الحليم، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. فاس، المغرب.

١٦- **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، محمود السيد حسن مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

١٧- **الإعجاز والإيجاز**، للثعالبي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٨ـ **الأعلام** للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.

١٩ـ **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، ابن تيمية، تحقيق عصام حرستاني ومحمد إبراهيم الزعلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣/ ١٩٩٣م.

٢٠ـ **الإمام الطيبي الإمام في التفسير والحديث والبلاغة العربية**، حياته وجهوده العلمية، د. محمد رفعت زنجير، نشر FAJAR ULUNG SDN BHD، ماليزيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢١ـ **الإيجاز في آيات الإعجاز**، محمد أبو اليسر عابدين، تحقيق الشيخ محمد كريم راجح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٢ـ **الإيضاح في علوم البلاغة**، للقزويني، شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٣ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير، تحقيق دكتور أحمد أبو ملحم مع آخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٤ـ **البديع**، ابن المعتز، تحقيق كراتشكوفسكي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٥ـ **البديع في نقد الشعر**، أسامة بن منقذ، تحقيق: الدكتور أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة الأستاذ إبراهيم مصطفى، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٢٦ـ **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي، خرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٧ـ **البلاغة تطور وتاريخ**، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.

رفع
المسهم
عبد الله بن علي الحميد

٢٨ـ **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**، د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣م.

٢٩ـ **البلاغة فنونها وأفنانها**، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٥م.

٣٠ـ **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري**، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣١ـ **بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ**، دراسة تاريخية فنية مقارنة، د. فتحي أحمد عامر، دار المعارف بالإسكندرية.

٣٢ـ **البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية**، د. فضل حسن عباس، دار النور، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٣٣ـ **البلاغة الواضحة**، علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف بمصر، الطبعة الحادية والعشرون، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٣٤ـ **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، للألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

٣٥ـ **البيان في إعجاز القرآن**، د. صلاح عبد الفتاح خالدي، دار عمار، عَمَّان، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٦ـ **البيان والتبيين**، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٣٧ـ **بينات المعجزة الخالدة**، د. حسن عتر، دار النصر، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٣٨ـ **تاريخ آداب العرب**، للرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣٩ـ **تاريخ الأدب العربي**، العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة عشر.

٤٠- **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول**، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة.

٤١- **تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري**، نجيب محمد البهبيتي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م.

٤٢- **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٣- **تأويل مشكل القرآن**، ابن قتيبة، شرحه السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة.

٤٤- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق الدكتور حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٤٥- **التصوير الفني في القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثامنة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٦- **التعبير البياني**، رؤية بلاغية نقدية، د. شفيع السيد، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٧- **تفسير البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، / ١٩٨٣م.

٤٨- **التفسير البياني للقرآن الكريم**، د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.

٤٩- **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥٠- **التفسير الكبير**، للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٠م.

٥١- **تفسير الكشاف**، للزمخشري، بتصحيح مصطفى حسين أحمد، طبعة دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٢- **تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

٥٣- **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس**، مشروع قراءة، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.

٥٤- **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، للشريف الرضي، تحقيق الدكتور: علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦م.

٥٥ - **التلخيص في علوم البلاغة**، للخطيب القزويني، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.

٥٦- **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

٥٧- **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٥٨- **الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، للسيوطي، دار الفكر.

٥٩- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، للهاشمي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٠- **حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف**، مطبوعة مع الكشاف.

٦١- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٦٢- **ديوان المتنبي بشرح العكبري**، صححه مصطفى السقا، وإبراهيم البياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر.

٦٣- **الرسالة الشافية**، للجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة. (مطبوعة مع كتاب دلائل الإعجاز).

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

٦٤ـ **روح الدين الإسلامي**، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية والثلاثون، ٢٠٠١م.

٦٥ـ **سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد**، د. عودة الله منيع القيسي، دار البشير، عمان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٦٦ـ **سر الفصاحة**، **للخفاجي**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦٧ـ **شرح الأرجوزة المسماة بعقود الجمان في المعاني والبيان**، للسيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٦٨ـ **شروح التلخيص**، دار السرور، بيروت، (مصورة عن طبعة مصطفى البابي الحلبي).

٦٩ـ **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة، راجعه محمد العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٧٠ـ **الشوقيات**، شعر المرحوم أحمد شوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧١ـ **صحيح البخاري**، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، واليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٢ـ **ضحى الإسلام**، أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، الطبعة الثالثة.

٧٣ـ **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٤ـ **الكاشف عن حقائق السنن**، للطيبي، تحقيق المفتي عبد الغفار مع آخرين، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

٧٥- **كتاب الحيوان**، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٧٦- **كتاب الصناعتين**، للعسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧٧- **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، للعلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٧٨- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، **الحاج خليفة**، دار العلوم الحديثة، بيروت.

٧٩- **علم البديع**، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.

٨٠ - **علم البيان**، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.

٨١ - **علم المعاني**، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨٢ - **علوم البلاغة**، للمراغي، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٨٣ - **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، ابن رشيق القيرواني، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨٤ - **عيار الشعر**، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٨٥ - **فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق**، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨٦ - **فن القول**، أمين الخولي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

٨٧ - **المدارس النحوية**، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة.

رفع
المسـاهم

٨٨ ـ **معجم البلاغة العربية**، د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨٩ ـ **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية.

٩٠ـ **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة.

٩١ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، للمناوي، دار الفكر.

٩٢ـ **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٩٣ـ **قانون البلاغة في نقد النثر والشعر**، محمد بن حيدر البغدادي، تحقيق الدكتور محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٩٤ـ **قصائد من الإمارات**، اتحاد كتاب الإمارات، الشارقة، ١٩٨٦م.

٩٥ـ **قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية**، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٩٦ـ **الكامل في اللغة والأدب**، للمبرد، مكتبة المعارف، بيروت.

٩٧ـ **كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، عز الدين بن عبد السلام، دار المعرفة، بيروت.

٩٨ـ **كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان**، للطيبي، تحقيق الدكتور هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٤م.

٩٩ـ **كتاب دلائل الإعجاز**، للجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

رفع
المسـ هم
عفا الله عنهم

١٠٠ـ **كتاب الصناعتين**، للعسكري، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠١ـ **كتاب نقد النثر**، المنسوب لقدامة بن جعفر، المكتبة العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٢ـ **مباحث في إعجاز القرآن**، د. مصطفى مسلم، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠٣ـ **المثل السائر في صناعة الكاتب والشاعر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٠٤ـ **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٠٥ـ **مداخل إعجاز القرآن**، محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠٦ـ **المستطرف في كل فن مستظرف**، للأبشيهي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٠٧ـ **مشكاة المصابيح للتبريزي**، بتحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، بيروت.

١٠٨ـ **معاني القرآن**، للفراء، عالم الكتب، بيروت.

١٠٩ـ **المعاني الثانية في الأسلوب القرآني**، الدكتور فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٧م.

١١٠ـ **مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي**، لطائف وأسرار، د. رشاد محمد سالم، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١١١ـ **المعاني في ضوء أساليب القرآن**، د. عبد الفتاح لاشين، المكتبة الأموية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

١١٢- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، للعباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.

١١٣- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، للسيوطي، صححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١٤- **معجزة القرآن**، محمد متولي الشعراوي، ضمن سلسلة كتاب اليوم رقم ١٥٤، تصدر عن أخبار اليوم، القاهرة.

١١٥- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، إستانبول، ١٩٨٤م.

١١٦- **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى مع آخرين، نشر إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

١١٧- **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، القاضي عبد الجبار، تحقيق أمين الخولي، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

١١٨- **مفتاح السعادة ومصباح دار السيادة في موضوعات العلوم**، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده، تحقيق كامل كامل بكرة، وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، مصر.

١١٩- **مفتاح العلوم**، للسكاكي، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.

١٢٠- **مقدمة ابن خلدون**، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٤م.

١٢١- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، للزرقاني، دار الفكر.

١٢٢- **من روائع القرآن**، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق.

١٢٣- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

رفع
المسـ هما
غفر الله له ولوالديه

١٢٤- **منهج التربية النبوية للطفل**، محمد نور سويد، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٢٥- **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**، د. مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

١٢٦- **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**، للآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

١٢٧- **الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر**، للمرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٢٨- **النبأ العظيم**، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٢٩- **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**، د. صلاح الخالدي، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٣٠- **النقد الأدبي أصوله ومناهجه**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣١- **النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن**، أ. د. صلاح الدين محمد عبد التواب، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣٢- **نقد الشعر**، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٣- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور محمد بركات أبو علي، دارالفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.

١٣٤- **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، للقاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

رفع
المسـاهم
غفرالله له ولوالديه

ثانياً: الدوريات

١ ـ **التجديد في منهجية التفسير بين الزمخشري وسيد قطب**، دراسة تحليلية تطبيقية مقارنة، د. محمد رفعت زنجير، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد (٤٥) ربيع الأول ١٤٢٢ هـ/ يونيو ٢٠٠١م.

٢ ـ **مسائل بديعية ونقدية في الحديث النبوي من خلال كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي**، د. محمد رفعت زنجير، نشر في مجلة الحكمة الصادرة في مانشستر، العدد (٢٧)، جمادى الثانية ١٤٢٤هـ. الموافق آب ٢٠٠٣م.

رفع المسك هما

من آثار المؤلف

أولاً: الكتب المطبوعــة

١- **أهمية الإيمان وآثاره في بناء الفرد والمجتمع**، مكتبة الثقافة بمكة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م. وقد قدم له الشيخ السيد سابق، والدكتور عبد الله علوان.

٢- **في ظلال اليرموك**، مسرحية ضمن سلسلة مسرحيات تاريخية هادفة، قرظها الدكتور عوض الله الداروتي، ونوهت بها مجلة التجديد (ماليزيا)، ومجلة إسلامية المعرفة (أمريكا)، ومجلة الأدب الإسلامي بالرياض. ماليزيا ١٩٩٧م. وصدرت الطبعة الثانية، عن دار المنار بدمشق، ودار القرآن الكريم بيروت ٢٠٠١ م.

٣- **الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي**، ضمن سلسلة مسرحيات تاريخية هادفة، وقرظها الأستاذ الدكتور مجاهد مصطفى بهجت، ونوهت بها مجلة التجديد (ماليزيا)، ومجلة إسلامية المعرفة (أمريكا)، ومجلة الأدب الإسلامي بالرياض. ماليزيا ١٩٩٧م. وصدرت الطبعة الثانية، عن دار المنار بدمشق، ودار القرآن الكريم بيروت ٢٠٠١م.

٤- **الإمام الطيبي حياته وجهوده العلمية**، نشر دار (FAJAR ULUNG SDN.BHD) ماليزيا ١٩٩٨م. وقدم له الشيخ علي الطنطاوي، والأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف نائب مدير جامعة الأزهر الشريف.

٥- **فتح الجليل للعبد الذليل**، للسيوطي، (تحقيق) نشر دار (FAJAR ULUNGSDN.BHD) ماليزيا ١٩٩٨م. وقرظه الأستاذ الدكتور عبد القهار العاني، رئيس قسم الدراسات القرآنية والحديثية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وتم طبعه للمرة الثانية بدار اقرأ دمشق، ٢٠٠٢م.

٦ـ **اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر**، عن دار المنار بدمشق، ودار القرآن الكريم بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧ـ **فن التشبيه في الشعر العباسي**، دراسة تحليلية للعوامل المؤثرة في صور التشبيه في العصر العباسي، وتطور تلك الصور وقيمتها الأسلوبية من خلال مختارات البارودي، (رسالة الدكتوراة) دار اقرأ، دمشق، ودار الأمان، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٨ ـ **سلسلة دراسات حضارية استراتيجية**، صدر منها (٤) خمسة أجزاء عن دار اقرأ ودار التوفيق بدمشق وبيروت ٢٠٠٣م. وهي:

الجزء الأول: في ظلال السنة.

الجزء الثاني: القيم الحضارية العليا في الدعوة الإسلامية (في الأصل بحث محكم).

الجزء الثالث: منهجية القرآن في التعامل مع آراء معارضيه (في الأصل بحث محكم).

الجزء الرابع: قراءة موضوعية في جذور العلاقات التاريخية بين الإسلام واليهودية (في الأصل بحث محكم).

٩ ـ **الاتجاه المعاكس في الأدب العربي**، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٣م.

١٠ ـ **من وحي الحياة**، دار اقرأ، ودار التوفيق، دمشق ٢٠٠٦م. (تحت الطبع).

ب ـ البحوث المحكمـــة في المجلات المحكمة

١ ـ **من الأصول المنهجية في تحقيق التراث الإسلامي**، دراسة تطبيقية على تحقيقات كتاب التبيان في البيان للإمام الطيبي وتحقيقاته الثلاثة المختلفة، تحقيق التراث البلاغي، حولية الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان، العدد السابع، لعام ١٩٩٩م. إسلام آباد باكستان (٢٠٧ ـ ٢٦٨).

٢ ـ **قضايا علمية حول تحقيق كتاب الكاشف عن حقائق السنن للإمام الطيبي**، تحقيق التراث، مجلة عالم الكتب، العددين الثاني والثالث من المجلد

(٢١). يناير وفبراير ومارس وأبريل، ٢٠٠٠م. الرياض السعودية (١٨٥ـ ١٩٨)

٣ـ **ضوابط إسلامية في الأغراض الشعرية**، النقد الأدبي، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، العدد ١٢ السنة الثالثة، ١٤١٨ـ ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، واشنطن ـ أمريكا، (١٩٢ـ ٢١٤)

٤ـ **التجديد في منهجية التفسير بين الزمخشري وسيد قطب**، دراسة تحليلية تطبيقية مقارنة، التفسير البلاغي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد (٤٥)، يونيو، ٢٠٠١م. الكويت (٢١ـ ٨٨).

٥ـ **أضواء على الأدب الإسلامي**، (بحث مقدم إلى ندوة الإسلامية في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وذلك في يوم ١٩/ ١٠/ ١٩٩٦م)، النقد الأدبي والأدب الإسلامي، مجلة التاريخ العربي يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة، نشر في العدد ٢٧/ صيف ٢٠٠٣م. الرباط ـ المغرب (٥ـ ٢٩).

٦ـ **القيم الحضارية العليا في الدعوة الإسلامية**، فلسفة الحضارة، مجلة دراسات، اتحاد كتاب الإمارات، العدد ١٣ لسنة ٢٠٠٠م. الشارقة الإمارات (٥ـ ٤٠).

٧ـ **قراءة موضوعية في جذور العلاقات التاريخية بين الإسلام واليهودية**، تفسير التاريخ، مجلة التاريخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة، نشر في العدد ١٩/ صيف ٢٠٠١م. الرباط ـ المغرب (٢٧٧ـ ٣٢١).

٨ـ **شبهات معاصرة حول المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي**، الفكر الإسلامي، مجلة الحكمة، نشر في العدد ٢٣ الصادر في شهر ٧ من عام ١٤٢٢هـ. ليدز ـ بريطانيا (٣٢٧ـ ٣٩٧).

٩ـ **منهجية القرآن في التعامل مع آراء معارضيه**، الدراسات القرآنية الأدبية، مجلة دراسات، اتحاد كتاب الإمارات، العدد ١٥ لعام ٢٠٠١م. الشارقة، الإمارات (١٥١ـ ١٨٠).

رفع
المسلم
عبدالله الجليل

١٠ ـ **الشعر السياسي المعارض في العصرين الأموي والعباسي (قراءة نقدية)** **النقد الأدبي**، مجلة التاريخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة، نشر في العدد ٢١ أبريل ٢٠٠٢م. الرباط المغرب (٩٧ ـ ١٤٩).

١١ ـ **مسائل بلاغية ونقدية في شرح السهيلي لسيرة ابن هشام**، الدراسات البلاغية، مجلة علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، في المجلد ١٤ العدد ٢٤ شهر ٣ لعام ١٤٢٣هـ، أيار ٢٠٠٢م. مكة السعودية (١١٥١ ـ ١٢٣١).

١٢ ـ **الرسل والأنبياء ضحايا الظلم والعدوان**. الدراسات القرآنية الأدبية، مجلة الحكمة، نشر في العدد ٢٥ شهر رجب ١٤٢٢هـ/ سبتمبر ٢٠٠٢م. مانشستر ـ بريطانيا (٢٦٧ ـ ٣٤٢).

١٣ ـ **عيوب الكلام في تراث العرب**، رشح لندوة عيوب اللغة والنطق والمقامة في الجامعة الأردنية ٢٤ ـ ٢٥ نيسان ٢٠٠٢م. البلاغة والنقد، مجلة التاريخ العربي يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة العدد ٢٤ خريف ٢٠٠٢م. الرباط ـ المغرب (٩ ـ ٦١).

١٤ ـ **التحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث**، الظاهرة اللغوية مجلة التاريخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة العدد ٢٥ شتاء ٢٠٠٣م. الرباط ـ المغرب (٣٤٩ ـ ٣٧١).

١٥ ـ **مسائل علم المعاني في كتاب (فيض القدير شرح الجامع الصغير) للمناوي**. الدراسات البلاغية، مجلة علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها جامعة أم القرى نشر في المجلد ١٥ العدد ٢٧ جمادى الثانية ١٤٢٤م. مكة ـ السعودية (٧٨١ ـ ٨٤٥).

١٦ ـ **مسائل بديعية ونقدية في الحديث النبوي من خلال كتاب (فيض القدير شرح الجامع الصغير) للمناوي**. الدراسات البلاغية والنقدية، مجلة الحكمة العدد ٢٧، جمادى الثانية ١٤٢٤هـ/ آب ٢٠٠٣م. مانشستر ـ بريطانيا (٤٨١ ـ ٥٤٢)

رفع المسهم

١٧ ـ **مسائل علم البيان في كتاب (فيض القدير شرح الجامع الصغير) للمناوي.** الدراسات البلاغية، مجلة علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى نشر في المجلد ١٦ العدد ٢٨ شوال ١٤٢٤ هـ. مكة ـ السعودية (٧٥٩ ـ ٨٦٩).

١٨ ـ **البعد المعرفي في دولة الإمارات العربية المتحدة، الدراسات المعرفية والأدبية،** مجلة التاريخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة العدد ٢٨ خريف ٢٠٠٣م. الرباط ـ المغرب (٣٠٣ ـ ٣٢٥).

١٩ ـ **لغة الجسد في الشعر العربي. الدراسات الأدبية والبلاغية، مجلة التاريخ العربي،** يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة العدد ٢٩ شتاء٢٠٠٤م، الرباط ـ المغرب ١١ ـ ٨٠.

٢٠ ـ **العلاقات التاريخية والاستراتيجية بين الإسلام والمسيحية. تفسير التاريخ،** مجلة التاريخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة، العدد ٣٤، ربيع ٢٠٠٥م. الرباط ـ المغرب.

٢١ ـ **معركة القرآن مع الجمود والتخلف، الدراسات القرآنية الحضارية، مجلة الحكمة،** العدد ٣٠ محرم ١٤٢٦هـ. بريطانيا ٤٥٧ ـ ٥٣٨.

٢٢ ـ **مراعاة مقتضى الحال في القرآن الكريم إحدى وجوه إعجازه، الدراسات القرآنية البلاغية،** مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٥٩ شهر كانون الأول، ٢٠٠٤ الكويت ١٧ ـ ٨٦.

٢٣ ـ **قراءة معرفية للدعوة السلفية النجدية،** تفسير التاريخ، التاريخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين المغاربة العدد ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٤م. الرباط ـ المغرب ٦١ ـ ١١٤.

٢٤ ـ **الجهود المبذولة في خدمة متن الحديث الشريف بلاغياً ونقدياً، البلاغة النبوية،** جامعة الشارقة، بحث مقدم لندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة والمنعقدة ٤ ـ ٥ ـ ٢٠٠٥ الشارقة، ٣٠ صفحة.

وهنالك بحوث أخرى تحت النشر. . . إضافة إلى العديد من البحوث والمقالات الأخرى المنشورة في مجلة منار الإسلام وتراث وصحيفة الخليج والاتحاد وأخبار العرب، وعلى المواقع الالكترونية مثل إيلاف وناشري وغير ذلك.

❑ ❑ ❑

رفع
المسلم
عبد الله بن جبل الأرن

فهرس الموضوعات

تقديم ٥

المقدمة ١١

خصائص الكتاب الخالد ١١

التحدي بالقرآن ١٢

النبي أفصح الخلق ١٢

القرآن معجزة النبي ﷺ ١٣

أسلوب القرآن وأثره ١٤

سبب تأليفنا للكتاب ١٥

خطة البحث ١٦

تمهيد ١٩

أولاً: تعريف المعجزة ١٩

ثانياً: أنواع المعجزات ٢٠

ثالثاً: علم الإعجاز وصلته بالبلاغة ٢٠

رابعاً: صلة علم التفسير بالبلاغة ٢١

خامساً: علوم التفسير ٢٢

سادساً: معنى السورة والآية ٢٣

سابعاً: تعريف الفصاحة والبلاغة ٢٤

ثامناً: مراتب البلاغة ٢٥

الفصل الأول: البلاغة في مرحلة ما قبل التدوين ٢٧
تمهيد ٢٧
أولاً: العرب وموطنهم ٢٧
ثانياً: طبقات العرب ٢٧
ثالثاً: فضل الله عليهم ٣٠
رابعاً: قيمة لغتهم وأدبهم ٣٠
المبحث الأول: البلاغة في العصر الجاهلي ٣٢
المبحث الثاني: البلاغة في العصر الإسلامي ٣٨
أولاً: الموقف من الشعر ٣٩
تمثل النبي ﷺ بالشعر ٤٠
تفضيل الشعر بحسب مضمونه ٤١
ثانياً: موقف الدين من البيان ٤١
فضل الكلام على الصمت ٤٢
ذم زخرف الكلام عندما يخلو من الحقيقة ٤٢
ذم ما يقع فيهِ بعض المتكلمين من العيوب ٤٣
ثالثاً: انفراد النبي ﷺ بجوامع الكلم ٤٤
رابعاً: قضية إعجاز القرآن الكريم ٤٥
خامساً: الموقف من لغات الأمم الأخرى ٤٥
سادساً: ذخيرة لغوية وأدبية ضخمة للبلاغة ٤٦
المبحث الثالث: البلاغة في العصر الأموي ٤٧
المبحث الرابع: تطور البلاغة في العصر العباسي ٥٢
أولاً: لمحة عن التطور الحضاري في العصر العباسي ٥٢
ثانياً: ازدهار الملاحظات البيانية في العصر العباسي ٥٣
ثالثاً: دور اللغويين في تدوين البلاغة ٥٣
رابعاً: دور المعتزلة في تدوين البلاغة ٥٣

رفع
المسهم
عبد الله بن محمد

خامساً: دور الفلاسفة في تدوين البلاغة ٥٥
سادساً: دور النقد في تطوير البلاغة ٥٦
سابعاً: بداية الحديث عن الإعجاز ٥٧

الفصل الثاني: مرحلة التدوين والتأسيس والإبداع للبحث في البلاغة والإعجاز ٥٩

تمهيد: ٦١
المبحث الأول: مدرسة الجاحظ المؤسس الأول للبيان والبلاغة والإعجاز ٦٣
المبحث الثاني: مدرسة الباقلاني المؤسس الثاني للإعجاز ٨٥
المبحث الثالث: مدرسة الشيخ عبد القاهر المؤسس الثاني للبلاغة ١٠٣
المبحث الرابع: مدرسة التطبيق في البلاغة والإعجاز: الزمخشري ١١٧
أولاً: لاقى هذا التفسير رواجاً في عصرهِ وما تلاه من عصور ١١٧
ثانياً: يمكن تحديد أهم المعالم المنهجية لهذا التفسير بأمرين اثنين .. ١١٧
ثالثاً: عناية الزمخشري بالبلاغة القرآنية ١١٨
رابعاً: نماذج من تفسير الكشاف يظهر فيها الجانب البلاغي ١١٩
خامساً: الزمخشري والإعجاز ١٢٩
سادساً: خلاصة جهود الزمخشري ١٣١
سابعاً: البلاغة بعد الزمخشري ١٣٢
المبحث الخامس: جهود مختلفة لأعلام في البلاغة والإعجاز ١٣٣
أولاً: الفراء ١٣٣
ثانياً: أبو عبيدة معمر بن المثنى ١٣٦
ثالثاً: النظام ١٣٩
رابعاً: ابن قتيبة ١٤١
خامساً: المبرد ١٤٧
سادساً: ابن المعتز ١٥١
سابعاً: قدامة بن جعفر ١٥٤

المسلمون

ثامناً: إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب ١٥٩

تاسعاً: ابن طباطبا ١٦٣

عاشراً: الآمدي ١٦٧

أحد عشر: الرماني ١٧٢

اثنا عشر: المرزباني ١٧٦

ثلاثة عشر: الخطابي ١٨٠

أربعة عشر: القاضي الجرجاني ١٨٣

خمسة عشر: أبو هلال العسكري ١٨٨

ستة عشر: الشريف الرضي ١٩٢

سبعة عشر: القاضي عبد الجبار ١٩٥

ثمانية عشر: أبو منصور الثعالبي ١٩٩

تسعة عشر: ابن رشيق القيرواني ٢٠١

عشرون: ابن سنان الخفاجي ٢٠٥

واحد وعشرون: محمد بن حيدر البغدادي ٢١١

اثنان وعشرون: ضياء الدين ابن الأثير ٢١٤

ثلاثة وعشرون: أسامة بن منقذ ٢٢٠

الفصل الثالث: مرحلة الجمود والصدى ٢٢٧

تمهيد ٢٢٩

المبحث الأول: مدرسة السكاكي التقعيدية ٢٣١

المبحث الثاني: مدرسة الخطيب القزويني الاتباعية ٢٤١

المبحث الثالث: مدرسة الإمام الطيبي الإحيائية ٢٥٣

المبحث الرابع: مدرسة السيوطي الجامعة ٢٦٣

المبحث الخامس: جهود مختلفة لأعلام في البلاغة والإعجاز ٢٧٤

أولاً: جهود الرازي العلمية في البلاغة والتفسير ٢٧٤

ثانياً: جهود ابن أبي الإصبع المصري ٢٧٨
ثالثاً: عز الدين بن عبد السلام ٢٨٣
رابعاً: الإمام القرطبي ٢٨٨
خامساً: جهود حازم القرطاجني ٢٩٤
سادساً: القاضي البيضاوي ٢٩٧
سابعاً: جهود محمد بن علي الجرجاني ٣٠٢
ثامناً: جهود يحيى بن خمزة العلوي ٣٠٦
تاسعاً: جهود أبي حيان الأندلسي ٣١١
عاشراً: جهود الزركشي ٣١٦
أحد عشر: جهود أبي السعود العمادي ٣٢٢

الفصل الرابع: مرحلة النهضة الحديثة ٣٢٧
تمهيد ٣٢٩
المبحث الأول: مدرسة الرافعي المؤسس الثالث لعلم الإعجاز ٣٣١
المبحث الثاني: مدرسة الذوق والبلاغة: محمد الطاهر بن عاشور ٣٤٨
المبحث الثالث: مدرسة الأدب والتصوير الفني: سيد قطب ٣٦٢

أولاً: منهج سيد قطب في تفسير الظلال ٣٦٢
ثانياً: الموقف من التفسير العلمي ٣٦٢
ثالثاً: سيد قطب والبلاغيون القدماء ٣٦٣
رابعاً: مراحل فهم القرآن ٣٦٤
خامساً: سيد قطب والمصطلحات البلاغية ٣٦٥
سادساً: الموقف من الإعجاز ٣٦٧
سابعاً: نموذج من الظلال حول قصة آدم في سورة البقرة ٣٧٠

المبحث الرابع: اتجاهات جديدة في البلاغة ٣٨٤

أولاً: دراسات كلاسيكية في حلة جديدة ٣٨٤
١ ـ جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي ٣٨٤

رفع
المسـاهم
عفرالله له ولوالديه

٢ ـ علوم البلاغة للمراغي ٣٨٥
٣ ـ البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين ٣٨٥
٤ ـ معجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة ٣٨٦
ثانياً: دراسات بلاغية وفق منهج جديد ٣٨٧
ثالثاً: جدول حول مآخذ على درس البلاغة العربية ٣٩١
دفاع عن البلاغة ٣٩٤
موقفنا من الفريقين ٣٩٥
رابعاً: كيف نطور مباحث البلاغة العربية؟ ٣٩٥
المبحث الخامس: جهود واتجاهات متعددة في الإعجاز ٤٠٤
القسم الأول: علماء ومفكرون ٤٠٤
أولاً: محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابهِ: (مناهل العرفان في علوم القرآن) ٤٠٤
ثانياً: محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن) ٤٠٥
ثالثاً: أمين الخولي ٤٠٨
رابعاً: محمود محمد شاكر في كتابه: (مداخل إعجاز القرآن) ٤١٠
خامساً: بنت الشاطئ والإعجاز البياني ٤١٤
سادساً: محمد متولي الشعراوي في كتابه: (معجزة القرآن) ٤١٧
سابعاً: د. محمد سعيد رمضان البوطي في كتابهِ: (من روائع القرآن) ٤٢٠
القسم الثاني: كتاب وباحثون أكاديميون ٤٢٣
أولاً: عبد الكريم الخطيب في كتابه: (إعجاز القرآن) ٤٢٣
ثانياً: د. حنفي شرف في كتابه: (إعجاز القرآن الكريم البياني) ٤٢٤
ثالثاً: د. محمد أحمد يوسف قاسم في كتابه: (الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره) ٤٢٥

رفع المسلم عز الدين الجراح

رابعاً: د. محمد الأمين الخضري في كتابه: (الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ) ٤٢٧

خامساً: محمود السيد حسن مصطفى في كتابه: (الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية) ٤٢٩

سادساً: د. فتحي أحمد عامر في كتابه: (بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ) ٤٣٢

سابعاً: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه: (البيان في إعجاز القرآن) ٤٣٥

ثامناً: د. حسن عتر في كتابه: (بينات المعجزة الخالدة) ٤٤٠

تاسعاً: نعيم الحمصي في كتابه: (فكرة إعجاز القرآن) ٤٤٣

عاشراً: د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة في كتابهِ: (قضية الإعجاز القرآني) ٤٤٥

أحد عشر: الدكتور مصطفى مسلم في كتابهِ: (مباحث في إعجاز القرآن) ٤٤٧

اثنا عشر: د. رشاد محمد سالم في كتابه: (مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي) ٤٤٩

ثلاثة عشر: د. محمود السيد شيخون في كتابه: (الإعجاز في نظم القرآن) ٤٤٩

أربعة عشر: أ. د. صلاح الدين محمد عبد التواب في كتابه: (النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن) . .. ٤٥٤

خمسة عشر: د. عودة الله منيع القيسي في كتابه: (سر الإعجاز في تنويع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد) ٤٥٦

ستة عشر: الطبيب الشيخ محمد أبو اليسر عابدين في كتابه: (الإيجاز في آيات الإعجاز) ٤٥٧

سبعة عشر: عفيف طبارة في كتابه: (روح الدين الإسلامي) ٤٦١

رفع المسهم

القسم الثالث: دراسات في الإعجاز العلمي ٤٦٦
القسم الرابع: دراسات في وجوه مختلفة من الإعجاز ٤٦٩
الخاتمة ٤١٧
المصادر والمراجع ٤٧٣
أولاً: الكتب ٤٧٣
ثانياً: الدوريات ٤٨٥
من آثار المؤلف ٤٨٧
فهرس الموضوعات ٤٩٣

رفع
المسأهم
عزالله لمحمالد

(الســــــيرة الــذاتية)

للدكتور محمد رفعت زنجير

الموقع على شبكة الأنترنت: WWW.dmr.50g.com

البريد الإلكتروني: mohdrifat@hotmail.com

ص ب: 21474 عجمان، متحرك 7316939

أولا: معلومات عامــــــــة

الاســــــــــــــم: محمد رفعت أحمد زنـجير

التخصص العـــــــــام: اللغة العربية.

التخصص العلمي الدقيق : البلاغة والنقد.

الدرجة العلميـــــــــة: الـــدكتوراة. (أستاذ مشارك)

المهنة الحاليـــــــــة: أستاذ جامعي.

تاريخ الميــــــــــلاد: 1-11-1959م.

مكان المــــــــــيلاد: حلب الشهباء، سورية.

الجنسية الأصلـــــــية: ســـــورية.

الحالة الاجتماعيـــــــة: متزوج، ولدي أربعة أولاد هم زينة الحياة الدنيا.

ثانيا: المراحل التعليميــــــــة:

1- الثانوية العامة من سوريا، القسم العلمي، 1977م.
2- البكالوريوس في اللغة العربية، قسم الأدب، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1985م،
3- الماجستير في اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد، من جامعة أم القرى، 1990م
4- الدكتوراة في اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد، من جامعة أم القرى، 1995م.

ثالثا: الخبـــــــــرات

1- مدرس في مدارس جدة الخاصة للبنين، مدة سنتين: (1992-1993 م) .
2- أستاذ مساعد في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا(1996م – 1998م).
3- أستاذ مساعد في شبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا (1998م - 2002م).
4- أستاذ مشارك في نفس الجامعة من 2002/2/3م حتى اليوم.

رابعا: الأنشطـــــــة العلميـــــة

1- محاضر بقسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لمرحلتي البكالوريوس والماجستير.
2- مشرف ومناقش لثلاثة رسائل ماجستير بالقسم المذكور.
3- منسق قسم اللغة العربية، في جامعة عجمان، مقر أبو ظبي حتى 2004م.
4- وكيل بالنيابة عن كلية التربية وكلية الإعلام في بعض الأوقات.
5- نشر 13 كتابا، و24 بحثا محكما.
6- نشر أكثر من 100 بحث ومقال في الصحف والمجلات، وبعض المواقع الإلكترونية.
7- يكتب الشعر والقصة والمسرح والبحوث الفكرية والاجتماعية أيضا
8- حضر 8 مؤتمرات علمية.

خامسا: المعرفون والمزكون والمقدمون للكتب المطبوعة:

أ. علي الطنطاوي، أ . السيد سابق، د. عبد الله علوان، أ. د. عبد اللطيف خليف نائب مدير جامعة الأزهر الشريف، أ. د. مجاهد مصطفى بهجت، أ. د. أحمد شيخ عبد السلام. أ. د. عبد القهار العاني. أ. د. حسن باجودة. د، عوض الله الداروتي.

هذا الكتاب

ولما كثرت الأقوال والجهود في هذا الباب، وكان في الكتب المؤلفة في هذا الباب تكرار وتطويل، وحشو وتداخل، أحببت أن ألخص ما قيل في هذا الباب، وأن أرتبه وأهذبه مراعياً المنهج التاريخي، وذلك ليكون ركيزة لمن أراد أن يضيف جديداً في باب البلاغة والإعجاز، فلا جديد لمن لم يعرف القديم، إذ قد يقول المرء برأي يظنه جديداً وقد قيل قبله بألف عام أو يزيد، وعليه فمن أراد أن يبني جديداً في ميدان العلم، فلا بد له أن يلم بما قيل قبله أولاً، ... ولما كان تاريخ البلاغة مرتبطاً بالإعجاز كبقية علوم العربية من نحو ونقد وأدب، فقد رأيت دمج التاريخين في بحث واحد.